العدد السادس عشر - الجزء الاول - سبتمبر - 2023 - السنة الثالثة مجلة علمية فصلية محكمة

المجلة الأمريكية الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية

American International Journal of Humanities and Social Sciences

ISSN - 2710 - 4834 / رقم الايداع في دار الكتب والوثائق العراقي : 2460

تصدر عن الأكاديمية الأمريكية الدولية
للتعليم العالي والتدريب

ISSUED BY AMERICAN INTERNATIONAL ACADEMY
OF HIGHER EDUCATION AND TRAINING

الموقع الرسمي للمجلة / www.aijhssa.us

بسم الله الرحمن الرحيم

رئيس التحرير- أ.د. حاتم جاسم الحسون، رئيس الأكاديمية الأمريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب.

مدير التحرير- أ.د. هند عباس على الحمادي-أستاذ بقسم اللغة العربية وعلومها-كلية التربية للبنات-جامعة بغداد، جمهورية العراق (مدقق اللغة العربية).

سكرتارية التحرير

1. أ .م.د. محمد حسن أبو رحمة . وزارة التربية – فلسطين .
2. أ.سكينة إبراهيم الصبري - الشؤون الإدارية - الأكاديمية الأمريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب.

أعضاء هيئة التحرير

1. أ.م.د.حقي إسماعيل إبراهيم ، كلية التربية ،الجامعة المستنصرية ،. جمهورية العراق - المدقق العام.
2. أ.م.د. خالد ستار القيسي ،عميد كلية الإعلام ، الأكاديمية الأمريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب.
3. أ. مجدي عبد الله الجايح،كلية اللغات والعلوم الإنسانية،الأكاديمية الأمريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب. (مدقق اللغة الإنكليزية)
4. أ. خالد الأنصاري، كلية علوم التربية،جامعة محمد الخامس ،الرباط، المملكة المغربي. (التنضيد)
5. أ.محمد تايه محمد - بك إدارة أعمال - كلية الإدارة والاقتصاد - جامعة الكوفة. (تصميم).

أعضاء الهيئة العلمية

1. أ.د. أبكر عبد البنات آدم - مدير جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم - جمهورية السودان.
2. أ.د. إلهام شهرزاد روابح - كلية الحقوق والعلوم السياسية - جامعة البليدة 2 - الجمهورية الجزائرية.
3. أ.د. آمال العرباوي مهدي - رئيس قسم التربية المقارنة بكلية التربية - جامعة بورسعيد، جمهورية مصر العربية.

4. أ.د. أمل مهدي جبر- رئيس قسم العلوم التربوية والنفسية ـ كلية التربية للبنات ـ جامعة البصرة، جمهورية العراق.
5. أ.م.د.آوان عبد الله محمود الفيضي ـ دكتوراه قانون خاص ـ كلية الحقوق ـ جامعة الموصل ـ جمهورية العراق.
6. أ.د. إيمان عباس على حسن الخفاف- عميد كلية التربية الأساسية ـ الجامعة المستنصرية ، جمهورية العراق.
7. أ.د. برزان ميسر حامد أحمد الحميد ـ كلية التربية للعلوم الإنسانية- جامعة الموصل ـ جمهورية العراق
8. أ.م.د. تارا عمر أحمد- كلية العلوم السياسية ـ جامعة السليمانية ـ جمهورية العراق .
9. أ.م.د.تحرير علي حسين علوان – كلية الفنون الجميلة – جامعة البصرة – جمهورية العراق.
10. أ.د. حسين عبد الكريم أبو ليله ـ وزارة التربية والتعليم ـ فلسطين .
11. أ.د. خليفة صحراوي ـ رئيس قسم اللغة العربية وآدابها ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية ـ جامعة باجي مختار عنابة ـ الجمهورية الجزائرية.
12. أ.د. داود مراد حسين الداودي ـ دكتوراه العلوم السياسية ـ مدير وحدة البحوث والدراسات ـ جامعة القادسية ـ كلية القانون ـ جمهورية العراق.
13. أ.د. راشد صبري محمود القصبي- أستاذ التخطيط التربوي واقتصاديات التعليم بكلية التربية ـ جامعة بورسعيد ـ جمهورية مصر العربية.
14. أ.د. سندس عزيز فارس الفارس- خبير تربوي- عميد كلية الدراسات العليا والبحث العلمي في الاكاديمية الأمريكية ـ جمهورية العراق .
15. أ.د.عدنان فرحان الجوراني ـ أستاذ الاقتصاد ـ جامعة البصرة ـ جمهورية العراق.
16. أ.د. غادة غازي عبد المجيد- أستاذ في كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة ديالى ـ جمهورية العراق.
17. أ.د. ماجدولين محمد النهيبي- كلية علوم التربية ـ جامعة محمد الخامس ـ الرباط، المملكة المغربية.
18. أ.د. ماهر مبدر عبد الكريم العباسي ـ نائب عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية ـ جامعة ديالى ـ جمهورية العراق.
19. أ.م.د. محمد ماهر محمود الحنفي ـ رئيس قسم أصول التربية ـ كلية التربية ـ جامعة بور سعيد ـ جمهورية مصر العربية.
20. أ.م.د.عبد الباقي سالم – تدريسي في كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة – جامعة بابل- جمهورية العراق
21. أ.د. ناهض فالح سليمان- كلية التربية للعلوم الإنسانية ـ قسم اللغة الإنجليزية ـ جامعة ديالى ـ جمهورية العراق.

22. أ.د. نبيل محمد صالح العبيدي ـ عميد كلية الدراسات العليا ـ الجامعة اليمنية ـ الجمهورية اليمنية.
23. .أ.د.نزهة إبراهيم الصبري نائب رئيس الأكاديمية الأمريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب- المملكة المغربية.
24. أ.د. نصيف جاسم أسود سالم الأحبابي ـ كلية التربية للعلوم الإنسانية ـ قسم الجغرافية ـ جامعة تكريت ـ جمهورية العراق.
25. أ.د. نورة محمد مستغفر ـ أستاذ التعليم العالي مؤهل، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، المملكة المغربية.
26. أ.د. هاله خالد نجم- رئيس قسم الترجمة ـ كلية الآداب- جامعة الموصل – جمهورية العراق .
27. أ.د. وسن عبد المنعم ياسين- أستاذ الأدب العربي – كلية التربية للعلوم الإنسانية ـ جامعة ديالى ـ جمهورية العراق

أعضاء الهيئة الاستشارية

1- أ.م.د.آرام نامق توفيق ـ كلية العلوم ـ جامعة السليمانية ـ جمهورية العراق.
2- أ.د. خالد عبد القادر التومي- باحث في المركز القومي للبحوث والدراسات العلمية ـ ليبيا.
3- أ.د. رائد بني ياسين- عميد كلية الأعمال ـ قسم نظم المعلومات ـ الجامعة الأردنية- فرع العقبة ـ المملكة الأردنية الهاشمية.
4- أ.د. جميلــة غريّب ـ قسم اللّغة العربيّة و آدابها ـ جامعة باجي مختار- عنابة ـ الجمهورية الجزائرية .
5- أ.م.د. رشيدة علي الزاوي- أستاذ التعليم العالي ـ المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين ـ الرباط ـ المملكة المغربية.
6- أ. م.د. رضا قجة- علم الاجتماع – كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – جامعة محمد بوضياف – المسيلة – الجمهورية الجزائرية.
7- -أ.د. كامل علي الويبة- رئيس جامعة بنغازي الحديثة – ليبيا.
8- أ.د. علي سموم الفرطوسي ـ كلية التربية الأساسية ـ الجامعة المستنتصرية ـ جمهورية العراق.
9- أ.د. حدة قرقور ـ كلية الحقوق ـ جامعة محمد بوضياف ـ المسيلة ـ الجمهورية الجزائرية.
10- أ.د. مازن خلف ناصر ـ كلية القانون ـ الجامعة المستنصرية ـ جمهورية العراق.

11- أ.م.د. محمد عبدالفتاح زهرى- رئيس قسم الدراسات الفندقية- كلية السياحة والفنادق – جامعة المنصورة- جمهورية مصر العربية.
12- أ.م.د.مروة إبراهيم زيد التميمي ـ كلية الكنوز ـ الجامعة الأهلية ـ جمهورية العراق.
13- أ.م.د. هلال قاسم أحمد المريسي ـ عميد الشؤون الاكاديمية ـ جامعة العلوم الحديثة ـ الجمهورية اليمنية.

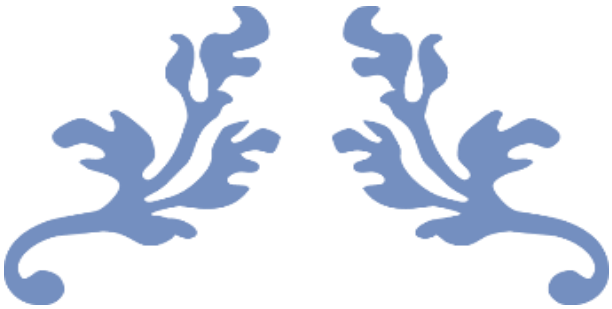

مقال العدد

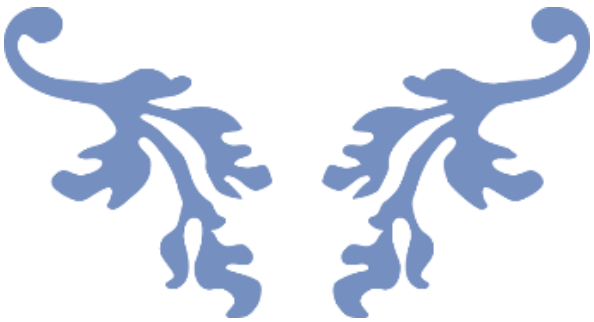

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ، الحمدّ لله على فضله ونعمته ، والصلاة والسلام على رسوله الكريم وآله ، أمّا بعد

في العدد السادس عشر (الجزء الاول) من المجلة الأمريكية الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية ضّم عددا من البحوث القيمة ذات المعيار العلمي العالي بما تحمله من قدرات معرفية وعلمية أسفرت عن أقلام باحثين لهم منزلتهم العلمية والعملية في حقول تخصصهم ؛ لذا سعت المجلة على أن تضّم في عدد هذا العدد النوعي من البحوث ، وليس الكمي ، فالغاية هو طرح الأفكار العلمية المتميزة للعالم القارئ.

لذ دأبت هيئة التحرير على تطبيق معايير التقييم العلمية شأنها بذلك شأن المجلات الرصينة المثيلة في حقل التخصص والنشر العالمي ، فعرضت البحوث على محكمين لهم مكانتهم العلمية في فضائهم العلمي ، ويعودون لجنسيات مختلفة ، ومن جامعات متباينة ، منها الجامعات الحكومية التي ترجع بمرجعيتها إلى بلدان العالم المختلفة ، فضلا عن الاستعانة بخبراء من جامعات خاصة اثبتوا بشكل علمي أنهم أهل للتحكيم واطلاق الحكم على علمية البحث المقدم للمجلة ، وصلاحيته للنشر.

حرصت هيئة التحرير على عرض البحث المقدم من لدن كاتب البحث على محكمين اثنين ، وتقديمه لهما ، بتوقيتات زمنية محددة ، فأن اتفق المحكمان على صلاحية البحث ، تم تحويله إلى مرحلة التنضيد والنشر ، بعد التأكد من دقة تطبيق تعليمات النشر الخاصة بالمجلة . وإن اختلف المحكمان في التقييم المطلق على البحث المقدم ، حول البحث لمحكم ثالث ، فأن قبله ، تم تحويله للمرحلة الثانية التنضيد والنشر ، وإن رفضه ، عندئذ يرفع البحث من قائمة البحوث المعدة للنشر.

لم يختلف منهج هيئة التحرير في آلية قبول البحوث ، وعدّها للنشر عن غيرها من المجلات العلمية ؛ لأن الرصانة العلمية هو هدفها الذي تسعى للوصول إليه ، واعتمدت نظاما دقيقا في استقبال البحوث ، وتقديمها للمقومين ، واشعار الباحثين بقبول النشر ، وفقا لأمر إداري يصدر عن المجلة ، يعد مستندا في صحة نشر البحث في المجلة ، مع تثبيت العدد الذي نشر فيه مذيلا بإمضاء رئيس التحرير.

احتوى هذا العدد في طياته مجموعة من بحوث المشاركين في المرتمرالدولي العلمي الثالث عشر بالاضافة الى بحوث بعض الباجثين من خارج المؤتمر، والتي تحمل موضوعات متنوعة ، ذات الطابع الإنساني والاجتماعي ، ضمن تخصص محاور المؤتمر والمجلة ، وكل الأفكار التي طرحت تحمل الرؤى العلمية وأبعادها ، والنظرية التي يؤمن بها أصحاب تلك الأفكار ، لذلك كانت المجلة دقيقة ؛ لأجل عرض تلك الأفكار من دون التدخل فيها ، مع متابعة كونها لا تؤدي إلى خلق الفوضى العلمية ، أو تحريض للعنف ، أو للتطرف العلمي والمجتمعي.

وأخيرا .. نتقدم بكل العرفان المزدان بأريج الورد للكل الجهود العلمية والفنية والإدارية التي ساعدت ، وتضافرت لأجل أن يصدر هذا العدد ... الاحترام الممتد بالشكر .

02/09/2023 المغرب

هيئة تحرير المجلة

الملاحظة القانونية

البحوث المنشورة في المجلة لا تعبر عن وجهة نظر المجلة ، بل عن رأي كاتبها.

فهرس الموضوعات

أنسنة العقوبة الجزائية - دراسة في السياسة الجنائية
أ.د.حسين عبدعلي عيسى.....11

المسؤولية الجزائية عن اختلاس الأموال العائدة لمؤسسات القطاع الخاص
أ.د مازن خلف ناصر.....34

متطلبات بناء المعرفة وانعكاسها على تحقيق اهداف المستدامة التنمية
ا. د. ندى عبدالله العبيدي / ا. د. الاء حسيب عبد الهادي الجليلي /
ا. م. د منال عبد الجبار السماك 54

تشظي الهوية في الرواية العراقية النسوية بعد عام 2006
أ.د. اسراء حسين جابر.....71

الشيخ أحمد بن عبد العزيز الهلالي السجلماسي - سيرته العلمية
الدكتورة :خديجة البوطاهري.....82

بلاغة الإقناع بالصورة الشعرية في الشعر الجزائري المعاصر قصيدة "عرس البيضاء لعثمان لوصيف" دراسة تطبيقية
د/مروى عمرة / د/ سمية عامر.....96

العلاجات النفسية بين التعدية والنمطية في زمن ما بعد الحداثة
د.عبد الحليم الشرقي / الباحث /عبد الإله خبطة .....109……

من علماء الأدب المعاصر، عبد الله الطيب المجذوب
أ.د.سعاد سيد محجوب.....126

"المقاربة الانبثاقية: مقاربة معاصرة في الدراسات السيكولوجية"
الباحث / يوسف نجيب / البروفيسور/ مولاي التهامي باديدي.....152

مخرجات التحول من اللوحة الثابتة الى الصورة الرقمية في الفن التشكيلي المعاصر
أ.م.د.ندى عايد يوسف.....174

تطور الافكار الاقتصادية والاسس النظرية للتطبيق في العلاقات الدولية
د . عماد فاضل فيصل.....191

إسهامات السوشل ميديا في بلورة الوعي السياسي لدى الجزائريين- دراسة لعينة من مستعملي الفايسبوك في الجزائر.
ط.د: شعيب عبد الرحماني.....215

ظاهرة تساقط الثلوج على مدينة بغداد باستخدام تقنية GIS& RS
أ.م.د. ميسون طه محمود السعدي.....255

أثر القياس المنطقي في خطاب المتكلمين:الاستعارة في كتاب البخلاء للجاحظ من منظور لساني معرفي
الباحث / عادل غرار / أ.د.محمد ناجي، جامعة مولاي.....272

دور القوى الدولية والإقليمية في عدم الاستقرار السياسي في افغانستان
د.وداد حماد مخلف الفهداوي.....294

جهود جون ديوي الفلسفية والتربوية
أ.أحمد محمد العامري.....309

القيادة الاستراتيجية وانعكاسها على الأداء الوظيفي
دراسة استطلاعية لآراء عينة من موظفي تربية الكوفة في محافظة النجف
الباحثة- م. م يصغ رحيم رشيد الماضي.....321

أهمية البحث الابستمولوجي في تنمية بعض المهارات الأكاديمية لدى الطالب الجامعي في كليات العلوم الإنسانية والاجتماعية
الباحثة: شيطر عيشوش.....346

أنسنة العقوبة الجزائية ـ دراسة في السياسة الجنائية

أ.د. حسين عبدعلي عيسى
كلية القانون/ جامعة السليمانية
Email: husseinissa@hotmail.com
00964 7702100958

الملخص:
شكلت العقوبة على مر التأريخ الإنساني النتيجة الحتمية المترتبة على ارتكاب الجريمة. وقد تنوعت العقوبة وتدرجت شدتها تبعاً لدرجة جسامة الأفعال التي تشكل خطورة على أمن المجتمع واستقراره. وإذا كانت العقوبة في المراحل الأولى من تطور المجتمع الإنساني تتصف بقسوتها البالغة وارتبطت بالثأر والانتقام الفردي من الجاني، ولاحقاً بالانتقام الجماعي منه، فأن أغراضها في الوقت الراهن أصبحت تنحصر في تحقيق العدالة والردع الخاص والعام .
وقد لعب المذهب الإنساني (الأنسنة)، الذي ظهر في القرون الوسطى، وتطور لاحقاً، وكذلك المذاهب الجنائية المختلفة، دوراً بارزاً في أنسنة العقوبة الجزائية، وهو ما وجد انعكاساته في التشريعات العقابية لعدد كبير من الدول، ومن ثم فقد باتت أنسنة العقوبة الجزائية في العصر الراهن من مرتكزات السياسة العقابية المعاصرة، وفي ضوئها تغيرت التصورات المتعلقة بالجاني والعقوبة المفروضة عليه وأغراضها. وهذا ما يستدعي من المشرع العراقي مراعاته من خلال أنسنة العقوبة الجزائية في التشريع العقابي .
ومن ثم فأن مشكلة البحث تنحصر في دراسة مفهوم أنسنة العقوبة الجزائية، وكذلك الإجابة على عدد من التساؤلات المتعلقة بأصولها الفلسفية والقانونية، ومظاهرها في التشريعات العقابية المقارنة، ومرتكزات تجسيدها في التشريع العقابي العراقي.
وتنحصر أهمية البحث في أن الدراسة تركز الضوء على أحد المحاور المعاصرة في السياسة الجنائية الذي يحظى بعناية المجتمع الدولي، كما أن نتائجه والتوصيات النابعة منه يمكن أن تكون موضع اهتمام المشرع العراقي بغية الاستفادة منها في أنسنة العقوبة الجزائية في التشريع العقابي العراقي.
وتتمثلالأهداف الرئيسة للبحث في التعريف بأنسنة العقوبة الجزائية، وتوضيح جذورها الفلسفية وأسسها القانونية، ومرتكزاتها في السياسة الجنائية المعاصرة، ومظاهرها في التشريعات العقابية المقارنة، وكيفية تجسيدها في التشريع العقابي العراقي استناداً إلى التوصيات النابعة منه.
وتستند الدراسة إلى عدة مناهج، وبخاصة: المنهج التأريخي، وذلك من خلال الدراسة التأصيلية لمفهوم الأنسنة وأنسنة العقوبة الجزائية، وكذلك المنهج الوصفي والتحليلي والمقارن في دراسة المواثيق الدولية ذات الصلة والتشريعات العقابية العراقية والمقارنة بخصوص تجسيد أنسنة العقوبة الجزائية فيها.
ويقسم البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة. ويتناول المبحث الأول الجذور الفلسفية والقانونية لأنسنة العقوبة الجزائية، ويعالج المبحث الثاني أنسنة العقوبة الجزائية في التشريع العقابي العراقي والمقارن. وتتضمن الخاتمة أهم الاستنتاجات والتوصيات المتوصل إليها.

الكلمات المفتاحية:السياسة الجنائية، الأنسنة، العقوبة الجزائية، التشريع العقابي العراقي، التشريعات العقابية المقارنة.

Humanizing criminal punishment - a study in criminal policy

Prof. Dr. Hussein Abd Ali Issa
College of Law/University of Sulaymaniyah

Abstract

The penalty has been a historical consequence of committing a crime throughout human history. The penalty varied and its severity escalated depending on the gravity of actions that posed a threat to the security and stability of society. In the early stages of human societal development, the penalty was characterized by its severity and was associated with individual retaliation and revenge against the wrongdoer. Later on, collective revenge emerged, and eventually, its purposes in the contemporary era have become focused on achieving justice and both specific and general deterrence.

The humanistic approach (humanization) that emerged in the Middle Ages, as well as various criminal doctrines, played a significant role in humanizing criminal penalties. This influence was reflected in the penal legislation of many countries. As a result, humanizing criminal penalties has become a cornerstone of modern penal policies, leading to shifts in perceptions regarding the offender, the imposed penalty, and its objectives. This calls for consideration from the Iraqi legislator in terms of humanizing criminal penalties within penal legislation.

Thus, the research problem is centered around studying the concept of humanizing criminal penalties, along with addressing several questions related to its philosophical and legal foundations, its manifestations in comparative penal legislations, and its embodiment in Iraqi penal legislation.

The significance of this research lies in shedding light on a contemporary aspect of criminal policy that has garnered international attention. The research outcomes and resulting recommendations could be of interest to the Iraqi legislator, aiming to benefit from them in humanizing criminal penalties within Iraqi penal legislation.

The main objectives of the research are to define humanizing criminal penalties, clarify their philosophical roots and legal foundations, explore their manifestations in contemporary criminal policies, compare them in comparative penal legislations, and illustrate their embodiment in Iraqi penal legislation based on derived recommendations.

The research employs various methodologies, primarily the historical approach by theoretically studying the concept of humanization and humanizing criminal penalties. Additionally, the descriptive, analytical, and comparative methodologies are employed in the study of relevant international agreements, Iraqi and comparative penal legislations, focusing on the embodiment of humanizing criminal penalties.

The research consists of an introduction, two main sections, and a conclusion. The first section delves into the philosophical and legal roots of humanizing criminal penalties, while the second section discusses the embodiment of humanizing criminal penalties in both Iraqi and comparative penal legislations. The conclusion summarizes the key findings and recommendations.

Keywords: Criminal Policy, Humanization, Criminal Penalties, Iraqi Penal Legislation, Comparative Penal Legislation.

المقدمة

لعبالمذهب الإنساني (الأنسنة)، الذي يعود في جذوره الفلسفية إلى القرون الوسطى، دوراً بارزاً في تطور مفهوم العقوبة الجزائية وأغراضها، فبعدما كانت العقوبة في المراحل الأولى من تطور المجتمع الإنساني تتصف بقسوتها البالغة وارتبطت بالثأر والانتقام الفردي من الجاني، ولاحقاً بالانتقام الجماعي منه، باتت أغراضها اليوم تنحصر في تحقيق العدالة وردع ارتكاب المحكوم عليه لجريمة جديدة (الردع الخاص) وردع ارتكاب الأشخاص الآخرين لجرائم مماثلة (الردع العام).

وقد لعبت المذاهب الجنائية المختلفة دوراً كبيراً في أنسنة القانون الجنائي بصفة عامة والعقوبة الجزائية بصفة خاصة، فعلى أساسها تغيرت التصورات المتعلقة بالجاني والعقوبة المفروضة عليه وأغراضها مما كان له الأثر في أنسنة التشريعات العقابية لعدد كبير من الدول، وهذا ما جرى تجسيده أيضاً في قانون العقوبات العراقي رقم (111) لعام 1969، إذ تجلت مظاهر أنسنة العقوبة الجزائية في التزام المشرع العراقي بكثير من توجهاتها في مختلف نصوصه.

ونظراً لمرور مدة ليست بالقصيرة على صدور قانون العقوبات العراقي لعام 1969 وفي ضوء التطورات المعاصرة في توجهات السياسة الجنائية، وبخاصة في نطاق أنسنة العقوبة الجزائية، بات من البديهي أن يبادر المشرع العراقي بدوره إلى تحديث هذا القانون، ولاسيما من خلال اعتماد التوجهات الحديثة في أنسنة العقوبة الجزائية.

أولاً: مشكلة البحث: يتناول البحث دراسة أنسنة العقوبة الجزائية في السياسة الجنائية المعاصرة، وذلك من خلال البحث في الإجابة على عدد من التساؤلات بخصوص الجذور الفلسفية والقانونية لأنسنة العقوبة الجزائية، ومظاهرها في الوقت الراهن في كل من التشريع العقابي العراقي والتشريعات العقابية المقارنة، وكيفية تحديث قانون العقوبات العراقي لعام 1969 فيما يتعلق بأنسنة العقوبة الجزائية فيه.

ثانياً: أهمية البحث: تنحصر أهمية البحث على الصعيد النظري في تسليط الضوء على الجذور الفلسفية والتاريخية لأنسنة العقوبة الجزائية في نطاق المذاهب الرئيسة في القانون الجنائي، مع التطرق إلى تجلياتها في قانون العقوبات لعام 1969 وفي التشريعات العقابية المقارنة، مما يشكل إضافة نظرية مهمة إلى الدراسات المكرسة للعقوبة الجزائية في نطاق السياسة الجنائية المعاصرة، لاسيما وأن أنسنة العقوبة الجزائية تعدّ من أهم التوجهات فيها. كما تتمثل أهمية البحث على الصعيد التطبيقي في أن النتائج التي سيتمخض عنها هذا البحث يمكن أن تسهم في تطوير قانون العقوبات العراقي لعام 1969، وبخاصة فيما يتعلق بأنسنة العقوبةالجزائية فيه.

ثالثاً: نطاق البحث: سيقتصر موضوع البحث على دراسة أنسنة العقوبة الجزائية في قانون العقوبات العراقي لعام 1969، ومن ثم سوف لن يجري التطرق إلى القوانين العقابية العراقية الأخرى (الخاصة أوالتكميلية)، كما سيكرس البحث لدراسة كل من قانون العقوبات الفرنسي لعام 1992 وقانون العقوبات الروسي لعام 1996 بوصفهما انموذجين على التشريعات العقابية المقارنة، وفيما يتعلق بموضوع البحث.

رابعاً: مناهج البحث:تعتمد الدراسة على عدد من المناهج، وعلى رأسها المنهج التأريخي والوصفي والتحليلي والمقارن،في دراسة الجذور الفلسفية والقانونية لأنسنة العقوبة الجزائية وتجلياتها في المذاهب الجنائية المختلفة، وكذلك مظاهر أنسنة العقوبة الجزائية في التشريع العقابي العراقي والتشريعات العقابية المقارنة.

خامساً: خطة البحث:يتوزعالبحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة، وسيخصصالمبحث الأوللدراسة الجذور الفلسفية والقانونية لأنسنة العقوبة الجزائية وسيكرس المبحث الثاني لبيانمظاهر أنسنة العقوبة

الجزائية في التشريع العقابي العراقي والمقارن. وستدرج في خاتمة البحث أبرز الاستنتاجات والتوصيات المتوصل إليها.

المبحث الأول
الجذور الفلسفية والقانونية لأنسنة العقوبة الجزائية

لتسليط الضوء على الجذور الفلسفية والقانونية لأنسنة العقوبة الجزائية يقسم هذا المبحث على مطلبين، ويكرس المطلب الأول للتأصيل التأريخي والفلسفي لأنسنة العقوبة الجزائية، ويخصص المطلب الثاني لبيان أهمية المذهبين الأنتربولوجي والاجتماعي في أنسنة العقوبة الجزائية، وعلى الوجه الآتي:

المطلب الأول
التأصيل التأريخي والفلسفي لأنسنة العقوبة الجزائية

يطلق مصطلح (الأنسنة) أو (النزعة الإنسانية) أو (الإنسانوية) على حركة التنوير التي ضمت مفكري عصر النهضة (بترارك، دانتي، بوغاشو، دافينشي، إبرازموس أوف روترادا، برونو ، رابيليه، مونتي، كوبرنيك، شكسبير، بيكون، مور، كامبانيلا، أولريخ هوتن، وغيرهم)، والتي دعتإلى حرية الفرد ومعارضة القهر البدني والديني ودافعت عن حق الإنسان في التمتع وفي إشباع الرغبات والحاجات الدنيوية**(روزنتال، يودين، 1997، 468)**. و (الأنسنة)بوصفها مصطلحاً فلسفياً: هي مركزية الإنسان، وموضوعها تقويم الإنسان وتقييمه واستبعاد كل ما من شأنه تغريبه عن ذاته، سواءً بإخضاعه لحقائق أو لقوى خارقة للطبيعة البشرية أم تشويهه من خلال استعماله استعمالاً دونياً يناقض الطبيعة البشرية(لالاند، ، 1996، ص 569).ومن ثم يرىأنصار (النزعة الإنسانية) "إن الإنسان معيار كل شيء، وإن كل إنسان معيار ذاته"**(كرين، 2001، ص 41)**.

وتعود أنسنة العقوبة الجزائية بوصفها من التوجهات المعاصرة والرئيسة في السياسة الجنائية المعاصرة في جذورها الفلسفية والتأريخية إلى عصر التنوير أيضاً، إذ نادى بها أبرز ممثلوه في نطاق الفكر القانوني، وبخاصة: مونتسكيو وروسو وفولتير وبيكاريا وغيرهم، الذين، كما يرى البعض**(رشيتنيكوف، 1965، ص 5-6)**،كان لهم الدور البارز في تأسيس (المذهب الإنساني التنويري) في القانون الجنائي، الذي تطلق عليه تسمية (المذهب التقليدي أو الكلاسيكي)، والذي مهد لتأسيس المذاهب الجنائية اللاحقة.

ويعدّ مونتسكيو (1689-1755)أبرز المنورين الفرنسيين في نطاق المذهب الإنساني التنويري، وعبر عن آرائه القانونية بصفة خاصة في مؤلفه (الرسائل الفارسية) الصادر عام 1721، وكذلك في مؤلفه (روح القوانين) الصادر عام 1748، وفي كليهما وجه انتقاداً لاذعاً إلى القانون الجنائي وكذلك القضاء، كما وأدرج في مؤلفه الثاني تصوراته عن إصلاح القانون الجنائي، وكرس أبواباً كاملة فيه للعقوبة الجزائية، وفيه دعا الى تقليص حلقة الأفعال المعاقب عليها كجرائم، من خلال إلغاء الجرائم الدينية ولاسيما ما يتعلق بالسحر والهرطقة، وكذلك الجرائم الواقعة على (الملك)، ومنها جريمة إهانة الملك، مما يعني المطالبة بالغائها ومن ثم عدم العقاب عليها. كما دعا إلى فرض العقاب في قانون العقوبات على الأفعال وليس الأقوال أو النوايا التي لا تجد تجسيدها بأفعال. وأن تحدد كل جريمة في القانون بشكل دقيق ومحدد، وذلك (كيلا يخرج القاضي عن حدود القانون). وهنا تأكيد على مبدأ لا جريمة الا قانون، وكذلك تقييد لسلطة القاضي في ممارسة دور السلطة التشريعية في تجريم الأفعال والعقاب عليها على هواه. ودعا كذلك إلى الالتزام بمبدأ التناسب بين العقوبة والجريمة التي ارتكبها الجاني. ومن أجل تسبيب رأيه أشار إلى أمثلة من الصين وروسيا بقوله بأنه في (الصين) يجري تقطيع مرتكبي جرائم السطو إلى أجزاء، في

حين لا يجري ذلك بالنسبة للصوص، ولذلك فهناك يرتكبون جرائم السرقة ولا يرتكبون جرائم السطو. أما في (موسكو)فيعاقب اللصوص والقتلة على حد سواء.فمن خلال إشارته إلى (الصين) يؤكد على أهمية التناسب بين الجريمة والعقوبة، وعلى سبيل المقارنة يشير إلى انتفاء مثل هذا التناسب في قوانين (موسكو)، إذ يعاقب فيها على جريمتي السرقة والقتل بشكل متماثل. وفي هذا المؤلف عارض بشدة فرض عقوبة الإعدام، التي كانت واسعة الانتشار آنذاك، ودعا بشكل خاص إلى عدم فرضها في الجرائم الدينية، والجرائم الماسة بالملك(ناعوموف، 2017، ص 736-737).

ويرى جان جاك روسو (1712-1778)، الذي يعدّ من أبرز مفكري العلوم الاجتماعية والسياسية، أن المصدر الرئيس للشر الاجتماعي، وبضمن ذلك الإجرام، كما كتب في مؤلفه (أصل التفاوت بين الناس) إنما ينحصر في إنعدام المساواة الاجتماعية، الذي يعود سببها إلى وجود الملكية الخاصة، وأنه كان بإمكان البشرية أن تتجنب الجرائم والحروب والقتل والكوارث لولا وجودها،ومن ثم فقد طالب بأن تكون الخيرات متاحة للجميع، وألّا تكون الأرض لأحد. ومن أجل ردع مختلف الاضطرابات، وما يقوم به الأغنياء من استيلاء، والفقراء من سطو، ومن أجل تجنب الفوضى في المجتمع ، يتوجب في رأيه تأسيس دولة تحمي المواطنين كافة تقوم على العقد الاجتماعي (روسو، 2013، ص 66-68).

وأولى روسوفي مؤلفاته، وخاصة في مؤلفه الأبرز (العقد الاجتماعي)،اهتماماً كبيراً بعدد من المسائل القانونية، ففيهقسم القوانين إلى أربعة أنواع: السياسية والمدنية والجنائية، والنوع الرابع أهمها، وينحصر في: (الرأي العام والأخلاق والأعراف)، ويكون الهدف منها جميعاً الحريةوالمساواة، فالحرية في رأيه لا يمكن أن تتحقق على وجه العموم من دون المساواة، والحرية صفة أساسية للإنسان وحق غير قابل للتصويت عليه، فإذا تخلى الإنسان عن حريته فقد تخلى عن إنسانيته وعن حقوقه كإنسان، وهي تعني تمتع الفرد بحقوقه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في إطار قانوني(سيتنيكوفا، 2006، ص 60).

وقد شكلت أفكار (روسو) المتمثلة في (الأخاء والحرية والمساواة) شعارات للثورة الفرنسية عام 1789، وكذلك جسدت في إعلان حقوق الإنسان والمواطن الفرنسي لعام 1789، الذي بات أحد عناصر ديباجة الدستور الفرنسي لعام 1958. في حين أن آراءه بخصوص العقد الاجتماعي شكلت أساساً لغيره من المنورين، وخاصة تشارلي بيكاريا، فيما طرحوه من آراء، ولاسيما فيما يتعلق بالعقوبة الجزائية وأنسنتها.

وعارض بيكاريا (1738-1794) في مؤلفه (عن الجرائم والعقوبات) الصادر عام 1764 فكرة عدّ العقوبة الجزائية انتقاماً منالمجرم، ففي رأيه "إن الغرض من العقوبة ليس التعذيب وايلام الكائن الحساس، ولا عرقلة جريمة سبق حدوثها. إن الغرض يمكن أن يتحدد فقط في منع المجرم من إحداث أضرار جديدة بحق المواطنين، ولإثناء الآخرين من مقارفة أفعال مماثلة. وكي تتوصل العقوبة إلى أغراضها، فأن الضرر الناجم عن العقوبة ينبغي فقط أن يتجاوز المنفعة التي يستحصل عليها من الجريمة، وفي هذا التجاوز للضرر، فأن بوسع المرء أن يضمن فعالية العقوبة وأن يقصد المنفعة التي تتحقق من الجريمة"(بيكاريا، 1985، ص 70-72).

ويعدّ بيكاريا من أشد معارضي عقوبة الإعدام وفي مؤلفه عارض هذه العقوبة مبيّناً طبيعتها غير الردعية، ففي رأيه أن عقوبة الإعدام نفسها تعطي الناس أنموذجاً على القسوة، كونها تجعلهم قساة القلب، ومن ثم تدفعهم إلى ارتكاب جرائم جديدة(بيكاريا، مصدر سابق، ص 75-76).

وفي ضوء مؤلفه (في الجرائم والعقوبات) يمكن تحديد عدد من المبادئ التي طرحها لأنسنة القانون الجنائي بصفة عامة والعقوبة الجزائية بصفة خاصة، والتي اعتمدتها التشريعات العقابية وهي:

1) مبدأ الشرعية: ففي معرض الحديث عن خصائص العقوبة الجزائية يشير إلى الخاصية الأساسية لها "والتي هي بالذات تبرز في أن ينص القانون، وحده، على الأحوال التي ينبغي أن توقع فيها على الفرد، ولذلك، فأنه تقع على عاتق القانون مهمة استجلاء الجوانب الجرمية في الفعل التي يبرر توقيعها على المتهم"، وفي رأيه:"إن القوانين وحدها تنص على العقوبات للجرائم، فالسلطة في تحديد ذلك تعود فقط إلى المشرع الذي يمثل كل المجتمع الذي يستند إلى العقد الاجتماعي"(بيكاريا، مصدر سابق، ص 38، 32).

2) مبدأ التناسب بين الجريمة والعقوبة: ناقش بيكاريا هذا المبدأ في باب خاص من مؤلفه وتحت عنوان (التناسب بين الجرائم والعقوبات)، طارحاً خلال ذلك كثيراً من الأمثلة، مطالباً بأنه: "يجب أن يقوم التناسب الدقيق بين الجرائم وبين العقوبات"، "وإذا سببت جريمتان، بشكل مختلف، أضراراً للمجتمع، ووقعت عليهما عقوبة واحدة، فأن الأفراد لن يرتدوا عن ارتكاب جرائم أشد إذا وجدوا فائدة كبرى قد تنجم عنها لهم"، ومن ثم ففي رأيه أن قساوة العقوبة يجب أن ترتبط بجسامة الجريمة(بيكاريا، مصدر سابق، ص 91).

3) مبدأ حتمية العقوبة الجزائية: إذ يشير بهذا الصدد إلى أنه: "لا تعتبر قسوة العقوبات من بين الكوابح للجرائم، ولكن هذا الكابح الأكبر يتمثل في نجاح هذه العقوبات...إن يقين أي عقوبة، ولو كانت معتدلة، من شأنه أن يترك دوماً، انطباعاً أقوى من أي شيء آخر يكون مقترناً برعب أشد ولكنه مرتبط بوجود الأمل في عدم العقاب فيه"(بيكاريا، مصدر سابق، ص 85).

4) سرعة فرض العقوبة الجزائية: إذ يرى: "كلما كانت العقوبة على نحوفوري وبشكل متقارب من الجريمة من الناحية الزمنية، كلما كانت هذه العقوبة أكثر عدلاً ونفعاً"، ومن ثم "فأن المحاكمة نفسها يجب أن تستكمل في أقصر وقت ممكن"، كما "أن فورية العقوبات تكون أكثر نفعاً، لأنه حينما يكون طول الوقت الذي يمر بين العقوبة وبين الفعل الآثم أقل، فإن اجتماع هاتين الفكرتين، الجريمة والعقوبة، يكون أقوى وأكثر استمرارية في الذهن الإنساني، وعندئذ تصبحان متلازمتان في الاعتبار، وتصبح إحداهما بمثابة السبب، وتصبح الأخرى بمثابة نتيجة ضرورية غير قابلة للدفع أو الرد"(بيكاريا، مصدر سابق، ص 82).

5) مبدأ عدم العقاب على الأفكار: ففي رأيه إن "القوانين لا تعاقب على النوايا".وتطويراً لفكرة مونتسكيو المتعلقة بأن المسؤولية الجزائية يمكن أن تترتب على أفعال الناس وليس على نواياهم أو اقوالهم، ففي رأيه "إن مقياس العقوبات لا يكمن في درجة إحساس الجاني، ولكنه يكمن في حجم الضرر العام الواقع على المجتمع"(بيكاريا، مصدر سابق، ص 63، 101).

لقد كانت لأفكار بيكاريا الأثر الكبير في تجسيد النزعة الإنسانية في صياغة العقوبة الجزائية في قانون العقوبات الفرنسي لعام 1791، ومن ذلك أنهألغى أنواعاً من عقوبة الإعدام، ومنها الحرق والإعدام على الدولاب وغيرها، كما لم ينص على عقوبتي السجن مدى الحياة وقطع الأعضاء، واستبعد العقاب على الجرائم الدينية.

وقد كان لأفكار مونتسكيو وبيكاريا صداها في إنكلترا فقد تبناها الفيلسوف الإنكليزي بنتام (1748-1832)، الذي عمل في مؤلفاته العديدة على تطوير ما يتعلق منها بتناسب الجريمة والعقوبة وسعى لوضع معياراً لذلك، كما وضعأانموذجاً للإنسان المجرم، ودرس عملية اتّخاذه القرار بارتكاب الجريمة. ففي رأيه أن المجرم يجري قبل ارتكاب الجريمة تقييماً للجوانب السلبية والإيجابية لذلك(ناعوموف، مصدر سابق، ص 817).وانطلق في نظريته في العقوبة من فكرة (المنفعة الاجتماعية) التي سبق أن نادى بها بيكاريا، ففي رأيه أن العقاب وأسلوبه يتحددان على هدى المصلحة، فلا معنى للقسوة حيث لا توجد مصلحة، ومن ثم فأن عقوبة الحبس تعدّ أكثر العقوبات تجاوباً مع المصلحة الاجتماعية، ذلك لأن الألم الناشئ من الحبس في صورة فقدان الحرية والمتميز بالامتداد الزمني يكفي زاجراً للمجرم ومانعاً له من الإجرام(بهنام، 1997، ص 137). وقد وجدت هذه الأفكار تجسيداً واضحاً لها في قانون العقوبات الفرنسي لعام 1810

(قانون نابليون)، من حيث تحقيق المصلحة الاجتماعية عن طريق الإرهاب، مما ترتب عليه النص فيه على العقوبات المؤبدة والمصادرة وزيادة حالات الحكم بعقوبة الإعدام، وباتت المصلحة ومعيارها الضرر أساساً للتجريم والعقاب(الحديثي، 2007، ص 7).

وبوصف فولتير (1694-1778) واسمه الحقيقي (فرانسوا ماري آروويه) حقوقياً محترفاً فقد أولى في مؤلفاته الاهتمام بقضايا القانون الجنائي، بشقيه الموضوعي والإجرائي، ولاسيما في مؤلفه (شروحات لكتاب عن الجرائم والعقوبات) الصادر عام 1766، الذي تضمن آراءه بخصوص مؤلف بيكاريا (عن الجرائم والعقوبات)، وكذلك في مؤلفه (مكافأة عن العدالة والإنسانية) الصادر عام 1777. وفي هذين المؤلفين وغيرهما عارض بشدة الكنيسة الكاثولوكية متهماً إياها بملاحقة الناس بسبب معتقداتهم الدينية، مدللاً على أن ذلك يتعارض مع العقل الإنساني، مديناً عقوبات الإعدام الصادرة عن محاكمها إزاء معارضيها والمتهمين من طرفها بالسحر والهرطقة وما شابه.لقد كان فولتير مدافعاً صلباً عن الحريات المدنية وخاصة حرية العقيدة والمساواة وكرامة الإنسان. أما على صعيد السياسة الجنائية فقد ربط فولتير بين تطوير التشريع الجنائي ومدى استناده إلى نظام متطور لردع الجرائم، كما وقف مثل مونتسكيو وبيكاريا مع تناسب الجريمة والعقوبة ومع تناسب الجريمة مع جسامة العقوبة، كما عارض بشدة عقوبة الإعدام(ناعوموف، مصدر سابق، ص 738-739).

وقدشكلت الأفكار التي طرحها (كانت وفيورباخ وهيغل) الأساسالفلسفي للتطوير اللاحق للمذهب التقليدي وتعزيز دوره نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر في معالجة كثير من المسائل المرتبطة بالقانون الجنائي. إذ لعبت أفكار كانت (1724-1804) دوراً مهماً في أنسنة العقوبة الجزائية، وإليه يعود الفضل في الكشف عن مبدأ الإكراه القانوني، ففي رأيه "أن كل ما هو خاطئ يعوق الحرية، في حين يعوق الإكراه الحرية أو يكافحها"، كما أشار إلى أن "العقوبةالتي تفرضها المحكمة على المجرم وذلك لأنه ارتكب جريمة، وليس من أجل التعامل معه على أنه وسيلة لتحقيق أغراض شخص آخر"، كما طور ما يسمى نظرية العقوبة المطلقة، فالعقوبة الجزائية تعدّ جزاءاً عادلاً على الجريمة إذا تسببت في معاناة محددة للمجرم كمقابل عن ارتكاب الجريمة، فمن أجل تحقيق العدالة يتوجب أن تقوم العقوبة على معيار وحيد هو مبدأ المساواة(سيميكين، 1999، ص 114-117).

وعمل فيورباخ (1775-1833) على تطوير الأفكار الفلسفية لكانت في نطاق القانون الجنائي، كما وضع نظريتهالخاصة في القانونالجنائي، والتي وجدت انعكاساً لها في مشروع قانون العقوبات البافاري لعام 1813، وإليه يعود الفضل في صياغة المبادئ الأساسية للقانونالجنائي: لا عقاب الا بقانون، لا جريمة الا بقانون، لا جريمة الا بعقوبة قانونية، والتي دمجت لاحقاً في مبدأ واحد هو مبدأشرعية الجرائم والعقوبات (لا جريمة ولا عقوبة الا بقانون)، والذي شكل الأساس لإصدار التشريعات العقابية في كثير من بلدان العالم.

كما وضع فيورباخ نظرية الإكراه المعنوي بوصفه غرضاً للعقوبة، وفي رأيه أن العقوبة تكون على نوعين: عقوبة المجرم، التييكون الغرض منها استعراض نفاذ القانون، وعقوبة الأشخاص المحيطين، التي يكون الغرض منها الإخافة أو الترويع من ارتكاب الجريمة. أما الغرض الرئيس من العقوبة فهو ردع الأشخاص كافة من ارتكاب الجريمة، في حين تتمثل أغراضها الأخرى في حماية أمن الدولة من المجرم وإصلاحه. وفي رأيه أن العقوبة يجب أن تسبب ألماً للمجرم، والا فأنها تتعارض مع نظرية العقوبة. ومن ثم فقد عدّ العقوبة انتقاماً من المجرم لقاء ارتكابه للجريمة. كما رأى أنه من غير الجائز فرض العقوبة على غير المذنبين من الأشخاص "فالعقوبة يجب أن تتعلق بأفراد المجتمع الذين اقترفوا الجريمة فقط". وكان لفيورباخ الدور الأبرز في وضع الأساس النظري لعدد من الأبواب الرئيسة في القانون الجنائي،

وبخاصة: الخطأ والشروع في الجريمة وأركان الجريمة والمساهمة وغيرها. وهو من أكد على الفصل بين الأساس المادي (الفعل الإجرامي الذي يحرمه قانون العقوبات) والأساس المعنوي للمسؤولية الجزائية، كما حدد الخطأ العمدي والخطأ غير العمدي بوصفهما الشكلين الرئيسين للخطأ، واللذين قسمهما بدورهما إلى عدة أنواع(كمساروف، كريلفا، تشاكوفا، 2012، 819-820).

وتنحصر الفكرة الرئيسة لهيغل (1770-1831) فيما يتعلق بنظريته حول الجريمة والعقوبة بأن القوانين كلما كانت أكثر عدالة كلما اعترف بأنها عادلة أكبر عدد من المواطنين، ومن ثم يقل عدد الراغبين في انتهاكها، وينخفض مستوى الإجرام. فالعقوبة هي قبل كل شيء انعكاس للعدالة(سيميكين، مصدر سابق، ص 303). فالعقوبة، كما يرى، تظهر عندما يوجد انتهاك وسلب للحق، وفي هذه الحالة تعود إلىالحق مكانته، ولكن بغض النظر عما تحققه العقوبة من أغراض نفعية فأن القانون المطلق للحق يحتم أن يعقب الجريمة ألم وعقاب، فالعقاب فعل مطلق من أفعال العدالة. ومن ثم فقد كان مؤيداً لعقوبة الإعدام، الا أنه كان ميالاً في الوقت نفسه إلى حصرها في نطاق ضيق(هيغل، 2007، ص 37-39).

لقد كان هيغل مناصراً لفكرة أن العيب العقلي يعدّ سبباً لنفي المسؤولية الجزائية، ومن ثم فقد طالب بالتعامل الإنساني مع الأشخاص المصابين بأمراض عقلية وعدم اتّخاذ العقوبة الجزائية بحقهم، واستبدالها بتدابير ذات طبيعة طبية. كما دعا إلى استبعاد حالة الدفاع الشرعي في حالة الاعتداء على ممتلكاتالغير إن كان الباعث على ذلك هو الموت من الجوع، مما كان يتعارض مع القانون الجنائي آنذاك. كما ويعود إلى هيغل تحديداً الفضل في صياغة مبدأ العدالة وتطويره(ناعوموف، مصدر سابق، ص 742-743).

المطلب الثاني
أهمية المذهبين الأنتربولوجي والاجتماعي في أنسنة العقوبة الجزائية

لقد ظهر المذهب الانتربولوجي في إيطاليا، إذ يعدّ الإيطالي تشارلز لومبروزا (1836-1909) مؤلف كتاب (الإنسان المجرم) الصادر عام 1876 مؤسساً له. وقد سعى إلى إثبات وجود أسباب بيولوجية للإجرام، ولذلك فقد أجرى دراسات كبيرة كان محلها الإنسان المجرم،وذلك من أجل البحث عن (نمط انتربولوجي معين) يمكن على وفقه تمييز الإنسان المجرم عن غيره من الأشخاص، وعلى أساس ذلك وضع تصنيفاً للمجرمين إلى: قتلة ولصوص ومغتصبين ومحتالين وغيرهم. وفي رأيه أن الإنسان يلد مجرماً(إبراهيم، 1998، ص 8-10)،ولذلك لا يمكن إصلاحه، وتجعل الخصائص الأنتربولوجية التي يتمتع بها من غير الممكن مساءلته بأي نوع من المسؤولية الأخلاقية، ولكن انتفاء المسؤولية لا يعني إنعدم خطورته بالنسبة للمجتمع، ومن ثم يتعين استبعاده بطريقة أو أخرى(الشاذلي، 1993، ص 92)، ويرى ضرورة تطبيق عقوبات بحق مخالفي القانون تتمثل في الإعدام وقيد الحرية والتعقيم والإخصاء وما شابه.كما اقترح اتّخاذ (تدابير الأمن) أو (التدابير الاحترازية) لمواجهة الإجرام، ودعا إلى استبدال القضاء الجنائي بهيئات إدارية متخصصة تعمل على استظهار سمات (الإنسان المجرم) في هذا الشخص أو ذاك وتنظر في مسألة اتّخاذ هذه التدابير بحقه(الدرة، 1990، ص 45-48).

وكان الحقوقي الإيطالي أنريكو فيري (1856-1928)، الذي وضع كتاب (علم الاجتماع الجنائي) عام 1881، يرى أن الإجرام هو نتاج التأثيرات المتبادلة لمجموعة من العوامل الموضوعية والانتربولوجية والاجتماعية، فالعوامل الموضوعية تتمثل في المناخ والظروف الجوية وفصول السنة والموقع الجغرافي، والتي تؤثر في المجرمين كافة وعلى حد سواء، في حين تؤثر العوامل الانتربولوجية في نشاط المجرمين بالولادة والمجرمين العاطفيين، ويكون تأثير العوامل الاجتماعية كبيراً في سلوك المجرمين بالصدفة والمجرمين بالاعتياد. وفي ضوء نظريته الخاصة بعوامل الإجرام طرح أفكاره بخصوص إعادة النظر في

القانون الجنائي وأن يعاقب فيه على أساس الخطأ وأن يتحول إلى قانون الدفاع الاجتماعي.(كمساروف، كريلفا، تشاكوفا، مصدر سابق، ص 822-823).ومن ثم فقد نادى بفكرة تفريد الجزاء الجنائي استناداً إلى التصنيف الخماسي الذي وضعه للمجرمين (ارتباطاً بالميلاد، أو بوجود الخلل العقلي، بالاعتياد، أو بالصدفة، أو العاطفة)من خلال اقتراح صور من الجزاء تختلف باختلاف كل طائفة، وتتفق مع طبيعة العوامل الإجرامية التي تفسر إجرام أفرادها. وفي رأيه أن هدف الجزاء بالنسبة للمجرمين بالصدفة هو إعادة تأهيلهم مع المجتمع، ويوصي بالنسبة للمجرمين العاطفيين أن تتسم الجزاءات الموقعة عليهم بقدر كبير من التسامح، ومن ذلك إلزامهم بإصلاح الضرر الناشئ عن جرائمهم(سليمان، 1995، ص 300-301).

ولم تختلف أفكار علماء الاجتماع البلجيكي (برنس) والنمساوي (فون ليست) والهولندي (فان هامل) بخصوص عوامل الإجرام عن أفكار (فيري) إذ حصروا عوامل الإجرام في عوامل فردية وموضوعية واجتماعية. وقد درس (برنس) أثر مختلف الظواهر الاجتماعية مثل الفقر والتسول والنزوح من الريف إلى المدينة وغيرها في الإجرام ملتزماً في ذلك بالمنهج الاجتماعي. وفي كتابه (الإجرام والقمع) الصادر عام 1886 أكد على أن الإجرام ليس ظاهرة فردية، بل هو ظاهرة اجتماعية. وفي عدد من مؤلفاته اللاحقة أشار إلى أن الإجرام ظاهرة أزلية تعود في ظهورها إلى بداية المجتمع البشري. وطالب بإجراء إصلاحات اجتماعية واسعة النطاق في ثلاثة اتجاهات: اجتماعية وقضائية وفي مجال السجون. وطرح فيما يتعلق بالسجون فكرة تصنيف السجناء إلى سجناء قابلين للإصلاح وسجناء غير قابلين للإصلاح(كمساروف، كريلفا، تشاكوفا، مصدر سابق، ص 826).

أما (ليست) فعارض استبدال القانونالجنائي بالانتربولوجيا الجنائية للومبروزا أو بعلم الاجتماع الجنائي لفيري، إذ كان من أنصار الإبقاء على القانون الجنائي والقضاء الجنائي، كما طرح فكرة (علم القانونالجنائي الموحد) الذي يشكل من القانون الجنائي وعلم الإجرام والسياسة الجنائية. وأهم ما يميّز أفكاره نظريته بخصوص أغراض العقوبة الجزائية، ففي رأيه أن الغرض الرئيس من العقوبة هو الوقاية من الإجرام من خلال استخدام القمع. كما أخذ بتصنيف المجرمين إلى مجرمين بالصدفة ومجرمين دائميين. وقسم المجرمين الدائميين إلى مجرمين قابلين للإصلاح ومجرمين غير قابلين للإصلاح ومجرمين بالولادة، كما حدد التدابير العقابية الواجب اتخاذها إزاء كل مجموعة. وفي رأيه أن أغراض الردع العام أو الخاص تجسد على حسب كل مجموعة، ففيما يتعلق بالمجرمين بالصدفة يطبق غرض التخويف، وبالنسبة للمجرمين الدائميين يطبق العزل وذلك من أجل ألّا يرتكبوا جرائم جديدة(كمساروف، كريلفا، تشاكوفا، مصدر سابق، ص 823-824).

وقد انتقد ممثلو المذهبين الانتربولوجي والاجتماعي المذهب التقليدي، وخاصة من خلال النظر إلى عدد من المفاهيم الجنائية مثل الجريمة والعقوبة والخطأ وسلامة العقل وغيرها، بأنها غير ذات فائدة تذكر، ذلك لأن الجريمة في ذاتها تنبع من (الحالة الخطرة للمجرم)، التي تتطلب اتّخاذ (تدابير الدفاع الاجتماعي) أو (تدابير الأمن) لمواجهتها، ففي رأيهم أن في المجتمع أشخاصاً يشكل نمطهم الحياتي أو خصائصهم البدنية أو النفسية خطورة على المجتمع، وهذه الخطورة لا ترتبط بارتكابهم للجريمة، ولكن لحالتهم الخطرة يتوجب اتّخاذ تدابير الأمن بصرف النظر عن إقدامهم على الجريمة أم لا(كمساروف، كريلفا، تشاكوفا، مصدر سابق، ص 826-827).

وفي رأينا، إن فكرة (الحالة الخطرة) تتعارض مع أنسنة العقوبة الجزائية فاستبدال تدابير العقوبة الجزائية بما يسمى (تدابير الأمن)، يعني شطب المبادئ والأحكام الرئيسة في القانون الجنائي، وبضمنها على وجه الخصوص مبدأ المسؤولية الجزائية القائم على خطأ المجرم، فلا جريمة الا بخطأ.

وقد وجدت الأفكار التي دعى إليها المذهب الاجتماعي تجسيدها في قانون العقوبات الإيطالي لعام 1930، وكذلك في قانون العقوبات الروسي لعام 1922، الذي نص على تطبيق عقوبتي النفي والإبعاد بالنسبة لمرتكبي الجرائم وكذلك الأشخاص الذي يعدّون (خطرين)، كما وأدرجت فيه (تدابير الدفاع الاجتماعي)، ومن ذلك حرمان الأشخاص من حقوقهم الانتخابية في حالة كونهم أفراد عائلة المدان بجريمة خيانة الوطن، كما جسدت كذلك في أسس التشريع الجنائي للاتّحاد السوفيتي لعام 1934.

وفي الأحوال كافة يعود إلى هذا المذهب الفضل الكبير في إثارة الاهتمام بدراسة شخصية الإنسان المجرم، من خلال الدراسات العلمية للمجرم وكذلك الجريمة والإجرام على أساس المناهج الاحصائية والساسالوجية، وبخاصة دراسة أسباب الإجرام والعوامل المهيئة له، سواءً أكانت بيولوجية أم اجتماعية، كما كان له الدور الكبير في طرح فكرة الأحكام القضائية غير المحددة المدة التي طبقت على سبيل المثال في السبعينات من القرن التاسع عشر في الولايات المتحدة الأمريكية، وكذلك اقتراح نظام المحاكم الخاصة بالأحداث ونظامي الإفراج الشرطي وقيد الحرية مع وقف التنفيذ(ناعوموف، مصدر سابق، ص 746-747).

وبعد الحرب العالمية الثانية ظهر في القانون الجنائي اتّجاه جديد في السياسة الجنائية حمل تسمية (مدرسة الدفاع الاجتماعي) الذي ينقسم إلى مدرسة الإيطالي (غراماتيكا) ومدرسة الفرنسي (مارك آنسل). وتشكل الأولى الجناح المتطرف في هذا الاتجّاه، ففي كتابه (مبادئ الدفاع الاجتماعي) طرح غراماتيكا مسألة إلغاء القانون الجنائي واستبداله بتدابير الدفاع الاجتماعي. كما دعا إلى إلغاء المفاهيم التقليدية في القانون الجنائي:(الخطأ والمسؤولية الجزائية والعقوبة الجزائية والمجرم) واستبدالها بمفاهيم أخرى، ومن ذلك استبدال مصطلح (المجرم) بمنتهك القاعدة ومصطلح (المسؤولية الجزائية) بالادماج الاجتماعي(ناعوموف، مصدر سابق، ص 751-752).

وبخلاف ذلك تهدف مدرسة (الدفاع الاجتماعي الجديد أو الحديث) أو (الإنسانية) كما يطلق عليها مؤسسها (مارك آنسل) في مؤلفه الذي يحمل التسمية نفسها، إلى إعادة النظر في الأحكام الرئيسة للقانون الجنائي والاجراءات الجنائية على أساس صياغة سياسة جنائية عقلانية، مما يعني رفض الجزء الأكبر من الأفكار النظرية للتوجهات الأنتربولوجية والسيسولوجية والنيوكلاسيكية والأخذ بفكرة علماء الاجتماع بخصوص الدفاع الاجتماعي، مع تأييد فكرة رفض المفهوم الكلاسيكي للعقوبة بوصفها المسؤولية عن الخطأ (الإثم) المعنوي. ومن ثم فأن هذه المدرسة تعارض موقف (مدرسة الدفاع الاجتماعي) المتطرف فيما يتعلق بالإلغاء الكامل للقانون الجنائي، فهي مع فكرة الإبقاء عليه ولكن في ظل عدد من الشروط، (الدرة، مصدر سابق، ص 51).

لقد طالب (آنسل) بالإبقاء على مبدأ شرعية الجرائم والعقوبات، وكذلك مبدأ لا جريمة الا بخطأ، وفي الوقت نفسه دعا إلى أنسنة العقوبة الجزائية، وفي رأيه أن تحقيق ذلك يتطلب تعزيز السلطة التقديرية للقاضي في تحديد العقوبة الجزائية، وكذلك دور الخبراء في مسألة تطبيق تدابير الإصلاح والتربية على المحكوم عليه، مع تقليص نسبة التوازن بين أطراف الخصومة الجزائية والاعتراف بالأحكام القضائية غير المحددة المدة.

وعلى الرغم من أهمية فكرة الاندماج الاجتماعي التي تنادي بها مدرسة الدفاع الاجتماعي، والتي يمكن أن يساندها المشرع في كثير من دول العالم، كما ويمكن أن تكون أداة قوية في تنفيذ السياسية الجنائية المعاصرة، وخاصة فيما يتعلق بأنسنة العقوبة الجزائية، الا أن الأخذ بفكرة (التدابير اللاجنائية) قد يتعارض مع توجهات مكافحة الإجرام، وانتهاك حقوق الإنسان في هذا المجال، وبخاصة حقوق المجنى عليه.

إن الاهتمام الذي يحظى به المذهب الاجتماعي في الوقت الراهن في نطاق السياسة الجنائية المعاصرة لا يعني على الإطلاق أن له الأولوية في الوقت الراهن مقارنة بالمذهبين التقليدي والأنتربولوجي، ففي الوقت الذي لا يوجد في التشريعات العقابية المقارنة في الوقت الراهن أي أثر للمذهب الأنتربولوجي، فأن مثل هذا الاستنتاج لا يمكن أن ينطبق على المذهب التقليدي أو المذهب الاجتماعي، فهناك شبه توافق على الأخذ بهما معاً في هذه التشريعات. ولكن ما هي مظاهر الأخذ بهما في التشريعات العقابية المعاصرة؟

ففيما يتعلق بالمذهب التقليدي يمكن ملاحظة مظاهره من خلال النص في هذه التشريعات على مبدأ لا جريمة ولا عقوبة الا بقانون ومبدأ لا جريمة الا بخطأ، وهما من بنات أفكار بيكاريا وفيورباخ وهيغل، ومبدأ المسؤولية الجزائية عن الأفعال وعدم العقاب على النوايا،الذي طرحه مونتسكيو، كما أن هذه التشريعات تقوم على عدد من المفاهيم والأبواب الجنائية مثل رابطة السببية والشروع في الجريمة والمساهمة وغيرها، التي صاغها وطورها فيورباخ. ولكن بخلاف ذلك فأن (حرية الاختيار) التي تعدّ بحسب المذهب التقليدي أساس المسؤولية الجزائية لم تعدّ في الوقت الراهن كذلك، إذ أن سلوك الجاني تحدده الظروف والشروط المحيطة به، وهو ما يؤخذ به في التشريعات العقابية المعاصرة. كما دحضت فكرة كانت وهيغل بأن العقوبة هي الجزاء المترتب على ارتكاب الجريمة.

وفي الوقت نفسه يلاحظ أن التشريعات العقابية المعاصرة تستند إلى عدد من الأفكار التي طرحها المذهب الاجتماعي، ويمكن توضيح ذلك على الوجه الآتي:

أولاً: تقوم نظرية المسؤولية الجزائية في هذا المذهب، ليس على حرية الاختيار، بل على نظرية (عوامل الإجرام) مع استبعاد الأفكار المتعلقة بالمدارس الأنتربولوجية بخصوص العوامل البيولوجية والمناخية في ذلك. ويعتمد على هذه النظرية في الوقت الراهن في تجريم الأفعال أو الحدّ من التجريم، وكذلك في صياغة تدابير العقوبة الجزائية وفي تفريدها. أي أن أساس المسؤولية الجزائية لا يقوم على حرية الاختيار لدى المجرم أو إرادته، ومن ثم فأن جسامة العقوبة الجزائية لا تكون مرتبطة بمقدار الضرر الذي أحدثته الجريمة، وإنما تقوم على دراسة شخصية المجرم والظروف التي حتمت ارتكابه للجريمة.، كما نصت على ذلك مثلاً المواد (60-68) من قانون العقوبات الروسي لعام 1996.

ثانياً: تستبعد في بيان أغراض العقوبة الجزائية الإشارة إلى غرض (الانتقام) من المجرم، في حين تحدد هذه الأغراض بردع ارتكاب الجريمة من طرف المجرم أو غيره وكذلك إصلاح المجرم وإعادة تربيته.

وفي الوقت الذي دحضت السياسة الجنائية المعاصرة نظرية (الحالة الخطرة للمجرم) بوصفها أساس المسؤولية الجرائية، هذا على الرغم من النص عليها في عدد من التشريعات الإيطالية والنمساوية والسوفيتية. بمعنى إن الخلاف بين المذهب التقليدي والمذهب الاجتماعي قد حسم لصالح المذهب الأول، فأنه لا يجب إنكار تأثير المذهب الاجتماعي بالنسبة لأساس فرض العقوبة الجزائية وتنفيذها في التشريعات العقابية المعاصرة لكثير من دول العالم، ويلاحظ هذا على سبيل المثال في النص على (تدابير الأمن) في الأحكام الصادرة بالنسبة للمجرمين العائدين، ومن ذلك تدابير المراقبة الإدارية المتخذة بعد تمضيتهم العقوبة الجزائية، وكذلك فيما يتعلق بالتدابير الاصلاحية والتربوية المتخذة إزاء الأحداث، وبعض العقوبات الجزائية التكميلية.

كما ويمكن ملاحظة الدمج بين موقفي المذهب التقليدي والمذهب الاجتماعي، وخاصة مدرسة الدفاع الاجتماعي الجديد، فيما يتعلق بالأخذ بالتدابير اللاجنائية المأخوذة من المذهب الاجتماعي في ظل الإبقاء

على مبدأ (لا جريمة الا بقانون) ومبدأ المسؤولية الجزائية على أساس الخطأ المأخوذين من المذهب التقليدي.

وفي ضوء ما تقدم فأن توجهات السياسة الجنائية المعاصرة، وبضمن ذلك التوجهات في نطاق أنسنة العقوبة الجزائية، لا تقوم على هذا المذهب الجنائي أو ذاك، فانطلاقاً من كونها تعتمد العلمية والحداثة فهي تأخذ بأفضل الأفكار النابعة من المذهبين التقليدي والاجتماعي وتعمل على تحديثها بما يواكب التحولات الاجتماعية والاقتصادية والاجتماعية في نطاق المجتمع.

المبحث الثاني
مظاهر أنسنة العقوبة الجزائية في التشريع العقابي العراقي والمقارن

لغرض بيان مظاهر أنسنة العقوبة الجزائية في التشريع العقابي العراقي والمقارن نوزع هذا المبحث على مطلبين، ونبيّن في المطلب الأول أنسنة العقوبة الجزائية في قانون العقوبات العراقي لعام 1969، ونستعرض في المطلب الثاني أنسنة العقوبة الجزائيةفي التشريعات العقابية المقارنة، وعلى الوجه الآتي:

المطلب الأول
أنسنة العقوبة الجزائية في التشريع العقابي العراقي

راعى المشرع العراقي في تحديده تدابير العقوبة الجزائية في أحكامقانون العقوبات لعام 1969 الموقف الإنساني من الجاني، كما انطلق في ذلك من التطورات التي تحققت في نطاق السياسة الجنائية(الأسباب الموجبة، قانون العقوبات العراقي)، ولاسيما الأفكار التي نادى بها كل من المذهب التقليدي، وبخاصة المذهب التقليدي الحديث(الحديثي، مصدر سابق، ص 9)، وكذلك المذهب الاجتماعي، وبخاصة مدرسة الدفاع الاجتماعي الجديد، فيما يتعلق بأنسنة العقوبات الجزائية والتعامل الإنساني مع الجاني، سواءً أكان ذلك في نطاق تحديد تدابير العقوبة الجزائية في أحكام قانون العقوبات لعام 1969، أم كان ذلك فيما يخص تفريد العقوبة الجزائية على الجاني. وسنسلط الضوء على أبرز التوجهات التي اتبعها المشرع العراقي في أنسنة هذا القانون بصفة عامة وفي أنسنة العقوبة الجزائية بصفة خاصة،وعلى الوجه الآتي:

أولاً: الحماية الجزائية العامة للإنسان: أولى المشرع العراقي في كثير من مواد قانون العقوبات لعام 1969عناية كبيرة لتوفير الحماية الجزائية للإنسان على وجه العموم، وذلكمن خلال فرضهالعقاب على الجرائم الواقعة على الأشخاص في المواد (393-404)، والجرائم الماسة بالحياة وسلامة البدن وحرية الإنسان وكرامته وأسراره في المواد (405-438) وشعوره الديني وحرمة موتاه في المادتين (372-373) وأمواله في المواد (439-450، 456-459)، وكذلك مختلف الجرائم الاجتماعية في المادتين (370-371) والجرائم المضرة بالصحة العامة في المادتان (368-369).

ثانياً: الحماية الجزائية الخاصة للمرأة: مما لا يحسب للمشرع العراقي عدم التزامه بكفالة المساواة بين الجنسين في الحماية الجزائية، وانتهاكه لهذا المبدأ الدستوري في النص على (حق الزوج تأديب زوجته) في المادة (41) من قانون العقوبات لعام 1969، وكذلك انتهاكه هذا المبدأ في عدد من مواد هذا القانون(عيسى، 2021، ص 23-25)، الا أنه فيالوقت نفسه كفل في كثير من المواد العقابية الحماية الجزائية الخاصة لحقوق المرأة في نطاق جرائم الأشخاص أو الماسة بالأسرة أو غيرها(عيسى،مصدر سابق، ص 18-23)، كما في المواد (376،384، 1/393، 1/394، 395، 1/396، 399، 400، 402، 417-419، 423).

ثالثاً: الحماية الجزائية الخاصة للأحداث:أولى المشرع العراقي عناية فيما يتعلق بتحميل الأحداث المسؤولية الجزائية، وذلك من خلال النص على (مسؤولية الأحداث) في المواد (66-79)، مع تكريس قانون خاص بذلك هو قانون رعاية الأحداث العراقي رقم (76) لعام 1983، الذي نص على اتّخاذ تدابير ذات طبيعة تربوية وإصلاحية تستهدف إعادة تربية الأحداث وإعادة ادماجهم في المجتمع. كما كفل لهم الحماية الجزائية الخاصة في أحكام القسم الخاص من قانون العقوبات لعام 1969 في نطاق جرائم الأشخاص أو الواقعة على الطفولة أو غيرها، وذلك في المواد (371، 381، 384، 385، 387، 2/388، 2/393/أ، 1/394، 2/396، 397، 399، 407، 422). ومما يحسب للمشرع العراقي نصه في نطاق القسم العام من القانون نفسه على على عدم سريان أحكام العود على الأحداث، وعدم خضوعهم للعقوبات التبعية والتكميلية والتدابير الاحترازية عدا المصادرة وحظر إرتياد الحانات، وإذا صدر حكم بحقكم بالغرامة لا يجوز حبسهم لاستيفائه وإنما ينفذ على مالهم، فأن تعذر ذلك تستوفى منهم عند ميسرتهم (المادة 78).

رابعاً: الحماية الجزائية الخاصة لشرائح معينة: في نطاق الحماية الجزائية الخاصة لشرائح معينة تنص المادة (79) من قانون العقوبات لعام 1969 على عدم تطبيق عقوبة الإعدام على فئات عمرية معينة، وذلك بنصها: "لا يحكم بالإعدام على من يكون وقت ارتكاب الجريمة قد أتم الثامنة عشرة من العمر ولم يتم العشرين سنة من العمر،ويحل السجن المؤبد محل عقوبة الإعدام في هذه الحالة". وعدّ المشرع في نص المادة (135/ 2) القانون نفسه "ارتكاب الجريمة بانتهاز فرصة ضعف إدراك المجنى عليه أو عجزه عن المقاومة..." من ضمن الظروف المشددة العامة، التي تؤخذ بعين الاعتبار في الجرائم التي ينص عليها القانون كافة، شاملاً بالحماية الجزائية الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة الذين يعانون من ضعف الإدراك أو العجز البدني لمختلف الأسباب، مثل المرض أو السن أو الإعاقة أو غير ذلك. كما عاقبت المادة (371) من القانون نفسه من امتنع عن القيام بواجبه في رعاية الشخص (العاجز) "بسبب صغر سنه أو شيخوخته أو بسبب حالته الصحية أو النفسية أو العقلية"، شاملاً بالحماية الجزائية الخاصة كل شخص عاجز لصغر سنه أو شيخوخته أو حالته الصحية أو النفسية أو العقلية.

خامساً: الحماية الجزائية للأسرة والطفولة: اختص المشرع العراقي الأسرة والطفولة بالحماية الجزائية من خلال فرض العقاب على عدد من الجرائم التي تمس الأسرة في المواد (376-380)، والتي تعتدي على الطفولة في المواد (381-385، 390-393).

سادساً: تفريد العقوبة الجزائية وتنفيذها: استناداً إلى مبدأ قانونية الجرائم والعقوبات فقد بيّن المشرع العراقي في قانون العقوبات لعام 1969 أنواع الجرائم التي يعاقب عليها بمقتضاه (مواد القسم الخاص منه)، وكذلك أنواع العقوبات الجزائية التي يمكن للمحكمة فرضها على من يرتكبها (المواد 85-123) ، كما أولى عناية خاصة لمختلف المسائل المتعلقة بفرض العقوبة الجزائية، من خلال بيان أثر الظروف المشددة والأعذار القانونية والظروف القضائية وتعدد الجرائم والمساهمة في الجريمة في عقوبة المحكوم عليه (المواد 128-143، 47-59)، مع بيان موانع المسؤولية الجزائية ارتباطاً بفقد الإدراك والإرادة أو الإكراه أو الضرورة أو السن(المواد 60-64)، وسقوط العقاب بالوفاة أو العفو العام أو الخاص أو لصفح المجنى عليه (المواد 150-155)، وكذلك في حالتي الإفراج الشرطي (المادة 100/ فقرة ب)، ووقف تنفيذ العقوبة (المواد 144-149).

الا أنه وعلى الرغم من تعدد التوجهات التي سار على وفقها المشرع العراقي في أنسنة العقوبة الجزائية في قانون العقوبات لعام 1969 ومظاهر ذلك في مواده، الا أنه يمكن أن يتخذ إلى جانب ما تقدم عدداً من التدابير في المسار نفسه والتي نوجز أهمها على الوجه الآتي:

أولاً: التوجه نحو الإلغاء التدريجي لعقوبة الإعدام: وذلك من خلال التقليل بصورة عامة من فرض عقوبة الإعدام في قانون العقوبات، وفي حالة فرضها على عدد من الجرائم الخطيرة يتوجب ألّا تكون عقوبة مطلقة، بل بتحديد هذه العقوبة إلى جانب العقوبات المقيدة للحرية الطويلة المدة (السجن المؤبد أو السجن المؤقت)، وذلك على أساس اتباع النظام التخييري للعقوبة الجزائية، مع عدم فرضها على شرائح معينة، ولاسيما النساء الحوامل، والرجال البالغين لسن (65) سنة، والأحداث، وذوو الاحتياجات الخاصة.

ثانياً: التوجه نحو التقليل من تطبيق العقوبات الجزائية السالبة للحرية القصيرة المدة من خلال النص فيهعلى العقوبات البديلة، مثل: العمل للمصلحة العامة (العمل للنفع العام) أو المراقبة الالكترونية أو الغرامة اليومية أو التعويض الجنائي أو الحرمان من الحقوق أو فرض القيود أو غيرها. ومنح المحكمة صلاحية استبدالها على أساس دراسة شخصية الجاني ودرجة خطورة الجريمة وكذلك إمكانية تحقيق أغراض العقوبة الجزائية على أساسها.

ثالثاً: اتباع نظام التخفيف التخييري على وجه العموم في قانون العقوبات من خلال تحديد عدة تدابير عقابية في نصوص قسمه الخاص مما يكون بمستطاع المحكمة وفي نطاقها اختيار العقوبة الجزائية الملاءمة. ومن المحبذ التوسع في النص في نطاق هذه التدابير العقابية على عقوبة الغرامة بشكل خاص، وخاصة في الجرائم غير الخطيرة، التي يعاقب عليها بالعقوبات السالبة للحرية القصيرة المدة.

رابعاً: من الأهمية بمكان النص في القسم العام من قانون العقوبات على مبادئ القانون الجنائي، وتحديد مضامينها، إذ أن قانون العقوبات لعام 1969 ينص في المادة الأولى منه على مبدأ قانونية الجرائم والعقوبات (مبدأ الشرعية) وحده، في حين يغفل الإشارة إلى المبادئ الأخرى، ومنها على وجه الخصوص: مبدأ المساواة أمام القانون، ومبدأ لا جريمة ولا عقوبة الا بخطأ، ومبدأ العدالة، وكذلك مبدأ الإنسانية. مع أهمية وضع تعريف لكل منها. فهذه المبادئ هي من أهم المبادئ التي يجب أن يعتمدها المشرع في الصياغة التشريعية لنصوص قانون العقوبات أو المحكمة في تفريدها للعقوبة الجزائية، وعلى أساسها تتحقق أنسنة العقوبة الجزائية في قانون العقوبات.

خامساً: إن القسم العام من قانون العقوبات لعام 1969 يخلو من بيان أغراض العقوبة الجزائية، في حين أن لذلك أهميته بالنسبة لتوضيح مدى التزام المشرع العراقي بأنسنة العقوبة الجزائية، ومن ثم نرى من الضروري النص في القانون على أن المحكمة تتخذ العقوبة الجزائية الملاءمة إزاء المحكوم عليه على أساس مراعاة خطورة الجريمة المقترفة وشخصية المحكوم عليه والظروف المشددة والمخففة المرتبطة بالجريمة وبما يحقق أغراض العقوبة الجزائية المتمثلة في تحقيق العدالة وإصلاح المحكوم عليه وإعادة اندماجه الاجتماعي وردع ارتكاب الجريمة من طرف الأشخاص الآخرين.

سادساً: يتوجب أن يحتوي قانون العقوبات لعام 1969 على تحديد الظروف التي تلزم المحكمة في حالة توافرها بتخفيف العقوبة الجزائية (الأعذار القانونية). أي ألّا يترك البت في هذه المسألة لتقدير المحكمة، وألّا تكون هذه الظروف مقتصرة على (البواعث الشريفة لدى الجاني أو تحقق الاستفزاز الخطير من المجنى عليه) التي تنص عليها الفقرة الأولى من المادة (128) من قانون العقوبات لعام 1969 فحسب، ذلك أن هذه الظروف عديدة ومتنوعة، وعلى رأسها: كبر السن، حمل المرأة، الحاضن سواءً أكان إمرأة أم رجلاً لطفل لم يبلغ بعد سن الثانية عشرة أو الرابعة عشرة من عمره، الندم الايجابي، صغر السن، ارتكاب الجريمة لأول مرة، ارتكاب الجريمة بباعث الرحمة أو الشفقة، ارتكاب جريمة غير جسيمة، وغيرها. وهذا ما يستدعي النص عليها في القانون بوصفها ظروف إلزامية بالنسبة للمحكمة.

سابعاً: من الأهمية بمكان إعادة تحديد سن المساءلة أو المسؤولية الجزائية، أي السن التي مع بلوغها يمكن أن يساءل مرتكب الجريمة جزائياً.فمن المعلوم أن هذه السن حددتها المادة (64) من قانون العقوبات

لعام 1969 بنصها: "لا تقام الدعوى الجزائية على من يكن وقت ارتكاب الجريمة قد أتم السابعة من عمره"، وعلى غيرها نصت المادة (43/ أولاً) من قانون رعاية الأحداث العراقي رقم (83) لعام 1971 بنصها: "لا تقام الدعوى الجزائية على من لم يكن وقت ارتكاب الجريمة قد أتم التاسعة من عمره". ونرى أن تكون هذه السن (14) سنة، وذلك انطلاقاً من أن العقوبة الجزائية المتخذة على من بلغ هذه السن يمكن أن تحقق أغراضها، وخاصة فيما يتعلق بإصلاحه وإعادة اندماجه في المجتمع.

ثامناً: مازال قانون العقوبات العراقي منذ إصداره عام 1969 وحتى اليوم يعاقب على (المخالفات) في الباب الخامس من قسمه الخاص (المواد 487-503)، وقد حدد المشرع عقوبة الحبس لأغلب هذه المخالفات الى جانب عقوبة الغرامة. الا أن مثل هذه المخالفات، كما يرى الباحثون يمكن مواجهتها عن طريق فرض العقوبات الإدارية، إذ أن خطورتها البسيطة لا تسوغ اللجوء إلى العقوبات المقيدة للحرية مثل الحبس(البريفكاني، 2020، ص 26). كما أن هناك من يرى أن المشرع العراقي لابد أن يعتمد التقسيم الثنائي للجريمة، ومن ثم فأنه سيخرج المخالفات من نطاق قانون العقوبات، وسيدرجها ضمن قوانين أخرى إدارية أو مدنية على حسب الأحوال ويفرض على ارتكابها عقوبة الغرامة لا غير، فهي لا تنطوي على خطورة إجرامية لمرتكبها(إبراهيم، 1999، ص 20-21).ومن ثم نرى أهمية عدم العقاب على المخالفات في نطاق قانون العقوبات لعام 1969، وذلك لخطورتها البسيطة، ولكذلك لعدم ضرورة اتّخاذ العقوبات الجزائية والاكتفاء بعقوبة الغرامة وفي نطاق القانون الإداري.

تاسعاً: تأجيل تنفيذ العقوبة الجزائية أو تقسيط تنفيذها: وذلك من خلال النص في قانون العقوبات لعام 1969 على تأجيل تنفيذ العقوبة السالبة للحرية بالنسبة للمرأة الحامل أو الحاضن حتى بلوغ طفلها سن الثانية عشرة أو الرابعة عشرة من العمر، أو عدم تنفيذ هذا النوع من العقوبة بالنسبة للزوجين في آن واحد في حالة وجود أطفال لديهما (أي توسيع حدود المادة 276 من قانون أصول المحاكمات الجزائية العراقي رقم 23 لعام 1971 بخصوص ذلك)، أو أو تقسيط تنفيذها بأن يكون ذلك على دفعات وذلك بناءً على أسباب عائلية أو مهنية أو دراسية، أو تقسيط دفع الغرامة أو تأجيل دفعها أو استبدالها بالعقوبات البديلة مثل العمل للمصلحة العامة أو الغرامة اليومية التي تستوفى في اليوم الأخير منها، وهذا ما يقتضي أيضاً إلغاء نص المادة (93 فقرة 2) من قانون العقوبات لعام 1969 التي تقضي بتشديد العقوبة الجزائية من خلال تحويل الغرامة الى عقوبة سالبة للحرية في حالة عدم دفعها، بنصها: "وإذا كانت الجريمة معاقباً عليها بالغرامة فقط فتكون مدة الحبس الذي تقضي بها المحكمة في حالة عدم دفع الغرامة يوماً عن كل نصف دينار على ألّا تزيد مدة الحبس في جميع الأحوال على سنتين"(داود، رضا، 2021، ص 317).

عاشراً: الإعفاء من العقاب: من الأهمية النص في قانون العقوبات لعام 1969 على هذا النظام الذي ينحصر في إعفاء الشخص المدان من العقوبة الجزائية في ظل عدد من الحالات، وعلى رأسها: تقادم العقوبة الجزائية الذي لا ينظمه القانون، والعدول الاختياري، والإفراج الشرطي الذي نظمته المواد (331-337) من قانون أصول المحاكمات الجزائية العراقي رقم (23) لعام 1971، مع أهمية توسيع دائرة اللجوء إليه، وكذلك الإفراج عن المحكوم عليه في حالة إصابته بمرض وبيل أو عند بلوغه سن (65) سنة، أوفي حالة ارتكاب الجريمة لأول مرة، أو في حالة تعويض المجنى عليه عن الأضرار المترتبة على الجريمة، أو غير ذلك.

المطلب الثاني
أنسنة العقوبة الجزائية في التشريع العقابي المقارن

لقد وجدت التوجهات الإنسانية تجسيداً لها في كثير من التشريعات العقابية المقارنة، وخاصة منها التي صدرت في العقود الأخيرة، وبغية إلقاء الضوء على مظاهر أنسنة العقوبة الجزائية فيها والاستفادة من

تجربة المشرع فيها سنسلط الضوء على كل من قانون العقوبات الفرنسي لعام 1992 وقانون العقوبات الروسي لعام 1996 بهذا الخصوص، وعلى الوجه الآتي:

أولاً: قانون العقوبات الفرنسي لعام 1992: إن هذا القانون يجسد في كثير من أحكامه الموقف الإنساني للسياسة الجنائية التي اتبعها المشرع الفرنسي، وتتجلى أبرز مظاهر ذلك على الوجه الآتي:

أ) إن المشرع الفرنسي لا ينص في قانون العقوبات الفرنسي على أغراض العقوبة الجزائية، وبخلاف ذلك ينص عليها فيقانونالإجراءات الجنائية الفرنسي لعام 1958، ويحصرها في "التربية المهنية والاجتماعية للمحكوم عليه والحفاظ على روابطه الأسرية ومنحه إمكانية القيام بأية التزامات تتطلب وجوده" (المادة 723-3)، كما ينص القانون نفسه في عدد من مواده، ومنها المادتان (720-4، 721-1)، على (إعادة الاندماج الاجتماعي) مما يشير إلى تأثير مدرسة الدفاع الاجتماعي الجديد في القانون الجنائي الفرنسي.ولكن من خلال دراسة أحكام قانون العقوبات الفرنسي لعام 1992 يلاحظ أنهمقارنة بقانون العقوبات الفرنسي لعام 1810 الملغى، التي جعلت أحكامه الأولوية لحماية الدولة والملكية الفردية، إلى جانب حماية المؤسسات والسلم العام والأموال والمصالح الاقتصادية، أعطى الأولوية لحماية حقوق الإنسان، وهذا ما يفسر تخصيص الكتاب الأول من قسمه الخاص للجنايات والجنح ضد الأشخاص، وفي مقدمتها الجرائم ضد الإنسانية(كامل، 1998، ص 17). ومن ثم تتمثل الغاية الأولى والرئيسة من إصداره في حماية الإنسان من كل صور المساس بحقوقه الأساسية، مثل حقه في الحياة وفي سلامة جسمه وحرياته وأمنه وكرامته وبيئته.

ب) إلغاء العقاب على عدد من الجرائم التي عاقب عليها قانون العقوبات لعام 1810 الملغى،مثل التشرد والتسول، وإلغاء عقوبة الحبس في مجال المخالفات، والنص على الاضطراب العقلي والعصبي باعتباره أحد أسباب انتفاء المسؤولية الجزائية، كما أن القانون اقتصر على ذكر الحد الأقصى للعقوبة دون أن يشير عند تحديد العقوبات المقررة للجرائم إلى حدها الأدنى (المادة 122-1/ ثانياً)، ففي الوقت الذي لا يجوز فيه للمحكمة تجاوز الحد الأقصى للعقوبة فأنه يجوز لها الحكم بأقل منه، مع استثناء ما ورد في المادة (132-18)، المتعلقة بمواد الجنايات، التي تنص: "إذا كانت الجريمة معاقباً عليها بالسجن المؤبد فيجوز للمحكمة أن تقضي بعقوبة السجن المؤقت أو بعقوبة الحبس التي لا يجوز أن تقل مدتها عن سنتين. وعندما تكون الجريمة معاقباً عليها بالسجن المؤقت فيجوز للمحكمة أن تقضي بعقوبة السجن لمدة أقل من تلك المقررة لها أو بعقوبة الحبس الذي لا يجوز أن تقل مدته عن سنة". وهذا ما يعني أن المحكمة لا تكون مقيدة في مواد الجنح والمخالفات بأي حد أدنى(كامل، مصدر سابق، ص 17-18).

ت) ينص قانون العقوبات لعام 1992 على عدد من بدائل العقوبة الجزائية التي تطبق في مواد الجنح، التي عرفتهاالمادة (131-4) منه بأنها الجرائم التي عقوبتها الحبس مدة لا تزيد على عشر سنوات أو الغرامة التي لا يقل مقدارها عن ثلاثة آلاف يورو. وتنحصر بدائل العقوبة المحددة عنها في: عقوبة الغرامة اليومية (المادة 131-5)، وعقوبة العمل للمصلحة العامة (المادة 131-8)، والعقوبات السالبة أو المقيدة للحرية (المادة 131-6)، وعقوبة تدريب المواطنة (المادة 131-5-1)، وعقوبة التعويض (المادة 131-8-1). وقد نظم قانون العقوبات الفرنسي بشكل تفصيلي الضوابط المعتمدة في اتّخاذها.

ث) الإعفاء من العقوبة: أجاز قانون العقوبات لعام 1992 للمحكمة في الجنح والمخالفات إذا توافرت شروط معينة أن تقرر بعد ثبوت مسؤولية المتهم عن الجريمة المرتكبة والحكم بمصادرة الأشياء الخطرة أو الضارة إذا كان لذلك محل، إما إعفاء المتهم من أية عقوبة اخرى أو تأجيل النطق بها، على أن تفصل في الدعوى المدنية الناشئة عن الجريمة إذا كانت مرفوعة أمامها (المادة 132-58). وعلى وفق المادة (132-59) من القانون يتطلب تحقق الإعفاء من العقوبة توافر ثلاثة شروط هي: إثبات صلاح المتهم، وتعويض الضرر الناشئ عن الجريمة ووقف الاضطراب المترتب عليها. كما أجاز القانون أن تقرر المحكمة عدم ذكر الحكم الصادر في صحيفة سوابق المتهم. وهذا النظام يطبق على الشخص الطبيعي والاعتباري على حد سواء.

ج) تأجيل النطق بالعقوبة: يتحقق هذا النظام من خلال إدانة المتهم مع تأجيل اختيار العقوبة الملاءمة أو الإعفاء منها في وقت لاحق. وهذاالنظام يتوزع بدوره على التأجيل البسيط (في الجنح والمخالفات) والتأجيل مع الوضع تحت الاختبار (في الجنح وحدها) والتأجيل مع الالزام بواجبات معينة (في حالة مخالفة القوانين واللوائح). ويطبق النوعان الأول والثالث على الشخص الطبيعي والشخص الاعتباري على حد سواء، في حين يطبق النوع الثاني على الشخص الطبيعي وحده. وارتباطاً بأن هذا النظام يسهم بشكل كبير في تأهيل المتهم وإصلاحه ويدفعه إلى الالتزام بشروطه فهذا ما يجعل المحكمة تعفيه في الغالب من العقاب.

ح) استبدال العقوبة الجزائية: يجوز للمحكمة على وفق قانون العقوبات لعام 1992 في جرائم الجنح التي يعاقب عليها بالغرامة أن تحكم بعقوبة أو أكثر تحرم المحكوم عليه من عدد من الحقوق أو تفرض عليه عدداً من القيود، مثل الحرمان من إجازة السوق أو الحرمان من قيادة نوع معين من المركبات لمدة تصل إلى خمس سنوات أو الحق في حيازة سلاح أو حمله للمدة نفسها أو مصادرة السلاح أو غير ذلك (المادة 131-6). وعندما تكون العقوبة المحددة على هذه الجرائم عقوبة مقيدة للحرية يجوز للمحكمة استبدالها بالعمل للمصلحةالعامة أو الغرامة، كما يمكن في المخالفات من الدرجة الخامسة (التي لا يزيد مقدارها على ألف وخمسمائة يورو) تحديد عقوبة بديلة أو أكثر مثل الحرمان من الحقوق لمدة تصل إلى سنة واحدة أو مصادرة الأشياء المستخدمة في ارتكاب الجريمة أو التحضير لها أو المتحصل عليها نتيجة لها، ومصادرة الأسلحة وغير ذلك.

خ) نظام شبه الحرية: تجيزالمادة (132-25) من القانون للمحكمة إذا حكمت بعقوبة الحبس لمدة سنة أو أقل أن تقرر تنفيذ العقوبة وفقاً لنظام شبه الحرية، إذا كان لدى المحكوم عليه ما يبرر ممارسته لنشاط مهني أو تلقي العلم أو الاستمرار في تدريب أو عمل مؤقت بقصد اندماجه بالمجتمع، وإما لمشاركته الضرورية في حياة أسرته أو لضرورة خضوعه لعلاج طبي. ويلتزم المحكوم عليه بالعودة إلى المؤسسة العقابية وفقاً للقواعد التي يحددها قاضي تطبيق العقوبات، مع مراعاة الأوقات الضرورية لممارسة نشاطه خارج المؤسسة العقابية.

د) نظام تجزئة تنفيذ العقوبة: تجيز المادة (132-27) من القانون للمحكمة في مواد الجنح تنفيذ عقوبة الحبس المحكوم بها التي لا تزيد مدتهاعلى السنة بصورة مدد متقطعة لا تقل كل منها عن يومين، وذلك خلال مدة لا تزيد على ثلاث سنوات، وذلك في حالة توافر أسباب ذات طبيعة مهنية أو تعليمية أو عائلية أو اجتماعية. ويجوز للمحكمة بموجب المادة (132-28) من القانون في مواد الجنح والمخالفات أن تقرر تنفيذ عقوبة الغرامة، بما في ذلك عقوبة الغرامة اليومية، وكذلك الحرمان من رخصة القيادة، بالتقسيط أيضاً وخلال مدة لا تزيد على ثلاث سنوات.

ثانياً: قانون العقوبات الروسي لعام 1996: تنص المادة الثانية من دستور الاتّحاد الروسي لعام 1993على مبدأ الإنسانية بنصها: "يجب أن تعطى القيمة العليا للإنسان وحقوقه وحرياته. من واجب الدولة الاعتراف بحقوق الإنسان والحقوق المدنية والحريات واحترامها وحمايتها". كما وجد هذا المبدأ تجسيده في المادة السابعة من قانون العقوبات لعام 1996، التي تحمل عنوان (مبدأ الإنسانية)، وتنص فقرتها الأولى على أن: "يكفل التشريع العقابي للاتّحاد الروسي أمن الإنسان"، كما تنص الفقرة الثانية منها على أن "العقوبة والتدابير الأخرى ذات الطبيعة الجنائية المتخذة إزاء مرتكب الجريمة لا يجب أن تكون الغاية منها تسبيب المعاناة البدنية له أو التحقير من كرامته الإنسانية".

وفي ضوء ذلك حددت الفقرة الثانية من المادة (43) منه أغراض العقوبة الجزائية بنصها: "تتخذ العقوبة بهدف استعادة العدالة الاجتماعية، وكذلك بهدف إصلاح المحكوم عليه وردع ارتكاب جرائم جديدة"، ومن ثم فأن تحقيق العدالة الاجتماعية تكون لها الأولوية بالنسبة لأغراض العقوبة، وهي تعني على وفق القانون نفسه تحديد عقوبة الجاني بما يتناسب مع جسامة الجريمة التي اقترفها ويحدد مقدارها بالتوافق مع طبيعة الجريمة ودرجة خطورتها وشخصية الجاني والظروف المشددة والمخففة مع الأخذ

بعين الاعتبار أثر العقوبة المحددة في إصلاحه وفي ظروف أسرته (المادة 60)، كما ترتبط العقوبة المحددة بشكل الخطأ (المادة 53)، ومراحل النشاط الاجرامي المقترف (المادة 66).

وتتجلى أبرز مظاهر أنسنة العقوبة الجزائية في قانون العقوبات الروسيلعام 1966 في النص فيه على عدد من تدابير العقوبة التي تجسد ذلك، وعلى الوجه الآتي:

أ) العمل للمصلحة العامة: ويطلق عليه القانون تسمية (الأعمال الإلزامية)، التي عرفتها المادة (49) من القانون بأنها الأعمال المجانية النافعة اجتماعياً التي ينفذها المحكوم عليه خارج أوقات عمله الأساس أو دراسته، وتحدد نوعها ومكان القيام بها هيئات الحكم المحلي بالاتفاق مع المؤسسات الإصلاحية. وتعدّ عقوبة (الأعمال الإلزامية) عقوبة جديدة في هذا القانون، وهي تتصف بأنها (إلزامية)، فلا مجال فيها للاختيار، أو افتراض رضاء المحكوم عليه، فهو يكون ملزماً بالقيام بالعمل المحدد له، كما أن العمل يجب تنفيذه في وقت لا يتعارض مع عمله الأساس أو دراسته. وإضافة إلى ذلك أن المحكوم عليه يقوم بهذا العمل مجاناً، إذ لا يتلقى أي مقابل نقدي عنه أو مكافأة. ويحدد العمل لمدة لا تقل عن (60) ساعة ولا تقل عن (240) ساعة، وبما لا يزيد على أربع ساعات يومياً. وهذا ما يعني أن المحكوم عليه ليس بمستطاعه الإسراع في تنفيذ العقوبة مما يرفع من فاعليتها ويكون له أثره في تجسيد أحكام الفقرة (2) من المادة (49) من القانون بخصوص تحقيق العدالة الاجتماعية وإصلاح المحكوم عليه. كما وتعدّ هذه العقوبة من العقوبات الأصلية، وينص عليها القانون في الجرائم غير الخطيرة. وهي لا تحدد بالنسبة لذوي الإعاقة من الدرجة الأولى أو النساء الحوامل أو النساء الحاضنات لأطفال تقل أعمارعم عن الثالثة من العمر أو المجندين (المادة 49 فقرة 4). وبموجب الفقرة الثالثة من المادة (49) من القانون تستبدل هذه العقوبة بعقوبات مقيدة للحرية وذلك بما يساوي يوماً واحداً عن كل ثماني ساعات عمل، وذلك في حالة عدم إيفاء المحوم عليه بالتزاماته من خلال عدم الذهاب إلى العمل لأكثر من مرتين في الشهر من دون أعذار أو انتهاك قواعد العمل لأكثر من مرتين في الشهر أو الهرب إلى جهة غير معلومة بهدف الامتناع عن تنفيذ العقوبة.

ب) العمل الإصلاحي: وهذه العقوبة هي نوع من الإلحاق الاجباري بالعمل، إذ تُتخذ إزاء المحكوم عليه العاطل عن العمل للمدة التي تحددها المحكمة مع استقطاع جزءمن أجره لميزانية الدولة، وهي تُمضى في الأماكن التي تحددها هيئات الحكم المحلي بالاتفاق مع المؤسسات الإصلاحية وذلك في مكان إقامة المحكوم عليه (المادة 50). ويلزم المحكوم عليه بموجب المادة (42) من قانون تنفيذ العقوبات للاتحّاد الروسي لعام 1997بالعمل لمدة لا تقل عن شهرين ولا تزيد على سنتين، ويمكن أن تقل عن شهرين عندما تكون بديلاً عن الغرامة وعلى وفق الفقرة الثالثة من المادة (50) من قانون العقوبات تستقطع الدولة نسبة 5-20% من الأجر يحددها الحكم الصادر. وهذا النوع من العقوبات يعدّ عقوبة أصلية فيما يتعلق بالجرائم ذات الخطورة غير الجسيمة أو المتوسطة الجسامة، كما أنها مثلها مثل العقوبة السابقة (الأعمال الإلزامية) لا تطبق على الفئات المذكورة سابقاً. وعلى وفق الفقرة الرابعة من المادة (50) من القانون تستبدل هذه العقوبة بعقوبة مقيدة للحرية بما يساوي يوماً واحداً عن كل يومين إلى ثلاثة أيام عمل وذلك في حالة امتناع المحكوم عليه عن الالتزام بضوابط هذه العقوبة.

ت) الإلغاء التدريجي لعقوبة الإعدام: أخذت روسيا الاتّحادية بتوجه الإلغاء التدريجي لعقوبة الإعدام وذلك بناءً على مرسوم رئيس الاتّحاد الروسي رقم (724) الصادر في 16 مايو 1996**(المرسوم)**، ومن ثم تتخذ هذه العقوبة على وفق المادة (59) من قانون العقوبات الروسي لعام 1996 في الجرائم البالغة الخطورة الواقعة على حياة الإنسان فقط، والجرائم البالغة الخطورة، كما عرفتها الفقرة الخامسة من المادة (15) من القانون،هي الجرائم التي تزيد فيها العقوبة المقيدة للحرية على عشر سنوات. وفي الوقت نفسه تنص الفقرة الثانية من المادة (59) من القانون على عدم فرض هذه العقوبة على النساء والأشخاص دون

سن الثامنة عشرة سنة والرجال الذين بلغوا سن (65) سنة من العمر،مع استبدالها بعقوبة السجن مدى الحياة.

ث) تخفيف العقوبة: تنص الفقرة الأولى من المادة (64) من قانون العقوبات الروسي لعام 1996 على جواز اتّخاذ عقوبة أخف مما تنص عليه أحكام القسم الخاص من القانون، وذلك بتحديد عقوبة تقل عن حدها الأدنى أو العقوبة الأخف في نطاق العقوبات المحددة أو بعدم اتّخاذ العقوبات التبعية استناداً إلى توافر الظروف الاستثنائية المرتبطة بغايات الجريمة المرتكبة وبواعثها وعلى أساس دراسة شخصية الجاني ومختلف الظروف التي تقلل من درجة خطورة الجريمة المقترفة.

كما ينص القانون على عدد كبير من الظروف المخففة العامة التي حددها المشرع في الفقرة الأولى من المادة (61) منه، والتي على أساسها يجوز للمحكمة تخفيف العقوبة باتّخاذ عقوبة تقل عن الحد الأدنى للعقوبة المخففة أو اختيار العقوبة الأخف في نطاق العقوبات المحددة في القانون أو وقف تنفيذها. وتنحصر هذه الظروف المخففة على وفق الفقرة الأولى من المادة (61) من القانون في: ارتكاب جريمة غير جسيمة أو متوسطة الجسامة لأول مرة نتيجة ظروف عارضة أو عندما يكون الجاني دون سن (18) سنة أو حمل المرأة الجانية أو عندما يكون لدى الجاني أطفال دون سن (14) سنة أو ارتكاب الجريمة ارتباطاً بظروف حياتية قاهرة أو بدافع المعاناة أو في ظل الإكراه المادي أو المعنوي أو التبعية المادية أو المهنية أو في حالات انتهاك شروط الدفاع الشرعي أو القبض على الأشخاص أو المخاطرة المسببة أو حالة الضرورة أو تنفيذ الأمر أو التوجيه الصادر من الرئيس، أو نتيجة السلوك المخالف للقانون أو اللاأخلاقي من طرف الجاني، أو في حالة تسليم الجاني نفسه أو مساهمته في الكشف عن الجريمة وظروفها وفي ملاحقة المساهمين الآخرين فيها أو تقديم العون الطبي للمجنى عليه بعد ارتكاب الجريمة مباشرة والتعويض الطوعي عن الأضرار المادية أو المعنوية المترتبة على الجريمةأو القيام بأية أفعال أخرى لجبر الضرر.كما يجوز للمحكمة على وفق تقديرها عدّ غيرها من الظروف ظروفاً مخففة للعقاب (الفقرة الثانية من المادة نفسها).

ذ) الإعفاء من المسؤولية الجزائية: يحدد قانون العقوبات الروسي لعام 1996 عدداً من الحالات التي في حالة توافرها يجوز للمحمة إعفاء الجاني من المسؤولية الجزائية وهي تتمثل في: الندم الإيجابي (المادة 75)، التصالح مع المجنى عليه (المادة 76)، في حالة تعويض الأضرار (المادة 76 مكرر)، عند الاكتفاء بعقوبة الغرامة (المادة 76 مكرر لمرتين)، أو في حالات التقادم (المادة 78)، أو صدور قرار بالعفو (المادة 84)، أو اتّخاذ تدابير الإصلاح إزاء الأحداث (المادة 90).

ر) نظام الإعفاء من العقوبة: ينص قانون العقوبات الروسي لعام 1996تحقق الإعفاء من العقاب في حالات وقف تنفيذ العقوبة (المادتان 73، 74)، أو الإفراج الشرطي (المادتان 79، 93)، أو تغيّر الظروف (المادة 80 مكرر)، أو بسبب المرض (المادة 81)، أو تقادم العقوبة (المادة 83)، أو صدور قرار بالعفو العام أو الخاص (المادتان 84، 85).

خ) تأجيل تنفيذ العقوبة: تنص الفقرة الأولى من المادة (82) من قانون العقوبات الروسي على تأجيل تنفيذ العقوبة فيما يتعلق بالمرأة الأم التي لديها أطفال دون سن (14) سنة وكذلك الرجل إذا كان الحاضن الوحيد لمثل هؤلاء الأطفال. وفي حالة عدم اعتراف المحكوم عليه بالطفل أو عدم قيامه بواجبات الحضانة، فأن للمحكمة صلاحية إصدار قرار بإلغاء قرارها بتأجيل تنفيذ العقوبة وتتخذ قراراً جديداً بتنفيذها. ولكن في حالة بلوغ الطفل سن (14) سنة مع التزام المحكوم عليه بواجباته فأن للمحكمة إصدار قرار بالغاء تنفيذ العقوبة أو استبدال العقوبة المؤجل تنفيذها بعقوبة أخف (الفقرتان الثانية والثالثة من المادة نفسها). أما في حالة ارتكاب المحكوم عليه جريمة جديدة فأن العقوبة عليها تحدد وفقاً لقواعد تعدد الجرائم بموجب المادة (70) من القانون.

ومن ثم فأن النظم العقابية التي اعتمدها كل من المشرع الفرنسي في قانون العقوبات لعام 1992 وكذلك المشرع الروسي في قانون العقوبات لعام 1996 تشير إلى التزامهما بالتوجهات المعاصرة في السياسة الجنائية فيما يتعلق بأنسنة العقوبة الجزائية، لاسيما وأن النظم العقابية المعتمدة تستهدف إصلاح المجرم وإعادة إدماجه مواطناً صالحاً في المجتمع.

الخاتمة

توصلنا من خلال هذا البحث إلى عدد من الاستنتاجات والتوصيات التي نوجزها على الوجه الآتي:

أولاً: الاستنتاجات:

1) كان لتطور النزعة الإنسانية منذ عصر التنوير في أوربا حتى الوقت الراهن وفي مختلف جوانب حياة المجتمع أثره الكبير في أنسنة القانون بصفة عامة، والقانون الجنائي بصفة خاصة، كما كان للمذاهب الجنائية المختلفة دورها البارز في الدعوة إلى أنسنة القانون الجنائي، وبخاصة في نطاق العقوبة الجزائية.

2) أجرت أغلب الدول تغييرات جوهرية في سياساتها العقابية من خلال إضفاء البعد الإنساني عليها لغرض أنسنتها، وذلك بتغيير المنظور التقليدي لمعاملة الجاني،الذي استند إلى تعمد إيذائه، الى صون كرامته وحماية حقوقه وحرياته وإعادة تأهيله وإصلاحه. ومن ثم باتت أنسنة العقوبة الجزائية من التوجهات الحديثة والمعاصرة للسياسة الجنائية، التي تعتمدها مختلف الدول لتطوير قوانينها العقابية بما يتلاءم مع حقوق الإنسان.

3) اتّخذ المشرع العراقي موقفاً إنسانياً واضحاً في صياغته للنصوص في قانون العقوبات رقم (111) لعام 1969، وقد تجلى ذلك بصفة خاصة فيما يتعلق بتدابير العقوبة الجزائية التي حددها فيها، منطلقاً في ذلك من التطورات الحاصلة في نطاق السياسة الجنائية والمذاهب الجنائية، وبخاصة منها المذهب التقليدي الجديد والمذهب الاجتماعي، ولاسيما مدرسة الدفاع الاجتماعي الجديد.

4) نظراً لمضي مدة ليست بالقصيرة على صدور قانون العقوبات رقم (111) لعام 1969 وتغيّر توجهات السياسة الجنائية فيما يتعلق بالعقوبة الجزائية، واعتماد معظم الدول أنظمة عقابية جديدة تقوم على أنسنة العقوبة الجزائية، مثل التناسب بين الجريمة والعقوبة، وإلغاء العقوبات الجزائية القاسية أو تخفيفها، وتبني العقوبات البديلة للعقوبات السالبة للحرية القصيرة المدة، يتوجب على المشرع العراقي يعيد النظر بدوره في سياسته الجنائية وأن يجري تحديثاً على قانون العقوبات العراقي بصفة عامة، وعلى العقوبة الجزائية فيه بصفة خاصة.

ثانياً: التوصيات:

1) نوصي المشرع العراقي باعتماد (مبدأ الإنسانية) في تحديد العقوبة الجزائية في التشريعات العقابية بصفة عامة، وقانون العقوبات لعام 1969 بصفة خاصة، وذلك انطلاقاً من أن أنسنة العقوبة الجزائية باتت من التوجهات المعاصرة في السياسة الجنائية.

2) نوصي المشرع العراقي بأنسنة العقوبة الجزائية في قانون العقوبات لعام 1969 من خلال اعتماد النظم العقابية التي أخذت بها التشريعات العقابية الحديثة، وبخاصة الحدّ من العقاب، وبدائل العقوبات السالبة للحرية القصيرة المدة، والعدالة التصالحية، وغيرها.

3) نوصي المشرع العراقي بإعادة النظر في تدابير العقوبة الجزائية المحددة في نصوص قانون العقوبات لعام 1969 بما يتماشى مع أنسنة العقوبة الجزائية، وبخاصة من خلال إلغاء العقوبات الجزائية القاسية أو تخفيفها أو استبدالها.

قائمة المصادر

أولاً: الموسوعات الفلسفية:

1) أندريه لالاند، (1996)، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل احمد خليل، المجلد الأول، منشورات العويدات، بيروت- باريس.
2) روزنتال م. ، يودين ب. (1997)، الموسوعة الفلسفية، تعريب: سمير كرم، دار الطليعة، بيروت.

ثانياً: **الكتب:**

(أ) باللغة العربية:

1) إبراهيم، أكرم نشأت، (1998)، علم الاجتماع الجنائي، ط2، مطبعة نيزك، بغداد.
2) إبراهيم، أكرم نشأت، (1999)، السياسة الجنائية، دراسة مقارنة، شركة آب للطباعة الفنية المحدودة، بغداد.
3) البريفكاني، دلشاد عبد الرحمن يوسف، (2020)، الملائمة في إطار سياسة العقاب، مكتبة القانون المقارن، بغداد.
4) بهنام، رمسيس، (1997) ، النظرية العامة للقانون الجنائي، منشأة المعارف، الإسكندرية.
5) بيكاريا، تشيزاري، (1985) ، الجرائم والعقوبات، ترجمة: يعقوب محمد حياتي، مؤسسة الكويت للتقدم العلمين الكويت.
6) الحديثي، فخري عبدالرزاق صلبي، (2007) ، شرح قانون العقوبات، القسم العام، المكتبة القانونية، بغداد.
7) الدرة، ماهر عبد شويش، (1990)، الأحكام العامة في قانون العقوبات،جامعة الموصل، الموصل.
8) روسو، جان جاك، (2013)، أصل التفاوت بين الناس، ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة.
9) سليمان، سليمان عبدالمنعم،(1995)، أصول علم الإجرام القانوني، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية.
10) الشاذلي، فتوح عبدالله ، دراسات في علم الإجرام، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، 1993.
11) كامل، شريف سيد، (1998)، تعليق على قانون العقوبات الفرنسيي الجدي، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة.
12) كرين، برينتون، (2001)، تشكيل العقل الحديث، تعريب: شوقي جلال، مكتبة الأسرة، القاهرة.
13) هيغل، أصول فلسفة الحق، (2007)، ترجمة إمام عبدالفتاح إمام، دار التنوير والنشر والتوزيع، بيروت.

(ب) باللغة الروسية:

1) رشيتنيكوف ف.م. (1965)، القانون الجنائي للبلدان البرجوازية، المذهب التنويري-الإنساني، موسكو.
2) سيميكين غ. يو. (1999)، مختارات من الفكر القانوني العالمي في خمس مجلدات، المجلد الثالث، أوربا وأمريكا، القرون (18-19)، موسكو.
3) كمساروف ف. س. كريلفا ن.إ.تشاكوفا إ.م.(2012)، القانون الجنائي الروسي، القسم العام، موسكو.
4) ناعوموف أ.ب. (2017)، القانون الجنائي الروسي، المجلد الأول، القسم العام، موسكو.

ثالثاً: البحوث:

(أ) باللغة العربية:

1) عيسى، حسين عبدعلي، (2021)، الحماية الجزائية للمرأة والتنمية المستدامة ، (دراسة في قانون العقوبات العراقي لعام 1969)، المجلة الأمريكية الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، الأكاديمية الأمريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب، العدد (7)، ج 1.
2) داود، صباح سامي، رضا، صابرين إبراهيم (2021)، عقوبة الغرامة البديلة لسلب الحرية، كلية القانون، جامعة بغداد، عدد خاص، ج 2، المجلد (36).

(ب) باللغة الروسية:

1) سيتنيكوفا يو.ف. (2006) الأفكار السياسية لروسو والوقت المعاصر، دورية جامعة أومسك، 2006، العدد الأول.

رابعاً: التشريعات القانونية:

(أ) التشريعات القانونية العراقية:

1) قانون العقوبات العراقي رقم (111) لعام 1969.
2) قانون أصول المحاكمات الجزائية العراقي رقم (83) لعام 1971.
3) قانون رعاية الإحداث العراقي رقم (76) لعام 1983.

(ب) التشريعات القانونية الأجنبية:

1) دستور الجمهورية الفرنسية لعام 1958.
2) دستور الإتحاد الروسي لعام 1993.
3) قانون العقوبات الفرنسي لعام 1810.
4) قانون العقوبات الروسي لعام 1922.
5) قانون العقوبات الإيطالي لعام 1930.
6) أسس التشريع الجنائي للاتّحاد السوفيتي لعام .1934
7) قانون الإجراءات الجنائية الفرنسي لعام 1958.
8) العقوبات الفرنسي لعام 1992.
9) قانون العقوبات الروسي لعام 1996.
10) قانون تنفيذ العقوبات للاتّحاد الروسي لعام 1997.
11) مرسوم رئيس الاتّحاد الروسي رقم (724) الصادر في 16 /1996/5.

خامساً: اعلانات حقوق الإنسان:

1) إعلان حقوق الإنسان والمواطن الفرنسي لعام 1798.

المسؤولية الجزائية عن اختلاس الأموال العائدة لمؤسسات القطاع الخاص

أ.د مازن خلف ناصر
كلية القانون – الجامعة المستنصرية – جمهورية العراق
Dr.mazin67@uomustansiriyah.edu.iq
009647711592004

الملخص

لم تعد الممتلكات العائدة للقطاع العام هدفا للأفعال الجرمية التي تطالها من قبل الموظفين العموميين، بل هناك جانب أخر لا بد من شموله بالحماية القانونية والتي ينبغي أن تكون محتوى للنصوص العقابية ألا وهو ممتلكات القطاع الخاص التي بدأت وفي السنوات الأخيرة تشغل اهتمام المعنيين بالشأن القانوني وما هي النصوص التي يمكن من خلالها حماية ممتلكات هذا القطاع الهام في الدولة، فهل هي معنية بذات النصوص المقررة لحماية أموال القطاع العام الوظيفي، أم هناك نصوص خاصة وجدت في بطون القوانين الخاصة بحماية المال الخاص وليس المال العام؟، ومن ثم فإن اتساع نطاق جرائم الاختلاس الى جانب الصور الأخرى للفساد الإداري أو المالي كالرشوة والكسب غير المشروع واستغلال النفوذ الوظيفي، لم تعد تقتصر على الوظيفة العامة فحسب، بل شملت كذلك الوظائف والخدمات المعمول بها في القطاع الخاص والتي تكون أحيانا عرضة للسلب أو النهب أو الاختلاس والتي تحتاج لغطاء قانوني رصين يضمن الحماية الجزائية والمدنية في آن واحد.

الكلمات المفتاحية: الاختلاس، المسؤولية الجزائية، القطاع الخاص، المال، العقاب.

Criminal liability for embezzlement of funds belonging to private sector institutions

Prof. Dr. Mazin Khalaf Naser
College of Law - Al-Mustansiriya University - Republic of Iraq

Abstract

The property belonging to the public sector is no longer a target for criminal acts that affect it by public officials. Rather, there is another aspect that must be covered by legal protection, which should be the content of punitive texts, which is the property of the private sector, which began in recent years to occupy the attention of those concerned with legal affairs and what they are. The texts through which the property of this important sector in the state can be protected, are they concerned with the same texts prescribed for the protection of functional public sector funds, or are there special texts found in the laws for the protection of private money and not public money? In addition to other forms of administrative or financial corruption, such as bribery, illegal gain, and abuse of functional influence, it is no longer limited to the public office only, but also includes jobs and services in the private sector, which are sometimes subject to robbery, embezzlement, or embezzlement, and which need a discreet legal cover that guarantees penal protection. and civil at the same time.

Keywords: embezzlement, criminal responsibility, private sector, money, punishment.

أولا- أهمية البحث

تبلورت فكرة المسؤولية الجزائية عن اختلاس الأموال العائدة لمؤسسات القطاع الخاص بعد اتساع النشاط الاقتصادي لهذه المؤسسات، واتجاه الدول الى اعتماد نظام الخصخصة، فاصبح لهذا القطاع دور اساسي ومهم في انظمتها الاقتصادية واتجاه اغلبها لاعتناق مبادئ النظام الرأسمالي الذي يختلف في أهدافه وتطلعاته تماما عن مبادئ واهداف النظام الاشتراكي، مما يعني ذلك ضرورة وجود احكام قانونية تعزز من مكانة ما يمتلكه القطاع الخاص من أموال لا تعود ملكيتها للدولة، سيما وأن المجتمع الدولي يسير اليوم نحو إقرار مبادئ وأسس تعزز من مكانة هذا النوع من الأموال، فقد صدرت لأجل ذلك اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد لعام 2003 التي صادق عليها العراق، وكذلك الاتفاقية العربية لمكافحة الفساد لعام 2010 التي دخلت حيز النفاذ عام 2013، ولم نجد خطوات جادة من السلطة التشريعية في العراق لتعديل قانون العقوبات رقم (111) لسنة 1969 على غرار أحكام الاتفاقيتين آنفة الذكر.

ثانيا- أهداف البحث

تتجلى اهمية البحث في النقاط الأتية:

1. التعرف على مفهوم الاختلاس في القانون والفقه باعتباره صورة من صور الفساد الإداري والمالي في القطاعين العام والخاص.
2. تسليط الضوء على النصوص القانونية العاملة في مجال مسؤولية العاملين في مؤسسات القطاع الخاص عن اختلاسهم للأموال العائدة له.
3. تحديد أهم السمات التي تميز الاختلاس بمفهومه الخاص عن مفهومه التقليدي.
4. معرفة مدى فعالية التجريم والتطبيق الصارم للعقاب، والبحث عن رقابة جادة للحد من اختلاس الأموال العائدة للمؤسسات القطاع الخاص .

ثالثا- مشكلة البحث

تكمن مشكلة البحث في حقيقة وهي أن الاختلاسات التي تطال الأموال العائدة لمؤسسات القطاع الخاص، لا يمكن أن تخضع لذات الاحكام المتعلقة باختلاس المال العام، فهناك أوجه اختلاف بين أموال القطاعين تجعل لهذا النوع من المال خصوصية ينفرد بها عن المال العام، الأمر الذي يقتضي إيجاد حلول منطقية لجميع الاعتداءات التي تطال هذا النوع من المال والتي لم نجد لها اساس قانوني تجعل له استقلالية منفردة عن حماية المال العام رغم مصادقة العراق على الاتفاقية الدولية لمكافحة الفساد لعام 2003، والشيء الملفت للنظر أن قانون هيئة النزاهة العراقي جاء خاليا من نص يعالج حالات التجاوز على أموال القطاع الخاص فيما عدا نص المادة (3) من قانون هيئة النزاهة (30) لسنة 2011 بقولها " ثالثا - تعمل الهيئة على المساهمة في منع الفساد ومكافحته، واعتماد الشفافية في إدارة شؤون الحكم على جميع المستويات، عن طريق: تنمية ثقافة في القطاعين العام والخاص تقدر الاستقامة والنزاهة الشخصية واحترام اخلاقيات الخدمة العامة، واعتماد الشفافية والخضوع للمساءلة والاستجواب، عبر البرامج العامة للتوعية والتثقيف" و " رابعا -اعداد مشروعات قوانين فيما يساهم في منع الفساد او مكافحته ورفعها الى السلطة التشريعية المختصة عن طريق رئيس الجمهورية أو مجلس الوزراء أو عن طريق اللجنة البرلمانية المختصة بموضوع التشريع المقترح "، ونتساءل هنا أين هي مشروعات القوانين التي تجرم وتعاقب حالات الرشوة والاختلاس والكسب غير المشروع التي تحدث في أغلب الأحوال في نطاق مؤسسات القطاع الخاص؟.

وأمام عدم وجود نصوص تجرم اختلاس المال العائد لمؤسسات القطاع الخاص في القانون العراقي، نطرح التساؤل الاتي ما هي النصوص الأكثر انطباقا على أفعال الاختلاس التي تطال أموال مؤسسات القطاع الخاص، وهل يتطلب القانون صفة خاصة بمرتكب جريمة اختلاس اموال القطاع الخاص كما هو الحال في جريمة اختلاس اموال القطاع العام؟

رابعا- منهجية البحث

سوف يتم استخدام المنهج التحليلي والمنهج المقارن، فمن خلال المنهج التحليلي يجري تحليل النصوص القانونية والدراسات الفقهية التي تعرضت لموضوع البحث، ومن خلال المنهج المقارن سوف يتم تسليط الضوء على جوانب الاتفاق والاختلاف والقصور في القانون العراقي ومحاولة الإفادة من التشريعات المقارنة، وبالتحديد القانون الجزائري.

خامسا- خطة البحث

المبحث الأول- ما هية الاختلاس في القطاع الخاص

المطلب الأول- مفهوم الاختلاس في القطاع الخاص

الفرع الأول- التعريف بالاختلاس في القطاع الخاص لغة واصطلاحا

الفرع الثاني- الأساس القانوني لتجريم الاختلاس في القطاع الخاص

المطلب الثاني- ذاتية الاختلاس في القطاع الخاص

الفرع الأول- أوجه الشبه والاختلاف للاختلاس في القطاع الخاص عنه في القطاع العام

الفرع الثاني- الكيانات التي يطال الاختلاس أموالها الخاصة

المبحث الثاني- البنيان القانون لاختلاس أموال مؤسسات القطاع الخاص

المطلب الأول- أركان جريمة اختلاس

الفرع الأول- الركن المادي

الفرع الثاني- الركن المعنوي

المطلب الثاني- العقوبات المقررة لاختلاس أموال مؤسسات القطاع الخاص

الفرع الأول- العقوبات المقررة لاختلاس أموال مؤسسات القطاع الخاص في التشريع الجزائري

الفرع الثاني- موقف المشرع العراقي من اختلاس الأموال العائدة لمؤسسات القطاع الخاص

المبحث الأول- ما هية الاختلاس في القطاع الخاص

كمدخل لدراسة ولفهم ومعرفة الاختلاس في القطاع الخاص وأساسه القانوني، ومن ثم تسليط الضوء على أهم أوجه الشبه والاختلاف ما بين الاختلاس في القطاع العام والقطاع الخاص، نجد من المناسب بيان مختصر أو اعطاء نبذة بسيطة عن معناه اللغوي والاصطلاحي وأساسه على النطاق الدولي والوطني، ومن ثم بيان ذاتيته وهذا ما سوف نتناوله في مطلبين مستقلين وعلى النحو الاتي:

المطلب الأول- مفهوم الاختلاس في القطاع الخاص

نركز في هذا المطلب على توضيح مفهوم الاختلاس في القطاع الخاص من خلال بيان معناه اللغوي والاصطلاحي وأساسه القانوني كمدخل لبيان فهم الاختلاس محل البحث، وهذا ما سوف نبحثه تباعا وعلى النحو الاتي:

الفرع الأول- التعريف بالاختلاس في القطاع الخاص لغة واصطلاحا

لمعرفة مفهوم الاختلاس في القطاع الخاص نتناول تعريفه لغة واصطلاحا، ثم نستعرض اساسه القانوني وذلك على النحو الاتي:

أولا- معنى الاختلاس في اللغة والاصطلاح

الاختلاس في اللغة : مصدر اختلس ، وأصله من خلس ، ومعناه الاختطاف والالتماع والاستلاب، وقيل الاختلاس أوحى من الخَلس، أي أسرع ، فهو يرجع إلى الإسراع في أخذ الشيء (جبران، 1981، ص56) .

وفي الاصطلاح نعني بالاختلاس في مفهومه العام الأفعال المادية التي تلازم نية الجاني وتعبر عنها في محاولته الاستيلاء التام على المال الذي بحوزته، وذلك من خلال تحول الحيازة من كونها ناقصة إلى حيازة تامة ودائمة، أو هو كل نشاط يأتيه الجاني يفسر اتجاه نيته لتحويل المال لحيازته بحكم مهامه من حيازة مؤقتة إلى حيازة دائمة (سليمان ،1998،ص93) و (حسني، 1977، ص101) .

ويقتضي في الاختلاس وجود حيازة للجاني سابقة ومعاصرة لزمن ارتكاب النشاط الجرمي، بيد أن هذه الحيازة تبقى ناقصة، حيث يكون للحائز العنصر المادي للحيازة دون العنصر المعنوي، فهو وإن كان المال تحت يده، إلا انه ليس له أية سلطة يباشرها عليه، إلا ضمن نطاق حيازته التي يستمدها من المهمة الموكلة أليه والعمل الذي يقوم به (سليمان،1990،ص89.(

ويتوفر الاختلاس في هذا المعنى بوجود نشاط يرتكبه الجاني يضيف من خلاله المال محل الحيازة، أي الحيازة الناقصة إلى سيطرته الكاملة كأنه مالكا له، وذلك بإخفائه دون إكراه، وهذا هو المعنى الخاص للاختلاس.

ثانيا- معنى القطاع الخاص في اللغة والاصطلاح

في اللغة يقوم مصطلح القطاع الخاص على مفردتين مركبتين أساسيتين هما القطاع والخاص، ولإيضاح المعنى اللغوي لهما ينبغي تعريف المفردتين لغوياً، ويراد بالقطاع ذلك الجزء المقتطع من أي شيء، والقطاع المثال الذي يقطع عليه الثوب والأديم ونحوها، وزمن قطاع النخيل: زمن إدراكه واجتناء ثمره، ويقال هذا وقت قطاع الطير وقت طيرانها من بلاد إلى اخرى، والقطاع من الليل طائفة منه تكون في أوله إلى ثلثه، والقطاع من الدائرة: جزء محصور بين نصفي قطر وجزء من المحيط (أبن منظور،2003، ص444)، في حين يعرف الخاص لغة: بأنه التفرد والانقطاع عن المشاركة، وكل اسم لمسمى معلوم على الانفراد يقال له (خاص) ومنها خصه بالشيء أفرده به من دون غيره، أو كل لفظ وضع لمعنى واحد على الانفراد وقطع المشاركة (ابراهيم،2008، ص244).

وفي الاصطلاح لم يرد تعريف القطاع الخاص في القوانين العراقية والمقارنة، وفي اللغة الانكليزية يستخدم مصطلح private sector لإيضاح مفهوم القطاع الخاص الذي يراد به قطاع الأعمال المرتبط بالمؤسسات أو الشركات التي يملكها أفراد بصفة شخصية وغير مرتبطة بالدولة أو أية مؤسسة من مؤسساتها .

كما عرف ذلك الجزء من الاقتصاد الوطني غير الخاضع للسيطرة الحكومية المباشرة ، فالقطاع الخاص يراد به أحد مكونات النظام الاقتصادي للدولة الذي يديره أشخاص غير خاضعين لسيطرة وإشراف الحكومة من رجال الأعمال من صناعيين وتجار ومزارعين (القريشي،1999،ص73).

الفرع الثاني- الأساس القانوني لتجريم الاختلاس في القطاع الخاص

تعد جريمة الاختلاس من بين الجرائم التي أخذت طابعا دوليا ومحليا، وذلك من خلال تناولها في العديد من المعاهدات والمؤتمرات الدولية، ومنها معاهدة الأمم المتحدة لمكافحة الفساد، كما ونصت عليها التشريعات العقابية لأغلب الدول لما لها من خطورة تمس الممتلكات العائدة للقطاع العام أو الخاص، لذلك سوف نوضح الأساس القانوني لها على الصعيد الدولي والمحلي وعلى النحو الاتي:

أولا- المعالجات التشريعية في المواثيق الدولية الخاصة بمكافحة الفساد

يعد اختلاس الأموال العائدة لمؤسسات القطاع الخاص من أبرز الجرائم التي تشكل صور الفساد في اتفاقية الأمم المتحدة لسنة ٢٠٠٣ والتي أشارت إلى نماذج للفساد المستشري في القطاع العام أو الخاص وفقا للمواد (١٤ - ٢٥) منها، أن ما يتسم به القطاع الخاص هو ضعف الرقابة على نشاطه، لذا فقد تناولت "اتفاقية الأمم المتحدة في المادة (٢٢) تجريم فعل الاختلاس الذي يقع ضمن القطاع الخاص إذ جاء فيها " ينبغي على كل دولة طرف اتخاذ تدابير تشريعية وتدابير أخرى لتجريم السلوك المتعمد للشخص الذي يدير كيانا عائدا للقطاع الخاص او يعمل فيه باي صفة اثناء مزاولته نشاط اقتصادي أو مالي أو تجاري يختلس من خلاله ممتلكات أو اموال أو أوراق مالية خاصة أو أي اشياء اخرى ذات قيمة عهد بها إليه بحكم موقعه عندما ترتكب هذه الأفعال عمدا أثناء مزاولة أنشطة اقتصادية أو مالية أو تجارية "، وتعد اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد لعام ٢٠٠٣ الأساس الجوهري لقواعد مكافحة الفساد وطنيا ودوليا، المتمثل بالرشوة والاختلاس وغسل العائدات الاجرامية، ثم تليها من حيث الأهمية الاتفاقية العربية لمكافحة الفساد لعام 2010، والتي ترمي إلى ملاحقة مرتكبي الاختلاس في القطاع الخاص، ورغم وجود

أكثر من اتفاقية على المستوى الإقليمي والدولي لمكافحة الفساد تظل هذه الاتفاقية الأهم والأساس في مكافحة صور الفساد الإداري والمالي .

فالفساد الإداري والمالي يستهدف أموال المؤسسات العامة والخاصة، ويعيق الاستثمار ويقلل من نوعية الخدمات الأساسية التي يتلقاها الفرد كالصحة والتعليم، وفي ظل نمو التوافق الدولي على ضرورة التكاتف من أجل مواجهة هذه الظاهرة من خلال التشريعات والتنظيمات وبناء المؤسسات وتعزيز التعاون الدولي، لذلك جاءت الاتفاقية التي أقرتها الجمعية العامة في ٣١/١٠/٢٠٠٣ ودخلت حيز التنفيذ في 2005/12/14 وتم التصديق هذه عليها، من عدة دول عربية يأتي في مقدمتها الكويت وليبيا ومصر والمغرب وموريتانيا، واليمن والعراق .

وللبحث في دور الاتفاقيات الدولية في مكافحة جريمة الاختلاس في القطاع الخاص، يقتضي الحال الوقوف على موقف اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد التي أقرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة بقرارها ذي الرقم ٥٨/٤ بتاريخ ٣١/١٠/٢٠٠٣ ودخلت حيز التنفيذ بتاريخ ١٤/١٢/٢٠٠٥ وكذلك الاتفاقية العربية لمكافحة الفساد الموقع عليها في القاهرة عام ٢٠١٠ والتي دخلت حيز التنفيذ عام 2013، باعتبار أن الفساد الإداري والمالي سلوك أخلاقي منحرف يطال القطاع الخاص شأنه في ذلك شأن القطاع العام، ويزداد الأمر سوءا في الدول المعتمدة على اقتصاديات السوق التي ينشط اقتصادها ضمن قوانين المنافسة الحرة وحرية الاستثمار، وهذا ما ركزت عليه اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد ومن بعدها الاتفاقية العربية لمكافحة الفساد، إذ جرمت ثلاث صور للفساد في القطاع الخاص الرشوة والاختلاس وغسل العائدات الجرمية، كما أقرتا الاتفاقيتين مسؤولية الأشخاص المعنوية إذا ما ثبت مشاركتها في أفعال الفساد المجرمة وفقاً لما ورد في هاتين الاتفاقيتين.

ثانيا- المعالجات التشريعية في قوانين مكافحة الفساد

مما لا شك فيه أن مؤسسات القطاع الخاص تعد من أبرز الكيانات التي يطال أموالها الفساد الاداري والمالي، لذا فمن الطبيعي ان تنال القدر الكافي من الاهتمام ، ولأجل ذلك صادق العراق على اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد بموجب القانون رقم (35) لسنة 2007 ، والتي اصبحت جزءاً لا يتجزأ من المنظومة التشريعية العراقية الواجبة التطبيق.

وقد دعت هذه الاتفاقية كل دولة طرف فيها، باتخاذ تدابير لمنع ضلوع القطاع الخاص في الفساد ولتعزيز معايير المحاسبة ومراجعة حساباته، ويجوز ان تتضمن هذه التدابير ما يكفل التعاون بين اجهزة انفاذ القانون وكيانات هذا القطاع، بما يكفل إرساء قواعد وأصول النزاهة من خلال سن مدونات السلوك ومنع تضارب المصالح وتعزيز الشفافية ومنع اساءة استخدام الصلاحيات التي تنظم نشاط كيانات هذا القطاع، للحصول على الرخص أو المعونات وايجاد ضوابط كفيلة بمراجعة الحسابات دوريا لأجل الوقاية من افعال الفساد ومسك الدفاتر والسجلات والكشف عن البيانات المالية .

أما عن موقف المشرع العراقي فلم يحسم هذا الموضوع بنصوص قانونية صريحة لا في قانون العقوبات العراقي النافذ ولا في مشروع تعديل القانون المذكور تلزم الجهات التشريعية والتنفيذية على مكافحة الفساد في القطاع الخاص، حيث تجدر الاشارة الى أن قانون هيئة النزاهة العراقي قد استحدث دائرة العلاقات مع المنظمات الحكومية التي تتولى القيام بما يلزم لتعزيز ثقافة السلوك الاخلاقي في القطاعين العام والخاص بالتعاون مع منظمات المجتمع المدني عن طريق برامج التدريب والاتصال بالجمهور عبر وسائل الاعلام وغيرها.

في حين انفرد المشرع الجزائري ونص في المادة (119) من قانون العقوبات والمادة (29) من قانون مكافحة الفساد الجزائريين على تجريم وعقاب الاختلاس الواقع على ممتلكات هذا القطاع، وحسنٌ فعل.

المطلب الثاني- ذاتية الاختلاس في القطاع الخاص

يعد الاختلاس من بين الجرائم التي تضر بالمصلحة العامة والخاصة ومن الجرائم التي اشترط بشأنها صفة خاصة في الجاني، كما أن السلوك المجرم المكون للركن المادي لها المتمثل في فعل الاختلاس لا

يمكن أن يطال إلا أموال مؤسسات القطاع الخاص وهذا ما يميز الاختلاس في كلا القطاعين، وهذا ما سوف نوضحه في فرعين مستقلين وعلى النحو الاتي:

الفرع الأول- تمييز الاختلاس في القطاع الخاص عنه في القطاع العام

تعد المادة (119) من قانون العقوبات والمادة (29) من قانون مكافحة الفساد الجزائريين الأنموذج القانوني الفريد لاستحداث التجريم لاختلاس ممتلكات القطاع الخاص، ولهذا لابد من استخراج أهم أوجه الشبه والاختلاف لجريمة الاختلاس في القطاعين العام والخاص الخاص وذلك على النحو الاتي :

أولاً: أوجه الشبه بين الاختلاس في القطاع الخاص عنه في القطاع العام: يمكن استخلاص أوجه الشبه للجريمتين من خلال ما يلي: بالنسبة للركن المادي في كل من الجريمتين يقوم على السلوك المجرم، محل الجريمة، علاقة الجاني بمحل الجريمة .

أما بالنسبة لمحل الجريمة فكلا منهما تقومان على المحل نفسه والمتمثل في: أوراق مالية أو أشياء أخرى ذات قيمة، وهذا ما جاء في المادتين (29 و 41) من قانون مكافحة الفساد الجزائري، وبالنسبة للركن المعنوي فكلا منهما يتطلب توافر قصد جنائي عام (العلم والإرادة) وقصد جنائي خاص، حيث ينبغي أن يكون الجاني عالما بأن المال الذي سلم إليه كان بناء على واجبات وظيفته، كما ينبغي أن تتجه إرادته إلى الاختلاس وأيضا أن تتجه نية الجاني إلى الاستيلاء على الحيازة الكاملة على الشيء (جعفر، 2006، ص45)، أي بمعنى أن الاختلاس في الحالتين يقع على مال منقول، وبخلافه لا يعد اختلاسا بل تقوم جريمة من نوع آخر إذا لم يكن المال منقولا (صالح، 1996، ص21).

ويخضع الاختلاس سواء في القطاع العام أو الخاص إلى ذات الإجراءات الخاصة بالملاحقة، بحيث لا يشترط في كل منهما شكوى لتحريك الدعوى العمومية، إضافة إلى هذا أن قانون الوقاية من الفساد ومكافحته جاء بأحكام مميزة تتعلق بأساليب خاصة للتحري الواردة ضمنه وهذا للكشف عنهما، ورغم وجود التشابه بينهما، إلا أنه لا يمكن إنكار وجود أوجه اختلاف بينهما.

ثانيا: أوجه الاختلاف بين الاختلاس في القطاع الخاص عنه في القطاع العام: إذا كان الاختلاس في القطاع العام هو كل سلوك أو تصرف يقوم به الجاني (الموظف العام) والذي يقصد من خلاله تحويل المال الذي عهد إليه بحكم وظيفته من حيازة وقتية على سبيل الائتمان إلى حيازة نهائية على سبيل التملك (رحماني،2012، ص86) .

إلا أن الاختلاس في القطاع الخاص وبحسب ما نصت عليه المادة (41) من قانون مكافحة الفساد الجزائري يكون بسلوك يقوم به شخص يدير كيان تابع للقطاع الخاص أو يعمل فيه بأية صفة أثناء ممارسة مهامه يختلس من خلاله الممتلكات أو الأموال أو الأشياء الأخرى ذات قيمة معينة، فمن خلال هذا التوضيح يتبين لنا ما هي أهم أوجه الاختلاف بين مفهوم الاختلاس في القطاعين آنفي الذكر .

إذ يتمثل الركن المفترض في كل من القطاع العام أو القطاع الخاص في صفة الجاني عند ارتكاب الفعل المجرم ، وتتمثل صفة الجاني في القطاع العام في الموظف والذي يتمثل فيمن :

-يشغل منصبا تشريعيا أو تنفيذيا أو قضائيا في إحدى المجالس النيابية أو المحلية المنتخبة وسواء كان معينا أو منتخبا أو مؤقتا، مدفوع الأجر أو غير مدفوع الأجر .

-يتولى ولو مؤقتا وظيفة أو وكالة بأجر أو بدون أجر ويساهم بهذه الصفة في خدمة هيئة عمومية أو أية مؤسسة أخرى تملك الدولة كل أو بعض رأسمالها أو أية مؤسسة أخرى تقدم خدمة عمومية .

-هو معروف بأنه موظف أو من في حكمه طبقا للتشريع والتنظيم المعمول بهما .

أما في القطاع الخاص اشترطت المادة (41) من قانون مكافحة الفساد الجزائري على أن صفة الجاني هي كل شخص يدير كيان تابع للقطاع الخاص أو يعمل فيه بأية صفة كانت.

بعد أن قمنا باستخراج أوجه الشبه في الركن المادي لكل من الجريمتين سنقوم بإبراز أوجه الاختلاف في هذا الركن .

فالسلوك المجرم في جريمة الاختلاس في القطاع العام يقوم على إما الاختلاس أو التبديد أو الإتلاف أو احتجاز بدون وجه حق ، في حين أن الاختلاس في القطاع الخاص يقوم فقط على فعل الاختلاس (المادة 41، القانون 06-01 المتعلق بالوقاية من الفساد ومكافحته المعدل) .

أما بالنسبة لمحل الجريمة فالفرق الوحيد بينهما هو أنه محل الجريمة في القطاع العام يرجع إلى الدولة، أما في القطاع الخاص فمحل الجريمة له سمة خاصة (عميور، 2011، ص53)، وفي ما يخص علاقة الجاني بمحل الجريمة يشترط أن تقوم رابطة سببية بين حيازة الجاني لمحل الجريمة وبين وظيفته، ففي القطاع العام يشترط أن يسلم موضوع الجريمة للموظف بحكم وظيفته أو بسببها، في حين يختلف الأمر في القطاع الخاص، إذ تحصر المادة (41) من قانون مكافحة الفساد الرابطة السببية في المال الذي يعهد به للجاني بحكم وظيفته فقط (حطابي، 2005، ص22) .

الفرع الثاني- الكيانات التي يطال الاختلاس أموالها الخاصة

لم يرد مفهوم (الكيان) في التشريعات العراقية المتعلقة بمكافحة جرائم الفساد بشكل خاص أو حتى التشريعات العربية بشكل عام ، عدا التشريع الجزائري الذي عرف الكيان في المادة (41) من القانون رقم 10-06 الفقرة (ه) بأنه مجموعة من العناصر المادية أو غير المادية أو من الاشخاص الطبيعيين أو الاعتباريين المنظمين بغرض بلوغ هدف معين (خالدي، 2019، ص84).

ومن وجهة نظرنا نرى سريان وصف (الكيان) على المؤسسات العائدة للقطاع الخاص كافة مهما كان وصفها القانوني ومنها الشركات التجارية أو المدنية والجمعيات والنقابات وما شابه ذلك، وقد عبر عنه المشرع الدولي في المادة (22) بقوله (...كيانا تابعا للقطاع الخاص....) فهو مفهوم مطلق يكون هدفه الأساسي هو تحقيق الربح، ويزاول نشاطا اقتصاديا أو ماليا أو تجاريا ومن ثم تستبعد الجمعيات والنقابات والاتحاديات (بكوش، 2013، ص705).

وبهذا يكون مجال تطبيق نص المادة (22) من الاتفاقية الدولية محصورا في المؤسسات التي تنشط بهدف تحقيق الربح أو التي يكون رأسمالها كله خاص وتمارس نشاطا تجاريا أو اقتصاديا أو ماليا وهي على النحو الاتي:

أولا- النشاطات التجارية الموضوعية

وهو ما جاء في نص المادة (3) من القانون التجاري العراقي رقم (149) لسنة 1970: يعتبر عملا تجاريا"

1. شراء المنقولات أيا كان نوعها بقصد بيعها أو تأجيرها بذاتها أو بعد تهيئتها في صورة اخرى.
2. بيع أو تأجير المنقولات السابق شراؤها على الوجه المبين في الفقرة السابقة.
3. استئجار المنقولات بقصد تأجيرها وكذلك ايجارها إلى الغير.
4. جميع العمليات المتعلقة بالسفاتج والسندات لأمر والشيكات، كتحريرها وتظهيرها ووفاء قيمتها أيا كانت صفة ذوى الشأن فيها وأيا كانت طبيعة العمليات التي أنشئت من اجلها.
5. تأسيس الشركات التجارية وبيع وشراء اسهمها وسندات استقراضها."

ثانيا- النشاطات التجارية بحسب الشكل

وتعد الاعمال الآتية تجارية إذا كانت مزاولتها على وجه الاحتراف وفقا لنص المادة (4) من القانون التجاري العراقي وهي تشمل" :

1. توريد البضائع.
2. الصناعة.
3. النقل البري والنقل في المياه الداخلية.
4. الوكالة التجارية والدلالة.
5. التأمين على اختلاف انواعه.
6. عمليات المصارف والصيارفة وسوق المضاربة (البورصة).
7. الحساب الجاري.
8. استيداع البضائع ووسائط النقل أو المحاصيل أو غيرها.
9. النشر والطباعة والتصوير والاذاعة بطريق الراديو أو التلفزيون والصحافة ونقل الاخبار أو الصور والاعلان.
10. العمليات الاستخراجية لمواد الثروة الطبيعية كالمناجم والمحاجر ومنابع النفط وغيرها.

11. مقاولات بناء العقارات أو ترميمها أو هدمها أو تعديلها.
12. شراء العقارات والحقوق العينية العقارية بقصد بيعها وبيعها بعد شرائها بالقصد المذكور.
13. اعمال مكاتب السياحة ومكاتب التصدير والاستيراد أو الاخراج الكمركي ومكاتب الاستخدام ومحال البيع بالمزاد العلني.
14. اعمال الفنادق والمطاعم والسينمات والملاعب والملاهي.
15. تأجير واستئجار الدور والشقق والغرف مؤثثة أو غير مؤثثة.
16. توزيع المياه أو الغاز."

ثالثا- النشاطات التجارية بالتبعية

ويعد ايضا عملا تجاريا كل عمل يتعلق بالملاحة التجارية بحرية كانت أو جوية، وهو ما جاء في نص المادة (5) من القانون التجاري العراقي وعلى وجه الخصوص" :

1. بناء السفن أو الطائرات واصلاحها وصيانتها.
2. شراء أو بيع أو تأجير أو استئجار السفن أو الطائرات بقصد الاستثمار.
3. شراء ادوات أو مواد تموين السفن أو الطائرات.
4. النقل البحري أو الجوي.
5. عمليات الشحن والتفريغ.
6. استخدام الملاحين أو الطيارين ."

نستنتج مما تقدم ومن خلال تعريف الكيان أن نص المادة (22) من الاتفاقية الدولية سالفة الذكر لا ينطبق على الشخص الذي يرتكب اختلاسا بمفرده وهو لا ينتسب لأي كيان كالتاجر مثلا في المحل التجاري، أو من يرتكبون اختلاسا مجتمعين فهم يخضعون للقانون العام وتطبق عليهم العقوبات المقررة في قانون العقوبات كالسرقة وخيانة الأمانة .

ومما ينبغي ملاحظته أن المؤسسات العامة الاقتصادية التي تزاول نشاط اقتصادي ووقع فيها اختلاس للأموال أو للممتلكات... يخضع مرتكبها للقانون الخاص بصفة عامة كالقانون التجاري في حالة ما إذا كانت الجريمة المرتكبة على مستوى المصارف والبنوك مثلا وذلك لعدم الإخلال بواجبات الوظيفة الخاصة والعامة على حد سواء.

المبحث الثاني- البنيان القانوني لاختلاس أموال مؤسسات القطاع الخاص

يتحدد البنيان القانوني للاختلاس من خلال ما يتطلبه القانون من أركان، فضلا عما يتطلبه المشرع في الاختلاس من عناصر مفترضة يؤثر توافرها أو تخلفها على وجود الاختلاس من عدمه، ففكرة أركان الاختلاس التقليدية لا تستوعب كل بنيانها القانوني، فالقانون يتطلب فضلا عن الركن المادي والركن المعنوي توافر حالة واقعية أو قانونية يفترض توافرها قبل وقوع الجريمة وتسمى بالعنصر المفترض، فيتحدد إطار النظام القانوني في هذه الأركان ومن اجتماعها يتحقق النشاط المؤثم ويستحق فاعله الجزاء المقرر في نص التجريم (نجم، 2014، ص40)، وسوف نتعرض في هذا المبحث لبيان أركان جريمة اختلاس أموال مؤسسات القطاع الخاص ومن ثم بيان العقوبات المقررة لهذه الجريمة في مطلبين مستقلين وذلك على النحو الاتي:

المطلب الأول- أركان اختلاس أموال مؤسسات القطاع الخاص

لا بد من وجود ركنان أحدهما مادي والأخر معنوي، ولكل منهما عناصره وخصوصيته في تكوين الاختلاس، فالركن المادي للاختلاس هو وجهه الخارجي الظاهر ومن خلاله تقع الأعمال التنفيذية له، أما الركن المعنوي فهو الإرادة الجرمية لارتكاب الاختلاس ولا يكون صاحبه مسؤولا، إلا إذا توافرت لديه اهلية جنائية هي التمييز وحرية الاختيار فهي تعبر عن قدرة الجاني على توجيه إرادته الى ما يخالف القانون (بلال، 2000، ص854)، وسنقوم ببيان أركان اختلاس أموال القطاع الخاص وفقا للنموذج القانوني المنصوص عليه في قانون العقوبات الجزائري، باعتباره الأنموذج الفريد للتعبير عن هذه

الجريمة المستحدثة بعد تشريع الاتفاقية الدولية لمكافحة الفساد لعام 2003، وذلك بتقسيم هذا المطلب الى فرعين مستقلين وعلى النحو الاتي:

الفرع الاول- الركن المادي

للركن المادي قيمة دستورية، إذ لا يكفي وجود الركن المفترض وحده لقيام جريمة الاختلاس، ولا يتميز هذا الركن في جريمة اختلاس أموال القطاع الخاص بشيء مختلف عما هو محدد لهذا النوع في القطاع العام، فهو يتكون من عناصر ثلاث تتمثل في: النشاط الجرمي ومحل الجريمة وعلاقة سببية بين النشاط الجرمي ومحل الجريمة (سعد، 2012، ص75)، وفي ضوء ذلك سوف نتناوله بشيء من التفصيل، إذ يتحلل هذا الركن الى ما يأتي:

أولا- النشاط الجرمي

حصرت المادة (41) من القانون الجزائري رقم 06-01 الركن المادي في فعل "الاختلاس" فقط الحاصل على أموال القطاع الخاص، عكس ما هو معروف في الاختلاس في القطاع العام، حيث تنص المادة (29) من القانون رقم 06-01 على أن الركن المادي يأخذ أربعة (4) صور تتمثل في: الاحتجاز، التبديد الإتلاف الاحتجاز بدون وجه حق ، ولم تشترط المادة (41) سالفة الذكر إصابة المال المختلس بضرر لأن تجريم الفعل ليس معلقا على إلحاق الضرر أو استعادته (العيدي، 2017، ص109 .(

فالاختلاس يتحقق بتحويل الأمين حيازة المال المؤتمن عليه من حيازة وقتية إلى حيازة نهائية، بنية التملك ومثال ذلك: قيام الجاني بإنفاق المال أو التبرع به وبعبارة أخرى كل تصرف ينصرف إلى حرمان مالك المال من الانتفاع به . فالاختلاس لا يتصور فيه الشروع، أي إما تتحقق كجريمة تامة أو تتخذ وضعا آخر، ذلك لأن الاختلاس يقع بتغيير النية في الحيازة ويتم ذلك لحظة بدأ التنفيذ فيها (صالح ، 1996، ص32).

كما لا يتصور الشروع باعتبار أن لجاني لديه السيطرة الفعلية على المال، ومن ثم فإن حيازته للمال بنية التملك هي التي تحدد وقوع الاختلاس، ومن هنا يمكن القول بأن هذه الجريمة إما أن تقع تامة أو لا تقع على الإطلاق (مرين، 2017، ص93)

أما بخصوص الاشتراك في جريمة الاختلاس أحالت المادة (52) من القانون المرقم 06-01 على قانون العقوبات، وبالرجوع إلى المادة (42) منه نجدها عرفت الاشتراك بأنه يعد شريكا في الجريمة من لم يتصل بها مباشرا ، ولكنه ساعد بكل الطرق الفاعل على ارتكاب الأفعال التحضيرية أو المسهلة أو المنفذة لها مع علمه بذلك ."

ومن هذا التعريف يتضح لنا أن المشرع الجزائري قد حدد مجال الاشتراك في المساعدة فقط دون غيرها من صور المساهمة التبعية، أي بمعنى أن الشريك هو كل من ساهم في الجريمة بدور عرضي أو ثانوي، كما وأن المشرع الجزائري ساوى من حيث المسؤولية بين الشريك والفاعل الأصلي، وعليه فإن ثبوت مسؤولية الشريك عن الاختلاس يتطلب إثبات جميع الأركان المكونة له .

وفي هذا الصدد ذهبت المحكمة العليا الجزائرية الى قبول الطعن المقدم من قبل السيد (خ م) ضد النيابة العامة في الحكم الصادر في1997/5/25 لاتهامه بالمشاركة في جريمة الاختلاس، لأن الحكم لم يستظهر الأركان المكونة للجريمة المنسوبة إليه .

يتضح مما تقدم أن الركن المادي لجريمة الاختلاس يتمثل أساسا في فعل الاختلاس ويتحقق بإضافة الجاني مال الغير الموجود في حوزته إلى ملكه الخاص، واتجاه نيته إلى اعتبار أن هذا المال مملوك له، وتظهر نيته في التملك من خلال مختلف الأعمال المادية التي تقع على هذا المال .

ثانيا- محل الجريمة

حددت المادة (41) من قانون مكافحة الفساد الجزائري محل الاختلاس بالممتلكات أو الأموال أو الأوراق المالية الخاصة أو الأشياء الأخرى التي عهد بها الى الجاني بحكم وظيفته، وعليه فإن محل جريمة الاختلاس لا يكون وقعا على الأشياء ذات القيمة الاقتصادية وحدها كالنقود والأوراق المالية، بل تشمل كل شيء ذي قيمة، وذلك لأن كل ما يدخل في حيازة الموظف بحكم وظيفته ينبغي الحفاظ عليه، وعلى هذا الأساس سوف نوضح بالتفصيل ماهية محل جريمة الاختلاس للأموال العائدة لمؤسسات القطاع الخاص وعلى النحو الاتي:

1. الممتلكات

بالرجوع إلى نص المادة الثانية من القانون 06-01 في الفقرة "و" منها نجد أنها عرفت الممتلكات كما يلي: "هي الموجودات بشتى أنواعها سواء كانت مادية أو غير مادية، منقولة أو غير منقولة، ملموسة أو غير ملموسة والمستندات أو السندات القانونية التي تثبت ملكية تلك الموجودات أو وجود الحقوق المتصلة بها ."

ويراد بالمستندات جميع الوثائق التي تثبت حقا كعقود الملكية والأحكام القضائية وغيرها، ومن هنا يتبين لنا أن المشرع من خلال تعريفه للموجودات قد توسع ليشمل المنقولات كافة كالسيارات والمعادن الثمينة ويشمل أيضا الممتلكات غير المنقولة كالعقارات بمختلف أنواعها (نجار، 2014، ص345).

2. الأموال

ويراد بها النقود بنوعيها الورقي أو المعدنية، ويشترط في هذه الحالة أن تكون هذه الاموال قد سلمت للجاني في الكيان الذي يعمل فيه بحكم وظيفته (هنان، 2010، ص112).

3. الأوراق المالية

وتتمثل بالصكوك القابلة للتداول بالطرق التجارية، وتمثل حقا للمساهمين والمقرضين موضوعها مبلغ معين من النقود ومواعيد الوفاء بها طويلة الأجل من بينها: الأسهم السندات والأوراق التجارية (شريفي، 2013، ص14) .

أ- الأسهم: وهي السندات القابل للتداول تصدر عن شركة مساهمة كجزء من رأسمالها .

ب- السندات: كما سبق تعريفها هي تلك الموجودات التي تثبت ملكية الحقوق المتصلة بها.

ج- الأوراق التجارية: هي سند محرر بالشكل المعين في القانون يكون قابلا للتداول ويتضمن حقا لحامله أو المستفيد منه يتمثل بمبلغ من النقود يدفع من قبل الملتزم بموجب السند في أجل قصير أو عند الاطلاع (سامي، 2009، ص18) .

4. الأشياء الأخرى ذات القيمة

يتسع محل الاختلاس ليشمل أي شيء آخر غير ما سبق بيانه، والأصل أن يكون هذا الشيء ذي قيمة مادية أو قابل للتقويم بالمال معناه يجوز أن يكون موضوع الاختلاس شيئاً له قيمة معنوية ومن أمثلة الأشياء الأخرى ذات قيمة المحاضر التي تحرر في إطار الدعاوى القضائية .

وبالرجوع إلى نص المادة (41) من قانون مكافحة الفساد الجزائري نجد في نصها: اختلاس" أية ممتلكات أو أموال أو أوراق... فالنص جاء واسعا ليشمل الأموال العقارات وسواء كان لهذا المال قيمة مالية أو اقتصادية أو اعتبارية، ويستوي أن يكون محلها أموال أو أوراق مالية أو أشياء أخرى ذات قيمة مالية.

ثالثا: علاقة السببية

يشترط لقيام الركن المادي في جريمة الاختلاس في القطاع الخاص توافر علاقة سببية بين حيازة الجاني للمال وبين وظيفته أي أن المال سلم للجاني بحكم مهامه، وما يميز نص المادة (41) من القانون الجزائري رقم 06-01 أنها حصرت الاختلاس في المال الذي يعهد للجاني بحكم وظيفته، في حين المادة (29) جعلت اختلاس المال العام يمتد إلى المال الذي يعهد إلى الجاني بحكم وظيفته أو بسببه، وبناءً على هذا ينبغي توافر شرطين لتحقق العلاقة السببية بين الجاني ومحل الجريمة وهما:

أ- وجود المال محل الجريمة في حيازة الجاني

لا يكفي لقيام الاختلاس أن يرتكب الجاني فعلا ينتقل فيه المال الى حيازته، بل يتعين أن يكون هذا المال موجودا في حيازة الجاني، فلا يمكن قيام جريمة الاختلاس في القطاع الخاص باختلاس الجاني الذي تتمثل صفته في المدير باختلاس ممتلكات أو أموال أو الأوراق أو الأشياء الأخرى ذات قيمة، وإنما ينبغي أن يكون محل الجريمة موجودا في حيازته (أبو عامر، 1999، ص505).

والحيازة المقصود بها هنا هي الحيازة الناقصة والتي يملك الجاني من خلالها سلطة تسمح له بالتصرف في المال ، معناه يكون المال موضوع الاختلاس في الحيازة الناقصة للجاني وتعني هذه الحيازة من الوجهة الإيجابية أن له السيطرة الفعلية والصفة القانونية. فتتمثل السيطرة الفعلية في أدنى مظاهرها

في المحافظة على المال ورعايته حتى يسلم إلى أصحاب الحق فيه أو موظف آخر، وقد تصل هذه السيطرة إلى حد الاستعمال أو التصرف فيه (عبد المنعم، 1993، ص287) .

أما الصفة القانونية فتعني أن ما يمارسه الجاني على المال من سلطات هو بناءً على تصريح قانوني أو أمر يصدر له من رئيس تجب عليه طاعته، وتطبيقا لذلك فإنه لا يكفي لاستيلاء الجاني على المال الذي يحوزه حيازة بل لا بد من حصوله على الحيازة الكاملة للمال (حسني، 1977، ص99) .

أما الحيازة الناقصة من الوجهة السلبية فهي أن الجاني لا يملك أية صفة أصلية على المال، وإنما يسلم له على أنه يحوزه باسم الكيان الذي يعمل فيه وهو ملزم برده أو التصرف فيه على وجه معين (مراد، 2016، ص164) .

وعليه فإن الحيازة الناقصة تتحقق عندما يتوفر الركن المادي فقط، أي يتحقق فيها الحالة الواقعية والسيطرة المادية دون الركن المعنوي فيكون للجاني من خلالها حق حيازة المال من الناحية المادية، فالحيازة المقصودة في جريمة الاختلاس في القطاع الخاص هي حيازة على سبيل الامانة (حسني، 1977، ص99) .

وعليه فالاختلاس لا يقوم إذا تم تسليم المال على سبيل الحيازة الكاملة، كما لو كان جزء من مكافأة، وذلك لأن التصرف فيها في هذه الحالة يعد مشروعا .

كذلك إذا كان للجاني يد عارضة (حيازة عارضة) والتي لا تتوافر لا على الركن المادي ولا المعنوي وتكون يد الحائز على الشيء يلتزم برده لصاحبه بمجرد انتهاء الغرض منه، وعليه فالحائز هنا استلم الشيء لفحصه تحت إشراف مالكه، فالمال الذي بين يديه لا يعد جريمة اختلاس في هذه الحالة (عمر، 2016، ص53) .

ب- وجود المال محل الجريمة في حيازة الجاني بحكم مهامه

اشترط نص المادة (41) من القانون الجزائري المرقم 06-01 لتحقق فعل الاختلاس أن يكون المال قد سلم له بسبب وظيفته وذلك بقولها: "...عهدت إليه بحكم مهامه" معناه أن يكون المال الذي اختلسه قد وكل إليه بحكم مهامه وقد يكون هذا المال عبارة عن عقار أو منقولا نقودا أو أشياء أخرى ذات قيم مهما كان نوعها .

ويتعين أن يكون وجود المال في حيازة الجاني بسبب وظيفته، ولا يقتضي هذا الشرط أن يكون المال قد سلم إلى الجاني تسليما فعليا وإنما يكفي أن يوجد في حيازته بسبب الوظيفة كما لو استولى عليه عنوة لأن اختصاصات وظيفته قد خولت له ذلك، أي ينبغي أن تتوافر علاقة سببية ببين اكتساب الحيازة وممارسة الاختصاصات التي خولت للجاني (السيد، 2011، ص503) .

ويتعين أن يكون المال قد دخل في حيازته بسبب وظيفته، ويستوي أن يكون المال قد سلم له بمقتضى تسليم فعلي أو حكمي (مصطفى، 1974، ص61).

ويكون التسليم فعليا إذا سلم الشيء للجاني بصورة مادية، سواء سلم له بصورة طواعية أو عن إكراه، ويتحقق سبب الوظيفة إذا كانت حيازة الشيء من مقتضيات العمل أو أنها تدخل في اختصاص الجاني استنادا إلى نظام مقرر أو أمر إداري صادر ممن يملكه أو مستمد من القوانين واللوائح . وبعبارة أخرى يجب أن يكون حيازة الجاني للمال قد تم بحكم وظيفته أو بمقتضاها أو من اختصاصات الوظيفة (عبد المنعم، 1993، ص286).

لذلك ينبغي أن تتوافر رابطة سببية بين اكتساب الحيازة للمال وممارسة الاختصاصات المخولة للجاني بناءً على القانون، أي بمعنى ينبغي أن تتوافر رابطة سببية بين الوظيفة وتسليم المال بناءً على إجراءات صحيحة مستوفية لكامل ما يشترطه القانون، ويترتب على تخلف الرابطة السببية على هذا النحو انتفاء قيام جريمة الاختلاس كون أن الوظيفة هي التي مكنت الجاني من قبض المال أو حيازته (الشاذلي، 2014، ص211) .

وإذا ثبتت الرابطة السببية أي وجود المال بين يدي الجاني بحكم الوظيفة أو بحكم الاختصاص توافرت في حقه جريمة الاختلاس، ولا يعتد في ذلك بما إذا كان المال قد سلم بورقة عرفية أو بدون ورقة، كما يؤثر في قيام جريمة الاختلاس قانونا وتوافر الصلة بين حيازة المال والوظيفة أن يكون الجاني قد أثبت في دفاتره المال الذي تسلمه أم لم يثبت ذلك(الشاذلي، 2014، ص212).

وبناءً على ما تقدم فإنه لا يكفي أن يكون الجاني مديرا يدير كيان اقتصادي أو مالي أو تجاري، وإنما لا بد أن يكون ما اختلسه قد وكل إليه بحكم مهامه أي إدارته للكيان .

الفرع الثاني- الركن المعنوي

إن جريمة الاختلاس بجميع صورها وكغيرها من الجرائم المنصوص عليها في قانون العقوبات، اشترط المشرع الجزائري الركن المعنوي فيها، ولكي يتحقق هذا الركن لابد من توافر القصد العام وهو ضرورة أن يكون الجاني على علم بارتكاب الجريمة وكذلك اتجاه إرادته لارتكابها وكذلك القصد الخاص وهذا ما سيتم توضيحه كالتالي:

أولا- القصد العام

يقوم الركن المعنوي في هذه الجريمة على توافر القصد الجنائي، فهي جريمة عمدية في كل صورها، وعليه يجب أن يكون الجاني على علم أن المال الذي في حوزته هو ملك للغير وليس له، ومع ذلك تتجه إرادته على حجزه واختلاسه .

أ- العلم بالاختلاس

يجب أن يعلم الجاني الذي هو المدير أو المستخدم داخل الكيان الخاص بأن المال الذي سلم إليه كان بحكم مهامه، وليس له حق التصرف فيه تصرف المالك، فإذا دلت وقائع الدعوى على انتفاء هذا العلم فقدت الجريمة ركنها المعنوي، وذلك كان يجعل المتهم أن المال في حيازته الناقصة (عبد الستار، 1982، ص123)، كما لو اعتقد أن النقود التي أخذها هي جزء من راتبه الشهري كان قد وضعه مع النقود التي يحوزها لحساب (الكيان) في خزينة واحدة، وقد يعتقد الجاني أن المال الذي في حيازته لا علاقة له بمهامه، وإنما هو وديعة خاصة من صاحبه، فإن القصد العام ينتفي في هذه الحالة .

وإذا كان العلم شرطا لتوافر القصد العام، فإن الجهل في الواقعة يؤدي إلى انتفائه، فالجهل يعني انتفاء العلم، كما أن الغلط يعني العلم على نحو يخالف الحقيقة، والعلم يتطلب أن يحيط الجاني بكل الوقائع التي يتطلبها القانون لقيام الجريمة (بهنام، 1977، ص198) وهي كل من:

1. موضوع الحق المعتدى عليه

لقيام القصد الجنائي وجب أن يكون الجاني على علم بموضوع الحق الذي يعتدي عليه إنسان حي، وفي جريمة الاختلاس يعلم الجاني بأن المال ليس مملوك له، وبأنه عهد له بمقتضى وظيفته التي خولت له، أي أن المال أو السند أو العقد أو الوثيقة الموجودة بحوزته ليست ملكا له وأنه سلم له على سبيل الأمانة (عبد العزيز، 2006، ص165).

2. العلم بخطورة الفعل على المصلحة المحمية قانونا

فإذا اعتقد الجاني أن فعله لا يكون اعتداءً على مصلحة المحمية قانونا، ثم قام بفعله على هذا الأساس، فإن فعله لا يعد جريمة عمدية إذ ينتفي القصد لديه، ففي جريمة الاختلاس إذا كان الجاني على علم بأن الشخص قد سلم له العقد أو المال على سبيل الائتمان ولثقته في تلك المؤسسة .

3. العلم بزمان ومكان ارتكاب الفعل

إذا كان الأصل أن القانون يجرم الفعل من حيث الزمان والمكان، إلا أن هناك بعضا من الجرائم قد ترتكب في زمان أو مكان معينين، كما قد يجتمع الشرطان معا. ففي جريمة الاختلاس تقوم الجريمة إذا كان الجاني وهو الموظف قد قام بالفعل أثناء شغله للوظيفة، أي في الوقت الذي كان يشغل منصبه، ووفقا لما خوله القانون له (عبد المنعم، 1993، ص294).

4. توقع النتيجة

يهدف من أتى فعلا إلى تحقيق نتيجة معينة يرغب فيها، وتوقع هذه النتيجة هو أمر مطلوب للقول بتوافر القصد لديه، ففي جريمة الاختلاس فإن الموظف في الكيان الخاص مهما كانت صفته بفعله يتوقع النتيجة، وهي الإضرار بمصلحة الغير (عبد العزيز، 2006، ص156).

ب- إرادة الاختلاس

إن الإرادة هي عبارة عن قوة نفسية تتحكم في سلوك الإنسان، فهي نشاط نفسي يصدر عن وعي وإدراك من أجل بلوغ هدف معين، فإذا توجهت الإرادة المدركة والمميزة عن علم لتحقيق الواقعة الإجرامية تحققت مسؤولية الجاني عن النتيجة الجرمية، وتشمل الإرادة هنا إرادة السلوك ونتيجته والذي يتمثل في الاعتداء على المصلحة المحمية قانونا (السيد، 2011، ص517).

وعليه فإن الجريمة الاختلاس جريمة يشترط أن تتوافر في ركنها المعنوي القصد الجنائي بعنصري العلم والارادة، ومن ثم تتجه إرادة الجاني إلى الاستيلاء على الشيء مع علمه بأنه مملوك للغير، وعليه لا يتوافر القصد الجنائي العام إذا فقد الموظف أو العامل الشيء الذي يحوزه بسبب إهماله أو تصرف فيه جهلا منه بأنه سلم إليه بسبب أو مقتضى وظيفته .

ثانيا: القصد الخاص

لا يكفي العلم والإرادة لقيام الجريمة، وإنما يلزم أن يتوافر قصد خاص يتمثل في نية التملك لمحل الاختلاس، والمدلول الحقيقي لقصد التملك هو إرادة الظهور على الشيء بمظهر المالك له، وهو مظهر هذا العنصر في الغالب (أبو عامر، 1999، ص509).

ويقوم هذا القصد على عنصرين :

أ- عنصر سلبي: هو إرادة حرمان المالك الشرعي من سلطاته على الشيء، ومظهر العنصر في الغالب هو العزم على عدم رده سواء تلقائيا أو عند المطالبة به .

ب- عنصر ايجابي: قوامه إرادة المختلس أن يحل محل المالك في سلطاته على الشيء بأن ينقل حيازته المحمية قانونا. العلم والإرادة . الجريمة. كليا إليه ويدخله في ملكه.

وبناءً على ما سبق فإذا انصرفت إرادة الجاني الى استعمال محل الاختلاس فقط دون تملكه، فلا يعد مرتكبا الجاني مختلسا، ولربما يكون الاستعمال ذاته دليلا على نية التملك إذا توافرت أدلة أخرى قوية، كما لو لم يرد الشيء بعد المطالبة به، والأمر نفسه ينطبق على المستخدم الذي يهمل صيانة مال الكيان بقصد تعريضه للهلاك وإضاعته، إذ لا تتوافر لديه نية التملك (الشاذلي، 2014، ص243).

ومما تجدر الإشارة اليه أنه إذا توافرت نية تملك المال المختلس، فإن القصد الخاص لقيام الاختلاس يعد قائما إذا كانت لدى الجاني نية رد المال بعد ذلك، أو أن يكون قد رده فعلا أو يحرر على نفسه إقرارا يلتزم فيه بالرد (القهوجي، 2002، ص86) .

ويفهم من هذا القصد انصراف نية الجاني إلى إضافة الشيء إلى ملكيته أي التصرف فيه تصرف المالك. فاذا انصرفت ارادته الى استعمال الشيء دون تملكه فلا يعد مرتكباً لجريمة الاختلاس، كمن يستعمل سيارة العمل مثلاً لأغراض خاصة.

والواقع أن نية التملك هي كل ما يدل على قيام القصد الخاص سواء انصرفت إلى ضم المال إلى ملك المختلس أو إلى ملك غيره ودون أن ينال من ملكه شيء، أو يهدف من وراء الاختلاس مثلا وضع كل المال في مشروع خيري فمهما كان الباعث شريفا لا ينفي نية الاختلاس، ومتى ثبتت نية التملك تحقق القصد الخاص ولو علق الجاني رد المال المختلس (السعيد، 2011، ص519) .

ويلاحظ أيضا أن نية التملك لا تتطلب من الجاني الإثراء على حساب المجني عليه، ولا يشترط المشرع الجزائري عنصر الاستفادة من الأموال المختلسة، كما لا يتطلب أن يكون قصد الجاني التسبب في إفقار المجني عليه، إذ يقوم الاختلاس بمجرد الحصول على الشيء بنية تملكه ولو ترك مكانه مبلغا نقديا يزيد على قيمته وعليه فالاختلاس ليس فعلا ماديا بحتا ولا نية داخلية محضة بل هو مركب منهما معا، وفي هذا الصدد ذهبت المحكمة العليا الجزائرية في قرار لها في 27 مارس 2001 يقضي ببراءة المتهم من جريمة تبديد أموال عامة وتوفر فيها الركن المادي فقط وأغفلت العناصر الأخرى (العيدي، 2017، ص16) .

ثالثا- إثبات القصد الجنائي

في حالة ما إذا ارتكب الاختلاس من طرف الفاعل وتمت ملاحقته قانونيا فإنه ينبغي على القاضي الجزائي المختص أن يثبت توافر القصد العام والخاص، وهذا الإثبات يشمل العلم بالاختلاس ووقت توافر العلم .

أ- إثبات توافر العلم بالاختلاس

إن الركن المعنوي هو علم الجاني بارتكاب الفعل المجرم واتجاه إرادته إلى ذلك، فالجاني يقوم بأفعال وهو مدرك لما يفعل، وذلك هو القصد العام، كما قد يتطلب القانون إلى جانب ذلك القصد الخاص في بعض الجرائم، وأن يقصد الجاني تحقيق نتيجة بذاتها، كأن يكون الاختلاس سوء نية، بمعنى أن الفعل إن وقع في بعض الجرائم الخاصة عن علم وإرادة ولكنه صدر بحسن نية دون أن يقصد الفاعل تحقيق أية نتيجة، فلا يعد جريمة وعلى جهة المتابعة في كل الحالات إثبات القصد الجنائي العام والخاص بالنسبة لجميع الجرائم العمدية، بما فيها جريمة الاختلاس وتقدير توافر القصد الجنائي من عدمه مسألة وقائع يختص بتقديرها قاضي الموضوع فيستخلصها من وقائع وملابسات القضية بكافة الأدلة والقرائن من أجل إثبات النية الجرمية المتوفرة في الاختلاس، والقانون لم يضع أية شروط وقيود لذلك (نجيمي، 2002، ص58) .

والقصد الجنائي باعتباره مسألة معنوية باطنية، فإن إثباته يقتضي حتما الاعتماد على قرائن وبحسب الوقائع والملابسات في القضية، وعلى القاضي إبراز توافره في حكم الإدانة.

وفي بعض الأحيان يتدخل المشرع ويشترط وجود قرائن قانونية تعفي الجهة التحقيقية والمحكمة من إثبات القصد الجنائي، فإذا كانت القرينة بسيطة ينقل عبئ الإثبات إلى المتهم ليثبت حسن نيته، أما إذا كانت القرينة القانونية قاطعة، فإنه لا يقبل من المتهم إثبات عكسها .

ب- توافر العلم بالاختلاس وقت ارتكاب السلوك الإجرامي

إن توافر العلم لدى الفاعل يكون وقت ارتكاب النشاط الجرمي، أي إثبات أن المتهم كان يتمتع بكافة قواه العقلية في الوقت الذي ينسب فيه أنه ارتكب الجرم، وإثبات عدم قيام أي سبب يمنع ذلك، كأن تكون هناك قوة قاهرة دفعته للقيام بفعله .

ومسألة تقدير وجود الركن المعنوي من عدمه يرتبط بنموذج التجريم، مثلما يستخلص من نص القانون من ناحية، ولعبرة بلحظة بدأ النشاط إذ بتوافره في ذلك الوقت تكتمل بنية الجريمة، ومن ثم فإن النيابة العامة وجهة المتابعة هي التي تتكفل بإثبات الركن المعنوي، وإثبات عدم قيام أي مانع قانوني.

الفرع الثالث- العقوبات المقررة لجريمة اختلاس أموال القطاع الخاص

بعد أن استعرضنا بشيء من التفصيل أهم أركان جريمة اختلاس أموال المؤسسات التابعة للقطاع الخاص، لا بد لنا من الإشارة الى العقوبة المقررة لجريمة اختلاس أموال القطاع الخاص في التشريع الجزائري والتشريع العراقي وأهم أوجه الاختلاف بينها وبين مثيلتها في جريمة الاختلاس في القطاع العام وذلك على النحو الأتي:

أولا- العقوبات المقررة لجريمة اختلاس أموال القطاع الخاص في التشريع الجزائري

تعد جريمة اختلاس الأموال والممتلكات من قبيل الجنح في القطاعين العام والخاص، رغم اختلاف العقوبات المقررة لها في نص المادتين (29 و41) من القانون الجزائري رقم 06-01، إذ يعاقب المشرع الجزائري على فعل الاختلاس في القطاع العام وفقا لنص المادة (29) بالحبس من سنتين الى عشر سنوات وبغرامة من 200000دج الى 100000دج"، في حين يعاقب عن ذات النشاط الجرمي المرتكب في القطاع الخاص بالحبس من ستة أشهر الى خمسة سنوات، وبغرامة من 50000 – 500000 دج، هذا إذا كان المسؤول شخصا طبيعيا وفقا لنص المادة (41) من القانون الجزائري .

أما إذا كان المسؤول شخصا معنويا خاصا، فأنه يعاقب بالغرامة وفقا لنص المادة (53) من القانون 06-01 الخاص بمكافحة جرائم الفساد وبدلالة نص المادة (15) من قانون العقوبات الجزائري التي حددت الأشخاص المعنوية الخاضعة للقانون الخاص كالمؤسسات العامة الاقتصادية والمؤسسات ذات رأس مال مختلط والمؤسسات الخاصة التي تقدم خدمات عامة ومن ثم يستثنى من المساءلة القانونية كل شخص معنوي خاضع للقانون العام.

وبصدد العقوبة الأصلية التي يمكن أن يحكم بها على الشخص المعنوي الذي يرتكب جريمة اختلاس الأموال والممتلكات، فقد أشار إليها نص المادة (18) مكرر من قانون العقوبات الجزائري وتتمثل في غرامة تساوي خمسة أضعاف الحد الاقصى للغرامة المقررة لجريمة اختلاس في نطاق القطاع العام أي بما يعادل 1000000دج.

ولا تختلف العقوبات التكميلية المقررة للاختلاس سواء في القطاع العام أو الخاص، إذ أشارت المادة (50) من قانون مكافحة الفساد الجزائري النافذ الى امكانية معاقبة الجاني المدان بجريمة اختلاس الاموال والممتلكات سواء في القطاع العام او الخاص بعقوبة او اكثر من العقوبات التكميلية المنصوص عليها في المادة (9) من قانون العقوبات الجزائري والتي تتخذ كما نعرف طابعا جوازيا يخضع توقيعها من عدمه الى سلطة القاضي التقديرية، وتتمثل هذه العقوبات فيما يلي: المنع من الإقامة- تحديد الإقامة - الحرمان من ممارسة الحقوق الوطنية - المصادرة الجزائية للأموال- حل الشخص الاعتباري – نشر الحكم.

كما أشار نص المادة (18) مكرر من قانون العقوبات الى العقوبات التكميلية التي يمكن للقاضي ان يحكم بواحدة منها أو اكثر على الشخص المعنوي مرتكب جريمة الاختلاس وهي: الوضع تحت الحراسة القضائية- نشر وتعليق حكم الإدانة - مصادرة الشيء الذي استعمل في ارتكابا لجريمة - المنع من مزاولة النشاط - الإقصاء من الصفقات العمومية - غلق المؤسسة أو فرع من فروعه لمدة لا تتجاوز خمس سنوات – نشر وتعليق حكم الإدانة – الوضع تحت الحراسة القضائية.

ثانيا- موقف المشرع العراقي من جريمة اختلاس الأموال العائدة لمؤسسات القطاع الخاص

يضطلع القطاع الخاص بدور أساس وجوهري، في الدول التي تعتمد نظام (اقتصاد السوق)، في تحقيق التنمية الاقتصادية. وقد استقرت ملامح هذا النظام في بعض الدول، وباتت قوى القطاع الخاص هي القوى التي تتولى قيادة وتوجيه مفردات (الاقتصاد الجزئي)، واقتصر دور الدولة على تحديد قواعد العمل ومراقبة تنفيذ القوانين وحماية الملكية الخاصة وانتاج السلع العامة ورسم الأهداف الاجتماعية.

وإذا كان دور القطاع الخاص بهذا الوضوح في تلك الدول، فانه بالتأكيد ليس على هذا النحو من الوضوح والرسوخ في الدول التي تحولت اقتصادياتها من (نظام التخطيط المركزي) إلى (نظام اقتصاد السوق)، ومنها العراق سيما مع غياب الآليات الواضحة لذلك الانتقال، الأمر الذي قد يفتح المجال واسعا لتحول هذا القطاع إلى قطاع طفيلي، يعيش على المال العام ويستنزفه، دون أن يقدم خدمات حقيقة.

إن تراجع دور الدولة في مجالات (الإنتاج والدخول والتوظيف والخدمات الاجتماعية) أدى إلى بروز دور القطاع الخاص في قيادة تلك القطاعات، والحلول محل الدولة فيها، وما قد يرافق ذلك من صور الفساد في القطاع الخاص يأتي في مقدمتها جريمة الاختلاس .

وقد تنبهت اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد المبرمة في عام 2003 إلى ذلك الأمر فجعلت من ضمن مبادئها التي ألزمت الدول الموقعة (ومنها العراق) باتباعها، هو وضع التشريعات اللازمة لمكافحة الفساد في القطاع الخاص، والتزاما من العراق بذلك المبدأ فقد نصت المادة (3/ثالثا) من قانون هيئة النزاهة على دور الهيئة في تنمية ثقافة مكافحة الفساد في القطاعين العام والخاص.

غير أن القانون المذكور لم يشير بشكل واضح للجرائم المنصوص عليها في اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد لعام 2003 وهي (الرشوة و الاختلاس في القطاع الخاص) هذا من جانب ومن جانب أخر أغفل الإشارة لإجراءات التحقيق في هذه الجرائم ضمن اختصاص الهيئة التحقيقي .

وفي رأينا أن ذلك يمثل نقصا تشريعيا وإجرائيا ينبغي تداركه،كما نص قانون مكافحة غسل الأموال وتمويل الإرهاب على جملة من العقوبات التي تطال (المؤسسات المالية الخاصة) في حال مخالفتها لأحكام القانون، وكذلك فعل المشرع سابقا في قانون الشركات رقم (21) لسنة 1997 فيما يتعلق بمخالفة (الأحكام التنظيمية) للقانون من قبل الشركات، ولم يتضمن أحكاما عقابية لصور الأنشطة غير المشروعة للشركات، وهو أمر طبيعي في ظل صدور القانون في وقت كان الاقتصاد فيه موجها، وكان دور الشركات العائدة للقطاع الخاص ضئيلا ومحدودا.

ناهيك عن أن المشرع العراقي قد نص في قانون العقوبات العراقي على بعض الجرائم التي تقع في نطاق القطاع الخاص كجريمة الغش في المعاملات التجارية، وجريمة التدخل في حرية المزايدات

والمناقصات، وهذا يعني أن رؤية الدولة في مكافحة الفساد في القطاع الخاص لا تزال غير واضحة وتتوزع أحكامها بين عدة قوانين، وهي في مجملها قاصرة عن معالجة الكثير من صور الفساد في القطاع الخاص، التي بدأت تظهر مع تعاظم دوره في العراق واحتلاله مرتبة الصدارة في قيادة قطاعات (النفط والكهرباء والصحة والتعليم والاتصالات) وغير ذلك من القطاعات الحيوية.

الخاتمة

بعد هذا العرض الوجيز لموضوع المسؤولية الجزائية عن اختلاس الأموال العائدة لمؤسسات القطاع الخاص واكمال بحثنا هذا والحمد لله، توصلنا الى جملة من النتائج والتوصيات نوجزها على النحو الاتي :

أولا- النتائج

1. لم يرد في التشريعات العقابية العراقية لاسيما قانون العقوبات النافذ ولا مشروعه المزمع صدوره تعريفا لجريمة الاختلاس في مؤسسات القطاع الخاص، بل أكتفى واضعو المشروع على الإشارة الى جريمة الاختلاس في مؤسسات القطاع العام دون أي نص يحتم التجريم والعقاب، فضلا عن أن قانون هيئة النزاهة العراقي لم ينص على الجرائم التي تستهدف أموال القطاع الخاص، وإنما غلب عليه الطابع الإجرائي، رغم ورود النص في الفقرة (رابعا) من المادة (3) على أنه " تعمل الهيئة على المساهمة في منع الفساد ومكافحته واعتماد الشفافية في إدارة شؤون الحكم على جميع المستويات عن طريق إعداد مشروعات قوانين فيما يساهم في منع الفساد أو مكافحته ورفعها الى السلطة التشريعية المختصة عن طريق رئيس الجمهورية أو رئيس الوزراء أو عن طريق اللجنة البرلمانية المختصة بموضوع التشريع المقترح."
2. أن واقع الاختلاس في العراق شأنه شأن الحال في الجزائر يعد من أكثر صور الفساد انتشارا سواء في القطاع العام أو القطاع الخاص، لذلك جرم المشرع الجزائري دون العراقي هذا الفعل في القطاعين.
3. إن الاختلاف الوحيد بين النموذج القانوني للاختلاس في القطاع الخاص عنه في مجال الوظيفة العامة هو صفة الجاني، حيث يقع الاختلاس في القطاع الخاص من أي شخص يتولى إدارة الشركة أو بصفة عامة الكيان التابع للقطاع الخاص أو يعمل لديه بأي صفة كانت، أما الاختلاس في مجال الوظيفة العامة فإنه لا يتحقق إلا من شخص توافرت فيه صفة الموظف العام أو الشخص المكلف بخدمة عامة، وهذا ما لمسناه وفقا للقانون الجزائري حيث تعد جريمة الاختلاس في القطاع الخاص من جرائم الصفة التي تتمثل بوجود ركن مفترض يعبر عنه بالشخص الذي يدير كيان تابع للقطاع الخاص، وهذا ما جعل لها طابع خاص عن جريمة الاختلاس التقليدية التي تحتاج الى وجود صفة بمرتكب الجريمة كركن مفترض ألا وهو (الموظف العام).
4. وفقا للقانون الجزائري لا يمكن تطبيق أحكام جريمة الاختلاس، إلا في الجرائم التي تستهدف الكيانات التي تزاول نشاطا اقتصاديا أو ماليا أو تجاريا، ومن ثم يكون هدفها تحقيق الربح، أما بخصوص محل الجريمة فإنه يتمثل بالأشياء التي لها قيمة من ممتلكات أو أموال أو أوارق مالية .
5. أتضح لنا من خلال نص المادة (40) من قانون مكافحة الفساد الجزائري، إن المشرع قدر أن خطر الاختلاس في القطاع الخاص اقل مما هو علية في القطاع العام، فجعل من عقوبة جريمة الاختلاس في القطاع الخاص أخف من عقوبة جريمة اختلاس الموظف العام، مع أن كلتا الجريمتين لهما نفس التوصيف القانوني الا وهو وصف الجنحة، وهذا موقف منتقد في الواقع، رغم أنه قد قرر مسؤولية للشخص المعنوي في حال ارتكابه لهذه الجريمة من قبل ممثله ولحسابها.
6. توصلنا أيضا الى أن جريمة اختلاس أموال القطاع الخاص تعد من قبيل جرائم السلوك المجرد، ومن ثم لا يتصور الشروع فيها، تأسيسا على أن للجاني السيطرة الفعلية على المال، ومن ثم فإن نية حيازته هي التي تحدد وقوع الاختلاس، ومن ثم فإن الاختلاس، إما أن يقع تاما أو لا يقع على الإطلاق.

7. توصلنا أيضا الى أن الاشتراك في جريمة اختلاس أموال القطاع الخاص يتحقق وفقا للقواعد العامة للاشتراك فقط في صورة واحدة فقط (المساعدة) على ارتكاب الجريمة دون الصور الأخرى للاشتراك، وذلك لأن الشريك في هذه الجريمة هو كل من ساهم في فيها بصفة عرضية أو ثانوية.

ثانيا- التوصيات

1. ندعو المشرع العراقي الى ضرورة النص على تجريم الاختلاسات التي تطال أموال القطاع الخاص وجعلها من قبيل الجنايات وليس من قبيل الجنح وذلك لتأثيرها الكبير على اقتصاديات ومجهودات الاستثمار في نطاق القطاع الخاص، وإن كانت لا تستهدف المال العام، ولكن هدر المال الخاص في نطاق هذا النوع من القطاعات الاقتصادية يحقق ذات الحكمة من تجريم اختلاسات المال العام.
2. نتيجة لتخلف دور الدولة في مجالات (الإنتاج والدخول والتوظيف والخدمات الاجتماعية) برز الى السطح دور القطاع الخاص لأجل قيادة تلك القطاعات، والحلول محل الدولة فيها، وما قد يرافق ذلك من صور الفساد في القطاع الخاص يأتي في مقدمتها جريمة الاختلاس، وعليه ندعو المشرع العراقي الى فرض اقصى العقوبات ولا تقتصر على العقوبات السالبة للحرية، بل ينبغي فرض العقوبات المالية كونها تؤثر كثير في ذمة الجاني المحكوم عليه خصوصا الغرامة والمصادرة.
3. إعادة النظر في تكييف جريمة الاختلاس في القطاع الخاص في القانون الجزائري الموصوفة بجنحة وفي العقوبة المقررة لها وذلك بإعطاء عقوبات تتناسب مع حجم خطورة هذه الجريمة خاصة فيما يخص الغرامة، لاسيما أن ما يتم اختلاسه أكبر بكثير من مقدار مبلغ الغرامة
4. توحيد النص القانوني الذي يجرم ويعاقب على فعل الاختلاس في القطاعين العام أو الخاص والاكتفاء بنص واحد يجمع بين تجريم الاختلاس في المجالين، أو على الأقل إعادة النظر في النصوص المتعلقة بمكافحة الفساد سواء في القانون الجزائري أو العراقي.
5. النص على ظروف مشددة للعقوبة عن جريمة اختلاس أموال القطاع الخاص يأتي في مقدمتها تشديد العقوبة المفروضة إذا كانت قيمة المال المختلس في القانونين الجزائري والعراقي باهضة، ويترك تحديد هذه القيمة للقاضي الجنائي لكلا الدولتين وهو ما يشكل ردعا حقيقيا لمرتكبي هذه الجريمة.
6. ندعو الى الإسراع بوضع مقترحات في قانون النزاهة العراقي تجرم وتعاقب على ارتكاب جرائم الرشوة أو الاختلاس للمال العائد لمؤسسات القطاع الخاص استنادا لنص المادة (3/ رابعا) من قانون هيئة النزاهة العراقي.

المصادر

- جبران، مسعود، (1981) الرائد، مج 1، ط 1، دار العلوم للملايين، بيروت.
- سليمان، عبد الله ، (1998)، دروس في شرح قانون العقوبات الجزائري، القسم الخاص، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- سليمان، عبد الله، (1990)، دروس في شرح قانون العقوبات الجزائري، القسم الخاص، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- أبن منظور، جمال الدين بن مكرم،(2003)، لسان العرب، ج4 وج7، دار الحديث، القاهرة.
- ابراهيم مصطفى، احمد حسن الزيات، حامد عبدالقادر، محمد علي النجار، (2008)، المعجم الوسيط، ج1،ج2، بلا مكان طبع.
- القريشي، حمد صالح ، (1999)، التحول من القطاع العام إلى القطاع الخاص بين الأداء التنموي ومنطق صندوق النقط الدولي، دراسة في الاقتصاد السياسي للخصخصة ، من بحوث المؤتمر العلمي الثالث لجمعية الاقتصاديين العراقيين.
- حسني، محمود نجيب، (1977) شرح قانون العقوبات، القسم الخاص، دار النهضة العربية، مصر.
- جعفر، علي محمد ، (2006)، قانون العقوبات "جرائم الرشوة والاختلاس والإخلال بالثقة العامة والاعتداء على الأشخاص والأموال"، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

- رحماني، منصور، (2012)، القانون الجنائي للمال و الأعمال، الجزء الأول، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر.
- عميور، خديجة، (2012)، جرائم الفساد في القطاع الخاص في ظل التشريع الجزائري، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم الحقوق، تخصص قانون جنائي، جامعة قاصدي مرباح ورقلة.
- حطابي، هشام و الشادي عبد السلام، اختلاس الأموال بين القطاع العام والقطاع الخاص، مذكرة تخرج لنيل إجازة المدرسة العليا للقضاء، الدفعة السادسة عشر، 2005.
- صالح، نائل، عبد الرحمن، (1996)، الاختلاس: دراسة تحليلية مقارنه فقها وقضاء وتشريعا، دار الفكر للطباعة والنشر 2 والتوزيع، الطبعة الثانية، عمان.
- بكوش، مليكة، (2013)، جريمة الاختلاس في ظل قانون الوقاية من الفساد ومكافحته، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم القانون الخاص، جامعة وهران.
- خالدي، فتيحة و ميمون خيرة ،(2019)، اختلاس الأموال والممتلكات في القطاع العام و الخاص، مجلة الدراسات الاقتصادية المعاصرة، العدد الاول، المجلد (4.)
- نجم، محمد ، صبحي، (2014)، قانون العقوبات القسم الخاص، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن .
- بلال، أحمد، عوض، (2000)، النظرية العامة للجرمية، دار النهضة العربية، القاهرة.
- عبد العزيز سعد، (2012)، جرائم الاعتداء على الاموال العامة والخاصة، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، طبعة (6.)
- العيدي، إبراهيم، (2017)، الاختلاس في منظور القانون 06-10، مجلة القانون الدولي والتنمية، مركز القانون الدولي للتنمية المستدامة، المجلد (5)، العدد (1)، جامعة عبد الحميد أبن باديس، مستغنام.
- نجار، لويزة، (2014)، التصدي المؤسساتي والجزائي لظاهرة الفساد في التشريع الجزائري "دراسة مقارنة"، أطروحة دكتوراه في مقدمة الى،كلية الحقوق، قسم القانون الخاص، جامعة منتوري، قسنطينة.
- هنان، مليكة ، (2010)، جرائم الفساد، الرشوة والاختلاس وتكسب الموظف العام من وراء وظيفته في الفقه الإسلامي وقانون مكافحة الفساد الجزائري مقارنا ببعض التشريعات العربية، دار الجامعة الجديدة، الجزائر.
- شريفي، نسرين، (2013)، السندات التجارية في القانون الجزائري، دار بلقيس، الطبعة الأولى، الجزائر.
- سامي، فوزي محمد، (2009)، شرح القانون التجاري "الأوراق التجارية، سند السحب (السفتجة)، السند لأمر (الكمبيالة)، الشيك، الجزء الثاني، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان.
- أبو عامر، محمد، زكي، (1999)، قانون العقوبات الخاص، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان.
- عبد المنعم، سليمان، (1993)، قانون العقوبات الخاص "الجرائم الماسة بالمصلحة العامة"، الجامعة الجديدة للنشر، مصر.
- عمر، حماس، (2016)، جرائم الفساد وآليات مكافحتها في التشريع الجزائري، أطروحة دكتوراه، مقدمة الى جامعة ابي بكر بلقايد – تلمسان.
- كامل السيد، (2011)، شرح قانون العقوبات "الجرائم المضرة بالمصلحة العامة"، الطبعة الثانية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان.
- مصطفى ، (1974)، محمود، محمود، شرح قانون العقوبات – القسم العام، الطبعة التاسعة، مطبعة جامعة القاهرة.
- الشاذلي، فتوح ، عبد الفتاح، شرح قانون العقوبات – القسم الخاص، دار المطبوعات الجامعية، مصر، الطبعة الثانية.
- عبد الستار، فوزية، 1982، شرح قانون العقوبات - القسم الخاص، دار النهضة العربية، القاهرة.

- القهوجي، عبد القادر، علي، (2002)، القانون العام و القانون الخاص، جرائم الاعتداء على المصلحة العامة وعلى الإنسان والمال، منشورات الحلبي الحقوقية، الطبعة الثانية، لبنان.
- السعيد، كامل، (2011)، شرح قانون العقوبات "الجرائم المضرة بالمصلحة العامة"، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، الأردن.
- نجيمي، جمال، (2002)، اثبات الجريمة في ضوء الاجتهاد القضائي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر .

متطلبات بناء المعرفة وانعكاسها على تحقيق اهداف التنمية المستدامة

ا. د. ندى عبدالله العبيدي
رئيس جامعة التاج الملكي السويدي
Nada-alobedi@s-c-u.se
0046728333654

ا. د. الاء حسيب عبد الهادي الجليلي
رئيس قسم ادارة الاعمال/ جامعة الموصل
alaa_haseb@uomosul.edu.iq
009647738502183

ا. م. د منال عبد الجبار السماك
رئيس قسم ادارة الفنادق /جامعة الموصل
manal_abdulgabar@uomosul.edu.iq
009647738501814

المستخلص

سعت الدراسة الحالية في مضمونها الى تحديد العلاقات (الارتباط والتأثير) بين بناء المعرفة من جهة وتحقيق اهداف التنمية المستدامة من جهة ثانية ، من خلال دراسة استطلاعية لبعض العناصر القيادية في جامعة الموصل . ان اهتمام المنظمات ببناء المعرفة لتنعكس بشكل او اخر على تحقيق اهداف التنمية المستدامة يسهم في تعزيز موقعها التنافسي في بيئة تتسم بالديناميكية والمنافسة الشديدة. واعتمادا على ذلك فقد قام الباحثون بدراسة العلاقات (الارتباط والتأثير) بين متغيرات الدراسة . بشكل عام ، حاول البحث الإجابة على الأسئلة التالية :

ما هي العلاقة بين بناء المعرفة وأهداف التنمية المستدامة؟

توصل الباحثون إلى مجموعة من التوصيات أهمها :

- وجود ارتباطات وعلاقات ذات تأثير معنوي بين بناء المعرفة والتنمية المستدامة

واعتمادا على ذلك تم تقديم عدد من التوصيات المنسجمة مع تلك التوصيات

الكلمات المفتاحية : بناء المعرفة ، التنمية المستدامة ، اهداف التنمية المستدامة

Requirements for building knowledge and its impact on achieving sustainable development goals

Prof. Dr. Nada Abdullah Alobedi
Swedish Crown University
Prof. Dr. Alaa Haseb Abdul Hadi Aljalely
College of Administration and Economics,
Assist. Prof. Dr Manal Abdul Jabbar AlSammak
College of Tourism Sciences,

Abstract

The purpose of this study was to identify the following relationships (correlation and influence) between building knowledge On the one hand, sustainable development, through an exploratory study at Cihan University, that organizations' interest in building knowledge and sustainable development contributes to enhancing their competitive position in an environment characterized by intense competition.

Depending on that, the researchers studied the relationships (correlation and effect) between the study variables. In general, the study seeks to answer the following questions:

What is the relationship between knowledge building and sustainable development?

The researchers reached a series of recommendations, the most important of which are as follows:

There is a significant correlation and impact between knowledge building and sustainable development.

Accordingly, a number of recommendations were presented that are consistent with these recommendations.

Keywords: knowledge building, sustainable development

المقدمة

تتطلع المنظمات الى بناء معرفتها الخاصة بها مما يحفزها على تنمية مواردها المستدامة بما يلبي حاجة المنظمة من المعلومات التي تحتاجها ، وقد ازداد اهتمام المنظمات بالمعرفة لما لها من أهمية كبيرة في مختلف جوانبها وتلتزم المنظمات التي تلبي باستمرار حاجات ورغبات زبائنها الى بناء المعرفة الخاصة بها.

وقد برزت أهمية دراسة بناء المعرفة وعلاقتها بالتنمية المستدامة في ادبيات إدارة المعرفة و الاقتصاد ضمن اطار شمولي. واعتمادا على ما تقدم فأن موضوع علاقات الارتباط والتأثير يستحق الدراسة لأهميته في تطوير المنظمة داخليا وخارجيا و الذي ينعكس على تحقيق اهداف التنمية المستدامة.

منهجية البحث

اولا: مشكلة الدراسة

اخذت مفاهيم بناء المعرفة والتنمية المستدامة تستحوذان على اهتمام مختلف المستويات في المنظمة لأهميتها في تحفيز المنظمات على تطوير عملها وبالتالي تحقيق اهداف التنمية المستدامة ، مما يؤشر لنا ضرورة تحديد العلاقة بين بناء المعرفة من جهة وتحقيق اهداف التنمية المستدامة من جهة ثانية وبشكل عام يمكن التعرف عن مضامين مشكلة البحث من خلال التساؤل الاتي :

ما طبيعة العلاقة بين بناء المعرفة و اهداف التنمية المستدامة ؟

ثانيا : اهداف البحث:

يهدف البحث التي تحقيق الاتي :

1- تقديم خلفية نظرية لإدارة المنظمة عن بناء المعرفة والتنمية المستدامة.
2- دراسة علاقات الارتباط والتأثير بين بناء المعرفة والتنمية والمستدامة.

ثالثا: فرضيات البحث:

1- هناك علاقة ارتباط معنوية الدلالة بين بناء المعرفة والتنمية المستدامة.
2- هنالك علاقة تأثير معنوية الدلالة بين بناء المعرفة والتنمية المستدامة.

الاطار النظري للدراسة

اولا: بناء المعرفة

يشير (Kalenov,2017,71) الى ان بناء المعرفة هي عملية إنشاء أعمال معرفية جديدة كنتيجة للأهداف المشتركة والمناقشات الجماعية وتوليف الأفكار اذ يجب أن تعمل هذه المساعي على تعزيز الفهم الحالي للأفراد داخل المجموعة على مستوى يتجاوز مستوى معرفتهم الأولي ، ويجب أن تكون موجهة نحو تعزيز فهم ما هو معروف عن هذا الموضوع أو الفكرة. وتشمل النظرية "التعلم التأسيسي ، والمهارات الفرعية ، والديناميكيات الاجتماعية المعرفية المتبعة في مناهج أخرى ، إلى جانب الفائدة الإضافية للحركة على طول مسار التعليم الناضج".

ويمكن اعتبار بناء المعرفة بمثابة بناء عميق يتضمن إجراء تحقيق جماعي في موضوع معين ، والتوصل إلى فهم أعمق من خلال الاستجواب التفاعلي والحوار والتحسين المستمر للأفكار. وبالتالي فإن الأفكار هي وسيلة التشغيل في بيئات KB. (Zhu & Jim ,2021,37)

واحدة من السمات المميزة لـ KB هي الشعور بأننا نلغي الإحساس بـ الفرد ، والشعور بأن المجموعة تعمل بشكل جماعي ، وليس مجرد مجموعة من الأفراد. يمكن لبرنامج المناقشة تمكين مثل هذه البيئة ، أحدها هو منتدى المعرفة ، والذي يدعم العديد من العمليات المطلوبة مسبقًا لـ KB. اذ أن مشاريع بناء المعرفة تركز على الفهم بدلاً من إنجاز المهام ، وعلى التعاون بدلاً من الجدل. ويعد وضع الأطفال على مسار قاعدة المعارف أساسًا واعدًا للتعليم في عصر المعرفة. (Antopol'skiy,et.al,2019, 728)

- بناء المعرفة من وجهة نظر Wiig

ركز Wiig على ثلاثة شروط مطلوبة لكي نصبح قادرين على عرض أو تمثيل المؤسسات هي(Wiig ,Karl M.2020,532)

- أن يكون لها أعمال (منتجات) وزبائن،
- أن يكون لها موارد (أفراد، رأس مال، تسهيلات)،
- أن يكون لها قدرة على الفعل.

وقد ركز أنموذج دورة بناء المعرفة لدى Wiig على النقطة الثالثة إذ تعدّ المعرفة بمثابة قوة رئيسة تحدد وتوجه القدرة على الفعل بذكاء. ولتطوير المعرفة نحن نعلم على نحوٍ أفضل ما الذي نقوم به، وكيف نقوم بذلك؟ وقد حدد Wiig الغرض الرئيس من إدارة المعرفة بوصفها جهود لجعل الذكاء المؤسسي فعالاً عن طريق تسهيل الابتكار، تراكمه، نشر واستخدام المعرفة النوعية. فالعمل بذكاء يعني أننا يجب أن نسلك مدخلاً في أعمالنا ومهامنا معتمد على الخبرات العظيمة، وهذا يتطلب أن نبحث عن اكتساب المعرفة ذات الجودة العالية كلما أمكن ذلك وتطبيقها بطرائق مختلفة أفضل. كما يتضمن العمل بذكاء "القيام باستخدام كل المعرفة الأفضل المتاحة لدينا".

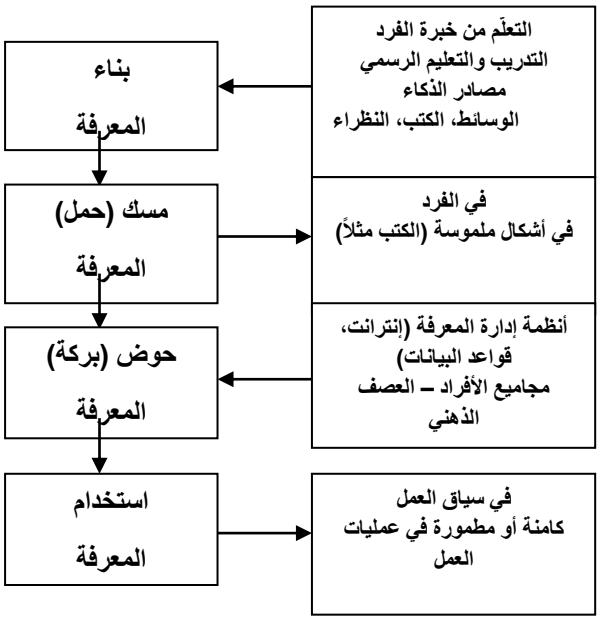

الشكل (1) كيفية بناء المعرفة وفق Wiig
الشكل من اعداد الباحثات بالاقتباس من:
Source: Wiig, Karl M.2020, The importance of personal knowledge management in the knowledge society“ ,Personal Knowledge Management: Individual, Organizational and Social Perspectives” Chapter Proposal

ويجب الإشارة على أن الخطوات الأربعة هذه متداخلة مع بعضها ومتتابعة، وهذا متأتٍ من البساطة التي تمكن من تأديتها في إطار الوظيفة والنشاطات على نحوٍ متوازٍ. كما يمكن للدورة أن تعود لإعادة أو تكرار الوظائف والأنشطة التي تمّ تأديتها مبكراً ولكن بتركيز مختلف أو بمستوى آخر من التفاصيل.
وتعالج دورة إدارة المعرفة من وجهة نظر Wiig كيفية بناء المعرفة واستخدامها سواء من قبل الأفراد أو المنظمات. وتتضمن هذه الدورة أربعة خطوات كما موضح في الشكل (2)
ويبين الشكل (2) هرم بناء المعرفة ذو الطبقات الخمس. وفيما يأتي تعريف لكل طبقة من الطبقات الخمس لبناء المعرفة:

1. المعرفة الفردية: هي المعرفة الموجودة في عقول الأفراد فقط.
2. الحقائق: قيم السمة الذرية التي تدور حول المجال أو الميدان.

3. التأثيرات: بيانات في سياقها تمّ معالجتها وتهيئتها للعرض.
4. الحلول: أوامر وصلاحيات واضحة لتأدية المهمة.
5. الابتكار: استغلال الموارد المستندة إلى المعرفة.

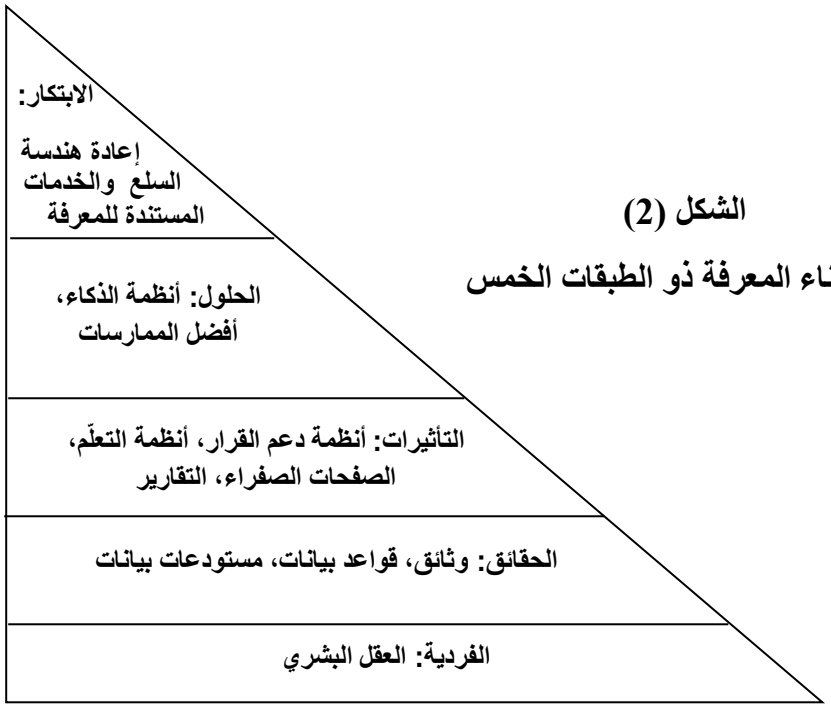

الشكل (2)

هرم بناء المعرفة ذو الطبقات الخمس

Source : Karl M. Wiig,1993, Knowledge Management Foundations -- Thinking about Thinking -- How People and Organizations Create, Represent, and Use Knowledge , SCHEMA PRESS ,pp 299

أ- الطبقة الفردية: دور هذه الطبقة يتمثل في توليد، استخدام والمحافظة على كل طبقات المعرفة. يمكن أن تضم الطبقة الفردية أو تستخدم الحقائق، التأثيرات والحلول المخزنة فقط في عقل كل فرد، وليست الموجودة في أي كتاب، حاسوب، أو بقية وسائط المشاركة. والتي يمكن أن تكون محددة الموقع حاسوبياً في إطار نظام الصفحات الصفراء، ولكنها لم تخزن، ولم تتكامل، أو تسترجع.

بعض الباحثين يشيرون إلى أن المعرفة الفردية لا تمثل أساس وإنما تعدّ قمة الهرم وذلك لأن أحد أهداف إدارة المعرفة هو نقل المعرفة بين الأفراد. ونحن نحدد موقعها كونها الأساس في الهرم وذلك لأنها شرط سابق ضروري لبقية الطبقات.

وإن نظام إدارة المعرفة المرمزة هي فقط المعرفة الفاعلة التي يمكن الحصول عليها من حملة المعرفة والتي يمكن تسليمها إلى الباحثين عن المعرفة. فالحلقات المرمزة الثلاثة من المعرفة، وهي: الحقائق، التأثيرات، والحلول عن طريق تعريف التنفيذ بوصفه مجموعة من الحلول البرمجية التي يجب أن تكون قادرة على اكتساب المعرفة الضرورية وتوزيعها لكل الباحثين عن المعرفة. وهذا يشير إلى أن كل من حاملي المعرفة والباحثين عنها يتوجب عليهم الوصول والتدريب على اختيار البرامجيات مثل براجيات المجاميع، قواعد البيانات، وأنظمة الخبرة.

ب_ طبقة الحقائق :دور طبقة الحقائق في إدارة المعرفة هو توفير البيانات الأولية لطبقات إدارة المعرفة العليا. الكثير من المعرفة المرمزة حول الشركة تحتويها الوثائق، التي تمّ وصفها في طبقة التأثيرات، والتي خزّنت في قواعد البيانات وطبقة الحقائق. مستودعات المعرفة وأسواق المعرفة تمّ إنشائها لغرض

توليد التأثيرات لأغراض صنع القرار. بينما تتضمن قواعد البيانات التعاملاتية غالبية الحقائق التي يسهل الوصول إليها المتعلقة بالشركة وأعمالها.

ج_ طبقة التأثيرات :دور طبقة التأثيرات في إدارة المعرفة هو مساعدة الفرد في صنع القرارات. ويمكن تعريف التأثير بوصفها بيانات متكاملة وضعت في سياقها، غالباً عن طريق التمثيل أو المعالجة. في هذه الطبقة، يتم معالجة البيانات عن طريق أنظمة التعلّم، أنظمة دعم القرار، التقارير، حوض المعرفة (بركة المعرفة)، وأنظمة دليل المعرفة لتأثير القرارات.

تتكون طبقة التأثيرات من ثلاث فئات فرعية: صنع القرار بمساعدة الحاسوب، توليد التأثير التعاوني، ونشر التأثير بمساعدة الحاسوب.

د_ طبقة الحل :دور طبقة الحل في إدارة المعرفة هي صنع القرارات وتنفيذها، ولكي يكون الحل كاملاً، وصالحاً في سياق صنع القرار يتم باندماجه أو توحده مع البيانات المحلية. ويمكن أن تعدّ الأنظمة الخبيرة مثالاً لنظام طبقة الحل، ولاسيما باحتواء هذه الأنظمة على كل المعرفة الضرورية لحل المشكلة، الوصول إلى البيانات المحلية، والقدرة على صنع وتنفيذ القرار.

الفئة الفرعية الثانية لطبقة الحل هي الممارسات الأفضل، وهذه تمثل "مدرسة الحل" للشركة في سياق صنع القرار. ويمكن تصنيف هذه الأنظمة بوصفها حلولاً بدلاً من كونها تأثيرات؛ لأنها تعرّف الحل الكامل المرغوب من قبل الشركة، ومن شأن ذلك أن يدل على أن الحل كامل وصالح. وهنا يمكن ملاحظة أن الانحراف عن الممارسة الأفضل يمكن أن يكون صعب التبرير، عندما يكون الانحراف عن الحل التي تمّ الوصول إليه عن طريق التأثيرات مبرراً.

طبقة الإبداع

وأشار (Scardamalia & Bereiter,2006,65) بأن:

الإبداع = (إعادة الاستخدام + الاختراع (الابتكار) × الاستغلال

يحدث الإبداع عندما تتوحد المعرفة من أية طبقة من الطبقات مع الإستراتيجية، وتسهّل عملية إعادة الهندسة، تزيد من الكفاءة الكلية، تزيد من الفاعلية الكلية، أو توليد السلع والخدمات المستندة إلى المعرفة.

وقد عرفت عملية التفكير عدد من الأبعاد للإبداع: مشاركة أصحاب المصلحة، إعادة استخدام المعرفة، تغيير المعرفة القائمة، استغلال المعرفة، مقاييس المخرجات، وسياق التشغيل.

يمكن أن ينتج الإبداع عبر تكامل المصادر من الطبقات المتعددة مع الإستراتيجية الكلية للمنظمة.

وترتبط كل من الطبقة الفردية وطبقة الإبداع مع بعضهما بعلاقة وثيقة لتقودان إلى الخفة الفكرية والتقسيمات الثانوية للكفاءة ويليها رأس المال البشري. ومن الأمثلة على الخفة الفكرية: الإبداع، التقليد، التكيّف، وغيرها، وغالباً ما يرجع التنويع الناجح بوصفه نتيجة للخفة الفكرية.

ه_ طبقة التحولات Transformations : يدعم هرم المعرفة التقليدي تحوّل البيانات إلى معلومات، وتحوّل المعلومات إلى معرفة. توسيع تلك التحولات تمّ دعمها في هرمية مزدوجة، ومعكوس الهرم كما هو موضح مسبقاً. ويمكن لهرم إدارة المعرفة ذو الطبقات الخمس أن يدعم التحوّل المباشر للمعرفة بين أي من الطبقات. فعلى سبيل المثال، فإن البيانات من طبقة الحقائق يمكن تحويلها إلى حلول عبر الشبكات العصبية من دون توليد التأثيرات، وأن قواعد البيانات التي تستخدم في الإبداع يمكن أن تنقل إلى حقائق عندما تستخدم في سياق آخر من قبل موجود آخر لإدارة المعرفة.

خلاصة، يمكن القول أن هرم إدارة المعرفة ذو الطبقات الخمس يشمل كل مدارس إدارة المعرفة التي طرحها (Earl's, 2001).)

هرم بناء المعرفة ذي الطبقات الخمس :يمكن استخدام هرم إدارة المعرفة ذو الطبقات الخمس في تقييم جهود إدارة المعرفة، موجودات المعرفة المخزنة، تخفيف الإرباك الممكن، دعم دورة إدارة المعرفة التي توفر الدليل لمدير المعرفة التنفيذي، وتخطيط وإدارة تطور موجودات بناء المعرفة في المنظمة. بعض المدراء ربما يفضلون رؤية هرم إدارة المعرفة ذو الطبقات الخمس مصاغاً في صيغة جدول (1) :

1. يمكن أن يستخدم هرم إدارة المعرفة ذو الطبقات الخمس لتقييم الحالة القائمة لجهود إدارة المعرفة في الشركة من كلاً من منظوري العمق والاتساع. وتطور مخزون المعرفة، تصنيف أنظمة إدارة المعرفة عن طريق الطبقة والحصول على المقاييس. ويمكن أن يتحدد العمق في جهود إدارة المعرفة عبر تقييم

مخزون المعرفة ومقاييسها. أما اتساع إدارة المعرفة في الشركة فيمكن أن يتحدد عبر تحديد الطبقة الأعلى التي تتحدد في المخزون المعرفي أو عبر الحساب الموزون المستند على أداء موجودات إدارة المعرفة في مختلف الطبقات. كما ان أنظمة معالجة المعاملات في الشركة التي لا تفيد في دعم القرار يمكن القول بأنها يمكن أن تكون في طبقة الحقائق. ولغرض الانتقال إلى طبقة التأثيرات، يتوجب على المنظمة ربما أن ترفع أو تحسّن البيانات عبر استخدامها في أنظمة دعم القرارات، وأنظمة التعلّم، أو التقارير. كما يمكنها أن تتحول إلى طبقة التأثرات أيضاً عن طريق بتبني تكنولوجيات غير متعلقة بإدارة المعرفة مثل "الصفحات الصفراء" أو قواميس (معاجم) المعرفة.

الجدول (1) طبقات بناء المعرفة

طبقات بناء المعرفة	تطبيقات إدارة المعرفة
الفردية (فئة فردية)	مخزنة في عقول الأفراد، الوصول إليها عبر الصفحات الصفراء
الحقائق (فئة مرمزة)	قواعد ومستودعات البيانات
التأثيرات(فئة مرمز)	الصفحات الصفراء، حوض أو بركة المعرفة ،DSS أنظمة التعلّم،
الحلول (فئة مرمزة)	أفضل الممارسات، أنظمة الخبرة
الإبداع (فئة فردية)	تكامل الأنظمة المتنوعة لإدارة المعرفة مع الإستراتيجية الكلية

Source: Nikolay Kalenov &Gennadiy Savin& Alexander Sotnikov,2020,Fundamentals of Common Digital Space of Scientific Knowledge Building, International Conference

كما ان أنظمة معالجة المعاملات في الشركة التي لا تفيد في دعم القرار يمكن القول بأنها يمكن أن تكون في طبقة الحقائق. ولغرض الانتقال إلى طبقة التأثيرات، يتوجب على المنظمة ربما أن ترفع أو تحسّن البيانات عبر استخدامها في أنظمة دعم القرارات، وأنظمة التعلّم، أو التقارير. كما يمكنها أن تتحول إلى طبقة التأثرات أيضاً عن طريق بتبني تكنولوجيات غير متعلقة بإدارة المعرفة مثل "الصفحات الصفراء" أو قواميس (معاجم) المعرفة.

2. الاستخدام الآخر لهرم إدارة المعرفة ذو الطبقات الخمس هو في تحديد الفرص المتعلقة بتطوّر جهود إدارة المعرفة داخل المنظمة. ويمكن أن يتم إرشاد تطور جهود إدارة المعرفة في المنظمة عن طريق ما متاح من المصادر والبرامجيات، مثل المعرفة في طبقة من طبقات الهرم يمكن أن تكون مصدراً لمعرفة في الطبقة الأعلى، وكما يتضح ذلك في مسار إدارة المعرفة ذو الأقل مقاومةً.

فالمنظمة مع قواعد البيانات أو مستودعاتها يمكنها أن تستخدمها بوصفها مدخلات لأنظمة التعلّم، DSS، والتقارير من أجل توليد التأثير. والمنظمات مع تقانات المجاميع لغرض تأثير النشر يمكن أن يستخدم كذلك في توليد التأثير عن طريق بركة أو حوض المعرفة. والمنظمة مع جهود الصفحات الصفراء يمكن أن تحديد العديد من الأفراد الضروريين لتوليد مكوّن الممارسات الأفضل أو أنظمة الخبرة. اذ ان استخدامات هرم إدارة المعرفة ذو الطبقات الخمس في الأعمال. الأكثر أهمية، إذ يمكن أن يكون استخدامه موجهاً للإجابة على تساؤل مدير المعرفة التنفيذي . إن دورة إدارة بناء المعرفة التالية تستخدم هرم إدارة المعرفة ذو الطبقات الخمس بوصفه أداة مهمة في إدارة موجودات إدارة المعرفة في المنظمة، وكما في الخطوات الآتية : (van Aalst,2009,269)

1. الخطوة الأولى: تطوير المخزون المعرفي، تحديد كل من موجودات إدارة المعرفة، وسياقها، طبقات هرم إدارة المعرفة الخمس، حملة المعرفة و / أو مصادر البيانات، دعن الباحثين عن المعرفة، الباحثين

عن إدارة المعرفة المفترضين، توافر البرامجيات، أنظمة اكتساب المعرفة، وأنظمة التسليم. وفي حالة تطور هذا المخزون المعرفي، يقيم استخدام، واعتمادية ودقة الموجودات المعرفية القائمة. وتأدية أية صيانة ضرورية. كل مخزون معرفي يوفر نقطة فحص توصف حالة جهود إدارة المعرفة في المنظمة. استخدام هرم إدارة المعرفة ذو الطبقات الخمس لتحديد الطبقة الأعلى المتاحة من إدارة المعرفة في المنظمة، والمخزون المعرفي لتحديد اتساع موجودات إدارة المعرفة. وعند الانتهاء، يمكن استخدام هذا المخزون لتنفيذ نظام التسليم مثل قاموس معرفة المؤسسة الذي يمكّن الباحثين عن المعرفة في المنظمة لرؤية أي الأنواع من موجودات إدارة المعرفة هي المتاحة ويمكن الوصول إليها والبرامجيات الضرورية.

2. الخطوة الثانية: تحديد الحاجة المعرفية للمنظمة. بعض المعرفة لا يمكن الاستحواذ عليها، بعض المعرفة لا تستحق الاستحواذ عليها، وبعض المشكلات لا يمكن أن تصبح محلولة مع إدارة المعرفة. البدء بالكفاءات الجوهرية للمنظمة، تحديد المهام الأكثر إنفاقاً، أو الأكثر صعوبة في تأديتها. تقييم إدارة المعرفة المحتملة وحلول تقانة المعلومات لتلك المهام. استخدام مسار إدارة المعرفة الأقل مقاومة لتحديد فرص رفع أو تحسين موجودات إدارة المعرفة القائمة.

3. الخطوة الثالثة: تطوير إستراتيجية إدارة المعرفة المتكاملة التي تعظّم تأثير موجودات إدارة المعرفة في إستراتيجية المنظمة في إطار قيود قوة العمل، والموازنة، والقيود السياسية. وبالإضافة إلى تطوير المظهر الجانبي الملائم لمشاريع إدارة المعرفة وصيانتها لأغراض الاستخدام الداخلي، والإستراتيجية ربما تتضمن تسويق السلع والخدمات المستندة للمعرفة للاستخدام الخارجي. عندها يجب أن تُقبل إستراتيجية إدارة المعرفة وتموّل من قبل أصحاب المصلحة.

4. الخطوة الرابعة: تنفيذ إستراتيجية إدارة المعرفة، فكل من الموجودات الجديدة لإدارة المعرفة ربما يضم تطوير التطبيقات، اكتساب الماديات، اكتساب البرامجيات، التدريب، اكتساب المعرفة، تطوير المقاييس، كلف البيانات، الصيانة، وموضوعات التوزيع.

5. الخطوة الخامسة: تقييم أداء موجودات إدارة المعرفة للوصول إلى تحقيق إستراتيجية المنظمة. مقارنة مقاييس الحلول الجديدة قياساً بتلك الموجودة في مخزون المعرفة الأخير. وللأنظمة الجديدة، يتم إعادة تقييم الكلف والمنافع التي تستخدم الأداء الحقيقي بدلاً من استخدام التوقعات.

وبعد أن يتم إتمام التقييم يتم العودة إلى الخطوة الأولى، تحديث المخزون المعرفي عبر إضافة موجودات جديدة لإدارة المعرفة، وتقييم عمليات المنظمة لتحقيق نتائج لاحقة في إطار فرص إدارة المعرفة.

أخيراً، ينبغي ان نأخذ بالاعتبار الخصائص المتوقعة لهرم إدارة المعرفة ذو الطبقات الخمس. هرم المعرفة، الذي يتماثل مع طبقات الحقائق، التأثيرات والحلول، وهي متوقعة في حجمها وفاعليتها. ولتسهيل هذه المناقشة، تمّ توليد المخططات الآتية التي توسع هرم المعرفة لتشير إلى الحجم المحتمل وفاعلية موجودات إدارة المعرفة الشكل (3) .

ويمكن القول ان هرم إدارة المعرفة ذو الطبقات الخمس هو متوقع دقيق للحجم والفاعلية. ونحن نتوقع حجماً كبيراً من المعرفة يمكن أن تكون في الطبقة الفردية، التي تضم كل المعرفة في عقول الأفراد جميعهم. وهرم المعرفة تمّ تأسيسه على أساس وجود حجم عظيم من الحقائق قياساً بالتأثيرات، وتأثيرات أكثر من الحلول, أخيراً، نحن نؤكد بأن هناك القليل من الإبداعات قياساً بالحلول، جميعها تشير على أن هرم إدارة المعرفة ذو الطبقات الخمس هو أداة دقيقة لتوقع حجم موجودات إدارة المعرفة. اما تصنيف الفاعلية هو الحالة التي يتم تجاهلها وهي التي يصعب البت فيها، ونحن نؤكد بأنه عند مقارنة فاعلية الطبقة الفردية مشابهة للمصدر المرمز، وأن فاعلية الطبقة الفردية هي أقل مما هي عليه في طبقة الحقائق بسبب التواصل والاستمرار، وطبيعة استرداد المصادر المرمزة ودقتها العالية.

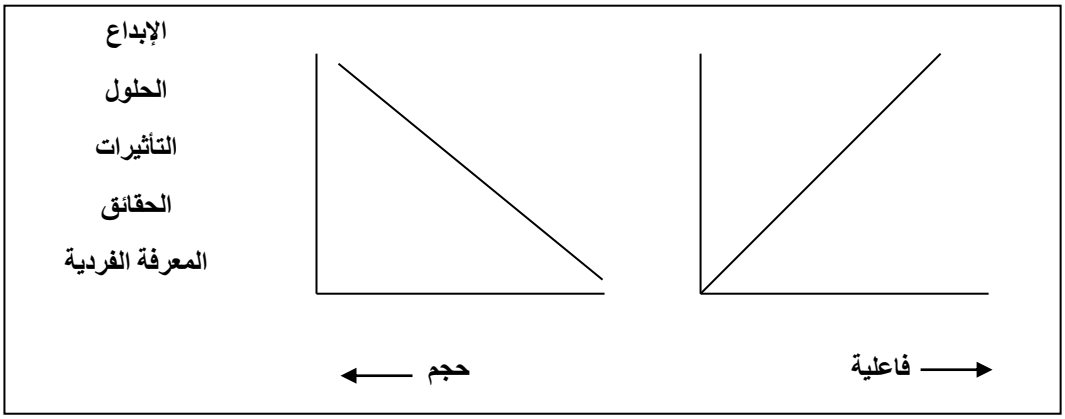

الشكل (3) فاعلية موجودات ادارة المعرفة

Source : van Aalst, J., & Chan, C.K.K. (2007). Student-directed assessment of knowledge building using electronic portfolios. van Aalst, J., & Chan, C.K.K. (2007). Student-directed assessment of knowledge building using electronic portfolios. The Journal of the Learning Sciences, 16 (2), 175-220.

ويمكن القول ان هرم إدارة المعرفة ذو الطبقات الخمس هو متوقع دقيق للحجم والفاعلية. ونحن نتوقع حجماً كبيراً من المعرفة يمكن أن تكون في الطبقة الفردية، التي تضم كل المعرفة في عقول الأفراد جميعهم. وهرم المعرفة تمّ تأسيسه على أساس وجود حجم عظيم من الحقائق قياساً بالتأثيرات، وتأثيرات أكثر من الحلول, أخيراً، نحن نؤكد بأن هناك القليل من الإبداعات قياساً بالحلول، جميعها تشير على أن هرم إدارة المعرفة ذو الطبقات الخمس هو أداة دقيقة لتوقع حجم موجودات إدارة المعرفة. اما تصنيف الفاعلية هو الحالة التي يتم تجاهلها وهي التي يصعب البت فيها، ونحن نؤكد بأنه عند مقارنة فاعلية الطبقة الفردية مشابهة للمصدر المرمز، وأن فاعلية الطبقة الفردية هي أقل مما هي عليه في طبقة الحقائق بسبب التواصل والاستمرار، وطبيعة استرداد المصادر المرمزة ودقتها العالية.

ويمكن لهرم إدارة بناء المعرفة ذو الطبقات الخمس أن يزود مدير المعرفة التنفيذي بأداة تكون مفيدة في تخزين الموجودات المعرفية، وفي التخطيط لمشاريع إدارة المعرفة، وتعلّم المصادر المعرفية القائمة، وتقييم أداء موجودات إدارة المعرفة.

ثانيا : التنمية المستدامة

قبل سير غور مفهوم التنمية المستدامة ، من الضروري تحديد مفهوم التنمية ، لأن هذه الكلمة لها معاني مختلفة لأناس مختلفين ، كما علق الأستاذ كايدن: لا أحد يعرف ما تعنيه هذه الكلمة حقًا. يرى الاقتصاديون أنه مرادف للإنتاج الاقتصادي ، ويرى علماء الاجتماع أنه تغيير اجتماعي. يرى علماء السياسة أنه تحول نحو الديمقراطية والكفاءة السياسية ، ويرى علماء الإدارة أنه تحول نحو البيروقراطية ، وتعظيم الكفاءة ، والإنتاج ، والقدرة على تحمل جميع الأعباء.

ويرى (Antoine، 2003، 76) انها طريق الحوكمة التشاركية والديمقراطية للخيارات المجتمعية المشتركة.

ويتمثل مفهوم التنمية المستدامة في تحقيق التوازن بين الأهداف القصيرة الأجل للوحدة وأهدافها الطويلة الأجل في جميع الأبعاد الثلاثة للأداء الاجتماعي والبيئي والاقتصادي.) .Blocher,et,al, 2010, 14)

اما الامين العام للأمم المتحدة (انان) فقد عرفها آنذاك ان الاستدامة بطريقة ما تركز على فوائدها بعيدا عن كونها عبنا فالتنمية المستدامة اقتصاديا تعمل على بناء الأسواق وخلق الوظائف ، واجتماعيا إنقاذ الناس وتخليصها من الفقر ، وسياسيا منح كل رجل وامرأة صوتا وخياراً في اتخاذ القرارات التي تناسب لمستقبلهم ، ويمكن تعريف التنمية المستدامة من حيث الاقتصاد الكلي على انها نهج للتخطيط وصنع

القرار الذي يهدف الى السعي على الحد الحقيقي والدائم من الاختلافات الاجتماعية والاقتصادية فضلا عن حماية البيئة . وعرفها (Alhaddi,2015,7) بانها التوقعات التي تؤدي إلى تحسين الأداء الاجتماعي والبيئي للجيل الحالي دون الحد من قدرة الأجيال القادمة على تلبية احتياجاتها الاجتماعية والبيئية. ومن خلال هذا الاستعراض لمفاهيم وتعاريف الاستدامة تستخلص الباحثة ان معظم التعاريف من قبل تلك الهيئات والمنظمات والباحثين والكتاب اكدت على " أن المجتمع المستدام من خلال تعريف واحد هو مجتمع مستمر عبر الأجيال المختلفة أي العمل على تهيئة الظروف والمحافظة عليها بحيث يمكن أن يوجد بها الانسان والطبيعة معا في ونام مثمر ، أي بمعنى الترابط بين ابعادها الثلاثة من خلال تلبية المتطلبات الاجتماعية والبيئية والاقتصادية وغيرها الأجيال الحاضر والمستقبل ودمجها في جميع أنشطتها لكي تستطيع الاستمرار بأدائها المتميز وتحقق قيمة مستدامة لها ولأصحاب المصلحة.

تعرف التنمية المستدامة اقتصاديا في البلدان المتقدمة بأنها الحد من استهلاك الطاقة والموارد ، ولكنها تعني بالنسبة للبلدان النامية استخدام الموارد لزيادة مستوى معيشة الفقراء والحد من ظاهرة الفقر. (شلابي ، طيار ،2008 ، 8) . وقد اجتذب مصطلح التنمية المستدامة اهتماما كبيرا في جميع أنحاء العالم بعد ظهور تقرير برودلاند المقدم من اللجنة العالمية للبيئة والتنمية في عام 1987 تحت عنوان مستقبلنا المشرق، وقد عرفت التنمية المستدامة بأنها تنمية تلبي الاحتياجات الحالية والحالية دون المساس بقدرة الأجيال القادمة على تلبية احتياجاتها (ديب ومهنا ،2009، 22) وان التنمية المستدامة تعد نتاجا للتحسين المستمر في الأداء الاقتصادي البيئي والاجتماعي للوحدات الاقتصادية (Staniškis & Arbačiauskas, ,42,2009) كما عرفها عباس ، 2010 ،17) على انها صيانه واستدامة للموارد استخدامها بأفضل التقنيات والعلوم المتاحة ، مع ضمان استمرار الموارد لتلبية الاحتياجات الاجتماعية والاقتصادية الحالية للبشر وضمان رفاهية الأجيال القادمة.

ويرى Orboi التنمية المستدامة مفهوم معقد بدا من الاهتمام بالبيئة وفي الوقت المناسب تم تضمينه البعد الاقتصادي والبعد الاجتماعي، في بداية الامر كانت التنمية المستدامة الحل اللازم للبيئية الناجمة عن الاستغلال الصناعي المفرط والواسع للموارد والتدهور البيئي المستمر وكان الهدف الرئيسي لها الحفاظ على جودة البيئة وحمايتها اما في الوقت الحاضر فمفهوم التنمية المستدامة يشمل أيضا جودة الحياه في كل من المنظور الاقتصادي والاجتماعي(Orboi, et,al (2010,749 اما برنامج الأمم المتحدة للتنمية والبيئة إنها تطور يلبي احتياجات الجيل الحالي دون المساس بقدرات الأجيال القادمة (مكي و بوطيبة ، 2014 : 6) .

ويرى (علي ، 2015 ،122) إنه تطور ينسق التنمية البيئية والاقتصادية والاجتماعية ويخلق دائرة فعالة بين ثلاثة أبعاد ، لأنه فعال اقتصاديا وعادلا اجتماعيا وممكنا بيئيا.

ثانيا : أهمية التنمية المستدامة

وتنبع أهمية التنمية المستدامة من الاتي :

1) تم دمج مفهوم الاستدامة في مفهوم التنمية البشرية ، حيث أبرزت الدراسات الحديثة الحاجة إلى الحفاظ على الموارد الطبيعية المستنفدة واستدامتها ، سواء في المجالات الفكرية أو السياسية. هاشم، 2011 ،247).

(2) مفهوم التنمية المستدامة هو شكل من الأشكال التي تقابل الرفاهية يتطلب الاعتراف بأن البشرية يجب أن تتعايش في حدود الموارد المتاحة وضمن حدود طاقتها. الصفار، 2006، 6).

(3) ازدادت العمليات التي الحقت الضرر في البيئة بشكل واسع وادت الى ارتفاع درجة التلوث البيئي ، وأدت عمليات التوسع الإنتاجي خاصة الصناعي في دول العالم المتقدم الى زيادة الطلب على الموارد الطبيعية وكميات كبيرة من أنواع مختلفة من الملوثات (هاشم، 2011: 247

(4) لعبت عمومية هذا المفهوم دورا في جعل التنمية المستدامة شعارا شعبيا ومشرقا اعتمدته معظم الحكومات كأجندة سياسية ، ولكن لا محالة ، عندما تعكس هذه الأجندات التزامات سياسية مختلفة جدا بالاستدامة ، يمكن استخدام المبادئ لدعم وجهات نظر متناقضة تماما حول القضايا البيئية مثل تغير المناخ

والتدهور البيئي. الاستدامة, اعتمادا على زاوية التفسير, قد يعني أن الاستدامة مختلفة وقد تكون بعيدة المنال (الغامدي، 2007،19).

(5) ان الزيادة السريعة لأعداد السكان والذي ترتب عليه نشوء مخاطر الزحف الى الأراضي الزراعية وزيادة الاستهلاك وطرح النفايات إضافة لتزايد استهلاك الموارد الطبيعية الذي له تأثيرات سلبية على البيئة والتنمية (هاشم، 2011، 247)

(6) وبما أننا نتعامل مع الموارد على أنها موارد محدودة ، فسوف نسعى جاهدين لتحقيق الاستغلال الرشيد للموارد واستخدامها ، ومنع نضوب الموارد ، واعتمادها واستخدامها بعقلانية (غنيم وأبو زنط ، 2010، 7)

ويحدد (Bolshakov et al., 45,2019,) ان التنمية المستدامة هي العملية المستمرة لزيادة القدرة على تلبية الاحتياجات الحالية للنظام ، معبراً عنها بوحدات الطاقة لتتحقق الأهداف من خلال تحسين جودة التخطيط وتنفيذ الابتكارات التي توفر معدل نمو غير متناقص في كفاءة استخدام الموارد ، ودخل أكبر دون زيادة معدل استهلاكها ، وتقليل الخسائر في الظروف السلبية الخارجية والداخلية تأثيرات

ويرى (Trusina& Jermolajeva,2021 235) ان تعريف التنمية المستدامة يتضمن النقطتين الاتيتين :

1- الحفظ - زيادة الفرص لتلبية الاحتياجات اليوم وفي المستقبل.
2- التنمية - التغييرات بسبب حالة التكنولوجيا وتنظيم المجتمع ، والقدرة المفروضة على تلبية الاحتياجات. وكما في الشكل (4)

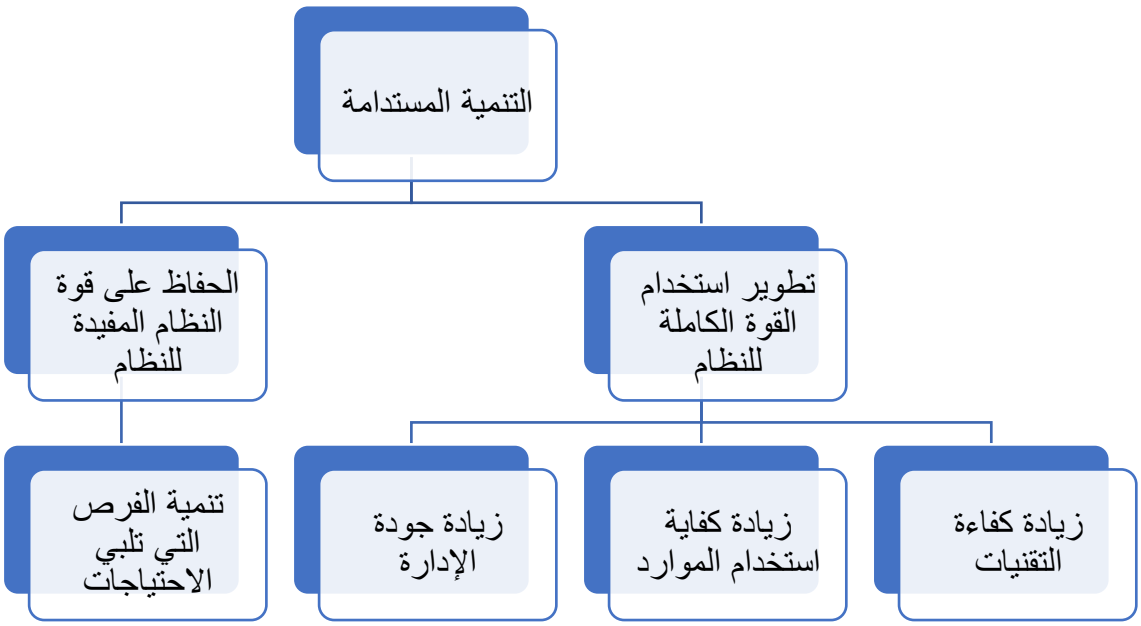

الشكل (4) تعريف التنمية المستدامة

Sorce: Trusina ,Inese & Jermolajeva, Elita,2021, A New Approach To The Application Of The Principles Of Sustainable Development , Proceedings Of The 2021 International Conference “Economic Science For Rural Development” Jelgava, LLU ESAF, 11-14 May 2021, Pp. 231-240

ثالثا : اهداف التنمية المستدامة

(1) تحليل الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والبيئي والإداري باعتباره رؤية شاملة ومتكاملة تقوم على توحيد البيئة الكلية والترابط بين أنظمتها الفرعية وتجنب العواطف والأنانية في طريقة التعامل مع الموارد والطاقة المتاحة.. (الغامدي، 2006 98).

(2) تتحقق التنمية المستدامة من خلال الحفاظ على أسس الموارد البشرية والطبيعية والتوصل إلى توازن ديناميكي بين التنمية الاقتصادية والاجتماعية من ناحية وإدارة الموارد وحماية البيئة من ناحية أخرى. كما تؤكد (صالح، 2003،22) قدرة البيئة الطبيعية على تلبية احتياجات الأجيال القادمة ، لإعداد المتطلبات بمعنى الاستجابة الإنمائية للاحتياجات الحالية ، دون المساس بقدرة الأجيال القادمة.

(3) من خلال تثقيف الجمهور حول أهمية القطاعات المختلفة في مجال التنمية ، والعمل على استخدام التقنيات الحديثة لتحقيق أهداف المجتمع ، وتحسين حياة المجتمع وكيفية استخدام قطاعات جديدة لتحقيق أهدافه ، دون إحداث تغييرات مستمرة ومناسبة لاحتياجات المجتمع ، بطريقة تكون مخاطر بيئية ومسيطر عليها وتتماشى مع قدراته وأولوياته ، وتحقيق نوع من التوازن الذي ينشط التنمية الاقتصادية ، ويسمح لك بالتحكم في جميع المشاكل البيئية ومحاولة تطوير الحلول المناسبة لها. تعتقد الجزائر أن استجابة الوحدات الاقتصادية للقضايا البيئية والاجتماعية والاقتصادية هي واحدة من قضايا الإدارة الاستراتيجية ، تم تصميم استراتيجيات الاستدامة بناء على فكرة خفض التكاليف أو تعظيم الأرباح عن طريق تقليل النفايات والتلوث لتحقيق ميزة تنافسية ، لأن مساهمة الوحدات الاقتصادية في تحقيق التنمية المستدامة تعني تطبيق استراتيجيات الاستدامة وتوفر وحداتها طريقة مفيدة اقتصاديا للامتثال الفعال للمسؤولية البيئية والاجتماعية في قراراتها (الجزائري 2010 ،62) وفي حين أن هذه الأهداف قد تكون متناقضة ومتباينة ، فإنها يمكن أن تتعايش بانسجام ، فإن التنمية المستدامة تشجع على حماية مواردها وتعزيزها من خلال إجراء تغييرات منهجية في آليات التنمية واستخدام التكنولوجيات. يحتاج كل بلد إلى تلبية احتياجاته الأساسية (الضرورية) من الغذاء والماء والعمالة والطاقة.إذا فكرنا في هذا بطريقة مستدامة ، فنحن بحاجة إلى تحديد مستوى النمو السكاني. ويكفل هذا النهج الحفاظ على النمو الاقتصادي ويحقق التنمية والنمو في البلدان النامية على أساس معايير متساوية وعادلة مع البلدان المتقدمة. وشدد على أن تحقيق هذه الأهداف سيتطلب تغييرات في السلوك والإجراءات المؤسسية ، وكذلك تغييرات في القانون على جميع المستويات ، وأشار أيضا إلى أن التغييرات في القانون وحدها لن تكون كافية لحماية الصالح العام. (الشرابي، 2015،24).

ثالثا : الهدف الاقتصادي للتنمية المستدامة يعتبر الهدف الاقتصادي من الأهداف المهمة التي يجب تحقيقها عن طريق تحسين الظروف الاقتصادية ، وذلك من خلال الاستخدام العقلاني والرشيد للموارد المتاحة من اجل الوصول الى الرفاهية والامن والعدل والمساواة الأفراد المجتمع (جزان ، جمال ، 2015 ، 529) . وكذلك من الضروري استخدام الموارد الطبيعية المتجددة بطريقة لا تؤدي إلى تدميرها وتدهورها ، مع الحفاظ على توازن مستقر بطريقة فعالة للموارد الطبيعية ويتناقض مع الجدوى المتجددة مقارنة بالجيل السابق.

رابعا : الجوانب الاقتصادية للتنمية المستدامة نجد أن التنمية المستدامة في البلدان المتقدمة تتجسد في السعي إلى الحد من استهلاك الطاقة والموارد الطبيعية ، وإجراء تغييرات أساسية في أنماط الحياة بشكل عام في طريقة الاستهلاك والإنتاج ، والحد من صادرات نماذجها الصناعية إلى البلدان المتخلفة. (بغداد محمد ، 2010،11-12) . ويتمثل البعد الاقتصادي بالعناصر الاتية : (سترة ،2018 ،3)

- يوفر العناصر الرئيسية للإنتاج ، وأهمها الاستقرار والتنظيم والمعرفة ورأس المال.
- رفع مستوى كفاءة وفعالية الأفراد والمنظمات في تنفيذ السياسات والبرامج التنموية.
- زيادة معدل النمو في مختلف قطاعات الإنتاج لزيادة معدل دخل الفرد.
- لذلك ، تشمل الجوانب الاقتصادية بشكل عام النمو الاقتصادي المستدام ، وكفاءة رأس المال ، وتلبية الاحتياجات الأساسية ، والعدالة الاقتصادية.

رابعا : مؤشرات الأداء الاقتصادي المستدام تتعامل الوحدات الاقتصادية مع كميات كبيرة من المعلومات ، الاقتصادية البيئية، الاجتماعية ، وتواجه صعوبات عديدة مع عدد محدود من المؤشرات الحاكمة ،

بحيث يمكنك قياس أدائها واتخاذ قرارات التنمية ، و لهذا الغرض يمكن استخدام مؤشرات الأداء الاقتصادي للاستدامة لتغطية التعاملات الاقتصادية للوحدة الاقتصادية و الأمور المرتبطة بها وتركز على كيفية تغير الوضع الاقتصادي للأطراف أصحاب المصلحة نتيجة لأنشطة الوحدة الاقتصادية (Gray,2016,87)

المبحث الثاني

الجانب الميداني:

استمدت الباحثات البيانات الأولية متاحة في الحزمة الإحصائية لتطبيقات العلوم الاجتماعية.24) ، واستخدمت الأساليب الإحصائية التالية.:

- النسبة المئوية والتكرار.
- اختبار (T) لاختبار الفرضية.

تم تحليل البيانات في شكل جدول باستخدام التكرار والنسب المئوية للمساعدة في ضبط الإجابات واستخلاص النتائج.

اولاً : تحليل علاقة الارتباط بين بناء المعرفة واهداف التنمية المستدامة

تستند فكرة فرضية الارتباط المتعلقة ببناء المعرفة وأهداف التنمية المستدامة إلى عدم وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين بناء المعرفة وأهداف التنمية المستدامة. من أجل الوصول إلى حكم دقيق على رفض أو قبول الفرضية ، توفر هذه الفقرة ارتباطا جديدا بين هذه المتغيرات ، كما هو موضح في منهجية البحث. هذه الفرضية تبحث بالارتباط بين المتغيرات الرئيسية للدراسة على النحو التالي:

اختبار الفرضية الرئيسية الأولى

H0 : تنص الفرضية الرئيسية الأولى على (هنالك علاقة تأثير معنوية الدلالة بين بناء المعرفة والتنمية المستدامة)

H1: تنص الفرضية البديلة (ليس هنالك علاقة ارتباط معنوية الدلالة بين بناء المعرفة والتنمية المستدامة)

و سيتم عرض النتائج التي تم التوصل اليها من خلال علاقة الارتباط الكلي بين بناء المعرفة واهداف التنمية المستدامة وفقاً للفرضية الرئيسة الأولى.

الجدول (2) معاملات الارتباط الكلي

المتغير المستقل المتغير المعتمد	بناء المعرفة
التنمية المستدامة	0.684*
مستوى المعنوية	0.05
حجم العينة	50

المصدر: تم إنشاؤه من قبل الباحثين بناء على النتائج المدرجة في البرنامج الإحصائي

من خلال الجدول (2) يتبين لنا ان من خلال تحليل علاقات الارتباط على المستوى الكلي بناء المعرفة واهداف التنمية المستدامة ، بوجود علاقة ارتباط وبنسبة (0.684*) اي انه كلما زاد الاخذ ببناء المعرفة زادت فاعلية تحقيق اهداف التنمية المستدامة، وهذا يدل بوجود ارتباط معنوي بين بناء المعرفة وتحقيق

اهداف التنمية المستدامة , وبهذا سيتم رفض الفرضية الرئيسة الاولى وقبول الفرضية البديلة التي تنص على (هناك علاقة ارتباط معنوية الدلالة بين بناء المعرفة والتنمية المستدامة) .

ثانياً: تحليل تأثير بناء المعرفة في تحقيق اهداف التنمية المستدامة

تستند فكرة فرضية التأثير (الانحدار) المتعلقة بمتطلبات بناء المعرفة إلى عدم وجود علاقات تأثير ذات دلالة إحصائية لبناء المعرفة في تحقيق أهداف التنمية المستدامة.:

اختبار الفرضية الرئيسة الثانية

- H0 : تنص الفرضية الرئيسية الثانية على أنها (توجد علاقة تأثير ذات دلالة احصائية معنوية بين بناء المعرفة واهداف التنمية المستدامة)
- H1: تنص الفرضية الرئيسة البديلة على أنها (لا توجد علاقة تأثير ذات دلالة احصائية معنوية بين بناء المعرفة واهداف التنمية المستدامة)

لذا سيتم عرض نتائج التأثير الكلي على متطلبات بناء المعرفة في تحقيق اهداف التنمية المستدامة، وفقا للفرضية الرئيسة الثانية

الجدول (3) معاملات التأثير الكلي

المتغير المستقل / المتغير المعتمد	بناء المعرفة		R^2	F	
	B_o	B_1		المحسوبة	الجدولية
اهداف التنمية المستدامة	1.638	1.926 *(3.917)	0.730	39.811	4.050

يوضح الجدول (3) من نتائج تحليل الانحدار أن القيمة المحسوبة (و) وصلت إلى (39.811) ، أعلى من قيمة الجدول (1.48) عند درجتين من الحرية (0.05) والمستوى الأخلاقي (4.050) ، ومعامل التحديد وصل إلى (2) ص (0.730) ، وبالتالي (73٪) من الاختلافات الموضحة للتنمية المستدامة ترجع إلى متطلبات بناء المعرفة. قال:" إنها فكرة جيدة".والباقي يرجع إلى متغيرات عشوائية (27٪) لا يمكن التحكم فيها أو غير مدرجة في نموذج الانحدار على الإطلاق. من خلال متابعة معاملات (ب) والاختبار (ر) ، فإن القيمة المحسوبة لـ (ر) هي (3.917) ، وهي أكثر أهمية من القيمة الجدولية لـ (0.05) على المستوى الأخلاقي (1.48) و 2 درجة من الحرية (1.677) ، لذلك تظهر النتائج أن الفرضية الرئيسية 2 غير راضية ، والفرضية الرئيسية 2 مرفوضة. وجد أنه تم قبول الفرضية البديلة. ما هي الدول (هل هناك آثار أخلاقية ذات دلالة إحصائية لبناء المعرفة في تحقيق أهداف التنمية المستدامة)

خلاصة البحث :اتضح من خلال الولوج في تفاصيل متغيري البحث ان :

- تشجع التنمية المستدامة على حماية مواردنا وتعزيزها من خلال إجراء تغييرات منهجية في آليات تطوير واستخدام التكنولوجيات من خلال بناء المعرفة.
- يجب ألا تتجاهل التنمية المستدامة الإدارة والمحددات البيئية ، ويجب ألا تؤدي إلى تدمير واستنفاد الموارد الطبيعية ، ويجب أن تبني المعرفة الفردية وتطور قدراتها الخاصة.

لتحقيق التنمية المستدامة ينبغي وضع حوافز تقلل من التلوث وتقلل من حجم النفايات والمخلفات وتقلل من حجم الاستهلاك الراهن للطاقة وتضع ضرائب تحد من الاسراف في استهلاك الماء والموارد الحيوية، وكل تلك الامور ترتبط ارتباطا مباشرا بعملية البناء المعرفي للمجتمع وافراده.

ثبت المصادر

اولا : المصادر العربية :

1- شلابي ، عمار و الطيار ، حسن ، 2008 ، اشكالية البيئة والتنمية المستدامة في الجزائر جامعة أوات الملتقي الوطني الخامس حول اقتصاد البيئة والتنمية المستدامة

2- عباس صلاح ،2010، التنمية المستدامة في الوطن العربي ، الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة

3- ديب زبدة ، مهنا سليمان ، 2009، التخطيط من اجل التنمية المستدامة ، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية المجلد 25 العدد77

4- مكي ، بو طيبة ، هشام مكي ، عيد الرحمن بوطيبة ، 2010 ، دور المسؤولية الاجتماعية للمؤسسات الاقتصادية في تحقيق التنمية المستدامة الاتحاد الأوربي نموذجا ، ملتقى حول دور العلاقات الاجتماعية في تحقيق التنمية في الجزائر نوفمبر .

5- علي ، امنة حسين صبري علي ، 2015، الاطار العام لمؤشرات التنمية المستدامة طرق القياس والتقييم ، مجلة المخطط والتنمية ، العدد 32 ص 122

6- هاشم ، حنان عبد الخضر ، 2011 ، واقع ومتطلبات التنمية المستدامة في العراق ، مجلة مركز دراسات الكوفة ، العدد 21 ، جامعة الكوفة .

7- الصفار ، هادي رضا ، 2006 ، المحاسبة عن التنمية المستدامة ، المؤتمر العلمي الدولي السنوي السادس ، جامعة الزيتونة.

8- الغامدي ، عبد الله جمعان ، 2007 ، التنمية المستدامة بين الحق في استغلال الموارد الطبيعية والمسؤولية الاجتماعية عن حماية البيئة ، دار وائل للنشر الاردن

9- الجزائري ، اثير محمد ، 2010، دور التدقيق البيئي في التنمية المستدامة - بحث تطبيقي في شركة مصافي الجنوب ، مقدمة الى هيئة أمناء في المعهد العربي للمحاسبين لنيل شهادة المحاسبة القانونية

ثانيا : المصادر الاجنبية :

1. Antopol'skiy, A.B., Kalenov, N.E., Serebriakov, V.A., Sotnikov, A.N.2019, About Common Dig-
2. Bennett, M, Baklovski, K: The Role of Ontology in Related Data, Big Data, and Semantics
3. Information system companies. Communication in Computer and Information Science 518.
4. A scientific space that leans towards knowledge. Westnik Rossiskoy College Nok 89 (7). Pages 728-735.
5. Kalenov, N.E., Malakhova, I.G.2017, Integrirovanniy obshchedostupnyy informationsonnyy RESURS
6. Karl M. Wiig, 1993, Fundamentals of Knowledge Management - Thinking - How Individuals and Organizations Create, Represent, and Use Knowledge, SCHEMA PRESS
7. Laferri è re, T., Law, N&Montan é, M. (2010). Sustainable Curriculum and Education Innovation International Knowledge Building Network. Paper presented at the American Association for Educational Research (AERA) annual meeting in Denver.
8. Laferri è re, T., Montan é, M., Gros, B., Alvarez, I., Bernaus, M., Breuleux, A., Allaire, A., Hamel, C&Lamon, M. (2010). Establishing

knowledge partnerships: an emerging model. Canadian Journal of Learning Technology, 36 (1.(

9. Lee, E.Y., Chan, C., van Aalst Jvan Aalst, J., & Chan, C.K.K. (2007). Student-directed assessment of knowledge building using electronic portfolios. The Journal of the Learning Sciences, 16 (2), 175-220 .
10. WEB Application. Applied Ontology 12 (3-4). P. 189–194 (2017 .(
11. Wiig, K. (2004). People-focused knowledge management. Burlington, MA: Elsevier Butterworth-Heinemann.
12. ..12 Wiig,Karl M.2020,The importance of personal knowledge management in the knowledge society“,Personal Knowledge Management: Individual, Organisational and Social Perspectives” Chapter Proposal
13. Zhizhchenko, A.B., Izaak, A.D.,2009 , The Information System Math-Net.Ru. Current State
14. S. Lindgren, R. Lundström, Pirate culture and hacktivist mobilization: the cultural and social protocols of #WikiLeaks on twitter. New Media Soc. 13(6), 999–1018 (2011). https://doi.org/10.1177/1461444811414833
15. Renáta NémethEmail &authorJúlia Koltai ,2021 The Potential of Automated Text Analytics in Social Knowledge Building ,Pathways Between Social Science and Computational Social Science pp 49-70| Cite as
16. Amit Arjun Verma, S.R.S. Yengar, Simran Setia and Neeru Dubey,2021, Journal of Internet Services and Applications, Volume 12, Journal of Internet Services and Applications, an open source library for analysis and analysis of online collaborative knowledge portal.
17. Gaoxia Zhu, Preeti Raman, Wanlixing & Jim Slotta, 2021, Curriculum Design of Social, Cognitive and Emotional Participation in Knowledge Construction, International Journal of Higher Education Technology, Vol.18, Article No.37.
18. Antoine Da Gumbo,2003(“Development Permanent; é thitique du change, concept init é grateur, principle d 'action ",in development permanent et am é management du, press techniques et universaire romonde Swiss, p. 26.(
19. Bruscher, Edward C. Stott, David E.; Kukins, Gary; Cost management in 2010; Strategic confirmation, fifth edition, MacGraw Hall p:14
20. Hardy, Hanan (2015)' Ternary Theory and Sustainable Development: Literature Review" Business and Management Research, Vol.1, No.2.
21. Jurgis K. Staniskeis, Valdas Arbajskakas, Sustainability Performance Indicators of Industrial Project Management, Environmental Research, Engineering and Management, 2009, No.2 (48(
22. Orboi, Manuel-Dora & Banes, Adrian & Pert Roman, Ioan & Monea, Mirela & Balan, Ioana (2010), "Social Dimensions of Sustainable Development", Journal of Agricultural Science Research 42(3.(

23. Bolshakov, B., Karibaev, A., Shamaeva, E.F. (2019) Introduction to the theory of regeneration management.
24. Using time and space measures. minutes of AIP meeting, 2116, 200009,https://doi.org/10.1063/1.5114190
25. Trusina,Inese and Jermolaeva,Elita,2021, A New Approach to Sustainable Development.
26. Development, Summary of 2021 International Conference "Economic Science of Rural Development", Ghirga, LLU ESAF, May 11-14, 2021, pp. 231-240.
27. Hanan Hardy (2015) "Triple Summary and Sustainability: Literature Review" Business and Management Research, Vol.1, No.2.
28. Gray R,(2006) "Social and Environmental Report, Sustainable Development and Organizational Value Creation? What is value? Who created it? " Journal of accounting, auditing and accounting, vol.19th: 6th, 793-819

تشظي الهوية
في الرواية العراقية النسوية بعد عام 2006

أ.د. اسراء حسين جابر
جمهورية العراق / الجامعة المستنصرية / كلية الاداب / قسم اللغة العربية
Lsraahussan987@gmail.com
009647717730210

الملخص :
تركز الدراسة على تشظي الهوية في الرواية العراقية الحداثية بعد 2006م لاسيما الروايات التي حاولت نقل تجربة التهجير القسري الذي تعرضت له العديد من الشخصيات على اثر التحولات السياسية والاجتماعية والازمات المتوالية في المجتمع التي ولدت القتل والخطف والنعرات الطائفية لذا وقع الاختيار على ثلاث روايات نسوية جسدت تلك الثيمة وهي رواية (عشاق وفونوغراف وازمنة) للطفية الدليمي ، ورواية (عندما تستيقظ الرائحة) لدنى غالي، و(صخرة هيلدا) لهدية حسين، وهي روايات اثارت الكثير من التساؤلات حول الهوية واشكالية الانتماء ، لنكشف عن انعدام الثبات والاستقرار في الهوية ،وهذا ما عانت منه الشخصيات الروائية الرئيسة جراء التحولات التي حلت بالعراق، فأصبحت الفئة المثقفة في البلد تتأرجح في هويتها فلم تعد تعلم إلى أي مكون تنتمي أو في أي مكان تجد ذاتها ، وكيف تلوذ بأرض تجد فيها الامان والاستقرار الذي غيبته الصراعات والاطماع ؟وبين البحث عن موطن جديد والانتماء للموطن الاصل الذي خلق فيه المحتل هويات ثقافية معادية وافراد مستلبين تلونت شخصياتهم وفق المتغيرات وقوة السلطة المهيمنة ، وبين الرغبة بالعودة واستذكار الماضي المبهج والحاضر المأساوي ، تولد موضوع صراع الهوية وتحولاتها.
ومن الجدير بالذكر ان الروايات النسوية المنتخبة امتازت بإحالة النص إلى مجموعة من السجلات الخارجية، التي تستدعي من خلاله الروائيات وقائع وأحداث وموضوعات وخطابات تاريخية خارج إطار المحكي النصي وسابقة عليه، وهو استحضار يحمل مهمة الكشف عن حمولات الحاضر من السوداوية وفقدان الأمل وتكشف عن قراءات متكررة للمأساة التي عاشها الإنسان العراقي عبر التأريخ ولازال يعيشها ، ولعل طبيعة المنهج السوسيونصي المعتمد في الدراسة فرض علينا ان نقسم الدراسة على محورين هما :
المحور الاول : مدخل الى مفهوم الهوية
المحور الثاني :تشظي الهوية وتمثلاتها في الرواية النسوية بعد عام 2006

الكلمات المفتاحية: اللغة – الثقافة –التهجير- الهوية – الصراع

Identity fragmentation
In the Iraqi feminist novel after 2006

Prof. Dr. Israa Hussein Jaber
Republic of Iraq / Al-Mustansiriya University / College of Arts / Department of Arabic Language

Abstract
The study focuses on the fragmentation of identity in the Iraqi modernist novel after 2006 AD, especially the novels that tried to convey the experience of forced displacement that many characters were subjected to as a result of the political and social transformations and the successive crises in society that generated murder, kidnapping and sectarian strife. Therefore, the choice fell on three feminist novels that embodied that theme. It is a novel (Lovers, Phonograph, and Time) by Lutfia al-Dulaimi, and (Tashari) by Inam Kachaji, and (Sakhr Hilda) by Hudayya Hussein, reveals the lack of stability and stability in identity, and this is what the fictional characters suffered from. As a result of the transformations that occurred in Iraq, the educated class in the country oscillating in its identity, so it no longer knew to which component it belonged or in what place it found itself, and how to seek refuge in a land where it found safety and stability that was absent from conflicts and greed? And between searching for a new home and belonging to the original homeland that In it, the occupier created hostile cultural identities and dispossessed individuals whose personalities were coloured according to the variables and the power of the dominant power, and between the desire to return and recall the joyful past and the tragic present, the issue of identity conflict and its transformations was born. It is worth noting that the selected feminist novels were distinguished by referring the text to a set of external records, through which the novelists evoke historical facts, events, topics and discourses outside the framework of the textual narrative and preceded it, which is an evocation that carries the task of revealing the present loads of melancholy and hopelessness and revealing repeated readings of the tragedy Which the Iraqi man lived through history and still lives, and perhaps the nature of the sociological approach adopted in the study forced us to divide the study into two axes:
The first axis: An introduction to the concept of identity
The second axis: identity conflict and its representations in the feminist novel after 2006

Keywords: Language - Culture -Displacement - Identity - Comf

- مدخل إلى مفهوم الهوية:

تعرف الهوية بأنها، وحدة الشيء ووجوده ، فالهوية هي سؤال عن حقيقته التي تميزه ، أي انها تتمركز في في طبيعة صياغة تعريف نهائي للانسان ، من هو ؟ ما هو ؟ فإذ قالوا ما به الشيء باعتبار تحققه يسمى حقيقة وذاتاً ، وباعتبار تشخصه يسمى (هوية) وإذا أُخذ أعم من هذا الاعتبار يسمى ماهية (صليبا،1986، ص53).

ويعرفها علماء الاجتماع بأنها عملية تمييز الفرد لنفسه من غيره أي تشخيصه ، ومن السمات التي تميز الافراد من بعضهم بمعنى العلامات الملازمة كالاسم والنوع ، والسن والحالة العائلية ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى أن الهوية هي أن يكون الشيء نفسه أو مثيله من كل الوجوه ، بمعنى الثبات والاستمرار وعدم التغير(النوره جي ،1990م، ص266) .

ومن الجدير بالذكر فإن الهوية تتشكل بفعل العديد من المهيمنات التأريخية والعلامات الثقافية والدينية الفارقة ، والتي تمنح الانسان خصوصيته في مرحلة من المراحل الزمنية فتتجسد بناء على التفاعل مع مستجدات الحياة التي تمنح الانسان هويته وهوية المجتمع بشكل عام .لذا فهي وليست ثابتة، اي انها خاضعة للتغيير وهذا ما أكده "إدورد سعيد" في كتابه الاستشراق الذي يقول فيه : "رؤية ما بعد الحداثة تصدر عن اعتقاد بأن الطبيعة والبشر والهويات والاحداث والظواهر والافكار لا تتشكل مرة واحدة وإلى الأبد، بل كلها نتاج لحظة تاريخية وسياقات ثقافية تعطي لهذه الاشياء خصوصيتها التي لا يمكن تجاهلها كما لا يمكن تجريدها منها" (سعيد،2001، ص51) ، وبهذا يؤكد أن الهوية لم تعد معطى ماهويا ثابتا وليست جوهرا محددا بل انها تكتسب كيانها ووجودها من الاحداث التاريخية والثقافة ومتغيرات الحياة وضغوطات الصراعات التي يولدها الزمن ، وكلها خاضعه للتغيير لذا فالهوية ممكن أن تتشكل أكثر من مرة وتحمل سمات مختلفة عما سبقها .

وهو رأي لايتفق مع من يؤكد ثبات الهوية في انها عملية تمييز الفرد لنفسه من غيره ؛أي تحديد سمته الشخصية الفارقة ، في أن يكون الشيء هو أو مثيله من كل الوجوه (النوره جي ،1990، ص266)

إذا سلمنا فرضاً إن الهوية ثابتة وليست متغيرة ، فقد أهملنا دور الشعور، واهملنا دور التقلبات الفكرية والنفسية والتحولات الثقافية التي تفرضها المعرفة الثقافية والاحداث التاريخية المفاجئة المعيشة والمستمدة مما هو مقروء ومحكي .

حتى ان الهوية التي تتشكل بفعل التاريخ ليست محددة او ثابتة ، انما هي وليدة تجارب ايديولوجية وثقافية وحضارية لمجتمع معين (النوره جي، 1990،ص 266)

ويكاد يتفق "ستيوارت هال" مع من ينظر للهوية على انها متغيرة بقوله : "ليست هوية ثابتة ولا هوية دائمة وتفترض هويات مختلفة في أزمنة مختلفة " (لارين ، جورج، 2002، ص251) ، وهو بذلك يؤكد على أن الهوية تقوم على الاختلاف والتشابه مع الآخر .

ولعل الهوية الانسانية كما يراها "هايدغر"، هي وجود لا يمكن إدراكه أو فهمه بشكل مطلق، بل هو امكانات جديدة ممكنة "إنه لا يشابه وجود الشيء او الكتلة المادية كالحجر مثلا، بل إنه وجود حركي لا يكاد يتضح في مظهر سلوكي حتى ينقلب الى مظهر آخر" (صفدي ، 1980 ، ص8)

إنَ الهوية الشخصية لا تمنح بشكل نهائي منذ الطفولة وحتى نهاية الحياة بل تكتسب في الغالب بالتعارض والصراعات والقطيعة مع الجماعة

ولا عجب أن نجد بعض المفكرين ومنهم "غوتلوب غريغه" يعلنون بأن الهوية مفهوم ليس له تعريف ثابت ، وذلك لان كل تعريف يعد هوية بحد ذاته ، فالهوية -كما يرى- مفهوم انطولوجي وجودي يمتلك خاصية خارقة تؤهله للظهور في مختلف المقولات ، وهو يتمتع بدرجة عالية من الشمولية والتجريد تفوق مختلف المفاهيم الاخرى القريبة منه (البعلبكي وآخرون ، 2013، 157).

وحين نطالع ما طرحه المفكر الفرنسي "أليكس ميكشيللي" حول الهوية فانه يعرفها بأنها : مجموعة متكاملة من القضايا المادية والمعنوية ،النفسية والاجتماعية التي تتضمن نسق من عمليات التكامل

المعرفي وتمتاز بوحدتها التي تتمثل في الروح الداخلية والتي تعكس خاصية الاحساس بالهوية والاعتزاز بها . فالهوية هي مجموعة من المشاعر الداخلية التي تمثل الشعور بالاستمرارية والتمايز والديمومة والجهد المركزي ، وهذا يعني أن الهوية هي وحدة من العناصر المتكاملة التي تجعل الشخص يشعر بتميزه عن سواه ويعتز بذاته (ميكشيللي، 1993، 129).فليس التشابه بالسمات هو الذي يعطي معنى الهوية بل ان طبيعة التناقضات والصراع القائم لحل التناقضات من منظار التكامل الدائم بين الأنا والآخر قد يسهم في معنى الهوية .

فحتى نفهم الهوية لابد من ربطها بكل الظروف والشروط القائمة التي تصادفها الذات في زمنيتها، فكل مسعى للوصول الى هوية خالصة يستدعي الانغلاق على الغير وعدم الأخذ منه والتفاعل معه. "فكلما كان الانقطاع حاضراً تزداد حظوظ المحافظة على التشكيلة الاجتماعية وعلى نفوذ التقليدية فيها" (معلوف،2011 ، 34).

وهنا لابد من القول أن كل حديث عن الماضي، يحمل في طياته نوعا من رفض الهوية، وفي الوقت ذاته نوعاً من التخوف او العدائية نحو الآخر، وهذا الامر يوضح ازدياد مفاهيم (والتشكيك ، والخيانة) لاسيما في المجتمعات المنغلقة على نفسها و التي اجتاحتها رياح العولمة واثرت على عقول ومشاعر ابنائها، إذ اججت العولمة قناعات جديدة حول الانتماء تسعى فيها الى الانفتاح بدل الانغلاق والى التغيير بدل الثبات وإلى الشك بدل اليقين، فصار الاعتراف بالاخر و إدخاله ضمن كيانه الشخصي وربط ذاته به امرا واقعا ولابد منه (ريكور، 2009 ، 26) ، فالثابت العقلي الذي يعطي معنى متين على الديمومة في الزمن الذي يعد واحدا من التجليات التي تحاول الاحاطة بالهوية عن طريق المقاربة ، فلم يعد متجذراً في فضاء المحلية، بل في فضاء العالمية.

فالهوية لا تنفصل عن الحياة ولا عن الثقافة بالقدر الذي يرتبطان به بالوجود الإنساني، لأنه أحد المكونات الجوهرية للطبيعة الانسانية .

إذن فالهوية كمشروع تتأسس في الزمن ، ولا غنى لها عن اصول الذات التي تصوغها سرود حياتنا وترسم صورتها، اذ ان العناصر التراثية الذاتية في مشروع الهوية لا تتعرض للحذف والالغاء التامين "ولكن ثمة انتقاء يقوم على الحذف والاستبقاء" (كاظم ، 2004، 45)

فالهوية ليست فعلاً نهائياً في الكيان الإنساني، بل هي تتشكل عبر التأريخ، وتحدد خصائصه تقبل التشابه والاختلاف والتعددية ، وهذا هو جوهر الوجود البشري، وهذا الحضور يظهر عبر أطر تضمن له التشكل والاختلاف ، وتوفر له ادوات التعبير عنها .

إن الذات االواعية لها وجود دائم ضمن التاريخ، ترتبط بع وتتعايش احداثه وتعاينه، وتضع نفسها على مسافة منه بحيث يتجلى لها في كامل موضوعته، ويطلق "غادامير" على هذا الوجود ضمن التاريخ بـ "الوعي المندرج في الصيرورة التاريخية"، والتاريخ على وفق مقولة غادامير، شيء نعاينه دائماً من الداخل بما هو كذلك، حيث نقف فيه، والذات بهذا الارتباط بالتاريخ، لن يمكنها أن تدرك الماضي في غيريته المطلقة، لأنها تدركه دائماً على ضوء أفقها الخاص وانطلاقاً منه، وهذا ما يميز كل معرفة تاريخية على الاطلاق، ومن يظن أن باستطاعته الوصول إلى الأفق الآخر، أفق الماضي، من دون أن يعتد بأفقه الخاص، إنما ينقل معايير ذاتية في الاختيار والمنظور والتقدير حتماً، لإعادة بناء الماضي بزعم أنها موضوعية" (كاظم ، 2004، 20)

2- تشظي الهوية وتمثلاتها في الرواية العراقية النسوية بعد 2006:

شهدت الرواية العراقية النسوية بعد عام 2006 مدونات روائية حافلة بموضوعات معاصرة لها اثرها في المجتمع العراقي اهمها الصراع الديني والعقائدي ، الاقليات ، قبول الاخر ، و الانتماء للوطن ،التنمر ، التهجير القسري ،واشكاليات الهوية من شتات واستلاب وتشظي والبحث عنها ورفضها ، وهي موضوعات ظهرت بجراء التحولات السياسية التي مرّ بها العراق.

ولعل الروائيات العراقيات كشفن الى جانب قضايا المرأة الذاتية عن علاقتهن بالاخر، وتجسيد القضايا الاجتماعية والسياسية الاكثر شيوعا في المجتمع ، فالهجرة الى بلدان اخرى بسبب التحولات السياسية و شيوع ظاهرة التطرف والقتل والتهميش جعل الكثير من الشخصيات تطلّع على ثقافات وسلوكيات وديانات مختلفة ، لذا كانت تلازمها ازمة التعايش بوصفها مواطنة في وطن غير وطنها ، ومن ناحية اخرى تلازمها هيمنة الذاكرة والحنين الى الوطن الام ، وهذا ما خلق نزاعا داخليا وعدم يقين في الانتماء الى اي منهما ، وتراود الشخصيات العديد من التساؤلات ، اي دين واي لغة واي ثقافة واي عادات وتقاليد وسلوكيات تمثلني؟

فشخصية (نهى) مثلا التي تتعرض لحدث الاختطاف في رواية (عشاق وفونغراف وازمنة) ، ومن ثم تشهد اغتيال اخيها بعد الاحتلال الامريكي للعراق عام 2003م ، تحاول ان تجد ذاتها خارج فضاء الوطن الام حيث الاصول والنشأة والطفولة والعلاقات الاسرية والطموحات ولذة الطموح ، تترك كل ذلك مرغمة ، لتبحث عن حاضن وفضاء جديد تجد فيه ما افتقدته في ارضها ، اذ تجد صعوبة في تقبل الاخر فـ((تحاول أن تتناغم مع الأمكنة اينما تلقي بها الاقدار ، تحاول وتخفق ، تخذلها وسائلها ، تجهل الطرائق العجيبة التي يتبعها المتوائمون مع الأمكنة والبلدان ليفوزوا بنوع من طمأنينة زائفة في خضم حياة ليست حياتهم لانها تبقى _مهما فعلوا ومهما حاولوا- محض استعارة هزلية مؤقتة))(الدليمي، 2016، 20) فذات الشخصية تتقاطع بين الرغبة في الوجود وبين همها في ان تتعايش مع المجتمع الذي فرض عليها اسقاطاته والتزاماته وهذا ما يجعل الهوية تتشظى لذلك تجد نفسها في مواجهة بين البحث عن الهوية في أرض الغربة في مقابل ذكريات الطفولة التي تشكل هي الأخرى هويتها ا التي دائما ما كانت تثير مشاعر الانتماء للتأريخ وللثقافة حتى بدت حياتها مرتبكة لتسأل ذاتها (من هي ومن تكون).

ربما ان الهوية الوطنية لايمكن ان تظهر وتنمو وتتطور ما لم تكن هناك تناقضات وبحسب ادورد سعيد فان الهوية " لا توجد بمفردها ومن دون ثلة من التناقضات ، والنوافي والاضداد " (سعيد ، 1998، 119).

فحين تتذكر حدث اختطافها تقر بعدم وجود شيء يربطها ببلادها الموجوعة، إذ تجده بلداً "يغتال كل رغبة ، ومتى ما أغتيلت الرغبة فإن الاغتيالات الكبرى ستحصل : أنا على سبيل المثال من اغتيلت رغبتي في الحب والحياة في محاولة اختطاف وزواج فاشل ، واغتيلت رغبتي في العمل حين عدت الى بغداد وامامي احتمال كبير أن لا اعود مطلقاً الى غرينوبل ، كم من الاغتيالات تلاحقني ؟ كيف سأنجو من كل هذا المسخ لحياتي؟" (الدليمي ، 2016، 101).

فهي واحدة من الشخصيات المسكونة بالرغبة في مواجهة الاحباطات الداخلية لتعيش جدل الذات ما بين طموحها والعالم المحيط بها ، فهي تعيش فضائين مختلفين ثقافيا واجتماعيا وهذا ما اسهم في تشظي الهوية وتولد هوية تاريخية حيث الاصول والوطن وهوية الاخر المختلف .

فتحاول الشخصية أن تبرر لنفسها قرار رفضها للهوية الوطنية واصرارها على الابتعاد :" غداد في حزيران 2004 ليست بغداد التي تعرفها نهى : البلاد ظلٌ ممزق لصورة تتلاشى ، بغداد تغيرت والعراق ليس هو العراق الذي غادرته في 2006، وجدت نهى صعوبة في التآلف مع طعم المرارة القاتل ، المدينة في حالة انحلال ، الناس يغالب بعضهم بعضا والقبح ينتشر كوباء اسود والزمن يتطاير من مطحنة الاحداث ويتبدد على الوجوه " (الدليمي ، 2016، 229).

إذا كان سؤال الهوية يكمن في حالات عدم القدرة على الانجاز والتواصل أو تقبل الآخر فضلاً عن الإحباط والعجز عن الشعور بالتوازن مع المغاير يؤدي بالفرد إلى الشعور بالخوف من هويته فان شخصية (نهى) تشكل شخصية محورية ،فهي من ناحية تعيش صراعا هوياتي وذلك بسبب غربتها التي تعيق طموحاتها وتجعلها غير قادرة على تحقيق أهدافها المستقبلية لتعتزل محيطها ، ومن ناحية نجدها منقبة في اعماق الذاكرة عن جواهر تربطها ببلدها حيث الطفولة واماكن صباها والبحث عن شريك في المصير .

اما شخصية (نادر) فهي شخصية مرتبطة بوطنها وتشعر بالانتماء الكامل له ولا تسعى لتركه بأي شكل من الاشكال ، شخصية تفضل الانعزال عن المجتمع الذي لا يتوافق مع تفكيره على ان يغادر وطنه ، الا ان حبه لنهى خفف عنه الشعور بالقهر على ما يمر به البلد من "الأضحيات البشرية التي تقدم صباح ومساء على مذبح العقائد والسياسات ؛ فيعمد في احيان كثيرة الى إغلاق منافذ الاتصال بالعالم الخارجي ويمتنع عن مقابلة أصدقائه المعدودين الخُلّص ويستغرق في قراءات مستفيضة عن الكون وفلسفة العلم ومستجداته " (الدليمي ، 2016 ، 332).

يعكس النص الاحداث الدموية التي سلبت الانسان حقوقه التي جعلت كل فرد فيها ينعزل عن مجتمعه وعد الانخراط والتواصل معهم ، وهذا عائد الى ضعف المواطنة ، فالاحداث التي مر بها العراق بعد عام 2006 اسست لهوية دينية ثقافية محددة وهو مجتمع متعدد الهويات وهذا ما خلق فجوة بين المواطنين أنفسهم ومن ثم ضعف الانتماء والمواطنة .

ربما ما جعل شعور شخصية نادر يحتد بهويته العراقية هو شعوره بالخطر الخارجي المحمل بالعدائية الذي اثقل البلد بثقافة الاقصاء والتهميش وهذا ما جعله يرفض الهجرة " مصمم على عدم اقتلاع نفسه من العراق ويردد دائما ؛ رغم معاناتي كل انواع الرعب والخوف والعزلة وتوقع ما هو اسوأ كل يوم ، لكني لا استطيع العيش بعيدا عن هذا البيت" (الدليمي ،2016 ، 334)

وتظهر شخصية (نهى) الاكثر تأثراً بالاحداث المفصلية الخطيرة التي مر بها العراق ،لتعيش حالة من التأرجح بين الانتماء والانسلاخ ، إفمن خلال رصد التصدع الذي طال اللحمة الوطنية وتشتتها في المنافي ، وهذا ما جعلها لا تشعر بالانتماء للوطن ، فكان البقاء في البلد هو محور الصراع بينها وبين نادر ،فلم تحبذ البقاء في العراق ، فحاولت إقناع نادر بذلك :"نادر انت حالم كبير ، العراق بيئة طاردة للعلم والابتكار ومن سيهتم باختراعك هذا

- أؤمن أننا بالحب نستطيع انجاز الكثير ، الحب قوة دافعة عظيمة أتؤمن بما أفعل؟؟" (الدليمي،373،2016)

وتعكس الرواية ايضا هوية المثقف في العراق : " طرازنا من النساء والرجال لم يُخلق لهذا الزمن ، حولنا أمة من الأقنعة وحشود من القتلة علّمني عمي الشيخ قيدار أن أدع كل شيء خلف ظهري وأمضي قدما،.....في بغداد يتشابه الجميع ليختلفوا أكثر ويقتل أحدهم الآخر ، هم نتاج الكراهية والتحارب والدماء ، وقد يقتلنا البعض قتلا معنوياً بخداعه لنا " (الدليمي ، 2016، ص145) .

فهوية المثقف في حالة استلاب حقيقية ،جراء الاحداث الطائفية والقتل العشوائي وهذا ما جعل الشخصيات المثقفة تثور وترفض وتتمرد على واقعها والتمرد على هويتها

وتشكل اللغة هوية متشظية بين اللهجة العراقية ولغة موطن الغربة ، فعلى الرغم من حماية الفرنسيون للغتهم من هيمنة اللغات الأُخرى ، تلجأ إلى أفكارها التي تتوسد ذهنها باللهجة العراقية والاغاني العراقية والعبارات التي تثير الانتماء للمجموعة "وسط بلبلة لغات وأراق ، هي بين الغرباء تلوذ بلغتها التي تحبها ، ترى اللغة سوراً لا مرئياً يحرس وجودها من التلاشي ، تفكر وتحيا وتتحرك في أروقة لغتها ، تعوم في نهر من مفردات وعلامات ، واللغة تتدفق حولها ومن اعماقها" (الدليمي ، 2016، ص110).

فلم تكن اللغة مجرد كلمات وألفاظ للتفاهم لكنها جزء من هوية الشخصية (نهى) وهي وعاء لكل خبايا واسرار مجتمعها ،فما كان رسوخ تلك اللهجة إلا انجذاب وحنين لمجتمعها. في مقابل ضغط اللغة الفرنسية بحكم غربتها وعملها في ذلك البلد ، وهذا ما شكل تشظيا بين محاولتها التعايش مع فضائها الجديد وبين جذورها التي تنبعث من ذاكرتها .

حتى الاغاني و الاناشيد الشعبية اسهمت في خلق التشظي الهوياتي واسهمت في تحفيز الذاكرة والحنين الى الوطن الام والشعور بالغربة ، فشخصية نهى تستحضر بذاكرتها انشودة طفولتها وهي تمشي في أحد شوارع باريس حين نزل المطر وتتساءل : " ترى البنات يتراقصن تحت المطر ويغنين جذلاتٍ :

مطر مطر حلبي ..... عَبّرْ بنات الجلبي

مطر مطر شاشا ..... عَبّرْ بنات الباشا
مطر مطر عاصي ..... طوّل شعر راسي

لم تكن تدرك سببًا لدلال بنات الجلبي المترفات وحظوة بنات الباشا اللائي تطالب الصغيرات أن يحملهن المطر ويعبر بهن الطرقات بعيدًا عن الوحل والبلل "(الدليمي ، 2016، ص17) ، ان استحضار الأغنية الشعبية في ذهن (نهى) من جراء نزول المطر في باريس حفز ذاكرتها وخلق تشظيا على مستوى الذات وجسد ازمة نفسية جراء الغربة المؤلمة والحنين الى الطفولة للهروب من الاحداث التي اسهمت في قرار هجرتها ،فما واجهته شخصية نهى من مرارة وقساوة ظلت آثارها شاخصة في حياة الغربة لاسيما حدث اختطافها قبل سفرها ومن ثم فراقها لأهلها ومدينتها ،لذا فإن للطفولة أثراً إنسانياً عميقاً في الشخصية ، وعليه فقد وظفت الكاتبة هذا الجانب من الأغنية التي تخص مرحلة الطفولة واللعب اثناء نزول المطر فقد لجأت إلى أفكارها التي تتوسد ذهنها باللهجة العراقية والأغاني العراقية والعبارات التي تثير الانتماء للمجموعة، فضلا عن ذلك فأن اللغة لم تكن مجرد كلمات والفاظ للتفاهم لكنها جزء من شخصية نهى وهي وعاء لكل خبايا واسرار مجتمعها ، وهو ما يؤكد انتماء الشخصية وحنينها الجارف إلى وطنها .

ولم تكن شخصية نهى وحدها هي المتمردة على واقعها اذ نجد شخصي (صبحي الكتبخاني) والد جدها هو الاخر يمثل شخصية متمردة ، فهو شخصية رافضة لهويته التاريخية ، شخصية متمردة على اسرته التي تعلن ولاءها للسلطات العثمانية ومتمرد على الاعراف والتقاليد مولع بالحداثة متشبثا بالعلوم المستجدة شغوفا بالموسيقى والنساء ، فتكشف مذكراته عن سعيه الدؤوب لتغيير مسارات حياته النمطية وتحقيق احلامه وذلك بخلاصه من هيمنة اسرته وسفره للدراسة في الاستانة ، فكان يظن ان هويته تكمن في السفر " هناك سيتاح له أن يقرأ فولتير ، سيقرأ مونتسيكيو ، سيقرأ مسرحيات موليير المترجمة للتركية ، سيقرأ ويقرأ ولا سبيل إلى ذلك سوى السفر إلى الأستانة وهناك سيرى حقيقة السلطان والسلطنة التي يقدسها أبوه على انها امتداد للخلافة الاسلامية وهي وحدها التي يحق لها حكم بلادنا والبلدان الاسلامية اجمعها ، وكانت هذه إحدى تناقضات الأب والابن ؛ فكل منهما يمثل ضداً مخالفاً لصاحبه ، هناك سيرة عن كثب حقيقة ما يشغله من أمور جرى الاختلاف عليها.."(الدليمي ، ص179).
نستطيع ان نعد شخصية (فصبحي الكتبخاني) شخصية ثائرة تمكنت من مواجهة التحديات ، فبالإضافة الى تمردها السلطة الابوية ورفض للاعراق الجامدة ، نجدها تتمرد على مستوى الأفكار ورفض التبعية ، فيحاول تغيير مظهره الخارجي جراء الانبهار بالآخر :"خلع الملابس التي أتى بها من بغداد تنهد وشعر بأنه تحرر من عبء ثقيل طال حمله واعتبر ملابسه البغدادية منذ تلك اللحظة أسمال زمن لن يعود ، وطلب من مالك المخزن أن يهبها لخادمه، انتشى جسده الفتي وهو يلامس القميص القطني الرقيق بنعومته الفائقة وامتلأ زهوا والبائع يعلمه كيف يعقد الرباط الحريري الفرنساوي الصنع وكيف يعتمر طربوشه الجديد الذي يليق ببدلته الفاخرة ، ولم يكتم مشاعر الفخر بالتغيير الذي حصل له وهو يرى هيأته الجديدة التي جعلته رجلاً ذا شخصية مختلفة تماما وتناسب شاباً يدرس في الأستانه" (الدليمي ، ص202) ، فقد اذهلته المدينة بمظهرها الخارجي فكان الملبس أول تلك القشور التي لا تلبث أن تتعرى أمامه ليرى زيف ما تلك المجتمعات وما تخفيه ، وما تحاول تصديره للدول العربية الخاضعة لها .فكل هوية تتشكل بفعل التجربة المشتركة في ظروف محددة إذ تتبلور التصورات والقناعات بأنه ينتمي لجماعة دون اخرى ، وبالإمكان أن تتغير تلك الهوية بتغير القناعات وتعدد التجارب وتحولات الزمن .وقد تتأرجح بسبب تحول الانتماءات .
كذلك نجد في رواية (عندما تستيقظ الرائحة) لدنى غالي التي تنقل واقع الهجرة القسرية جراء الفوضى والاضطرابات والانقسام التي عاشها العراقيون على نحو عام وشخصياتها على نحو خاص ، اذ تحاول الروائية ان تسلط الضوء على معاناة العراقيين في ارض الغربة وما تمخض عن ذلك من صراع الهوية

وتشظيها ، فشخصية رضا مثلا لم تستطع تقبل الحاضن الاجتماعي والثقافي الجديد الذي هاجر اليه بسبب ما تعرض له في ارض الوطن ارض الولادة والمنشأ ،فهناك شد الى الحاضن الجمعي حيث الوطن في مقابل الوجود الاجباري في ارض الغربة ، فقد عكس المعاناة الحقيقية والنموذج الامثل للصراع الهوياتي الذي تعانيه اغلب الشخصيات العراقية المهاجرة ، فشخصية رضا بتركيبتها لم تستطع تقبل المجتمع الجديد لكنها ارغمت على العيش فيه لذا تتصارع في داخلها مشاعر الحنين للماضي وعدم القدرة على التعايش أو التكيف في المجتمع الجديد، وهذا ما ولد عنده اضطرابا وازمات نفسية جراء الاحداث الاليمة من سجن وضرب ومرض وخيانات وتهجير

ويحاول الراوي ان يجسد لغة الشخصية التي نستشف منها تشظي الذات بين فقدان التحكم بمشاعره والتعايش مع الفضاء الجديد بكل ما فيه من لغة مختلفة واخلاقيات لايستطيع تقبلها وبين رغبته بالعودة مع عدم استطاعته لقساوة ما مر به والخوف من القادم الذي قد يكون اسوأ ، هذا الصراع افقد الشخصية التوازن وهيمن عليها الشعور بالغربة والوحدة :"كم من مرة اقف مترنحا لأحدث نفسي في المرآة . أكلم هذا الولد الذي لا يزال تائها بداخلي . لكنني أحمق ، مضحوك علي ، فاشل أملأ دمي بالسموم . كم من مرة يشتد قلقي لإرتجافة يدي ووزني المتناقص ، وجهي الذابل وخطوط الشيب التي ترعبني بغزوها رأسي"(غالي ،ص140) الغريب في هذه الشخصية وبالرغم من التفكك الاسري وابتعاد زوجته والاحداث المريرة التي حصلت في العراق الا انه شخصية حاولت ان تبروز ذكرياتها وان تبقى حبيسة الماضي وما تحمله الذاكرة من قيم وعادات وسلوكيات تجعله ينبذ اي ثقافة اخرى .

هذا ما جعله شخصية بلا حاضن بلا ارض ، بلا وطن شخصية بلا عائلة بلا اصدقاء بلا اهل في ارض يجهل عنها الكثير وخوف من وطنه الام رغم حنينه جعلته يشعر بخيبة الامل .

اما شخصية مروى البصري هي ايضا من الشخصيات التي مثلت تشظي الهوية لاسيما الهوية اللغوية فعلى الرغم من محاولتها التكيف مع حياة الغربة مرغمة الا ان ما واجهها صعوبة تعلم اللغة الانكليزية وهذا ما يجعلها تشعر بشد الى وطنها ، إذ تشتاق الى لغتها العربية الى الحوارات للتلاعب بالكلمات ، فكلما سمعت حديثا عراقيا تشعر "تهطل مطرا مدرارا ، ماء يتعكر فيه الحزن والدهشة وشعور بالبغض من حالي . اسأم انكليزيتي الركيكة ، دانماركيتي السيئة والاستعانة بالمترجمين والمترجمات" (غالي، ص155) كما هو واضح فان اللغة هي اساس التواصل بين الافراد لذا فعدم القدرة من ايجاد انسان تتبادل معه الحوار ، انسان يفهم ما تقوله ويشعر بما تشعر به ، هذا ولد لديها احساسا بعدم التكيف والتعايش في البلد الحاضن ، اذ تؤكد صعوبة "اقتحام التجمع الغفير لتلك الاجناس المختلفة من البشر ما يدفعني الى الاختباء خلف ماريا. تشق الطريق لي كل مرة ننتقل فيها الى مجموعة تعرفني عليها . بعد جرعات احصل عليها من هنا وهناك يبدأ جسدي بالاستجابة . أجهزة الصوت ضخمة جدا والموسيقى التي تعزف تهز الجدران في القبو الذي ننزل اليه" (غالي ، ص172) لذلك تبقى تائهة تواصل الصراع مع ذاتها المتشظية حتى عندما ارادت التواصل مع (نهلة) وجدتها قد تغيرت جذريا ولبست الشخصية الدنماركية فغيرت اسمها وطبيعة شخصيتها : "ماذا أقول لها عن وحدتي ، انا الغريبة . ونحن ملة لا تأخذ فرحها إلا من الاخرين ؛ نحن نستقي الفرح ، لا ينبع منا ؛ الفرح عندنا هو ما نتقاسمه مع الاخرين"(غالي ، ص221) ،وهذه خيبة امل اخرى وضياع للذات والهوية ، فقد شعرت بخسارتها لمن يبادلها المعاناة لتستمر بوحدتها ومناجاتها وتساؤلاتها التي لا اجابة لها : "يا إلهي كم نحن قاصرون ، وقاصرون عن ان نكون نحن . مَن نحن ، مَن كنا . هي الأسئلة ، لا املك غير الأسئلة ، ليس قبلا . الآن ، في هذا المكان ، من أنت ، لا أملك غير الأسئلة . متى كان هذا تماما ! منذ متى أين أنا ، أين، أسأل دوما . أيحدث كل هذا ، أفي العشرينات ، الاربعينات ، الخمسينات ، ام الثمانينات ، ام التسعينات"(غالي، ص228) اسئلة تتشظى وتتفرع باضطراب واضح تهيمن على فكر الشخصية بسبب ما عانته من تهجير وقسوة والم اسئلة تؤكد

ازمتها النفسية وبحثها عمن يشاركها العيش والبوح والتواصل اسئلة فيها لوم موجه للتاريخ وللمحطات المؤلمة في بلدها التي تتكرر باشكال مختلفة ، والخاسر الوحيد هو الانسان.

اما في رواية(صخرة هيلدا) للروائية هدية حسين شكل التشظي ملمحا ملفتا في ذات المرأة العراقية المسكونة بالرغبة في مواجهة الاحباط الداخلي على المستوى الشخصي والانساني والاجتماعي ، متجسدا في جدل الذات في بحثها عن نفسها والعالم من حولها وهذا ما خلق ذاتا متشظية عصفت بها فضاءات المنافي اثناء رحلة البحث عن وطن بديل وآمن .

فتحاول الروائية التقاط تفاصيل حياة الشخصية وترسم لنا حالة التشظي بين وحدتها في الغربة ووحدتها في بلدها ، فتظهر شخصية (نورهان) الشخصية المتأزمة نفسيا التي تعيش حالة من القلق الوجودي ذلك بسبب ما مرت به من الم ومعاناة بسبب مقتل والدتها على يد مجهول جعلها تقرر الهجرة الى موطن اخر تحاول ان تنسى ما مر بها وان تبحث عن ذاتها التي ضاعت وسط احداث العنف التي هيمنت على البلد وبحثا عن سكينة وسلام لروحها المأزومة والتي لا تعلم هل ستجدها ام (حسين، 2013،ص21) وهذا ما ولد لديها الخوف من التعامل مع اي شخصية ، ففضلت ان تحاور صخرة وتبوح لها بمشاعرها على ان تعتاش مع اشخاص اخرين . لعل القلق ولد صراعا داخليا بين تشبث الذاكرة وهيمنتها على الشخصية وبين محاولة محو ما مر بها لتصل الى هدوء النفس "ثمة صوت في رأسي لا يكف ولا ثانية لقد اثرت المكوث منذ سنوات ولا يتركني الا بعد ان اسقط في النوم وما ان اصحو حتى يبدأ مع اول حالة صحو ، لا هو بالازيز ولا بالطنين ولا بالصرير ولا ... " (حسين ،2013، ص30) هذا الصراع جعلها تيقن بلاجدوى الحوار مع الاحياء فتفضل الحوار مع الاموات فيقع الاختيار على صخرة نادرة في وجودها وشكلها صخرة هيلدا التي اكتسبت اسمها من شخصية ميتة رحلت وهي في عمر العشرين عاما ، كتب عليها (موريالك يحبك يا هيلدا) تقف نورهان عند الصخرة تناجيها : "جئتك من اقبية الدخان والخذلان من بلد هو الوحيد في العالم يقيم مهرجانات للاحزان ويتوجس من الافراح والمسرات بلد اذا زلت فيه المرأة اقاموا عليها الحد والحد عندنا مرهون بأطراف السيوف والخناجر.. سيوف وخناجر لامعة وصقيلة لا نستحي من رفعها شعارات على اعلامنا ومنارات تسير تحتها الجموع مغيبة عن الوعي ،الامان هنا هو القاعدة وفقدانه هو الاستثناء وهناك في بلادي وشقيقاتها فقدان الحياة هو القاعدة والامان هو الاستثناء ولذلك فالكل خائف هناك.."(حسين ، 2013، ص 78) تحاول الشخصية هنا ان توضح سبب اضطرابها وخيبة املها من موطنها الاصلي وتحاول مقارنته بالموطن الحاضن الذي لم تستطع مجاراته فتبوح بأهم السلبيات التي عانت منها في الواقع العراقي من حيث هيمنة الاحداث الاليمة والمحزنة عبر التأريخ ، حتى اصبح الامان ضائعا على العكس من البلد الذي لجأت اليه إذ يعطي الحق لكل فرد فيها ، حتى الحيوانات لهم جزء من هذا الحق ، حتى انها توظف بعض المشاهد لتبين المتناقضات ما بين المجتمعين،اذ ترصد عائلة تربي حيوانا يرافقهم في رحلة يعاملونه وكأنه طفل صغير ، هذا المشهد اثار تساؤلاتها حول اسباب ضياع حقوق الانسان وليس الحيوان

فالانسان في بلد الحضارت يقتل بلا اسباب ويرمى بلا شفقة او رحمة ، وان عاش فلا مناص من المحن والصراعات من اجل الوجود او التهميش والا فالهرب هو الحل الامثل ، صراعات خلقت بفعل المحتل وجعلت من الوطن طاردا لاهله ولا ملاذ لمن خرج سوى الذكريات السارة التي تبقيه متشبثا بما بقى.

ولا تكتفي بذل فهي تحاول عرض المتناقضات ما بين صورة الخوف في العراق والخوف في البلد الحاضن ، فالخوف في كندا له عيد ،اذ يتنكرون بازياء غريبة ومخيفة من اجل الضحك والتسلية وهو حدث جعلها تقارن ذلك بالاعياد اللا متناهية للخوف في بلدها اعياد كثيرة لكنها ليست لتسلية اعياد "بأدوات حقيقية.. فؤوس وسكاكين وسيوف وخطى قريبة تتبعك... فيمضي كاتم الصوت او السكين الى

صدرك... وقد يفجرون اجسادهم فتتشظى لحظة لانهم يعتقدون انهم بموتك سيتزوجون من الحور العين"(حسين ، 2013، ص104) هذه المقارنات بين الفضائين ولد اضطرابا وتشظيا على مستوى الهوية فهناك قلق وحيرة من القادم في كيفية التواصل والتفاعل مع الاخر وكبف سترمي بحمولة الذكريات التي تكبلها .

ومن الجدير بالذكر ان التشظي قد طال مشاعر الحب فعلى الرغم من محاولاتها نسيان علاقتها بشاهين التي لم تكلل بالنجاح لارتباط شاهين بواجباته العسكرية الا ان ذاكرتها في الغربة لا زالت تصور لها جمال تلك الاوقات ، وفي الوقت نفسه تحاول ان تنتشل الذاكرة من تلك المهيمنات العاطفية لتستعيد نفسها من جديد : "أدرك الآن أنني خارج مقاسات الحب , وما عدت بذلك الزهو الجسدي لتقبل العلاقة , فلماذا استوطنني فايروس المرض وأكل نصف عمري وما زلت أكافح كي أتخلص منه ؟
الآن يا هيلدا أعترف بأنني سئمت حكاية شاهين وأريد أن أستعيدني بذاكرة نظيفة , أسترجع ملامحي قبل أن يطمسها الزمن , كانت الحياة فظة معي وغير مقنعة في مسوغاتها ولم تعد صالحة للنظر وأنا على هذا البعد الشاسع من تلك الحياة , وأدرك تماماً بأنني لم أعد تلك الزهرة اليانعة التي حان أوان قطفها ولم تقطف , أنا الآن أقفز عتبات السنين بسرعة لم أكن أحسها من قبل , لهذا كله أرغب , وإن جاء الوقت متأخراً , بتخليص جسدي من ذلك الفيروس ... ربما تسخرين يا هيلدا عندما أصف الحب بالفايروس , أنت معذورة لأنك لا تدركين أن الحب عندنا نحن الشرقيات مثل مرض يستوطن الروح ولا نبرأ منه حتى آخر العمر , وكل ما نطلبه بعد ذلك هو تأجيل الأحزان وليس ردها , وتكون تجربتنا الأولى هي البصمة التي ترافقنا طوال العمر , وإذا خذلنا الحبيب تصبح الدنيا غير الدنيا , وتأتي العلاقات اللاحقة مثل صدى نسمع رنينه لكن سرعان ما يذهب جفاء, تماماً مثل هذا الزبد الذي تقذفه الأمواج عند صخرتك " (حسين ، 2013، ص187)

الخاتمة

بعد تلك الرحلة في تشظي الهوية وقفنا على مجموعة من النتائج اهمها

- حاولنا ان نقف عند حدود مفهوم الهوية وكيف تحول من الثبوت الى التعددية بفعل التطور وضغوطات العولمة الفكرية والثقافية واثره على المجتمعات
- لاحظت الدراسة ان تشظي الهوية يكمن في فقدان القدرة على الامساك بالذات جراء ما مر به المجتمع من تغيرات سياسية و حروب وظروف من حصار اقتصادي وتهجير وقتل وعدم توافر الامن مما ولد ضعفا على مستوى التعايش مع المجتمعات الاخرى .
- من خلال الروايات المنتخبة نجد ان روايات ما بعد الاحتلال وتغيير النظام السياسي تحيلنا إلى مجتمع عانى مؤثرات الحركات الاستعمارية التي رسمت حدود الدمار على جميع الصعد ، الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وحتى الثقافية مما اسهم في تصدع هوية الفرد العراقي
- ان الدمار الكبير الذي مر به العراق في مقابل ما تمتاز به المجتمعات التي هاجر لها ابطال الروايات جعل شخصياتها تعيش صراعا على مستوى الهوية ، فهل تتمسك بعربيتها ام تسير وفق ما تسير عليه البلاد الغربية ام ان الهوية تتشظى لتتعدد الهويات وفق الاعتياش ضمن الحاضن الاجتماعي والثقافي الذي يمنح الاستقرار والامان
- اسهمت اللغة في تأجيج مشاعر الحنين وتوليد الصراع الداخلي والحيرة في ايجاد الذات وتحديد هويتها

- كما لاحظنا من خلال الروايات ان هناك صراعا بين المواطنة وتقبل الاخر فالذاكرة التي تغذي عقول الشخصيات المغتربة بالمواطنة بفعل ما يشاهده من احداث ايجابية او سلبية تجعله يشعر بالذنب اذا ما حاول التكيف وقبول الآخر والاعتياش معه ،
- خلقت الرواية النسوية العراقية متون روائية جسدت الصراع على المستوى النفسي والايديولوجي التي لامست المعاناة الانسانية بدأ من الظروف القاهرة والتهجير القسري الى البحث عن ذواتهم وسط لغة مختلفة وسلوكيات واخلاقيات لا تتوافق مع طبيعة تكوينهم .

المصادر

- صليبا ، جميل ،1986، المعجم الفلسفي ، بيروت:ج2 .
-النوره جي، احمد ، مفاهيم في الفلسفة ، بغداد ، ط1، مادة هوية
- سعيد، ادوارد الاستشراق ، مؤسسة الابحاث العربية – بيروت ، ط5 .
- النوره جي ، احمد ،1990، مفاهيم فلسفية واجتماع ، دار الفنون الثقافي-بغداد، ط1 :مادة هوية
- لارين ، جورج ، 2002، الايدلوجيا والهوية، جورج لارين، تر: فريال حسن خليفة ،مكتبة مدبولي-القاهرة ، ط 1.
- صفدي ، مطاع ، 1980، هايدغر والكينونة، ، مجلة الفكر العربي المعاصر، عدد3.
- البعلبكي ، محمد ، 2013،الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصرة ، مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت (سلسلة كتب المستقبل العربي)(68) .
- ينظر : ميكشيللي ،أليكس ، 1993، الهوية ،ترجمة : علي وطفة ، دار الوسيم للخدمات الطباعية – دمشق ،ط1.
- ريكور، بول ، 2009،الهوية و السرد ، ترجمة : حاتم الورفلي ،دار التنوير للطباعة والنشر- الجزائر ، ط1 .
- معلوف ، امين ، 2011، الهويات القاتلة، ت: نهلة بيضون، دار الفارابي، بيروت- لبنان، ط1.
(13)) ينظر:غاتشف ، عيورغي ، د.ت ،الوعي والفن، تر: د. نوفل نيوف (عالم المعرفة العدد146) الكويت
(14) غيرتز، كليفورد، 2009، تأويل الثقافات ، كليفورد غيرتز ، تر: د.محمد بدوي (المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ،ط1 .
- كاظم ، د. نادر ، 2004 ،تمثيلات الآخر،صورة السود في المتخيل العربي الوسيط ، الموسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،ط1 .

- الدليمي ، لطفية ، 2016، رواية عشاق وفونوغراف وازمنة ،دار المدى –بغداد ، ط1 .
- غالي، دنى، 2006،عندما تستيقظ الرائحة ، دار المدى – بغداد ، ط1.
- حسين ، هدية ، 2013 ، ضخرة هيلدا ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر –بيروت ،ط1
- سعيد ، ادورد ، 1998 ، الثقافة الامبريالية ، ترجمة : كمال ابو ديب ، دار بيروت ، ط1

الشيخ أحمد بن عبد العزيز الهلالي السجلماسي
سيرته العلمية
الدكتورة :خديجة البوطاهري
أستاذة التعليم العالي مساعدة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط،
جامعة محمد الخامس ، المغرب
العنوان الاليكتروني: elboutahiri.khadija@gmail.com
00212673729791

الملخص:

من بين الشخصيات المغربية التي أبلت بلاء حسنا في مختلف المجالات العلمية والأدبية والدينية، شخصية العالم المغربي الموسوعي، الشيخ أحمد بن عبد العزيز الهلالي السجلماسي الفيلالي، الذي يعد مفخرة المغرب والعهد العلوي الشريف الزاهر، ومسند العلم في القرن الثاني عشر الهجري، إنه المحدث الملم بالرواية والدراية، والذي سنتناول سيرته العلمية في هذه الورقة من خلال المحاور التالية:

- انتماؤه،
- ولادته ونشأته؛
- مكانته العلمية؛
- شيوخه؛
- تلامذته؛
- مكانته العلمية؛
- حلقاته التعليمية؛
- مؤلفاته؛
- شعره؛
- وفاته.

ينتمي أحمد ابن عبد العزيز الهلالي، إلى مدينة سجلماسة المغربية وهي بلدة مشهورة بمنطقة تافيلالت تأسست سنة (140ه- 757م) على يد بني مدرار الذين اتخذوها موطنا لهم بعد قدومهم من المشرق، فالمنطقة عرفت بكونها محطة عبور تجاري تربط بين آسيا وافريقيا جنوب الصحراء، كما كانت هذه المدينة معقل علم ومهبط العلماء والفقهاء الذين ازدانت بهم منابر الدين والعلم.

لقد حظي الهلالي بمكانة متميزة من قبل العديد من الباحثين والمؤرخين والمهتمين بالشأن الثقافي، فاسمه لا يكاد يخلو من كتب التراجم سواء منها القديمة أو الحديثة، فمنها ما هو مخطوط ومنها ما هو مطبوع.

عاش الهلالي طفولته الأولى بين المد والجز، نظرا للظروف الصعبة والقاسية التي عرفتها البلاد والمتمثلة في الاقتتال و الفتن والاضطرابات، والتي دامت قرابة أربعة عشر عاما، وذلك في عهد السلطان المولى إسماعيل وبالرغم من القلاقل والحروب إلا أن السلطان كان يعمل على تشجيع الفقهاء وعلماء الدين مما كان له انعكاس كبير على توجيه الطلبة العلمي، إذ كانوا يتخصصون في العلوم الفقهية والدينية وكان لهذا التوجه الديني أثر واضح على المسار الدراسي للهلالي منذ طفولته.

لم تمنع الظروف الصعبة والقاسية التي مر منها المغرب إحباط عزيمة الهلالي التعليمية، بل استكمل مسيرته الدراسية بيسرها وعسرها حتى أصبح عالما تعلم على يده عباقرة العلوم والفنون في مختلف المجالات الدينية والدنيوية إذ كان له القدح المعلى في هذا الميدان.

حظي الهلالي بإشادة وإعجاب وتقدير معاصريه من العلماء والفقهاء، حيث كان شخصية موسوعية ملمة بكل أنواع الآداب والعلوم والفنون، فهو عالم مشارك لساني، فقيه أصولي، نحوي لغوي بياني، أديب فيلسوف منطقي، صوفي زاهد ورع متدين، شاعر عاطفي، جواد كريم، حسن الشيم مهذب الطباع كريم الأخلاق، عذب الحديث والكلام، الجليس المصغ المستمع الحكيم الرزين، المفسر المقرئ الحافظ، المحقق والمؤلف، المدرس المربي البارع، العارف بالتاريخ والهندسة والجغرافية، بديع الأسلوب فصيح اللسان، نير الفكر واسع الرؤية، عالم بالكتاب والسنة، اجتمع له من العلم ما تفرق في غيره، ولا غرابة في ذلك فهو سليل أسرة علمية، ورث العلم عن أبائه وأجداده عشق العلم وتحصيله.

لذلك التف حوله العديد من المهتمين بالعلم والمعرفة وهاجر إليه مريديه من كل حدب وصوب.

لقد كان الهلالي سراجا منيرا يقتدى به وهديا للسراة بعلمه وأخلاقه وسلوكه وكراماته، وقد خلف لنا ثروة علمية فائضة وضخمة تزخر بها الخزانات والمكتبات والمتاحف العربية والغربية.

الكلمات المفتاح:

الشيخ - الهلالي – السجلماسي - سيرة- علمية.

Sheikh Ahmed bin Abdulaziz Al-Hilali Al-Sijlmassi His scientific biography

Dr.El boutahiri khadija
Assistant Professor of Higher Education at the Faculty of Arts and Human Sciences in Rabat,
Mohammed V University, Morocco

Abstract:
Among the Moroccan figures who have excelled in various fields of scholarship, literature, and religion, the Moroccan encyclopedic scholar, Sheikh Ahmed bin Abdul Aziz Al-Hilali Al-Sijilmassi Al-Filali, stands out. He is considered a source of pride for Morocco and an emblem of the illustrious Alawite dynasty. Sheikh Al-Hilali, well-versed in narration and erudition, played a pivotal role in the twelfth century of the Hijri calendar. This paper aims to explore his academic journey through the following topics:

His Heritage
Early Life and Upbringing
Scholarly Eminence
Influential Mentors
His Students
Scholarly Impact
Educational Environments
Literary Works
Poetic Artistry
Demise

Ahmed ibn Abdul Aziz Al-Hilali hails from the Moroccan city of Sijilmassa, known for its historical significance in the Tafilalt region. Founded in 140 AH (757 CE) by the Banu Midrar tribe, the city served as a crucial hub for trade between Asia and sub-Saharan Africa and evolved into a center of knowledge and a home for erudite scholars.

Al-Hilali's legacy has received substantial recognition from scholars, historians, and cultural enthusiasts, with his name appearing in historical records, both ancient manuscripts and modern publications, underscoring his lasting impact.

His early life was marked by adversity due to the turmoil in the country, lasting approximately fourteen years under the rule of Sultan Moulay Isma'il. The Sultan's efforts to foster religious scholars and intellectuals influenced Al-Hilali's formative years.

Despite the challenging circumstances, Al-Hilali tenaciously pursued his scholarly endeavors, becoming a beacon of knowledge for brilliant minds in various religious and secular domains.

He earned admiration and respect from his contemporaries as an encyclopedic luminary proficient in multiple disciplines, including linguistics, jurisprudence, grammar, philosophy, and religious devotion. His multifaceted persona extended to encompass poetic sensibility, virtuous conduct, and a deep commitment to spirituality.

The story of Sheikh Ahmed bin Abdul Aziz Al-Hilali Al-Sijilmassi epitomizes an illuminating journey—a beacon of wisdom and a paragon of virtue—whose profound influence transcends cultural boundaries, enriching the intellectual tapestry of civilizations.

Keywords :Sheikh - Al-Hilali - Al-Sijilmassi - Biography - Scholarship.

مقدمة:

إن الحديث عن رجالات المغرب البارزين والإشادة بهم وبأعمالهم ومخلفاتهم الأدبية وإبداعاتهم وإنتاجاتهم العلمية الدينية والدنيوية، والذين كانوا سراجا منيرا يقتدى به وهديا للسراة بعلمهم وأخلاقهم وسلوكهم وكراماتهم، لما تركوا من ثروة فائضة وضخمة تزخر بها الخزانات والمكتبات والمتاحف العربية وكذا الغربية بعضه نفض عليه الغبار وبعضه الآخر لازال حبيس الرفوف.
ولعل من بين هؤلاء الرجال العظماء الذين بصموا التاريخ بمداد من ذهب، نذكر الشخصية المغربية التي أبلت بلاء حسنا في مختلف المجالات العلمية والأدبية والدينية، ألا وهي شخصية العالم المغربي الموسوعي أحمد بن عبد العزيز الهلالي السجلماسي، الذي يعد مفخرة المغرب والعهد العلوي الشريف الزاهر، ومسند العلم في القرن الثاني عشر الهجري، والمحدث الملم بالرواية والدراية

1.انتماؤه :
ينتمي أحمد ابن عبد العزيز الهلالي إلى مدينة سجلماسة المغربية وهي بلدة مشهورة بمنطقة تافيلالت تأسست سنة (140ه- 757م) (الصغير،2015، 11) على يد بني مدرار الذين اتخذوها موطنا لهم بعد قدومهم من المشرق، فالمنطقة عرفت بكونها محط عبور تجاري تربط بين آسيا وافريقيا جنوب الصحراء، كما كانت هذه المدينة معقل علم ومهبط العلماء والفقهاء الذين ازدانت بهم منابر الدين والعلم.
لقد حظي الهلالي بمكانة متميزة من قبل العديد من الباحثين والمؤرخين والمهتمين بالشأن الثقافي، فاسمه لا يكاد يخلو من كتب التراجم سواء منها القديمة أو الحديثة، فمنها ما هو مخطوط ومنها ما هو مطبوع.
تجمع معظم المصادر على أن اسم أديبنا هو" أبو العباس أحمد بن عبد العزيز بن الرشيد بن محمد بن عبد العزيز بن علي بن محمد ابن الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن هلال السجلماسي، أما نسبه فيعود إلى الإمام أبي سالم بن هلال.(لعوينة،2021، 34)
2.ولادته ونشأته:
ولد أحمد بن عبد العزيز عام (1113ه/1701م)، (أبو الوقار، أيت المكي، 2014 ،21) بمنطقة تافيلالت يعتبر حفيد الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن هلال السجلماسي (ت 903)، نشأ وترعرع في وسط مشهود بالتقوى والصلاح والفلاح والورع والدين ومقيد بالعادات والتقاليد، مما ترك أثرا بالغا في تشكيل وتكوين شخصيته الثقافية والعلمية.
أما أسرته فلم نعرف عنها شيئا إذ ظلت أخبارها غامضة خاصة في ما يتعلق بظروف استقرارها في منطقة تافيلالت.
يمكن تقسيم عصر أبوهلال السجلماسي إلى ثلاث مراحل:
المرحلة الأولى:
تميزت هذه الفترة بحكم السلطان المولى إسماعيل بن محمد ابن علي، استمر ملكه من (1082 إلى 1139)، قضى على جميع الفتن والاضطرابات، والتي دامت قرابة أربعة عشر عاما، وقد تمكن السلطان من الحفاظ على أمن الشعب وصيانة أموالهم وممتلكاتهم، وخلال ولايته حظي الفقهاء بمكانة متميزة في البلاد واحتلوا مناصب عليا في البلاط، كما لعبت زوجة المولى إسماعيل (خناثة بنت الشيخ بكار) العالمة الأديبة دورا مهما في الدولة إذ كان يعتمد عليها في الرأي والمشورة.
وكان لتشجيع الفقهاء وعلماء الدين من طرف الملوك والسلاطين انعكاس كبير على توجيه الطلبة العلمي، إذ كانوا يتخصصون في العلوم الفقهية والدينية وكان لهذا التوجه الديني أثر واضح على المسار الدراسي للهلالي منذ طفولته حيث اختار المجال الديني في دراسته، والذي تشرب ونهل منه مبادئ العلوم الدينية بادئا بحفظ القرآن الكريم كتعليم أولي، والذي يعتبر الجسر الموصل لباقي العلوم ، بعد ذلك استكمل مسيرته التعليمية.
المرحلة الثانية:
تبتدئ هذه المرحلة بوفاة السلطان المولى إسماعيل من (1139ه إلى 1171م)،حيث شهدت هذه المرحلة اضطرابات وفتن متعددة، نتج عنها تعاقب سبعة ملوك على كرسي العرش مما أدخل البلاد في نفق مغلق

تسوده أزمات متنوعة، سياسية واقتصادية واجتماعية تمزقت خلالها الروابط وتفككت البلاد وتشتت العباد وعمت الفوضى والقلاقل وانتشر الفساد والإجرام وكثر قطاع الطرق وساد الخوف والهلع بين الناس، وكثر النهب والسرقة واشتد الغلاء ونقصت المؤونة " حتى وصفت هذه المرحلة لدى المؤرخين بالهول الذي يشيب من أجله الولدان"(أبو الوقار، أيت المكي، 2014، 29).

المرحلة الثالثة:

تميزت الفترة ما بين سنة (1171ه) إلى (1175 ه)،"بحكم المولى سيدي محمد بن عبد الله الشريف الحسني السجلماسي رحمه الله وهي مرحلة البعث والمجد، مرحلة جمعت شتات الناس بعد ان سئموا الهرج والفتن واعياهم التفاقم والاضطراب، وملوا الحرب وملتهم كما يقول الناصري في الاستقصاء(أبو الوقار، أيت المكي، 2014، 22).

لقد أثرت هذه الأحداث التي شهدتها البلاد على نفسية الهلالي الذي اكتوى بنار هذه الفتن التي أوجعت فؤاده من شدة ما عانه المغرب من مشاكل وفتن أهلكت البلاد والعباد ما دفع بالهلالي لنظم قصيدة يشكو فيها بثه وحزنه إلى الله حيث قال فيها:

لك أشكو يا قاهر المسرفينا من بغاة بغوا على المسلمينا
بدلوا الدين ضلـة وادعـــاء وعن الحق أصبحوا ناكبينـا
بدلـوا سنــة النبــي جهــارا وأضــاعوا كتابــه المستبينـا

(أبو الوقار، أيت المكي، 2014، 21 ، 22)

لم تمنع الظروف الصعبة والقاسية التي مر منها المغرب إحباط عزيمة الهلالي التعليمية بل استكمل مسيرته الدراسية بعد اجتيازه بنجاح التعليم الأولي، حيث ازداد شغفا وعشقا للعلم والتحصيل واستطاع إشباع نهمه العلمي والمعرفي بعد أن سنحت له الفرصة بذلك وأصبح مؤهلا لحضور مجالس علماء عصره في سجلماسة وفاس بجامعة القرويين التي كانت قبلة لطلاب العلم والمعرفة حيث اغترف من معينها حتى ارتوى وجالس الفقهاء وتتلمذ عليهم وأخذ عنهم الشيء الكثير.

علاوة على تشجيع السلطان سيدي محمد بن عبد الله للعلم والمعرفة، إذ كان "محبا للعلماء واهل الخير ، مقربا لهم لا يغيبون عن مجلسه في اكثر الأوقات ..." (أبو الوقار، أيت المكي، 2014، 23) و كان من بين المقربين إليه من اهل العلم والفلاح والصلاح الشيخ عبد العزيز الهلالي علامة المنقول والمعقول .

3.مكانته العلمية:

كغيره من طلاب العلم رحل أحمد بن عبد العزيز الهلالي إلى الحجاز مرتين لأداء فريضة الحج، وهذه كانت سنة متبعة عند معظم الطلاب الذين شدوا رحالهم إلى البقاع المقدسة والتي تكون الغاية منها إضافة إلى أداء الفريضة الدينية، البحث عن العلماء والفقهاء والأخذ عنهم والاحتكاك بهم والتعلم منهم. فمن خلال رحلتيه سجل فقيهنا كل ما شاهدت عينيه وسمعت أذنيه ولمست يديه وقرأت مقلتيه إذ عمل على المزج بين وصف العالم الخارجي الذي يشاهده وبين ارتساماته الذاتية التي تتمخض عن حالة الاغتراب التي يعيشها وقت الكتابة.

أثناء هاتين الرحلتين التقى الهلالي بمشايخ مصر والحرمين، فنجده تتلمذ على يد علماء الأزهر الشريف من مختلف المذاهب الفقهية، كما دون الهلالي في فهرسته العديد من أسماء الشيوخ ممن حضر مجالسهم وسمع عنهم واستفاد من حلقاتهم التعليمية أمثال الشيخ" محمد بن الحسن العجمي" والشيخ عبد الوهاب الطنتي" وغيرهم.

بالنظر إلى كثرة شيوخه وتنوع مشاربهم وعلومهم وثقافتهم ندلل على مكانة الهلالي العلمية وثقافته المختلفة المتنوعة بتنوع شيوخه، حتى أن السلطان محمد بن عبد الله العلوي حين اعتلائه عرش البلاد، سأل الشيخ العالم أبا حفص الفاسي "عن أعلم الناس وأعلمهم فقال له: الأحمدون ، يعني أحمد بن عبد العزيز الهلالي السجلماسي، وأحمد بن عبد الله الغربي الرباطي ، وأحمد بن محمد الورزازي...وكان بالمجلس أعيان علماء الحضرة الفاسية كالشيخ التاودي وغيره. (أبو الوقار، أيت المكي، 2014، 36).

وقال الحضيكي في "طبقاته "كان أعلم أهل زمانه وأتقاهم، وأزهدهم في الدنيا وأرغبهم في الآخرة وأحبهم لله ولأهل حزبه، وأروعهم وأحرصهم على إقامة الدين وأشدهم تمسكا بالسنة المطهرة واتباعها".(بومزكو،1،116/2006).

.4شيـــوخـــــه:

مما لا شك فيه، أن شيوخ الهلالي تركوا اثرا كبيرا في نبوغه وعبقريته، وسعة تلقيه وقدرة استيعابه لشتى العلوم والفنون، إذ نجده تتلمذ على يد علماء أجلاء الذين أجازوه وأجازهم وهو القائل في فهرسته "... وقد أجازني كثير من أهل المشرق والمغرب وغيرهم..." (المصلوت،5،1981).

كما سبق الذكر، أن الهلالي أخذ رحمه الله عن الشيوخ المغاربة والمشارقة، فمن بين شيوخه المغاربة نذكر

لإمام أحمد بن أبي القاسم الغنجاوي السجلماسي،(ت 1146ه 1733م).

أخذ الهلالي عن هذا الشيخ سند صحيح البخاري، وعندما وافته المنية رثاه الهلالي بقصيدة طويلة اقتبسنا منها هذه الأبيات.

يقولون لي صبرا وليس لهم خبر بأن مصابي لا يطاق لـــه صبـــر

فكيف يطيق الصبر من بفـــؤاده من الشجو لذع فوق ما يلذع الجمر

إمام أبو العبـاس أحمـد من بـــه فكاك الذي عنـاه من جهلـــه الأسـر(الصغير،63،2015(

الشيخ العلامة سيدي محمد بن الحسن الكندوز (ت 1148ه 1735م).

أخذ عن هذا الشيخ علم العربية التي اشتهر بها والتي تقوم على ألفية ابن مالك بشرحها وحواشيها وكان من العلماء الذين ينكبون على تعلم العلم ويحرسون على تعليمه وكان ملما بجميع العلوم ويحفظ كثيرا من الأدب واللغة والحكم وأيام العرب وغير ذلك من العلوم.

بعد وفاته رثاه الزبادي بقوله:

قضى في سبيل الله جم الفواضل محمد الكنـــدوز بحـر الفضائـــل

حقيق لأهل النحو سكب دموعهم على فقده والدمـع ليـس بطائـــل

فمـن لتآليـف النحـــاة يبينهـــا ويعـرب ما فيهـــا لكـــل مسائـــل(بومزكو،1،79/2006).

الشيخ أبو العباس أحمد بن أبي القاسم الصبيحي (ت 1156ه).

عالم زاهد، ،فقيه مفتي النوازل أخذ عنه الهلالي في سجلماسة علوما كثيرة وقد وافته المنية إثر صراعه مع مرض الطاعون، وقد أشار إلى ذلك تلميذه الحضيكي في طبقاته(بومزكو،1،79/2006).

الشيخ أبو العباس أحمد بن مبارك السجلماسي اللمطي(1090-1156ه).

ينتمي هذا الشيخ إلى لمطة وهو حي من أحياء سجلماسة كانت له دراية بالمنطق والبيان والأصول والحديث والقراءات والتفسير والتصوف وتولى اللمطي مهام التدريس بفاس.(لعوينة، 10،2021)، من بين مخلفاته " كشف اللبس عن مسائل الخمس" و "مبلغ الآمال لطالبي التصريف في الأفعال" وغيرهما

الشيخ محمد بن عبد السلام بناني الفاسي (1083م-1163ه).

اشتهر بالفقه والإفتاء تصدر في زمانه مراتب التدريس بالقرويين "أخذ عنه الهلالي صحيح البخاري وجامع الأصول وكتب اللغة والعقيدة الأشعرية وغيرها".(أبو الوقار، أيت المكي، 2014 ،22).

أبو عبد الله أبو الرخاء محمد بن أحمد اللمطي (1163ه 1749م)

يعتبر من شيوخ الهلال الأجلاء وكانت بينهما مودة وصداقة ويقول فيه تلميذه الهلالي:

ليت شعري أبا الرخاء الودودا أتنـــاسيت أم نسيت العهـــودا

كيف أوليتنا الصدود وعهدي بك من قبل مقبـلا لا صـــدودا(حجي، توفيق،1986، 377/3).

الشيخ أحمد بن أحمد الشدادي (ت 1146ه).

عالم الحديث والتفسير والفقه وأصوله، أخذ عنه الهلالي العلوم الدينية.

الشيخ سيدي الحاج المدعو الكبير بن محمد السرغيني العنبري(1164م 1090ه) والذي اشتهر بالتحصيل والاتقان والزهد،" كان من أهل المجاهدة في العلم والدين والمحافظة على اتباع السنة وطريق المجتهدين لا نراه إلا مذاكرا أو مصليا أو مدرسا أو مفردا خاليا..." (الكتاني،2004 ،341/2)

- الشيخ أحمد بن محمد الفاسي أبو العباس (1093م 1164ه).
- هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي الفقيه الوجيه الفاضل له دراية كبيرة بتاريخ فاس وعلمائها وصلحائها وأنساب أهلها وأخبارهم خلف مؤلفات عدة منها ما طبع على الحجر بفاس "كالأحكام المختصرات في أسرار الديانات" و"مطالع البدور في جوامع الأخبار البرور" (حجي، توفيق،4،90/1986).
- الشيخ سيدي محمد بن الطيب الشرقي الصميلي الفاسي (1110ه 1170م)
- يعتبر من كبار اللغويين والمحدثين ليس في المغرب فحسب بل ذاع صيته في العالم العربي وترك مؤلفات عدة ظلت خالدة شاهدة على نبوغه في المشرق والمغرب
- الشيخ العلامة أبو حفص عمر بن الكوش المكناسي:
- أحد شيوخ الهلالي ورد ذكره في ديوانه حيث نظم مرثية (ميمية) تحتوي على مائة وثلاثين بيتا منها:

- وبعد أفول نجم الدين يبـدو لذي دين على الفرح ابتسـام
- إمام للورى كهف وعضب لنصر الدين إصليت حســام
- وطود للوقـار وبـدر تـــم إذا مـــا الجـو جللـــه الـــدلام
- أبو حفـص مفيد العلم دأبـا وناشره الرضى القرم العظـام (مخ رقم 2893 الخزانة الحسنية،295)

العصب: السيف القاطع
الإصليت: الصقيل
الطود: الجبل الشامخ
الدلام : السواد والمراد هنا الظلام
القرم: السيد العظيم

كما هو متعارف عليه، تهافت الطلاب المغاربة على مشايخ الإسلام والتي أصبحت سنة متبعة من لدن العديد من طلاب العلم قاصدين بذلك بلدان المشرق للأخذ عن هؤلاء المشايخ وطلب استجازتهم، وذلك من خلال رحلاتهم إلى الديار المقدسة ، حيث يتوقفون بمصر والشام وفلسطين للالتقاء بجهابذة علمائها وأكابر قضاتها ومشاهير القراء والمحدثين ورجالات التصوف وقد سار الهلالي على هذا النهج فشد رحاله للبحث عن العلماء المشارقة ومجالستهم والأخذ عنهم المنقول والمعقول والارتواء بعلمهم. والذين تركوا بصمة طبعت مسار عالمنا النحرير سليل أسرة توارثت أجيالها رسالة خدمة السنة النبوية الشريفة رواية ودراية وتفعيل المنهج الصوفي سلوكا واستقامة وتمثيل القدوة الصالحة. ولعل من بين هؤلاء نذكر على سبيل المثال:

-محمد بن غلبون الطرابلسي(ت 1150ه) يعود نسبه إلى مصراتة بليبيا.
-الشيخ أحمد بن أحمد العماوي المالكي الأزهري (ت 1155ه)، أخذ عنه الهلالي الصحيح إذ يقول" وأجزناه الشيخ الجليل العلامة الأصيل شهاب الدين أحمد العماوي المالكي رحمه الله"(لعوينة، 12،2021(
-الشيخ الإمام مصطفى البكري(لعوينة، 13،14،2021، 15(
-الشيخ محمد البليدي التونسي المالكي عالم بالعربية والتفسير والقراءات (ت 1096م – 1176ه).(الجبرتي،324/1)
الشيخ أبو عبد الله محمد بن سالم الحفناوي شمس الدين (1101 -1181ه) ، فقيه شافعي من علماء العربية ، أخذ عنه الهلالي الكتب الستة بأسانيدها.
الشيخ أبو العباس أحمد بن عبد الفتاح الملوي شهاب الدين الشافعي الأزهري (1088-1181ه.(
الشيخ إبراهيم الحلبي فقيه حنفي له اشتغال في الأدب.

الشيخ العلامة عبد الوهاب بن محمد الطنثي المصري الأزهري الشافعي المذهب، أخذ عنه الهلالي سند الصحيح.
العلامة أبو حامد العربي التلمساني أخذ عنه الهلالي الدلائل بمصر.
محمد بن العربي الطرابلسي أخذ عنه الهلالي أسانيد الكتب الستة. (لعوينة، 18،2021(
.5تلاميذته:
من الواضح أن براعة الهلالي في مجال التعليم والتدريس، وسعة اطلاعه وتنوع ثقافته وعلمه، وقوة عارضته، قد أبهرت مريديه ومتتبعي أخباره فوصفوه بصفات العلماء والفقهاء الأجلاء.
لقد استطاع الهلالي حشد عدد كبير من الطلبة الذين تتلمذوا على يده، ولكثرتهم لا يمكن الإحاطة بكل من تعلموا وأخذوا عنه إذ إنه اينما حل وارتحل يعقد جلسات علمية متعددة ومتنوعة يحضرها العديد من المهتمين بالعلوم الدينية والدنيوية. ولعل من بين التلاميذ الذين سجلهم التاريخ وذكرتهم المصادر منها:
نور البصر في شرح المختصر، نشر المثاني، وفهرسة التاودي وفهرس الفهارس والمعسول والإتحاف.
ونذكر من بين طلبته:
محمد بن الطيب القادري (1124- 1187ه)؛
أبو عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي السوسي (1118م-1189ه)؛
محمد عبد القادر بن العربي بوخريص الفيلالي(ت1188ه-1774م)؛
أبو عبد الله البناني الفاسي(ت1780م 1194ه)؛
السلطان سيدي محمد بن عبد الله بن إسماعيل(ت1204ه-1789م)؛
أبوعبد الله محمد التاودي بن سودة المري (ت 1209ه- 1794م)؛
أبوعبد الله محمد بن أبي قاسم السجلماسي؛
عبد الوهاب بن أحمد؛
عبد العزيز الرحماني؛
السيد محمد بن السيد؛
مولاي أحمد بن عبد المالك العلوي
أبو القاسم العميري؛
علي بن عبود.
.6مكانة الهلالي العلمية:
حظي الهلالي بإشادة وإعجاب وتقدير معاصريه من العلماء والفقهاء، إذ كان شخصية موسوعية ملمة بكل أنواع الآداب والعلوم والفنون ، فهو عالم مشارك لساني، فقيه أصولي، نحوي لغوي بياني، أديب فيلسوف منطقي، صوفي زاهد ورع متدين، شاعر عاطفي، جواد كريم، حسن الشيم مهذب الطباع كريم الأخلاق، عذب الحديث والكلام، الجليس المصغ المستمع الحكيم الرزين، المفسر المقرئ الحافظ، المحقق والمؤلف، المدرس المربي البارع، العارف بالتاريخ والهندسة والجغرافية، بديع الأسلوب فصيح اللسان، نير الفكر واسع الرؤية، عالم بالكتاب والسنة، اجتمع له من العلم ما تفرق في غيره، ولا غرابة في ذلك فهو سليل أسرة علمية، ورث العلم عن أبائه وأجداده عشق العلم وتحصيله، لذلك نجده يشد رحاله طلبا للمزيد وطمعا في التزود بالمعارف والعلوم الدينية والدنيوية لا يهاب الفيافي ولا يخشى القر والحر أينما استقر يأتيه الطلاب من كل فج عميق وتسابق إليه المريدون ليقتاتوا من معينه الفياض ويظفروا منه بذخر نفيس كريم. وهذا تلميذه "الحضيكي" يصفه قائلا: " كان - رضي الله عنه- فريد عصره وأعلم أهل زمانه وأتقاهم وأزهدهم في الدنيا وأرغبهم في الآخرة..."(بومزكو، 2006، 95/1).
حاز الهلالي شهرة عظيمة ذاع فيها صيته في المشرق والمغرب ، ما جعل العلماء يتهافتون عليه وينقلون أخباره ويتداولونها في مجالسهم العلمية مثلما فعل "العلامة أبي عبد الله سيدي محمد بن الحسن البناني المدعو الفاسي" حيث قال: "سبحانه الله ما رأينا ولا سمعنا بعصرنا هذا أحفظ ولا أتقن للعلوم وعللها من أبي العباس الهلالي وقد بلغ مرتبة جده ابن هلال بل أعلى منها"(لعوينة،2021، 4).

كما حلاه جامع ديوانه الشيخ سليمان الحوات (ت 1231ه- 1816م) بقوله: "سار بذكره كل مشرق مغرب، وبلغ الشاهد الغائب... فانحشرت الخلائق إليه من أقاصي المغارب بل كادت أن تنقض عليه من الكواكب"(الصغير،2015، 151).

وقوله أيضا : " بحر العلوم المتلاطمة أمواجه، وفلك الفهم المتلألئة أبراجه، عين الأعيان، وصدر أرباب التفسير والبيان(الصغير،2015، 151).

.7حلقاته التعليمية:

اشتهر الهلالي أيضا بتواضعه مع طلبته وغيرته على العلم فكما سبق الذكر أن أبا هلال أينما حل ببلد إلا وتوافد عليه الطلبة من كل حدب وصوب للنهل مما حباه الله به من علم وفهم عميق وتبصر ونظر ثاقب، " فقد كان الشيخ –رضي الله عنه- في هذه الآفاق المغربية قطب رحاه، بل شمس ضحاها، عليه تدور مشكلات مسائلها وفتاويها، فيزيح غياهب الإشكال عن سائلها وراويها، وذلك في جميع ما بين تلمسان وفاس ومراكش وسوس وما يواليها، إلى الساقية الحمراء وبواديها، ومن بالأرض الجنوبية من الزوايا المشتغلين بتدريس العلوم في مساجدها ونواديها، كان أهل تلك البلاد كلها يريدون عذب بحار علومه، ويستضيئون بمصابيح ثواقب فهومه..."(السوسي،6،1963/32-33).

لقد اعتمد الهلالي في دروسه منهجا خاصا في تدريسه للعلوم، فنجد تلميذه محمد بن محمد بن صالح الفيلالي يطلعنا على طريقته في التدريس والكتب التي استند عليها في التدريس حيث قال:

"كنا نقرأ عليه في اليوم والليلة خمسة عشرة كتابا فيملي علينا تفسيرها كلها من حفظه، وبفصيح بيانه وبليغ لفظه... كنا نبدأ في القراءة بعد حزب الصبح بنصاب من التفسير من البيضاوي أو ذي الجلالين أو غيرهما نسرد منه ربع حزب أو أكثر بحسب الوسع والتيسير...،ثم يتبع القرآن بالحديث فنقرأ نصابا من الموطأ أو صحيح مسلم أو غيرها ثم نتبعه بنصاب من كتب اصطلاحه من ألفية العراقي أو الطرفة أم غيرهما... ثم نتبعه بنصاب من جمع الجوامع للسبكي في أصول الفقه فهذه الستة قبل الزوال .

ثم يقوم الشيخ قرب الزوال ليستريح بنومة قليلة في الدار... فنقرأ بين الظهرين نصابا من التوحيد من كبرى السنوسي غالبا أو صغراه أو مقدمته..فنصلي العصر ونقرأ نصابا من الخلاصة أو الفريدة أو التسهيل... ثم بعد حزب المغرب نقرأ العشاءين نصابا من الرسالة أو المرشد المعين وآخر من صغرى السنوسي... وكان رضي الله عنه لا يفتر عن التدريس ولا يتركه إلا لعذر مانع كمرض أو سفر..."(الصغير،101،2015 ،103،102).

لقد كان الشيخ الهلالي يوزع المواد التي يدرسها لطلبته على أيام الأسبوع من طلوع الفجر إلى ما بعد العشاء وما يشمله هذا البرنامج الدراسي من تدبير محكم للوقت وتوزيع جيد للدروس وتنويع المواضيع حتى لا يمل الطالب أو يفتر، ساعيا من وراء ذلك تلقين الراغبين في العلم والمعرفة ما جادت به قريحته وما فاض منه معينه لتثقيف عقول الطارقين على باب علمه ومعرفته، فلم يترك علما ولا فنا من المعقول والمنقول إلا ودرسه بكل جدية وحزم لطلابه المجدين.

.8مؤلفاته :

يعتبر الشيخ أبو العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي السجلماسي، من الشخصيات البارزة في مجال الفكر والمعرفة، شخصية موسوعية، وهرم من أهرام التقوى والصلاح وقمة عالية من قمم الفضل والشرف كثر الحديث عنها وعن فضائلها ومناقبها وعلمها الواسع ومخلفاتها الأدبية الثرية الشاملة لمضان الأدب والفقه والفنون وشتى العلوم. لقد حملت هذه الشخصية في أعطافها علما غزيرا تنوعت به خزانته العلمية من خلال المؤلفات التي خلفها والتي ساهمت في تطوير الحركة العلمية بالمغرب خلال القرن الثاني عشر الهجري.

إن المتأمل في تركة الهلالي الأدبية والعلمية والدينية، يجدها تنم عن جهاد مؤلف تحمل الصعاب وتجشم الأهوال وقطع المسالك الوعرة للنهل والتحصيل، لقد كرس الهلالي حياته لخدمة العلم والدين رغم أنه لم يعمر طويلا حيث وافته المنية عن سن يناهز اثنتي وستين عاما، إلا أنه تمكن خلال هذه السنوات من ملء المكتبة المغربية خاصة والعربية عامة بمؤلفات كثيرة في مختلف المجالات المعرفية، " تداولها طلبة العلم بين يديه، بل درس بعضها لتلامذته، وبعد وفاته ظلت تتداول بين أهل العلم شرقا ومغربا..." (الصغير،2015-121).

ألف الهلالي في مناحي معرفية متعددة ومتنوعة كالفقه واللغة والمنطق والتفسير وغير ذلك فضلا عن نشاطه المتميز في مجال الشعر. وهذا بعض ما كتب حسب الفنون. (الصغير،2015-121 ،122، 123، 128، 129).

* في علوم القرآن:

- -تفسير القرآن الكريم سفر يحتوي على 706 صفحة.
- عرف الند في حكم حذف حرف المد؛
- رسالة في البسملة؛

*في الفقه :

- نور البصر في شرح المختصر؛

*في التراجم:

- الترجمة الأولى في التوحيد؛
- الترجمة الثانية في النكاح والطلاق؛
- الترجمة الثالثة في البيع والإجارة؛
- الترجمة الرابعة في الحبس والوصية والعطيات؛
- الترجمة الخامسة في القضاء والشهادات؛
- الترجمة السادسة في الضرر و إحياء الموات؛
- الترجمة السابعة في أمور متفرقات نثرا ونظما؛

* قصيدة في الجواب على مسألتين، سئل عنهما من احد طلبة العلم بفاس؛

- المسألة الأولى في حكم سكنى بيت المدرسة، ومما قال فيها: :(أبو الوقار،أيت المكي،2014، 22،23..)

مستوجب السكنى ببيت المدرسة من خصه قصد الذي قد حبسه
وقصده يدرى بلفظ نص أو ظاهر عميم أو مختص
أو عادة في زمن التحبيس معروفة نافية التلبيس

وقد لخص جواب العبدوسي مفتي فاس حيث قال :

وقد أجاب السيد العبدوسي عليه رحمى الملك القدوس
أن الذي يسكن في المدارس من هو دأبا للعلوم دارس
وبلغ العشرين عاما وحضر الحزب والمجلس إلا لضرر

- المسألة الثانية: لخص فيها المسألة الفقهية المعروفة ب " زبية الأسد" قال فيها:(أبو الوقار، أيت المكي،2014، 22،23..)

أما الذين أشرفوا في البير لينظروا للأسد المبير
فسقط الواحد منهم وعلق بالثاني والثاني بالثالث لصق
وثالث ورابع فسقطوا جميعهم لقعرها وهبطوا

إلى أن قال:

فهذه قد نكلت عن وجهها أفهام قوم بحثوا عن كنهها

*مجموعة من الفتاوي في النكاح والمعاملات؛
*فتوى في حكم أحباس المسجد؛
*أجوبة عن عدة أسئلة؛
*أجوبة أخرى في عدة قضايا ونوازل في البيع والعقود وغيرها؛

إضافة إلى مخلفات أدبية ازدانت بها الخزانات والمكتبات المغربية والمشرقية شملت:
قصائد في التصوف، في اللغة من خلال بعض المخطوطات كفتح القدوس في شرح خطبة القاموس وأيضا مخطوط إضاءة الأدموس ورياضة الشموس من اصطلاح صاحب القاموس، كذلك ألف في النحو والصرف والأدب والسلوك وفي المنطق من خلال شرح منظومة القادري المسماة ب " الزواهر الأفقية في شرح الجواهر المنطقية."

.9أبو العباس أحمد ابن عبد العزيز الهلالي شاعرا:

كشأن العديد من العلماء والمشايخ الذين استهواهم الشعر، نجد الهلالي انساق في هذا الاتجاه، إذ كان يجمع بين البراعة في النثر والجودة في النظم، وذلك لما حباه الله بهذه الملكة لما يتسم به من إحساس وصفاء روح ودقة الوصف والتصوير وسلاسة التعبير و اللغة .

ولعل هذا ما ميز فقيهنا عن غيره أنه كان شاعرا بارعا ينطق بالشعر سليقة بما يقتضيه المقام و الزمان والمكان فاق به نظراءه من المشايخ والعلماء، لامتلاكه لمهارات شعرية، وثقافة دينية وأدبية واسعة تمكنه من ممارسة نظم الشعر وقوله، يستجيب لتطلعات مريديه ومتلقيه .

فشعره يتقاطر روعة وعذوبة ليلائم مضامينه المتشبعة بالروح الصوفية والإحساس المرهف الصادق وفق ما تفرضه ثقافته الموسوعية التي يتحكم فيها من خلالها اقتناءه لمعجم مناسب يجعله يتكيف مع مضامين شعره الذي سلك فيه تنوع الأغراض والمواضيع، وهذا راجع إلى ما يمتلكه شيخنا من قدرة على وصف الأشياء بدقة وشفافية، فقد أحسن وأجاد ومدح وأثنى ورثى فأبكى، خاصة لما رثى شيوخه.

من خلال اطلاعنا على ديوانه وجدناه مقسما إلى تسعة أبواب وهي كالآتي:(الصغير، 2015، 130، 131، 132 ، 133..)

الباب الأول: في التوسلات
الباب الثاني: في المدح والثناء
الباب الثالث: في غرر من الأدب
الباب الرابع: في الأدعية والوعظ
الباب الخامس: في التهاني والمخاطبات
الباب السادس: في التشوق والحنين
الباب السابع: في التشبيهات
الباب الثامن في المراثي

لقد برع الهلالي في نظم الشعر وقوله، لكنه لم يتخذه وسيلة للتكسب والاسترزاق ولكنه وظفه في أغراض نبيلة وغايات شريفة عبر عنها من خلال قوله: " ومنه أي من نعم الله عليه- تيسير نظم الشعر علينا، وجعله في أدعية وتوسلات، واستغاثة بعباد الله الصالحين، وجمع فوائد علمية للحفظ ونحو ذلك، ولم يجعله تعالى بفضله مصروفا فيما لا يليق من هجو أو مدح

مذمومين شرعا، ولا في تملق لاستجلاب حطام الدنيا الفانية، وللهدر القائل:

لا أطلب الرزق بشعر لو كنت على جيده أقدر
فقد علمت أن لي سيدا يرزقني من حيث لا أشعر

(الهلالي، 115/2، 116)

.10وفاة أبي العباس أحمد ابن عبد العزيز الهلالي:

هكذا أفل نجم أبو العباس وخفت نوره وانطفأت شمعته، وهو في أوج عطائه ، حيث غيبته المنون وتوارى عن طلابه ومريديه، وهو في الستين من عمره إلا أن نبراسه ظل متقدا بفضل الثروة الفائضة في شتى العلوم والفنون والتي ازدانت بها ردهات المكتبات المغربية والعربية ما جعلها قبلة لكل باحث وطالب علم،

لقد سخر أبو العباس أحمد ابن عبد العزيز الهلالي، حياته لخدمة العلم والمعرفة بكل جد وأمانة دون كلل أو ملل، حتى بلغ مبلغ العلماء ومنتهى الفقهاء، وجمع له من العلم ما لم يجتمع لغيره، كما أسدى خدمات جليلة للأدب، خدم اللغة العربية والعلوم الإسلامية من فقه وأصول تفسير وحديث وغيرها من علوم المنقول والمعقول، كان فاضلا صالحا ناشرا للقراءات، تقيا نزيها سيرا على نهج شيوخه السالفين، وبلغ مقاما لا يبلغه إلا أكابر العباد، وأفراد النساك.

بذل جهدا كبيرا في ترقية العقول فلم يتوان عن النصح والإرشاد والإجابة عن الأسئلة العالقة لدى مريديه وتلامذته فإذا استشكل مستشكل أجاب عنه بما يقنع ويوضح لبسه، كما أطلق العنان لقريحته لتصدح شعرا عذبا سلسا جمله بجمال البساطة وتدفق المعاني في سلامة المعنى وقوة الألفاظ.

توفي رحمه الله "قبل الفجر بساعتين من ليلة الثلاثاء، الحادي والعشرين من ربيع الأول، عام خمسة وسبعين ومائة وألف(1175 ه)، ودفن بزاوية جده لأمه: الولي الصالح أبي الحسن سيدي الحاج علي بن أبي زينة، بضواحي مدينة الريصاني، إقليم الرشيدية، وقبره مازال إلى اليوم معروفا بجوار جده، رحمهما الله وإيانا."(الصغير،2015، 96).
توفي الشيخ رحمه الله فبكاه الصغير والكبير، ولما نعي الخبر إلى تلامذته و الذين يعرفون قدرته وتأسفوا على فقدانه من الساحة العلمية ورثوه بقصائد حزينة، منهم محمد بن الحسن الوكيلي في قصيدة اخترنا منها ما يلي:

مات الهلالي واختل النظام وعـ م الخطب منه الورى حتى الجمادات
مات الإمام الذي عمت فضائله طـود العـلوم وقـدوة لقـادات (ابن زيدان، 1932، 146/4).

كما رثاه بعض تلامذته مبرزين أسفهم وحزنهم الشديد لفقدانهم لهذا الشيخ العلامة، الذي دمعت له العيون ودملت له القلوب وانكسرت له الخواطر وتأججت له العواطف والمشاعر، والذي قل نظيره شيما وأخلاقا وتواضعا وعلما ومعاملة وتعاملا وكفافا وعفافا وجودا وكرما وعبادة وتزهدا.

ويقول فيه سيدي محمد بن الطيب القادري حين بلغه نبأ وفاته

لك الله من قلب تقلب بالجمر على فقد شمس العلم من مغرب القبر
ولا سيما يوم أحال طلوعها غداة نعوا شمس الائمة في العصر (أبوقار، أيت المكي،22،2014)

المصادر والمراجع

أبو العباس أحمد ابن عبد العزيز الهلالي العالم الزاهد، محمد صغيري الفلالي: ، الطبعة الأولى 2015،دار الأمان للنشر والتوزيع- الرباط.
أبي العباس الهلالي فهرسة تح وتقديم ، رشيد المصلوت الروداني، طبعت (1401ه/ 1981م)؛
أبي عبد الله الحسني الفيلالي، المقتبس الأسنى في بيان طرق من معاني نظم الأسماء الحسنى، تأليف، تح، محجوبة لعوينة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 2021
أبي عبد الله محمد التاودي بن سودة، الفهرسة الصغرى والكبرى، دراسة وتحقيق: عبد المجيد خيالي، طبع: دار الكتب العلمية- لبنان، الطبعة الأولى2002م
أحمد بن جعفر الكتاني، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس ، الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس، تح: محمد حمزة بن علي الكتاني، الطبعة الأولى ، 2004.
أحمد فاضل، الحسين أبو الوقار، عبد لعزيز أيت المكي، نور البصر في شرح المختصر لأبي العباس أحمد ابن عبد العزيز الهلالي ، دراسة وتحقيق، الطبعة الأولى،2014، دار الأمان ، الرباط.
ديوان أبي العباس أحمد بن عبد الله العزيز الهلالي السجلماسي، جمع وتحقيق سليمان الحوات ، الطبعة الأولى ، 1988.
الشيخ محمد بن أحمد الحضيكي، طبقات الحضيكي، تقديم وتحقيق: أحمد بومزكو، مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضاء، الطبعة الأولى 2006م

عبد الرحمان الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، 1998 ،الهيئة العامة لقصور الثقافة.
عبد الرحمان بن محمد ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة، مكناس ج4، الطبعة الأولى 1932 المطبعة لصاحبها عباس التناني بدرب فاس العدد 3 بالرباط)؛
فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، لعبد الحي الكتاني، طبع، دار الغرب الإسلامي 1982؛
محمد المختار السوسي المعسول، مطبعة النجاح الجديدة1963م
محمد بن الطيب بن عبد السلام القادري الحسني، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، ضمن موسوعة أعلام المغرب، طبع: دار الغرب الإسلامي،، تح محمد حجي، أحمد التوفيق الطبعة الأولى،1996م
.
مخطوط تحت رقم 2893 الخزانة الحسنية،295.

فهرس

مقدمة: ..... **Erreur ! Signet non défini.**

1. انتماؤه: ..... **Erreur ! Signet non défini.**

2. ولادته ونشأته: ..... **Erreur ! Signet non défini.**

3. مكانته العلمية: ..... **Erreur ! Signet non défini.**

4. شيـــوخـــــه: ..... **Erreur ! Signet non défini.**

5. تلاميذته: ..... **Erreur ! Signet non défini.**

6. مكانة الهلالي العلمية: ..... **Erreur ! Signet non défini.**

7. حلقاته التعليمية: ..... **Erreur ! Signet non défini.**

8. مؤلفاته: ..... **Erreur ! Signet non défini.**

9. أبو العباس أحمد ابن عبد العزيز الهلالي شاعرا: ..... **Erreur ! Signet non défini.**

10. وفاة أبي العباس أحمد ابن عبد العزيز الهلالي: ..... **Erreur ! Signet non défini.**

المصادر والمراجع ..... **Erreur ! Signet non défini.**

بلاغة الإقناع بالصورة الشعرية في الشعر الجزائري المعاصر
قصيدة "عرس البيضاء لعثمان لوصيف" دراسة تطبيقية

د/مروى عمرة
قسم اللغة والأدب العربي
جامعة الشهيد حمه لخضر -الوادي- (الجزائر)
مخبر بحوث في الأدب الجزائري ونقده ، جامعة الوادي.
amra-maroi@univ-eloued.dz

د/ سمية عامر
قسم اللغة والأدب العربي
جامعة الشهيد حمه لخضر -الوادي- (الجزائر)
مخبر بحوث في الأدب الجزائري ونقده ، جامعة الوادي.
Somiaamer20@gmail.com

الملخص :
شهدت البلاغة العربية عدة تحولات ، وهي تنطلق من الجملة إلى النص خاصة في الأعوام الأخيرة التي شهدها النقد الأدبي ، إذ تهتم بالخطابات التداولية كالخطاب الديني والإعلامي والثقافي ...، إذ هي بهذا التحول قد أنتجت علاقة أكثر تماسكا مع القارئ ، فيعمل بذلك المبدع للوصول لكيفية تمكنه من جعل خطاباته أكثر وضوحا وإقناعا لدى القرّاء ، بغية تطوير الدرس البلاغي المعاصر ليكون مجالا خصبا في ميدان المعرفة والنقد المعرفي ، ونجد من الخطابات الأدبية الخطاب الشعري الجزائري المعاصر على اختلاف ميادينه في محاولة منّا أن نستعرض في هذه الورقة البحثية نموذجا للشاعر الجزائري " عثمان لوصيف " وهي عبارة عن مقاربة في بلاغة الإقناع بالصورة الشعرية التي رسمها في إحدى أعماله الشعرية الموسومة ب "عرس البيضاء" دراسة تطبيقية .

الكلمات المفتاحية : البلاغة المعاصرة ؛ الصورة الشعرية ؛ النقد البلاغي المعاصر؛النقد؛ عثمان لوصيف .

Rhetoric of persuasion in the poetic image in contemporary Algerian poetry
The poem "The White Wedding of Othman Lussif", an applied study

Abstract
Arabic rhetoric has witnessed several transformations, and it starts from the sentence to the text, especially in the recent years witnessed by literary criticism. He was able to make his discourses more clear and persuasive to the readers, in order to develop the contemporary rhetorical lesson to be a fertile field in the field of knowledge and epistemological criticism, and we find among the literary discourses the contemporary Algerian poetic discourse in its various fields in an attempt to review in this research paper a model for the Algerian poet "Othman Loussif It is an approach to the eloquence of persuasion in the poetic image that he drew in one of his poetic works called "The White Wedding", an applied study.
Keywords: contemporary rhetoric; poetic image; Contemporary rhetorical criticism; criticism; Othman Lussif.

توطئة
إن الحديث عن بلاغة الحجاج هو حديث عن كيفية الإقناع والتأثير في المتلقي أو المستمع ، حيث يثير الحجاج أسئلة تستدعي أجوبة اقناعية تذعن المتلقي ، ويلتقي مع البلاغة في هذا الأمر ، فيرى ثلة من الباحثين أنّ الحجاج جزء من صميم البلاغة ، أي أنّه مبحث بلاغي في الثقافة العربيّة ، وهناك من رأى

بأنهما وجهان لعملة واحدة ، فهما يشتركان في هدف واحد ووحيد ، ما جعل البلاغة حجاجا ، والحجاج بلاغة ، وبذلك يتضح لنا جليا بأن البلاغة هي الحجاج .

أولا: رؤية في مفاهيم الدراسة:

1- مفهوم الشعرية :

نابع من الشّعر، وكامن فيه عبر التاريخ حيث تعود أصوله إلى كتاب شعر أرسطو، الذي اعتمد نظرية المحاكاة كأساس نظري لنظريته الشعرية ، التي يمكن أن نطلق عليها (شعرية المحاكاة) التي فقد لها أرسطو ينبغي منها أن تكون مدعاة(للتطهير) أو نموذجا للمجتمع المثالي الذي تتطلع إليه الحضارة اليونانية ، ثم تغير مفهوم الشعر من خلال مفهوم الشعرية وفق تطورات التي ظل يشهدها التاريخ ، ومدى تأثير تلك التداعيات التي أخرجته إلى الوجود مدارس واتجاهات مذهبية أدبية ، على غرار الكلاسيكية ، ثم الرومانسية فالواقعية والتعبيرية ثم الرمزية فالسريالية ، والواقعية الروسية ثم اتجاه الشعر الخالص. وغير ذلك وإن أتينا إلى ما يميز الشعر لوجدناه الشعر الخالص وعبر ذلك لوجدناه يعتمد على مبدأ التخيل والذي يعد جوهرة الأساس بحيث برودة بصفة حسية و الشعور بالمدركات التي أعيد تشكيله(إحسان عباس، 1959، ص 210). عن طريق المحاكاة ، التي تقتضي فراسة الشاعر ، وحذقه ومهارته أو ما يسمى(بالشاعرية)، فالشاعرية هي التي تصنع شعرية النص أو الخطاب الأدبي وتعبير أوسع وأعم ، شاعرية الفنان هي التي تصنع شعرية فنه ويذهب التصور الإغريقي الأرسطي في رؤيته للشاعرية على نحو أن " الشاعر لا يحاكي ما هو كائن ، ولكنه يحاكي ما يمكن أن يكون ، أو ما ينبغي أن يكون بالضرورة أو الاحتمال، فإذا حاول الفنان أن يرسم منظرا طبيعيا مثلا ينبغي عليه ألاّ يتقيد بما يتضمنه ذلك المنظر، بل يحاكيه بأجمل ما يكون والفن يتهم ما في الطبيعة من نقص ، لذلك فإن الشعر في نظره مثالي وليس نسخة طبق الأصل عن الإنسانية "(شكري عزيز الماضي،1986، ص93). فالمحاكاة هنا تستدعي براعة الفنان أو شاعريته ، لأنه يحاكي فهو لا يقرر الحقيقة وإنما يتخيل ليقول ، وبالتالي يداعب أحاسيس الجماهير لتكون أكثر مثالية ، وبالتالي فشعرية النص من هذا المنطلق تعني كل ما يشحن اللغة العادية ويجعل منها قطعة شعرية جذابة ومؤثرة ، ذات وقع خاص على النفس ولو أردنا تمثل الشعرية في صورة فوتوغرافية لوجدنا أن كل واحد منّا يلتقط لنفسه العديد من الصور ، وما ينبغي الإشارة إليه ، هو أن رؤيتنا لتلك الصورة حتما لا تكون على درجة واحدة من الإعجاب تتفاوت درجات جماليتها من ناظر إلى آخر وبذلك تعالج هذه الدراسات حيثيات الشعرية واكتشاف أبعادها والغور في معالمها إذ لا يختلف اثنان على أن خوض المصطلحات و المفاهيم أزمة شائعة في متون المؤلفات العربية المعاصرة ،

تبدّت نتيجة إقبال الباحثين بترسانة مصطلحية سعي منهم لتكريسها نقديا وشرعنتها ما يجعل كل خطاب يحتاج في قراءته إلى استعمال مرجعية مخصوصة بالناقد المقروء دون غيره.

الشعرية مصطلح قديم Poeticesحديث في الوقت ذاته ، ويعود أصله في أول انبثاقه إلى أرسطو أما المفهوم فقد تنوع بالمصطلح ذاته على الرغم من أنه يبدو أننا نواجه من جهة أولى مفهوما واحدا بمصطلحات مختلفة ويبدو هذا الأمر بارزا في تراثنا النقدي العربي ، ونواجه مفاهيم مختلفة بمصطلح واحد من جهة ثانية ويظهر هذا الأمر في التراث النقدي الغربي أكثر جلاء إن الجهة الأولى تتخلص في مفهوم الشعرية العام(البحث عن قوانين الإبداع) وقد اتخذ مصطلحات مختلفة منها شعرية أرسطو ، ونظرية النظم للجرجاني الأقاويل الشعرية المستندة إلى محاكاة والتخيل عند القرطاجني التي ستكون موضوع البحث وقد حاولت أن أحضر حسب معرفتي جميع النصوص من تراثنا النقدي التي وردت فيها لفظة الشعرية محددا معناها وهذه النصوص من تراثنا النقدي من بينها ما يقول الفرابي 260ه " والتوسع في العبارة بتكثير الألفاظ بعضها ببعض وترتبها وتحسينها ، فيبتدئ حين ذلك أن تحدث الخطبية أولا ثم الشعرية قليلا قليلا(الفرابي أبو نصر، (دن)، ص14)، ومنه فالفرابي يعني لفظة الشعرية السمات التي

تظهر على النص بفعل ترتيب. يقول بن سينا : إنّ السبب المولد للشعر في قوة الإنسان شيئان: أحدهما الالتذاذ بالمحاكاة والسبب الثاني حب الناس للتأليف المتفق والألحان طبعا، ثم وجدت الأوزان مناسبة للألحان فمالت إليها الأنفس وأوجدتها هاتين الحالتين تولدت الشعرية..."(ابن سينا، 1983م ص172).

3/ يقول ابن رشد 520ه : قول أرسطو "وكثيرا ما يوجد الأقاويل التي تسمى أشعارا ما ليس فيها من معنى الشعرية إلاّ الوزن فقط كأقاويل سقراط موزونة وأقاويل أنباء فليس في الطبيعيات بفلان الأمر في أشعار أوميروش"(لطفي فكرى محمد الجودى ، 2014 م ، ص 29)، أما ابن رشد فترد عنده لفظة " الشعرية" بمعنى الأدوات التي توظف في الشعر فيشك عبر ذلك في الشعرية بعض الأقاويل التي تستخدم من أدوات الشعر إلا الوزن.

4/ حازم القرطاجني 684ه: في معرض مناقشته " وكذلك ظن هذا أن الشعرية في الشعر إنما هي النظم أي لفظ كيف اتفق نظمه ولا رسم موضوع "(حازم القرطاجني ، 1966 م، ص28).

أما هنا فحازم القرطاجني يشير إلى لفظة -الشعرية – الذي يقترب إلى حد ما من معناها العام ، أي قوانين الأدب ومنه الشعر.

2 -وظيفة اللغة الشعرية :

تعتبر وظيفة اللغة الشعرية، من أهم السمات التي تزين النصوص الأدبية، وتبين وتوضح الفروقات بين هذه النصوص، من حيث بيان القيم الجمالية والإبداعية لعملية توصلية.

أ/ الوظيفة التعبيرية المتعدية : تعتبر اللغة المتعدية دافعا أساسيا لتحقيق الوظيفية التعبيرية في الشعرية وفي الحداثة، فهذه الوظيفة متعلقة بأحاسيس وتصورات وتجارب الشاعر في واقعه، ولعل أبرز من تناول هذه النظرية " عبد السلام المسدي" حيث يقول " إننا إذا صهرنا كل القيم الإخبارية في الحدث اللغوي استطعنا أن نبرز ثلاثة أبعاد: بعدا دلاليا وبعدا تعبيريا وبعد تأثيريا، أي أن اللغة تقوم بوظيفة جمالية أثناء إنتاج الكلام "(عبد السلام المسدي، دت ، ص 40).

كما أنّ الوصول إلى هذه الغاية يعني الوصول إلى هذه الغاية يعني الوصول البعد التأثيري ، الذي يتداخل بهذه الكيفية مع البعد الإخباري ويربط المسدي الوظيفة التعبيرية بالحدث الفني ، والجمالية الفنية ، لأن المبدع أو الكاتب لا يستطيع التعبير عن أحاسيسه الداخلية إلا بوجود آليات مناسبة تساعده على الإفصاح

-فالتجربة الشعرية الخارجية: هي تجربة متعلقة بالكفاءة النفسية للمبدع من خلال تجاربه واحتكاكه واندماجه وشعوره وتمسكه بواقعه، وفي ذلك يحدث التأثير والإقناع، وفي هذا نجد محمد بنيس أحد أعلام المغاربة يركز على هذا الجانب فيقول: " إن التجربة الخارجية ، كضرورة محتكة بالشعر ؛ أي أن اللغة الشعرية متعدية لا تكون إلا بحافز خارجي إبداعي إنتاجي بغيد كل البعد عن الجانب الداخلي الساكن الثابت إلى المعنى الخارجي الذي يفجر دلالات النص (ينظر: محمد بنيس ، 2001، ص 91).

كما يصورها "محمد بنيس " وليد التجربة الخارجية اللازمة بالضرورة للشعر هذه هي التجربة التي لا تأتي إلا بهذا الحافز الخارجي ، الذي يعتبره " البياتي " أيضا رفقة " صلاح عبد الصبور " أساس الوظيفة التعبيرية للشعر إلا أن هذا الاهتمام الكبير بالوظيفة المتعدية للغة الشعرية واعتبارها تجسيد للتجربة الخارجية ، لا يجعلنا نغفل النظر عن التجربة الداخلية الخاصة باللغة في حدّ ذاتها ، بما تحمله من تكرارات للملامح الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية المناسبة للموضوع ، فالتعددية الدلالية والاصطلاحية للغة الشعرية هي إثراء للموضوع المطروق من خلال النموذجين الأساسين للسلوك اللفظي الذي يحدده " رومان جاكبسون" في الاختيار والترابط "(خوسيه ماريا، 1992، ص53.).

ب/ وظيــفة اللّغة :

قال أدونيس في قصيدة " الإشارة " :

مزجت بين النار والثلوج
لن تفهم النيران غاباتي ولا الثلوج

وسوق الفن غامضا أليفا
اسكن في الأزهار والحجارة
أغيب
استقصى
كالضوء بين السحر والإشارة

إنّ المتأمل والدارس لهذه القصيدة ، يدرك بجلاء ذلك العمق اللغوي الخارج عن المألوف ، من خلال جمع الدلالات غير مألوفة وترويضها لتصنع جمالية الدلالية والإيحائية ، ففي قول أدونيس " : " مزجت بين النار والثلوج " ، فنجد لغة إشارية جسدت لنا عملية الخلق الجديدة للغة الشعرية ، وهي محاولة إيجاد نمط تركيبي ودلالي ، وهذا ما نبه إليه "كروتشيه" عندما حذر " المستغلين للحقل اللغوي ، حيث دلهم على أنّ أبواب اللغة كلما طرقناها انفتحت لنا عن بعد أو ظاهرة جمالية جديدة "(سمير أبو حمدان، دت ، ص 27) .

فالاستخدام النموذجي للغة الشعرية من خلال خلق الانسجام والتجانس بين الألفاظ هو الوحيد الكفيل بتسريع الوظيفة الجمالية ، ونقل التجربة الشعورية للذات الكاتبة كما أن الخطاب الشعري الناجح في نقل تجربة الشاعر ، هو ما كانت وحداته الدلالية منسجمة تستدعي الواحد منها الوحدة التي تليها .

* ولما ركز الأدباء على العملية العاطفية في بناء خطاباتهم ، خاصة مع رياح التيار الرومانسي وصار من اهتمام الأديب نقل التوتر الانفعالي إلى المتلقي بشحنات زائدة ، تحقق كما يقول " صلاح فضل " فكر "مالارميه" وهو أن الخطاب " مبادرة اللغة في الخلق "(صلاح فضل، 1998 ، ص 24)، ولا تخلو النظرة المقاربية من إظهار يملكه الخلق داخل الخطاب الأدبي وهذا ما يتجسد في تصورات " عبد السلام المسدي" ولكن من زاوية أخرى في استنطاق المكامن الداخلية للصياغة المعجمية التي يطلق عليها مصطلح "الإيحاء " هذا الأخير الذي يعني " الخلق " بالمفهوم "البينيسي" حيث يقول "المسدي" فأدبية الخطاب تتحدد بمقدار الخروج عن القالب المرسوم "(عبد السلام المسدي، 1983، ص 41.)، وبذلك فالخروج عن القالب المرسوم هو إعادة الخلق نمط مغاير للغة ، عبر الذي ألفته من قبل صيغتها التعبيرية البسيطة القائمة على الأساس المعجمي وتتجسد عملية الخلق بعد كسر المألوف في الخطاب من خلال جمع بين الفكرة كحقيقة وبين اللغة كآلية تعبيرية ، والخيال كخلق للرسالة ، وفق ما تتصوره الذات الكاتبة .

*وأما " محمد بنيس " فيرى في اللغة الشعرية العربية بأنها إبحار متواصل منذ العصر الجاهلي داخل الخطاب الإبداعي، مما حقق لها وظيفة الخلق ، هذه الأخيرة التي تجسد التقدم بمفهومه الحداثي ، الذي يعني التأثير والحركة ، حيث يقول " بنيس" :" وهنا أيضا تكون مع مفاهيم الحداثة ، إذا التقدم يتحقق في لغة الخلق ... فيها يمكن للشعر أن يتقدم والشاعر الخالق للغة هو النبي وفي هذه الحالة يصدر الشاعر عن حقيقة ، فالقول الشعري هو الحقيقة ويكون التخييل أساس "(محمد بنيس، 2001 ، ص99)

ج/ الوظــيفة الشعرية :

لقد ساهمت الدراسة في علوم اللغة الحديثة في إبراز طبيعة العلاقات الإنتاجية والإبداعية والدلالية ، ويعد " رومان جاكبسون" سنة 1940، يعد الأب للوظيفية التواصلية للغة من خلال حلقة كربسن، فكان من اهتماماته : " إدخال الشعرية في علم اللغة وتأييده لأهمية الكبرى في إبراز ملابسات الكلام للشعرية الألسنية "(خوسيه ماريا، 1992 ، ص 50).

فالكلمة لوحدها لا تحقق الغاية المطلوبة للوظيفية ، بل جملة الكلمات المتداخلة والمترابطة للحدث الكلامي هي التي تحقق الهدف للوظيفة الشعرية .

ولتوضيح ذلك نرصد لكم " مخطط جاكبسون" الذي يبين لنا العناصر الأساسية في هذه الوظيفية :

العوامل : المتكلم (المبدع/المنتج/المخاطِب) – سياق(المقام/مقتضى الحال/سياق الحال)

الرسالة (ملابسات الكلام/الحدث الكلامي/ الظروف الخارجية) - سامع(الملتقي/المؤول/المخاطَب)

اتصال

-قانون الشفرة
الوظائف : التأثيرية والتعبيرية
انفصالية شعرية طلبية
شارفة
ما وراء اللغة

وهذا ما نجد كذلك عند " جمال الدين بن الشيخ" من خلال تطرقه إلى الوظيفة الشعرية بالتركيزه على أهمية اللغة كوسيلة ممهدة مطابقة للإنتاجية الشعرية حيث يقول : " لا يرتبط الشيء باللغة فحسب إنما بإنجاز الفعلي للكاتب المرتبط والمنتظم بالأوزان الشعرية ، وبالمنظور آخر بتآلف جماعة لغوية بمقطوعات شعرية"(ينظر: جمال الدين بن الشيخ، 1996، ص 08).

ومن الممكن أن يكون معنى هذا القول هو أن الوظيفة الشعرية عند " بن الشيخ " لابد أن تكون متعلقة مع الإيقاع الموسيقي الذي هو التنغيم أو الملاءمة لها ، فالنظم هو الترابط والتعالق واتساق والحبك المرتبط بين جماعة لغوية والتنغيم المناسب ، ومحدودية هذا الترابط الدلالي يحدده مدى تناسب هذا النظم ، مع الحالات الشعورية المتغيرة حول الخطاب الأدبي ، فالوظيفة الشعرية للغة من هذا كله هي ذلك الاكتساب المتكرر لهذه الأداة إلى أبعد نقطة ، كما أنها كفاءة الشاعر على الربط بين الكلمات والمعاني والصور والأوزان في بناء نصي.

3-الشعـرية في التراث النقدي :

يختلف علماء النقد في تحديدهم لماهية الشعرية كل حسب قناعته العلمّية ، وإن كانت بداية تسميته متبلورة منذ القدم عند أرسطو في كتابه فن الشعر، حيث يقول :" المحاكاة تتميز بوسائل ثلاث ، قد تكون متجمعة كلها وقد لا تجمع كلها وهي : التنغيم والحبك والجماعة اللغوية "(ينظر: أرسطو طاليس 1973، ص40).

فالشعر عند أرسطو هو محاكاة ، ولا نعني به التقليد والتقيد به ولا نقوم بتصوير الواقع والأحداث كما هي؛ بل عليه أن يبرز رؤيا جمالية حيث وردت مصطلح الشعرية في تآليف القدامى بمصطلحات متنوعة كصناعة الشعر ، ومع ذلك يعد وأرسطو هو أول من مهد لهذه التسمية ، حيث ركزّ اهتمامه على نوعين من العمل الأدبي هما الشكل وهو المتعلق بالجانب البنية الداخلية للغة؛ أي ترابط وتعلق لفظي وسطحي وجانب داخلي للغة، أي جانب الاتساق، و أما النوع الآخر الذي هو المضمون متعلق بالجانب الخارجي والمعنى الخارجي ما وراء اللغة من ناحية الإبداع والتأويل، حيث جعل أرسطو :" الشعر صفة جمالية في أرقى مراتب الفنية وأن مهارة الشاعر تظهر في أفكاره وإبداعاته وتنظيمه المحكم للعمل الشعري حتى يكسبه الميزة الشعرية ، مستندا إلى المحاكاة كعنصر جوهري في الشعر "(ينظر: رمضان صباغ، 1968، ص 25.)

إنّ الشاعر الحقيقي في نظر أرسطو هو الذي يتوافر على آلية التنبؤ بالمستقبل والحدس والفطنة والذكاء الخارق والإستشراق له، وهذا يكون إلا بعد الاجتهاد والبحث والتطلع، أي أن يكون الشاعر موسوعيا ، متجاوزا الشيء الموجود في حقيقة إلى ما يمكن أن يوجد في الخيال أي ما هو متصور، ووردت التسمية الشعرية كذلك بمعنى نظم الكلام وعمود الشعر وهذا تبلوره الملابسات التاريخية والحضارية التي عملت على وضع القواعد والضوابط وتكون في حركة الإبداع والإنتاج، وهذا ما يسمى " بعمود الشعر الذي حدده المرزوقي في مبادئ سبع كان قد عدّها "الآمدي" وبينها عبد القاهرة الجرجاني من قبل وهي :

01/ شرف المعنى وصحته .
02/ سلاسة اللفظ واستقامته.
03/ الإصابة في الوصف.
04/ المقاربة في التشبيه – وزاد عليها :

05/ انتظام أجزاء النظم على تخيير من بدائع الوزن.
06/ ملاءمة المستعار منه للمستعار له ؛ أي الاستعارة بنوعيها المكنية والتصريحية.
07/ مشاكلة اللفظ والمعنى وشدة اقتضائها للقافية حتى منافرة بينها ... "(إحسان عباس، 1983، ص 405، منقول عن مجلة المخبر العدد التاسع ، 2013.)
فهذه الأسس التي وضعها المرزوقي هي بمثابة خطوط حمراء التي لا يجوز تجاوزها لأنها تمثل سقوف سحر؛ أي جوهرة الإبداع والإنتاج وروعة وفنية القصيدة العربية.
ولقد كان عبد القاهر الجرجاني مناقدا نقدا بناء تماما، وموقفا معارضا لنظرية عمود الشعر ، وهو البقاء على التفعيلة وعلى الروي الواحد والثابت، ولا يأتي بالجديد، ولا يعتمد عليهما في السيرورة الشعرية الشعر ، فالجرجاني يعتمد اعتمادا كبيرا وهو الوحدة العضوية والوحدة التأملية ، ولذلك عمل على حذفهما " لقد انتقص عبد قاهر الجرجاني بنظريته الكثير من المبادئ التي قام عليها عمود الشعر؛ أي الوحدة البيتية "(ينظر: مشري بن خليفة، 2006، ص 62، منقول عن مجلة المخبر العدد التاسع 2013) .
فجمالية النص عند الجرجاني تكون في نظرية النظم بوصفه :" توخي معاني الكلم، أي ما يرتبط بتعلق اللفظ وتعلق المعنى مع بعضه البعض "(ينظر: جابر عصفور، 1990، ص125.) وهذا يوجهنا إلى خطوة متقدمة نحو الشعرية والتي تناولها الجرجاني في كتابه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز كالعلامات اللغوية وغير اللغوية، لا كعلم قائم بذاته ، الذي هو تعريف للغة، كما عند دي سوسير ، ليأخذها علماء النقد في علم اللغة الحديث بالدراسة والتحليل والتأويل، فالفكرة ليست لمن ابتكرها ، ومهد لها؛ بل لمن طوّرها وأبدع فيها ، وغرس فيها الروح من جديد؛ ليجعل منها علما.
والمستقرئ لطريق الشعرية في تراثنا يتبلور أمامه إضافة إلى أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز –كتاب منهاج البلغاء وسراج الأدباء الذي اهتم فيه صاحبه بالشعر ، فتحدث أبو الحسن الحازم القرطاجني عن شعرية الشعر والقول الشعري ، ولم يكن الهدف بهما الأوزان الشعرية ولا تعالق الألفاظ والمعاني ، وإنما نلمس في حديثه شيئا من معاني كلمة الشعرية حيث ربط بين صفة الشعرية وبين التخييل "(ينظر: حازم القرطاجني،1986 ص 77) .
وقد اقترب القرطاجني من مفهوم الشعرية عندما لمح إلى إمكانية اشتمال النثر على عناصر الشعرية لتوافر عنصري التخييل والمحاكاة فيه ، ولكي يكون خلقيا بهذه التسمية عليه أن يثير إغراب ويحدث تعجب عند السامع؛ أي يجعل المتلقي يسأل ويتفاعل وفي حيرة، وألا يتقبل كل شيء"(ينظر: تزيفطان تودوروف ، 1987، ص 23.).
من المعروف ومما لاشك فيه أن الأدب فن شفوي، وشكل لغوي ، تكمن قيمته الجمالية في طريقة تعبيره عن المضامين والأفكار التي يريد المبدع طرحها ، وعن قيمة الرسالة التي يحملها على اختلاف طرائق للتعبير باختلاف توظيف الممكنات والأدوات الإبداعية ، وما تمايز الأجناس إلا شكل من أشكال هذا الاختلاف والذي يرجع إلى اعتماد مقوم من مقومات الجنس كفارق في التوظيف ، فالصورة الشعرية خاصة شعرية ، والسردية خاصة نثرية، والحوارية خاصية مسرحية ... وعليه فالشعر كجنس أدبي تربع على عرش الأدب عند العرب لردح من الزمن، ولازال ينافس الأجناس الأدبية الأخرى رغم ريادة بعض الأجناس الأدبية كجنس الرواية والقصة القصيرة والمسرحية ، إنه ديوان العرب وأيامها.

ثانيا: المكونات الفنية الإقناعية في شعر عثمان لوصيف :

1- اللغة الشعرية :

إنّ اللغة هي الوسيلة الأساسية المشكلة لوجودنا الثقافي والحضاري ، وبالضرورة هي الركيزة كذلك في عملية الإنتاج والتطور الفني ، لذلك فإن لكل مبدع أسلوبه الخاص في نظم وتعالق وترابط مستويات اللغة بعضها ببعض كارتباط مستوى الصوتي بالمستوى التركيبي بالمستوى الدلالي، فمستويات علوم اللغة مترابطة ومتداخلة مع بعضها البعض. (ينظر: طه وادي ، 2000،ص 25.)

فاللغة الشعرية الحديثة تقوم على مجموعة من القوانين التي تخالف بها الاستعمال الإخباري التقريري للغة في الممارسة اليومية ، وهذه القوانين أو الآليات هي التي بها تتمايز اللغة الشعرية ليس عن الاستعمال المنطقي للغة فحسب، وإنما عن اللغة في الفضاءات الأدبية ، وهذه "التغايرية" للغة فحسب ، وإنما عن اللغة في الفضاءات الأدبية ، وهذه "التغايرية" للغة الشعرية هي نتيجة الانشغال ثنائيات متعددة: (المشاكلة والاختلاف)،(الوضوح والغموض) (الثبات والانزياح)...الخ (محمود درويش،1993، ص 97) .

وعليه فإن اللغة الشعرية تكمن وظيفتها أساسا في السحر والإشارة فهي لا تعتبر ، ولا تصف أي لا تبوح ولا تصرح ، وهذا مصدر غموضها (محمد بنيس، 2001، ص 97.)

ومنه فإن اللغة الحداثية لم تعد تتسم بالوضوح والبساطة ، وإنما أصبحت لغة معقدة وغامضة لأن العالم تغير وتجدد ، ولابد من تقديم لغة تعبر عنه وتواكبه ، كما أنها لم تعد لغة منطقية واصفة وإنما أصبحت تمس عالما في عمقه وجوهره ،وبالتالي أصبحت لغة رمزية متعددة الدلالة ، كما أن النص الحداثي لم يعد مرتبطا بالبنية الداخلية وإنما أصبح مرتبطا بالواقع الإنساني ، أي أصبح نصا معرفيا نفعيا ، فاللغة أصبحت فعلا تجاوزيا ، أي تتجاوز الوضوح إلى الغموض ، الخارج إلى الباطن ،المعلوم إلى المجهول وكذلك تتجاوز الواقع إلى المستقبل ، وبالتالي أصبح الغموض غاية وليس وسيلة ولابد أن تنتمي إلى الغرابة والتعقيد ، حتى يتحقق مبدأ التعدد والانفتاح.

فمن خلال قراءتنا لقصيدة " عرس البيضاء" استخلصنا أن لغة الشاعر هي لغة الحواس ، وكأن الشاعر كان يتحدث بجميع حواسه لأن الشعر منبعه الشعور والإحساس ، ومنبت الشعور والإحساس هو الحواس.

إنّ اللغة التي كتب بها الشاعر دواوينه كانت العربية الفصحى ، التي تعد لغة القرآن الكريم فهي لغة مشحونة وقوية معبرة حقا بألفاظ وعبارات دالة على سعة خياله وزاده الثقافي والعلمي الواسع، كما يعد خبيرا ومتمكنا ، بالإضافة إلى أنه مال إلى لغة بسيطة سهلة وعذبة ذات قالب أخاذ ،فلم تكن اللغة سطحية موجهة لعامة الناس بل كانت لغة راقية موجهة للطبقة المثقفة . كما أنه وظف بعض المفردات الصعبة التي لا تفهم إلا من خلال العودة إلى القواميس ومن هذه الألفاظ نذكر : المومات ، اللبلابة ، الكهنوتية ، نيلوفرة ، الأقيانوس ، الجنلنار ، الأيقونة ، اللياكة ، الناترتج ، فينانة ، قريرة ، عربيدة ، معصفرة ، قنبره ...الخ كذلك توظيف الشاعر لمفردات ذات أصل أجنبي مثل : كاميليا ، الراديو ، الروبو ، قيتارة ، الالكتروني ، المدام ... إلا أنها مفردات نادرة جدا في دواوينه .

وتوظيفه لمفردات قديمة المستقاة من البيئة الصحراوية التي كان يعيش فيها مثل : النخلة ،الناقة ، الشمعة ، القنديل ، الأطلال ، السعفة ، الوشم ، التميمة ، الكحل ، السعفة ، الوشم ، الكحل ، الرمح ... الخ ، والمعروف عن الشاعر أنه ابن طولقة الصحراوية هذا ما يدل على توظيفه لتلك الأشياء التقليدية البسيطة في طريقة عيش الصحراوي ،كتربية الحيوانات والرعي والنسيج ، وفي شعره كثرة الإشارة إلى الطبيعة ورمزها العديدة والتي تكون قد ترسخت في ذهن الشاعر منذ طفولته كالطين والتربة والرمل والنوق والأفاعي والعقارب و النخيل واللبن ، وكذا توظيفه لبعض العناصر الطبيعية خارج بيئته كالبحر والسفينة والموج والينبوع ، دلالة زياراته العديدة والمتكررة لولايات الساحل الجزائري كالجزائر العاصمة ، التي استقى منها الشاعر عديد الأفكار والألفاظ .

كما أنّ اللغة عنده طيعة لينة في يده ، فهو يمتلك مخيلة لغوية عجيبة تمكنه من استحضار الأشياء الغائبة وتجسيدها على أرض الواقع ، فيغدو تاركا المجال مفتوحا لخياله من أجل القراءة والتأويل وكل يخدم موقفه الشعري، حيث يتلاعب بالألفاظ والكلمات ، ويعرف كيف يتمكن كمنها ليقدمها لقارئه في قالب جمالي يترك في النفس وقعا مؤثرا في أذهان القراء. كما يحلو للشاعر الترحال لاستكشاف كنوز الجزائر

ومكنوناتها الطبيعية الرقراقة التي تثير فيه روح الكلام وحمية الشعر فيقول في قصيدته "عرس البيضاء" :

شفق...ولعينيك تغريبة البحر
يشتعل الأرجوان المسائي
وأنت على ساحل المتوسط تغتسلين
الغروب وأعراسه
شذرات اللهيب على سوسن الماء

فمن يقرأ هذا المقطع يدرك مدى تعلق الشاعر بجمال البحر وأشعة الشمس التي تسمو فوق سطحه ، وحبه الكبير لهذه العروس عروس المتوسط الجزائر البيضاء .

إن الشاعر يبذل جهدا كبيرا في تصوير مشاعره وأماكن يحبها ومشاعر صادقة لازمته، فلا يدخر جهدا في نظم قصائد تستهوي القارئ حبا للوطن والقيم العالية والواقع المعيش ، قصائد مليئة بالحب والعلم والمعرفة والدين ، فقد عالج الشاعر موضوعات اجتماعية ساقها لنا من محيطه الذي يعيش فيه ، ويومياته التي ما انفك يرددها في قصائده كقصيدة التراب ، النجمة ، باتنة ، سطيف ، الصلاة ...الخ .فلا يمكن أن نفهم لغة الشاعر إلا إذا غصنا في أعماقها وبحثنا في خباياها وحللنا ألفاظها ودلالتها وفي مايلي عرض لأهم ما يلاحظ من ألفاظ لصور شعرية يلجأ إليها الشاعر عثمان لوصيف في قصائده المختلفة ، ذلك أن ألفاظ الشاعر كانت رزينة ومشحونة بالصور الشعرية والدلالات الموحية التي لا تقبل نقصا ولا ظنا ، حيث أنه وظف عديد الألفاظ بشتى أنواعها ولم يكن مقصرا في حقها ومن هذه الألفاظ نجد:

1- ألفاظ النبات :

نلمح في شعر الشاعر عثمان لوصيف الكثير من النباتات على اختلاف منبتها من صحراوية إلى ساحلية وغيرها ، فنجد مما استخدمه من ألفاظ النبات في كم من ديوان : الطلع ، الكافور ، الياسمين ، الغابة ، القطن ، الخوخ ، الكرز ، القمح ، البرتقال ، البخور ، اللوز ، الصنوبر ، اليانسون ، النخلة ، ماء الورد ، الزيتون ، الكلتوس ..الخ.

2- ألفاظ الوقت :

منها : الساعة ، الفصول ، الليل ، النهار ، الغروب ، الشروق ، الزوال ...الخ

3- ألفاظ الطبيعة :

السماء ، الماء ، الهواء ، الشتاء ، الكواكب ، الرعد ، الطين ، البرق ، الريح ، السواقي ، الحجارة ، الأعشاب ، الضفاف ، المطر ، الصواعق .. الخ

4- ألفاظ الحب والأمل :

منها : الخضراء ، النور ، الحنان ، الطرب ، الغناء ، العرس ، الفرحة ، العذب ، العيد ، البشارة ، البريق ، نشيد ، المدائح ، الجمال ، الإشراق ، الغزل ، الحنين ، الحب ، الابتسامة ، الشوق ، العشق ، الحبيبة ، الهوى ، الغرام ..الخ

5- ألفاظ دينية :

ونجد منها : الحور ، الجحيم ، المعجزة ، الكوثر ، العرش ، تتوضأ ، براءة ، صلاة ، أيوب ، القارعة ، الخشوع ، الحجاب ، الفردوس ، الملائكة ، البرزخ ، ليلة ، القدر ، القيامة ، ركعتين ، النشور ، الرحمان ...الخ

6- ألفاظ الحزن والألم :

كثيرة منها : السم ، الرعب ، الفجيعة ، الموت ، الوحشة ، العذاب ، الفراق ، الصقيع ، المجنون ، الأسى ، السواد ، الأشباح ، الخراب ، الدم ، الرثاء ، الفقر ، المرارة ، الهجرة ، الوجع ، الدموع ، الخنق ، الوباء

، العلقم ، العار ، الظلام ، الجرح ، الغضب ، السراب ، الصمت ، الكفن ، المقبرة ، القنط ، الذبول ، الضياع ، الشيطان..

7- ألفاظ علمية :

على سبيل التمثيل لا الحصر نجد : الكيمياء ، اللهب ، الكهرباء ، المعدنية ، الجدول ، النحاس ، يغلي ، الذهب ، الفضة ، الإلكتروني ، الجيولوجية ، مهندس ،...إلخ

8- ألفاظ صوفية :

يعرض لنا الشاعر عثمان لوصيف في عديد القصائد مصطلحات وألفاظ صوفية نتيجة تأثره ربما بالمذهب الصوفي الذي ساد زوايا المناطق الصحراوية في الجزائر ك: بسكرة وغيرها من ولايات الجنوب الكبير ومنها : يعشق باسم الله ، الوهج المقدس ، حب الله ، أناملك الإلهية ، النار الحامية ، مملكة الله ، الحدس ، ليل القبر ، ملحمة الله ، الفيض ، النشوة ، السهروردي ، خمرة العشق ، موجة الله ، وميض البرق .. الخ

9- ألفاظ المدينة وأسماء الأماكن :

من خلال عرض الشاعر لأبرز المعالم وأشهر الأماكن التي تأثر بها منها : الجزائر ، الخليج ، بسكرة ، ورقلة ، الجلفة ، تيزي وزو ، الونشريس ، باتنة ، عنابة ، سطيف ، وهران ، غرداية ، الدوسن ، عين وسارة .. الخ

10- ألفاظ المدينة الحديثة :

حيث يعرض الشاعر في قصائده لبعض الألفاظ الحديثة الخارجة عن إطار الريف والقرى مثل ، المقهى ، المدرسة ، الغرفة ، الأنابيب ، الشرفة ، الشارع ، الحجرات ، الأبواب ، المناضد ، المدن ..الخ

11- ألفاظ الجسد :

يستخدم الشاعر عثمان لوصيف لغة التلميح والإشارة أحيانا فتجده يلجأ إلى لغة الحواس للتعبير عن غرض ما فنجده مثلا يستخدم : العين ، اليد ، الفم ، الأنامل ، الرموش ، الكف ، الثدي ، الشفتين ، الأذن ، الجبين ، اللسان ، الذراع ، الكف .. الخ

12- ألفاظ تعنى بأسماء الأشخاص :

يعمد الشاعر هاهنا على توظيف أسماء لحيوانات تعبر عن طبيعة البيئات المختلفة التي عاش بها أو يكون قد زارها منها : العقرب ، الناقة ، الأسماك ، الذئاب ، البومة ، الغزال ، النحلة ، الأفعى ، النسر ، الأسد ، الكلب ، الحمام ، الطير ، الدجاجة ، الفراشة ، النمل ، الدود ، الضفادع ، البقر ..الخ.

13- ألفاظ تعنى بأسماء الأشخاص :

يستعين الشاعر في بناء قصيدته على الكثير من البنيات كبنية الشخصية على اختلاف طبيعتها ورمزيتها المستوحاة خاصة من الدين الإسلامي كا استخدامه لاسم : مريم ، موسى ، أيوب ، بلقيس ، آدم ، لبنى ، سعاد ، رابعة العدوية ، تابط شرا ..الخ

فالملاحظ لقصائد الشاعر عثمان لوصيف يجد بأن معظم قصائده تتخذ من الطبيعة منبعا يروي به قصيدته ، فتكون عناصر الطبيعة حاضرة بقوة لهروب الشاعر تجاهها فقد جعلها أنيسا يشكو إليها همومه ويحاورها ويتغزل بجمالها ويصفها بأعذب الأوصاف .

2- الصورة الشعرية الإقناعية :

تعتبر الصورة الشعرية من المصطلحات الحديثة في علم الأدب الحديث والمعاصر ، إذ تولد هذا المصطلح نتيجة تأثره بإفرازات النقد الغربي والاجتهاد في نقلها إلى الثقافة النقدية العربية على الرغم من القضايا التي يطرحها المصطلح الممتد من تراثنا الأدبي القديم والبلاغي كذلك حتى وإن اختلفت طريقة العرض والتناول من خلال التركيز على جوانب مميزة تميز كل مصطلح عن الآخر ، فالصورة هي

الجوهر الثابت والدائم في الشعر ، قد تتغير مفاهيم الشعر ونظرياته لكن الاهتمام بها يظل قائما مادام هنالك شعراء يبدعون ونقاد يحاولون تحليل ما أبدعوه (جابر عصفور ، 1992 ، ص 8.).

فالصورة الشعرية من المكونات التي تبنى عليها القصيدة ، حيث في الفترة القديمة من تاريخ الشعر العربي القديم كانت تقتصر على التشبيه والاستعارات والكنايات ، فهي بهذا التشكيل تكون صورة فتوغرافية للواقع الذي يعيشه الشعراء وما يحيط بهم ، في حين الصورة عن الشعراء المحدثين أصبحت تقتصر على الرمز والأسطورة والقناع ..الخ ، وغيرها من الظواهر الفنية فقد أصبحت الصورة عند " الرومانسيين تمثل الأفكار والذاتية ، وعند البرناسيين تمثل الموضوعية ، وعند الرمزيين تمثل نقل المحسوس إلى عالم الوعي الباطني وعند السرياليين العناية بالدلالة النفسية ، وهي عند غير هؤلاء ألوان أخرى .(أحمد مطلوب، 1985، ص 35.).

ونجد في شعر عثمان لوصيف ذلك المزج بين صورة الأمس واليوم ، فكانت الأولى صورا قديمة تعتمد على التصوير الفني بينما الثانية تعتمد على تفجير الطاقات الإيحائية وتعدد دلالات اللفظ الواحد هذه الصور القديمة نحاول أن نقف على عناصر منها :

1- صور شعرية قديمة :

أ- الاستعارة المكنية :

وهي ما حذف فيها المشبه به والمستعار منه ، ورمز له بشيء من لوازمه (عبد العزيز عتيق، 2006 ، ص 121) . وسنحاول أن نورد نماذج من القصيدة المخصوصة بالدراسة الدالة على ذلك :

يقول الشاعر عثمان لوصيف :

يشتعل الموج : حيث شبه الشاعر لمعان موجة البحر بكومة متوهجة ، فحذف المشبه به وترك لازمة أو قرينة دالة عليه ، وهي الاشتغال على سبيل الاستعارة المكنية .

ويقول في موضع آخر :

ويستيقظ الزمن : حيث شبه الشاعر الزمن بمن يستيقظ من نومه ، فحذف المشبه به وهو النائم، وترك لازمة تدل عليه وهي الاستيقاظ على سبيل الاستعارة المكنية .

ب-الاستعارة التصريحية :

وهي ما يصرح فيها بالمشبه به ، أو ما استعير فيها لفظ المشبه به للمشبه (عبد العزيز عتيق، 2006 ، ص : 121.)

ومن الأمثلة على ذلك من القصيدة قول الشاعر :

وأنت على ساحل المتوسط تغتسلين : حيث شبه الشاعر مظهرا من مظاهر فرحه ببلده الجزائر بالعروس التي تغتسل لعرسها ، فحذف الشبه وصرح بلفظة المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية .

ج- الكناية

وهي لفظ أطلق أريد به لازم معناه ، مع جواز إرادة المعنى الحقيقي منه (الخطيب القزويني، دت ، ص 182.) ، ومن الأمثلة على ذلك من القصيدة قول الشاعر :

كانت مفاتن جسمك تزداد عند التوهج : كناية عن موصوف وهو الجمال _ جمال الجزائر _

يا نحلة الضوء والنوء : كناية عن صفة العظة والتبجيل لبد الشاعر في عملها ونشاطها وما تقدمه من خيرات لشعبها.

2- صورة شعرية حديثة :

عمد الشاعر عثمان لوصيف إلى مغازلة اللفظ الحديث واستدراجه لقصيده من خلال دراسة الظواهر الفنية من تراسل للحواس والرمز والقناع وغيرها. وسنحاول أن نقف على بعض هذه الصور الحديثة انطلاقا من قصيدة " عرس البيضاء"

الأسطورة :

وهي شكل من أشكال القصص الذي يصور أبعادا إنسانية ن ورؤى فكرية عديدة " إلا أن منطقها يتجاوز الواقع المعيش إلى مستوى الخوارق والأعاجيب "(يوسف العايب ، 2013،ص 157.) وقد تأثر الشاعر عثمان لوصيف بالأسطورة ونوع في مواضيعها المختلفة ، إذ جسد في أغلب قصائده الأسطورة

العربية والغربية دلالة على سعة فكر الشاعر وتطلعه على الآداب المختلفة ، فنصوصه الشعرية كانت بمثابة مزيج جمع بين ماهو قديم وما هو حديث محافظا على الموروث القديم من خلال استحضاره لرموز أسطورية عديدة مشيرا من خلالها إلى طرح فكري معين ، كما عمد إلى توظيف الحاضر واستشرف المستقبل وهو يطمح إلى غد أفضل ، ونجد في أدبنا العربي الحديث الكثير من الشعراء الذين وظفوا الأساطير ك: السياب ، أدونيس ، البياتي ..الخ ، وقد انفتح الشاعر الجزائري عثمان لوصيف على التراث الأجنبي من خلال مطالعته وتحليله وتتبع أبعاده الفكرية ، والتي عمل على توظيف بعض منها في إبداعه كتوظيفه لأسطورة السندباد ...الخ ، ومن الأساطير التي وظفها الشاعر عثمان لوصيف في قصيدته –عرس البيضاء:

غبش النجم يغزل أغنية الصيف
فوق جبينك
تومض لؤلؤة الشعر
من خلف عينيك
والليل يمزج عنبره
بأريج الصنوبر والكلتوس
تحل مدينة فستانها الفستقي
وتنعس تحت رذاذ المصابيح
لكن آلهة البحر تصرح فينا
فنوغل في شبق الماء مشتبكين
ونعلن أسطورة الماء مشتبكين

فالشاعر في هذا المقطع وظف أسطورة من الأساطير الغربية في قوله :

لكن آلهة البحر تصرخ فينا، إشارة إلى الأسطورة الإغريقية القديمة القائلة بتعدد الآلهة ك:إله البحر عندهم المسمى ب: بونتوس وهو إله البحر في الجيل الأول من آلهة الإغريق القدماء ، فقد اتخذها الشاعر كوسيلة من وسائل التعبير عن إحساسه وتصوراته ومواقفه بالحياة ، فراح الشاعر يسند شعره الأسطورة غاية في زيادة المعنى جمالا وقوة وأكثر إقناعا ووضوحا ، ويجسد المعنويات وليستنطق الجمادات.

خاتمة :

ختاما ومما تم التطرق إليه ولو بصورة موجزة نقول إن الشاعر عثمان لوصيف ظاهرة شعرية بامتياز ، فقد نجح الشاعر في عرض أفكاره وأطروحاته وتصوراته من خلال بنائه لقصائده التي جسد من خلالها الطبيعة والروح والنفس والإنسان والصحراء ... في صورة شعرية بلاغية مثيرة تدفع القراء إلى تحليل إبداعه والتوجه نحوه للغوص في أعماقه ومحاولة الكشف عن أسرار لعبته الشعرية المغرية وألفاظها الموحية بزخم الجمال وروعة التصوير وحسن التشبيه ، بغية إقناع القراء بما يريده الشاعر وما تضمنه القصيدة من وعي وحب إنسانية لطالما نادى بها الشاعر عثمان لوصيف في قصائده وهو يصف حبه لوطنه والقيم المثلى التي يجب على الإنسان أن يتحلى بها وينادي بها الأجيال جيلا بعد جيل ، إن رسائل عثمان لوصيف التربوية والإنسانية دفعت القراء والدارسين لغوص تجربة مع شعره تحليلا واستظهارا لأهم الصور الفنية والإبداعية والجمالية التي تزخر بها قصائد الشاعر الجزائري عثمان لوصيف ، الذي ندعو النقاد والباحثين إلى الالتفات إلى شعره ودراسته وتحليله لما يحتويه من أسلوب ولغة وجمال .

قائمة المصادر و المراجع :

01/ أرسطو طاليس، (1973)، *فن الشعر* ، تر ، عبد الرحمان بدوي (ط2)، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان
02 / أحمد مطلوب، (1985)، *الصورة الفنية في شعر الأخطل الصغير*، (دط) ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان.
03 / إحسان عباس، (1983) ، *تاريخ النقد الأدبي عند العرب* ، (ط4)، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان.
04 / إحسان عباس، (1959)، *فن الشعر*، (دط) ، بيروت،دار الثقافة .
05 / ابن سينا ،(1983)، *فن الشعر : من كتاب الشعراء –ضمن كتاب فن الشعر لأرسطو* ، تر وتح : عبد الرحمان بدوي، (ط2)،دار الثقافة، بيروت.
06/ الفرابي أبو نصر، (دت)، *كتاب الحروف* ، تح : حسن مهدي ، (دط)، دار المشرق ، بيروت.
07/ الخطيب القزويني، (دت)، *الإيضاح في علوم البلاغة –المعاني والبيان والبديع-* ، (ط3)، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت .
08 / تزيفطانتودوروف، (1987)، *الشعرية* ، نر : شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، (ط1) ، دار توبقال ، المغرب.
09 / جابر عصفور، (1992)، *الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب*، (دط)، المركز الثقافي العربي ، بيروت.
10 / جمال الدين بن الشيخ، (1996)، *الشعرية العربية* ، تر : مبارك حنون ومحمد الولي ومحمد أوراغ ، (ط1)، دار توبقال ، المغرب.
11/ حازم القرطاجني، (1966) ،*مناهج البلغاء وسراج الأدباء* ، تح ، محمد الحبيب بن خوجة ، (دط)، ، دن، تونس.
12/ خوسيه ماريا ، بوثويلوايقانكوس (1992)، *نظرية اللغة الأدبية* ، تر : حامد أبو أحمد، (ط1)، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة ، مصر.
13 / رمضان صباغ، (1968) ، *في نقد الشعر العربي المعاصر " دراسة جمالية*"، (ط1)، دار الوفاء ، الإسكندرية ، مصر .
14 / سمير أبو حمدان، (دت)، *الإبلاغية والبلاغة العربية* ، منشورات عويدات ، (دط)، بيروت ، لبنان.
15 / شكري عزيز الماضي، (1986) *في نظرية الأدب*، (ط1)، دار الحداثة ،بيروت.
16/ صلاح فضل، (1998)، *أساليب شعرية* ، (دط)، دار قباء للطباعة والنشر ، القاهرة .
17/ طه وادي، (2000)، *جماليات القصيدة المعاصرة*، (ط1)، دار المعارف ، القاهرة .
18/ عبد العزيز عتيق، (2006) ، *علم البيان*، (ط2)، دار الآفاق العربية ، القاهرة .
19/ عبد السلام المسدي، (1983)، *النقد والحداثة*، (ط1) ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت .
20 / عبد السلام المسدي، (دت)، *الأسلوبية والأسلوب*، (ط3)، الدار العربية للكتاب.
21 / لطفي فكرى محمد الجودى، (2014)، *جمالية الخطاب في النص القرآني "قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين*، (ط1)، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة .
22 / محمد بنيس، (2001)، *الشعر العربي الحديث*، (ط3) ، دار البيضاء ، المغرب.
23/ محمود درويش، (1993)، *حصار لمدائح البحر*، (ط5) ، دار العودة ، بيرروت .
24/ مشري بن خليفة، (2006)، *القصيدة النثرية (في النقد العربي المعاصر)* ، (دط)، دن، الجزائر.
25 / يوسف العايب، (2013م) ، *التناص في قصيدة –غلواء لإلياس أبي شبكة*،(ط1)، مطبعة مزوار ، الوادي

العلاجات النفسية بين التعدية والنمطية في زمن ما بعد الحداثة

د. عبدالحليم الشرقي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية- سايس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله ، فاس، المغرب
Abdelhalim.cherqui@usmba.ac.ma
+212661506757

الباحث / عبد الإله خبطة
باحث في ماستر العمل الاجتماعي وعلوم الرعاية بشعبة علم النفس ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - سايس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله ، فاس، المغرب.
cherqui@usmba.ac.ma
+212661506757

الملخص
شهد عالم ما بعد الحداثة تغيرات اجتماعية واقتصادية وسياسية ونفسية مركّبة مسّت مختلف مستويات الحياة الخاصة والعامة. وتلك التغيرات واكبها تزايد وتنوع في الاضطرابات النفسية كالقلق والاكتئاب والرهاب...إذ باتت هذه الاضطرابات تؤرق الإنسان في عصر يسوده مجتمع المعرفة والرقمنة، والمفعم بالثورة الصناعية والتقدم العلمي والتكنولوجي والمعلوماتي. وتشير بعض الإحصائيات أن زهاء نصف البالغين بالمجتمع المغربي مثلا يعيشون أو سبق لهم أن عاشوا في حياتهم تجربة معاناة اضطراب نفسي أو عقلي. وهذا المؤشر الإحصائي يجعل القائمين على أمر الصحة النفسية بالعالم بشكل عام وبالمغرب بشكل خاص، مطالبين بتبني استراتيجيات متنوعة على مستوى العلاج النفسي وعدم الاكتفاء ببعض النظريات السيكولوجية التي أظهرت قصورها في العلاجات النفسية لدى الأفراد والفئات الاجتماعية.فهل تعتبر قضية تعدد الاضطرابات النفسية مصوغا لتعدد المقاربات العلاجات النفسة في زمن ما بعد الحداثة؟ أم أن العلاج النفسي بصيغة الجمع ما هو إلا نسخة مكررة تخضع للتنميط وإعادة الإنتاج؟.تتمثل أهمية هذا البحث في تناول قضية تعدد العلاجات النفسية في الحقل السيكولوجي. وتناول هذه القضية المعاصرة له إسهام كبير على مستوى تجاوز المشكلات النفسية وتحقيق الاندماج الاجتماعي للفرد ومساعدته على التكيف سواء في علاقته مع ذاته أو مع محيطه، وإزالة السلوك المرضي وتعويضه بآخر أكثر إيجابية. كمايهدف هذا البحث إلى تعرف العلاج النفسي ونشأته، والكشف عن القواسم المشتركة والفروقات بين العلاجات النفسية. ثم الإجابة عن سؤال الوحدة والتعدد(هل هو تنوع أم إعادة إنتاج الموجود؟).
الكلمات المفاتيح:العلاج النفسي، التعددية ، التنميط ، ما بعد الحداثة. السلوكي، المعرفي.

Psychological therapies between pluralism and stereotypes in the postmodern era

AbdelhalimCherqui1* AbdulilahKhabta2
1Phd in Psychology, Faculty of Arts and Human Sciences – Sais, University of Sidi Mohamed Ben Abdallah, Fez, Morocco
2 Researcher in the Master of Social Work and Care Sciences in the Department of Psychology, Faculty of Arts and Human Sciences – Sais, University of Sidi Mohamed Ben Abdallah, Fez, Morocco

Abstract
The postmodern world has witnessed complex social, economic, political and psychological changes that affected various levels of private and public life. These changes were accompanied by an increase and diversity in mental disorders such as anxiety, depression and phobias...These disorders are troubling people in an era dominated by the knowledge and digitization society, which is full of the Industrial Revolution and scientific, technological and information progress. According to some statistics, about half of the adults in Moroccan society, for example, live or have lived in their lives an experience of suffering from a psychological or mental disorder. This statistical indicator makes those in charge of mental health in the world in general and in Morocco in particular, demanding to adopt various strategies at the level of psychotherapy and not to be content with some psychological theories that have shown their shortcomings in psychological treatments among individuals and social groups. Is the issue of the multiplicity of mental disorders a formulation of the multiplicity of approaches to psychotherapy in the postmodern era Or is psychotherapy in the plural just a duplicate that undergoes stereotyping and reproduction? The importance of this research is to address the issue of the multiplicity of psychological therapies in the psychological field. Addressing this contemporary issue has a great contribution at the level of overcoming psychological problems, achieving social integration of the individual and helping him to adapt both in his relationship with himself and with his surroundings, removing pathological behaviour and compensating for it with a more positive one. This research also aims to identify psychotherapy and its genesis and to reveal the commonalities and differences between psychological treatments. Then answer the question of unity and diversity

Keywords: Psychotherapy, pluralism, stereotyping, postmodernism. Behavioural, cognitive.

مقدمة

لقد تطورت العلاجاتالنفسية بشكل عام من داخل حقل علم النفس كرد فعل على قصور بعض النظريات السيكولوجية في معالجة بعض المشاكل النفسية التي طفت على الواقعين الاجتماعي والنفسي للمجتمعات والأفراد،ونتيجة للتطور الكبير الذي أفرزته الثورة الصناعية والتقدم التقني والتكنولوجي والحربين العالميتين وما خلفتاه من أزمات وأعطاب وظواهر أدت إلى بروز أنماط عيش مختلفة وتنظيمات جديدة، كصعود الحركات العمالية والحركات النسائية وتزايد عدد الأصوات الحقوقية وتقسيم الأدوار بين الجنسين، وما استتبع ذلك من تغيرات اجتماعية واقتصادية وسياسية ونفسية مركّبة مسّت مختلف مستويات الحياة الخاصة والعامة. وتلك التغيرات واكبها تزايد وتنوع في الاضطرابات النفسية كالقلق والاكتئاب والرهاب...إذباتت هذه الاضطراباتتؤرق الإنسان في عصر يسوده مجتمع المعرفة والرقمنة، والمفعم بالثورة الصناعية والتقدم العلميوالتكنولوجي والمعلوماتي. وتشير بعض الإحصائيات إلى أن زهاء نصف البالغين بالمجتمع المغربي مثلا يعيشون أو سبق لهم أن عاشوا في حياتهم تجربة معاناة اضطراب نفسي أو عقلي(المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي, 2022) . وهذا المؤشر الإحصائي يجعل القائمين على أمر الصحة النفسية بالعالم بشكل عام وبالمغرب بشكل خاص، مطالبين بتبني استراتيجيات متنوعة على مستوى العلاج النفسي وعدم الاكتفاء ببعض النظريات السيكولوجية التي أظهرت قصورها في العلاجات النفسية لدى الأفراد والفئات الاجتماعية.

من جهة أخرى، يهدف العلاج النفسي إلى تجاوز المشكلات النفسية، من خلال معارف نظرية وتطبيقات عملية تتوخى تحقيق الاندماج الاجتماعي للفرد ومساعدته على التكيف سواء في علاقته مع ذاته أو مع محيطه، وإزالة السلوك المرضي وتعويضه بآخر أكثر إيجابية. لقد شهد العالم الغربي (مشتل هذه العلاجات) تطورات فكرية وتقنية جد مرتبطةفيما بينها، إذ أن التغيير في الأولى كان ينتج عنه تغيير في الثانية والعكس صحيح، بدءا بعصر النهضة إلى التنوير فالحداثة ثم ما بعد الحداثة أو الحداثة في نسختها السائلة والتي سيكون لها بالغ الأثر في ظهور باقةمن العلاجات أو بالأحرى مدارس علاجية نفسية متعددة المشارب والتوجهات والنظريات.

إن العلاجات النفسيةالكلاسيكية ممثلة في السلوكية والمعرفية قد عجزت عن مقاربة السلوك الإنساني من كافة جوانبه، لهذا سيعمد الباحثون إلى إعادة التفكير في صيغ وسبل أخرى تمكنهم من فهم أعمق لهذا السلوك، بل إنهم قاموا بما يشبه الانفصال عن هاتين المدرستين الكلاسيكيتين قبل أن يعودوا إليهما بتقاطعات مختلفة. بناء عليه، سيتم خلق مجموعة علاجات نفسية سيكون لها صدى كبير من داخل حقل علم النفس الاكلينيكي،يمكن تقسيمها من حيث مدارسها إلى خمس مدارس علاجية كبرى، وداخل كل واحدة منها اتجاهات ومقاربات ورؤى كثيرة، هي: العلاج السيكو ديناميكي، العلاج السلوكي المعرفي، العلاج الإنساني الوجودي، العلاج البنائي، العلاج الدامج الانتقائي.

لقد حاول الباحثان الغوص في إشكالات جدلية لها علاقة بموضوع العلاج النفسي، كانت قد برزت خلال العقدين الأخيرين، والتي تسير في اتجاه تحديد معالم علاجية نفسية جديدة تجعل من الإنسان شبيها لأخيه الإنسان، خصوصا مع الأطروحات النظرية التي باتت تتحدث عن "شكل نهائي" و "نموذج أخير" للحضارة وللإنسان.

مشكلة البحث:

تتمثل إشكالية هذا البحث في النظر إلى وجودقواسم وفروقات تميز العلاجاتالنفسية أكثر من الوقوف على تاريخ نشأتها ومحطات تأسيسها،في أفق محاولة الإجابة عن سؤال الوحدة والتعدد، ومقارنة التقنيات العلاجية المستخدمة "لما بعد الحداثة" داخل كل مدرسة علاجية بمنطلقاتها النظرية وأدواتها الإجرائية ومساءلتها بشأن إنتاج المعنى داخل هذه التعددية الواسعة.ويمكن تفكيك هذه الإشكالية من خلال الأسئلة التالية:

- هل تعتبر قضية تعدد الاضطرابات النفسية مصوغا لتعدد المقاربات العلاجات النفسية في زمن ما بعد الحداثة؟ أم أن العلاج النفسي بصيغة الجمع ما هو إلا نسخة مكررة تخضع للتنميط وإعادة الإنتاج؟
- ما الأغراض الحقيقية من بلورة علاجات نفسية قد تكون هي نفسها في كل مرة؟ وكيف يمكن قراءة دلالات تعددها في ظل الواقع العالمي الراهن، خصوصا مع تنامي السوق الرأسمالية والثقافة الاستهلاكية؟

أهمية البحث:

تتمثل أهمية هذا البحث في تناول قضية تعدد العلاجات النفسية في الحقل السيكولوجي. وتناول هذه القضية المعاصرة له إسهام كبير على مستوى تجاوز المشكلات النفسيةوتحقيق الاندماج الاجتماعي للفرد ومساعدته على التكيف سواء في علاقته مع ذاته أو مع محيطه، وإزالة السلوك المرضي وتعويضه بآخر أكثر إيجابية.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى ما يلي:

- رصد نشأة وتطور العلاج النفسي
- الكشف عن القواسم المشتركة والفروقات بين العلاجات النفسية.
- الإجابة عن سؤال الوحدة والتعدد قي قضية العلاج النفسي(هل هو تنوع أم إعادة إنتاج الموجود؟).

حدود البحث

تندرج نتائج هذا البحث في سياق الظرفية الراهنة المعقدة التي يعيشها الإنسان في زمن ما بعد الحداثة وذلك عبر استقراء مختلف المقاربات العلاجية النفسية القديمة منها والحديثة، التي تيسر الاطلاع على مجالاتها النظرية والتطبيقية. غير الحقل السيكولوجي منفتح دوما على آفاق رحبة تقود إلى التجديد في المداخل العلاجية النفسية تفرض على الدارسين مواكبة المستجدات بنفس من المرونة والابداع في التعاطي مع مختلف المقاربات، سواء تلك التي استنفدت أغراضها أو التي لم تفقد بعد صلاحيتها.

فروض البحث

تتمثل مجل الفروض التي بني عليها هذا العمل في ما يلي:

- العلاجات النفسية حاجة إنسانية مجتمعية في ضل عصر القلق ضغوط الحياة المتسارعة والمستمرة وقد تضبح تلك الحاجة عرضة للمتاجرة والاستهلاك المصلحي لا يقود بالضرورة إلى تحسين جودة الحياة لدى العملاء.

- واقع ما بعد الحداثة والذي من سمته التعددية قد يكون مصوغا موضوعيا لتعدد المداخل العلاجية النفسية. غير أن هذا التعدد ربما لا يكون انعكاسا لتعدد الأزمات والمشاكل النفسية، بل هو تعدد ذو صبغة نمطية مكررة يظل في عمقه واحدا.

- قد يكون تعدد تلك المداخل هو تعدد كمي يروم إعادة إنتاج الموجود بمسميات مختلفة، لا كيفي يعبّر عن اختلافات نظرية وتقنيةجوهرية.

الإطار النظري والدراسات السابقة

1- العلاجات النفسية في زمن ما بعد الحداثة: نشأتها وتطورها

يُعتبر العلاج النفسي -حسب معجم علم النفس والتحليل النفسي- أحد الأنواع العلاجية باستخدام أساليب نفسية بحتة (أي دون استخدام عقاقير أو صدمات كهربائية أو جراحة) سواء قام بها محللون نفسيون أو معالجون نفسيون. والهدف من هذا العلاج هو إزاحة الاضطراب النفسي، من خلال معارف نظرية وتطبيقات عملية هدفها تحقيق الاندماج النفسي للفرد ومساعدته على التكيف، وعلاج مشاكل الصحة العقلية من خلال التحدث مع معالج نفسي أو أخصائي نفسي أو غيره من مقدمي خدمات الصحة النفسية. لقد بات العلاج النفسي حاجة ملحّة أفرزتها المتغيرات المتلاحقة في عالم صار يتغير باستمرار، ويمضي مثقلا بالمشكلات النفسية التي أصبحت أكثر تعقيدا وأصعب تداخلا.

قبل البدء، لا بد من الإشارة إلى ملاحظة أولية وهي أن الهدف من هذا البحث ليس الغوص في تاريخ العلاجات النفسية ولا الاستغراق في ذلك، ولكن ما يهمنا تحديدا هو الوقوف عند القواسم المشتركة والفروق التي تميز هذه العلاجات عن بعضها خصوصا وأنها شهدت تفرعات واتجاهات ومدارس متنوعة. ولهذا قد يجد القارئ أحيانا أننا نتجاوز بعض المعطيات النظرية التاريخيةللعلاجات النفسية أو تطورها من داخل حقل السيكولوجيا، ليس من باب القصور أو الإهمال ولكنه أمر مقصود نتوخى فيه السير قدما نحو الإجابة عن إشكاليتنا الأساسية دون استغراق نظري- لكون المجال لا يتسع هنا -.أما المعلومات المفصلة عن تاريخ العلاجات النفسية فهي موجودة وبكثرة، ويمكن للقارئ العودة إليهاوالاستزادةمنها متى ما أراد ذلك. وعموما، لا يمكن الحديث عن العلاج النفسي كمجال علمي له

نظرياته وتطبيقاته ومناهجه إلا من داخل حقل علم النفس، فالظاهر أن التاريخ البشري كان مفعما بالمعاناة النفسية بل كان لصيقا بها،إذ كان الإنسان في كل مرة يحاول تجاوزها إما عبر تفسيرها ميتافيزيقيا، وإما عبر معالجتها بطرق عديمةالجدوى، وإما عبر التوجه نحو أساليب السحر والشعوذة. كما كانت هناك محاولات جادة لكنها لم تكن ترقى إلى العلمية المطلوبة، سواء مع العلماء المسلمين أو مع مفكري عصر النهضةلكون الواقع الاجتماعي لم يكن بذلك التعقيد الذي سيشهده العالم منذ القرن 19. في نفس السياق هناك مرحلة تعتبر فارقة في تاريخ العلاجات النفسية بل في تاريخ علم النفس ككل، وهي مدرسة"التحليل النفسي"الفرويدية، هذه الأخيرة يمكن اعتبارها كإرهاص مباشر لظهور العلاج النفسي كحقل علمي نفسي مستقل، ورغم ذلك لا يمكن الجزم بعلمية "التحليل النفسي" إذ ظل مرتبطا بطرق تقليدية ومقولات لا يمكن إخضاعها لمنطق العلم مثل "التداعي الحر"، "تحليل الأحلام"، "عقدتي أوديب و إلكترا"، "مركزية الدافع الجنسي".. فالتحليل النفسي يصبح وكأنه امتداد للتفسيرات الميتافيزيقية فقط. وعليه سيتم التفكير جديا في علاج نفسي ينطلق من الفرد داخل مجتمعه الحاضن ويعود إليه، ليتم التأسيس الأول للعلاجات النفسية. وعموما، فقد تعددت العلاجات النفسية حسب مدارسهاالكبرىباتجاهاتها وأقسامها وهيكما يلي:

1.1-العلاج السيكو ديناميكي: ويضم العلاج الأدلريAlfred Adler، العلاج النفسي التحليلي اليونغيCarl Jung، العلاج النفسي التحليلي القائم على التعلق، العلاج اللاكانيJacques Lacan. وينقسم العلاج السيكو ديناميكي إلى مرحلتين منفصلتين، المرحلة الكلاسيكية التي تتأسس على "النورولوجياالستاتيكية"(خباش, 2015)وهي المرحلة الفرويدية، ثم المرحلة الحديثة والتي تبلورت قبل عقدين من الزمن وتتأسس على "النورولوجيا البنائية"(خباش, 2015).ويجعل هذا العلاج من فرضية انطلاقه الأساسية هي أن "الفهم في سياق علاقة واحد لواحد مع شخص موثوق به، يسمح بتحرير العقل واكتشاف جوانب الذات التي كانت مبهمة في السابق"(Feltham et al., 2017)،أي أن الأرضية التي يقوم عليها العلاج تنبني على تأسيس علاقة متينة قوامها الثقة والانخراط والتفاعل بين المعالج والعميل، ثم إعادة اكتشاف الذات من خلال توسيع المدارك والأفكار وتسليط مزيد من الضوء على الجوانب الخفية في ذات العميل.

1.2-العلاج السلوكي المعرفي: ويضم العلاج السلوكي، العلاج المعرفي، العلاج بالتقبل والالتزام، العلاج المبني على التعاطف، العلاج الجدلي السلوكي، العلاج المعرفي القائم على اليقظة الذهنية، عقلنة العواطف.فالعلاج السلوكي المعرفي والذي يُعرف باسم العلاجات السياقية أو الموجة الثالثة من العلاجات النفسيةلكونها تجعل من السياق منطلقا في فهم السلوك الإنساني، فإنها تنقسم إلى: الموجة الأولى وهي العلاجات السلوكيةBehavioralTherapy، الموجة الثانية: وهي العلاجات المعرفية Cognitive Therapy، الموجة الثالثة: وهي العلاجات السلوكية المعرفية Cognitive BehavioralTherapy. ظهرت علاجات الموجة الأولى مع السلوكيين أمثال "إيفان بافلوف" "جون واطسون" و"فريديريك سكينر"، الذين كانوا يركزون فقط على السلوكيات والأحداث الملحوظة بهدف قياس الاستجابات السلوكية والتنبؤ بها والسيطرة عليها، معتبرين أن الشعور وما يرتبط به جزء من حياتنا النفسية لكنه غير قابل للتناول العلمي؛ لهذا يجب عدم الانشغال به بل يجب التركيز على ما هو ظاهر من السلوك البشري. لقد ركزت هذه العلاجات على ربط السلوك بمثيره إذ أن المثير الظاهر ينتج عنه سلوك ظاهر. ونتيجة "للقصور الذي خلّفته السلوكية على مستوى تجويد حياة الناس وعجزها عن تفسير العمليات الداخلية (الشعورية) في التجربة الإنسانية، وكذا اعتبارها من طرف منتقديها بأنها ميكانيكية ومختزلة جدا وعدم اهتمامها بدور المشاعر والأفكار"(بينيت& أوليفر, 2021)،فسيتم التوجه صوب العلاج المعرفي والذي يركز أساسا على الإدراك وتطوير تقنيات لتغيير المعتقدات والأفكار، وهو ما سيؤسس الموجة الثانية منCognitive BehavioralTherapyمع "ألبرت إليس" و" أرون ت. بيك"، إذ ستركز على التقويمات المعرفية، وإعادة بناء المعارف اللاعقلانية المختلة وظيفيا مثل العلاج العقلاني الانفعالي السلوكي والعلاج المعرفي، إلا أن إغفال هذا العلاج لعناصر مهمة مثل إهمال النظر إلى كيفية التواصل مع مريض لا يفكّر، أو إهمالهلبعض المشاعر والسلوكيات أدى إلى محدوديته وقصوره في عملية العلاج. أما الموجة الثالثة والمعروفة باسم العلاجات السلوكية المعرفيةCognitive BehavioralTherapyفقد

"تميزت بالتركيز على العلاقة الوظيفية بين السلوك والسياقات التي يحدث فيها، مع تركيز التدخلات على تعديل طريقة ارتباط الأفراد بالأفكار والسلوكيات والأحداث" (بينيت& أوليفر, 2021).فالحقيقة تكمن "بين أفكارنا حول العالم وما هو موجود"(Hayes et al., 2012)، على أن المشكل يقع حينما يكون هناك شيء من اللاحقيقة بين أفكارنا وما هو موجود أي تمثلاتنا الخاطئة وتقييماتنا غير الصحيحة عن المواقف والوقائع واعتبارها صحيحة. إن هذا العلاج الحديث ظهر كرد فعل على القصور البيّن في بروتوكولات العلاج المعرفي والسلوكي، خاصة في ظل عدم تركيزه على مهارات ضبط وتنظيم الانفعالات والمشاعر وتعلقه بصورة مباشرة بمحاولات تعديل تفكير العملاء أو المضطربين، ولهذا سيحاول الربط بين الفكر والسلوك والانفعال. هذا العنصر الأخير كان بمثابة القطعة المفقودة التي تم إدراجها في عملية العلاج النفسي، إذ لم تكن له أهمية مذكورة في العلاج المعرفي السلوكي الكلاسيكي، وبالتالي سيتم التركيز على قيمة وأهمية الانفعالات، المشاعر، اللغة، اليقظة الذهنية وعناصر أخرى. وإن كان الانفعال هو العنصر المفقود إلا أنه كفكرة مستعمَلة كان قديما وإن بطرق مختلفة، فالفلسفة الرواقية التي تأثرت بها العلاجات النفسية السياقية كانت ترى مع روادها الأوائل - خصوصا "إبيكتيتوسEpictetus" و"ماركوس أوريليوس Marcus Aurelius" أن "حكمنا على شيء ما هو ما يحركنا وليس الشيء في ذاته، وأن الإزعاج النفسي يقع من خلال الزوايا التي ننظر بها إلى هذه الأشياء". بالمقابل نجد أن علاجات هذه الموجة قد استلهمت من المدارس الدينية الشرقية بشكل كبير، خصوصا البوذية والطاوية والزرادشتية وحتى الصوفية التي تعتمد على مبادئ التأمل واليقظة الذهنية وتصفية الذهن والسلام الداخلي، فالملاحَظهو أن هذه المبادئ تتقاطع بشكل كبير مع مبادئ العلاج المعرفي السلوكي السياقي؛ بل يمكن القول أن العلاج النفسي الأمريكي المعاصر "تأثر كثيرا بمجموعات التعافي من الكحول Alcoholics Anonymousوالتي تنطلق من مرجعيات دينية أخلاقية"(Vitz, 1994).

تُعتبر الأساليب العلاجية المنتمية إلى العلاج السلوكي المعرفي حديثة من الناحية الزمنية، إذ تم تطويرها خلال العقدين أو العقود الثلاثة الأخيرة، شأنها في ذلك شأن العلاجات النفسية اللاحقة. ومن خلال إطلالة سريعة على خاصيات هذه العلاجات يُلاحظ أنه قد تعددت اتجاهاتها وتنوعت مسمياتها بين علاج بالتقبل والالتزام مع "ستيفن هايز"، وعلاج جدلي سلوكي مع "مارشالينهان"، وعلاج باليقظة الذهنية مع "جون كابات زين"، عكس ما كان عليه العلاج السلوكي أو العلاج المعرفي اللذان تميزا بثباتهما على مستوى المنطلقات النظرية والخطوات الإجرائية. يتم إطلاق وصف "الموجة الثالثة" على هذه العلاجات، وهناك علاجات أخرى جاءت بعدها يُطلق عليها "الموجة الرابعة"، ومن يدري فقد يكون في المستقبل القريب جدا موجات خامسة وسادسة وما بعدها.

1.3-العلاج الإنساني الوجودي: ويضم العلاج الوجودي، العلاج المركز على العاطفة، العلاج الجشطالتي، العلاج المركز على الشخص، العلاج السيكودرامي، التركيب النفسي.والملاحظ بخصوص هذا النوع من العلاج هو أنه يميل إلى جعل الإنسان محورا لعملياته بدءا بمؤسس مدرسة العلاقات الإنسانية "أبراهام ماسلو"، إلى "كارل روجرز" و "فيكتور فرانكل".هذا العلاج يعتبر أن الإنسان كائن حر له حق في الوجود وفق اختيارات خاصة يحددها هو ليرسم معنى لحياته، وهذه هي فكرة الانطلاق في هذا العلاج من أجل فهم المريض، لأن الوجود ككل هو معطى معقد يشكل خطرا على الفرد عبر سلب حريته وإصابته بالألم مكان اللذة وبالخوف عوض الأمان، وبالتالي فإن الفرد يتبنى "ميكانيزمات دفاعيةتجنبية" تؤذي في الغالب سلامته النفسية. يجب على الفرد إذن فهم عملياته الداخلية وتجاربه الشخصية عبر الوعي المستمر بحاضره وماضيه بكثير من التشجيع والتعاطف من طرف المعالج، ثم "تعرضه" لمشاكله عوض "تجنبها".

1.4-العلاج البنائي: ويضم العلاج بالسرد، البرمجة اللغوية العصبية، الاستشارة البنائية الشخصية والعلاج النفسي، العلاج المتمركز حول الحل. حيث يعتبر هذا العلاج أن الإنسان هو صاحب الخبرة في حياته وهو المسؤول عنها، وبالتالي فهو يمنح المعنى لوجوده. لكن المعالج هنا يتعاون مع المريض من أجل إعادة بناء شخصية المريض وإعادة صياغة أفكاره عبر استكشافه لذاته والغوص فيها عميقا. لقد تطور هذا العلاج متأثرا بمدارس كثيرة مثل "نماذج العلاجات الأسرية المبكرة مع "جاي هالي"1976 HaleyJayو"كلوي مادان"1984 MadanesCloéوالعلاجات البنائية مع "سلفادور

مينوتشين"MinuchinSalvador1974ومدرسة ميلانو مع "لويجيبوسكولو" BoscoloLuigi 1987حيث تم استقاء كل تقنيات العلاج من هذه المدارس والتي ترتبط ارتباطا وثيقا بعصر ما بعد الحداثة"(Miller, 2005).

1.5-العلاج الدامج الانتقائي: ويضم العلاج المعرفي التحليلي، العلاج النفسي البين فردي، العلاج متعدد النماذج، العلاج التعددي، العلاج بالمخطط، النموذج المهاراتي المساعد، تحليل المعاملات.والعلاج الدامج الانتقائييينطلق من مسلّمة أن لكل فرد حاجات متفردة قد لا تتشابه مع باقي الأفراد الآخرين، وبالتالي فمشكلة المريض هي مشكلة لها خصوصياتها وسياقاتها وتحتاج إلى مجموعة حلول تستجيب لتطلعات المريض وتوقعاته وتلبي طموحاته وتنمي جوانب متفرقة من شخصيته على أساس مقاربة متكاملة ومختارة بعناية،"يتم انتقاؤها وتطويرها عبر الفهم العميق لذات المريض واحتياجاتهاوجوانبها المعرفية والعاطفية والبيولوجية والاجتماعية والروحية من المريض نفسه ومعالجه"(Cooper & Dryden, 2016).إن هذا العلاج يحاول المزج بين تقنيات ومعارف نظرية مختلفة تنتمي إلى اتجاهات ومدارس علاجية متعددة.

ما يلاحَظ على هذه العلاجات من خلال تسمياتها ومنطلقاتها الفكرية وأيضا تياراتها المتعددة، أنها تنهل في جلّها من المدارس الفلسفية والنفسية الكبرى بدءا بالعلاج السيكو ديناميكي الذي تأثر كثيرا بمدرسة التحليل النفسي الفرويدي، إلى العلاج السلوكي المعرفي القائم أصلا على أنقاض المدرستين السلوكية مع "بافلوف" Ivan Pavlov"، واطسون" John B. Watson"و"سكينر" B. Frederic Skinnerوالمعرفية مع "أرون بيك" Aaron Beckو"ألبرت إليس"Albert Ellis، ثم العلاج الإنساني الوجودي الذي بلور ركائزه الفكرية متأثرا بوجودية "جون بول سارتر"Jean-Paul Sartre، والعلاج البنائي الذي تُعبّر اتجاهاته عن تأثرها الشديد بمدرسة ما بعد الحداثة كما يؤكد ذلك رائديه "ديفيد إبستون"David Epstonو"مايكل وايت"Michael Whiteمؤسسا العلاج بالسرد، إذ يعترفان أن هذا التيار العلاجي "قد تأثر بأفكار الفيلسوف الفرنسي ما بعد البنيوي "ميشيل فوكو" Michel Foucaultوبكُتّاب ما بعد الحداثة الآخرين"(Feltham et al., 2017).وأخيرا العلاج الدامج الانتقائي الذي يستقي الكثير من مرجعياته النظرية والفكرية من المدرسة الفينومينولوجية والوجودية والمعرفية والإنسانية.في نفس السياق، ثمة ملاحظة تخص الحقب الزمنية التأسيسية لهذه العلاجات مفادها أن كل هذه العلاجات ظهرت في الغالب بين ثمانينيات وتسعينيات القرن الماضي - إذا استثنينا المدرسة السيكوديناميكية الكلاسيكية التي تأثرت بالتحليل النفسي مع "كارل يونغ" و"جاك لاكان" و"ألفرد أدلر" الذي انفصل عن مدرسة التحليل النفسي. عكس السيكوديناميكية الحديثة التي تأسست نهاية التسعينيات ومطلع الألفية الجديدة - وهي المرحلة التي زامنت الانتشار الكبير لأفكار "ما بعد الحداثة" في أوروبا خاصة والعالم الغربي بشكل عام.يمكن قراءة هذا التعدد العلاجي وفهمه من خلال قراءة الواقع "الما بعد حديث"، وإلا فما الغاية من كثرة المداخل العلاجية النفسية المعاصرة وهي تتناول نفس المشكلات النفسية؟ "فالمعرفية" مثلا حينما قامت،فلأجل ملء الثغرات التي لم تستطع "السلوكية" علاجها، كما أن "السلوكية المعرفية"تبلورت من أجل تجاوز القصور الذي تركته "المعرفية" و"السلوكية"؛ إذ أن العلاج النفسي الكلاسيكي قام على أساس المدارس السابقةله من أجل نقد إرثها وتجاوز هفواتها. أما العلاج النفسي "الما بعد حداثي" فينحو منحى آخر، إذ يغلب عليه طابع التعدد وعدم الاهتمامكثيرا بتجاوز نقائص باقي المدارس العلاجية المزامنة له؛هذا المعطى يمكننا من القول أن التعدد هنا ما هو إلا تعبير جلي من تعبيرات فكر"ما بعد الحداثة"،وانعكاس "للتحديث الوسواسي القهري الإدماني، والإذابة المتواصلة والإحلال السريع للبنى والنماذج الذائبة"(باومان, 2016)،فالسمة"الما بعد حداثية" تتميز بإسقاط السرديات الكبرى والقطع مع حداثة عصر الأنوار واعتبار أن كل شيء خاضع للنقد بل للهدم وإعادة البناء، فإذا كانت "الحداثة" تقوم على مرتكز معلوم هو محورية العقل فإن "ما بعد الحداثة" لن تقوم إلا على الهدم والتشكيك، ولهذا يذهب الكثيرون إلى القول أن "ما بعد الحداثة" كبناء فكري قام تأثرا بفلسفة المطرقة "النيتشوية" التي أعلنت عن "موت الإله"،فثارت على السائد ودعت إلى النسبية والتشكيك بدءا بالعقل الذي أضحى يقينا مطلقا إبان مرحلة "الحداثة"، وسعت إلى تجاوزه بسبب "يقينيته" تلك، ولكونه صار مرتكزا معياريا يشكل جسر عبور وانفصال بين عصر "خرافي مظلم" وعصر "عقلاني مزدهر".

إن "ما بعد الحداثة" كما يشير إلى ذلك "زيجمونت باومان" Zygmunt Baumanهي "مرحلة اللايقين والتعددية والنسبية والشك وانعدام الثقة وعدم وجود واقع موضوعي أو مثالي صالح للانطلاق.. لقد أدى توالي الهدم والتفتيت إلى جعل الحياة سائلة لا صلبة، وبالتالي صار الصلب الوحيد هو السيولة، واليقين الوحيد هو اللايقين، والحقيقة المطلقة هو أنه لا حقيقة"(باومان, 2016). ويمكن تعريف "ما بعد الحداثة" Postmodernismإذن كما أورده المفكر المغربي "محمد سبيلا" في كتابه بأنها "شكل من أشكال الثقافة المعاصرة. فهي أسلوب في الفكر يبدي ارتيابا بالأفكار والتصورات الكلاسيكية كفكرة الحقيقة، والعقل، والهوية والموضوعية، والتقدم أو الانعتاق الكوني والأطر الأحادية، والسرديات الكبرى أو الأسس النهائية للتفسير. وهي ترى العالم، بخلاف معايير التنوير هذه، بوصفه طارئا عرضيا، بلا أساس، متباينا، بعيدا عن الثبات، وبعيدا عن الحتميةوالقطعية، وبوصفه مجموعة من الثقافات أو التأويلات الخلافية التي تولد قدرا من الارتياب حيال موضوعية الحقيقة، والتاريخ، والمعايير، والطبائع المتعينة والهويات المتماسكة. وهذه الطريقة في الرؤية لها شروطها المادية الواقعية، كما يمكن أن يقول البعض. فهي تنبع من تحول تاريخي شهده الغرب صوب شكل جديد من الرأسمالية؛ صوب عالم من التكنولوجيا والنزعة الاستهلاكية وصناعة الثقافة، عالم سريع التبدد والزوال، بعيد عن التمركز، انتصرت فيه صناعات الخدمات والمال والمعلومات على المصنع التقليدي، وأخلت فيه السياسات الطبقية الكلاسيكية الميدان لسلسلة واسعة من السياسات المرتبطة بقضية الهوية"(سبيلا & بن عبدالعالي, 2007).إن هذا التعدد يعكس حقيقة الواقعين الاجتماعي والنفسي المفعمين بالخوف والشك وذوبان اليقين في قوالب لا حصر لها وأنماط تفسير متنوعة وعلاجات نفسية متعددة ولا زالت تتعدد حتى يومنا هذا. عطفا على ما سبق، يتضح أن كل هذه العلاجات الجديدة ما هي إلا علامة من علامات التأثر الشديد بفلسفة "ما بعد الحداثة" والتي أثرت سواء بشكل مقصود أو غير واع في بلورة هذه المدارس العلاجية "الما بعد حديثة"، كما أن تعدد المشكلات النفسية ليس مصوغا لتعدد المقاربات العلاجات النفسية في زمن "ما بعد الحداثة". لكن السؤال الذي يطرح نفسه بقوة هنا هو: ما قيمة هذا التعدد؟ وكيف هي طبيعته؟.

منهج البحث

بعد العرض النظري والدراسات السابقة التي تناولت العلاجات النفسية ومدارسها الكبرى من خلال منهج تحليلي مقارن تم اعتماد المنهج ذاته في صلب متن البحث بهدف استنتاج مدى إسهام العلاجات النفسية لما بعد الحداثة في فهم المشكلات النفسية، والعمل على تجاوزها من خلال التعدد على مستوى مقاربات نظرية وتطبيقية. ليتم في الأخير استقراء محرجات التحليل بعرض وضع ملخص مركز لأهم النتائج والمقترحاتمع ببعض التوصيات.

متن البحث

1-العلاجات النفسية وسؤال الوحدة من داخل التعدد

تقوم العلاجات النفسية "الما بعد حداثية"على فكرة رئيسية مفادها أن الفرد يجب عليه الانفتاح بشكل عميق على ذاته، أي أن عليه التعرف على حالاته المزاجية والشعورية والفكرية والسلوكية. ومن خلال ذلك تعلم طرق السيطرة على حياته وتحمل المواقف الصعبة. "فالمعتقدات الرئيسية التي يتبناها الفرد عن ذاته، وعن عالمه، وعن مستقبله، والتي تحدد نمطه التفسيري إزاء موقف ما.. قد تؤدي به إلى سوء تكيف، من هنا يكمن دور العلاج النفسي في مساعدة الأفراد على تحديد هذه المعتقدات وتقييمها، ثم حثّهمعلى التفكير بطريقة أكثر واقعية، والسلوك بطريقة أكثر فعالية، والشعور الأفضل نفسيا.. بمعنى أن معتقداتهم الخاصة تلك تساهم بنصيب وافر في مشكلاتهم النفسية، بل تبقي عليها وتسببها"(إس جى, 2012) . على صعيد آخر، تتقاطع معظم مدارس العلاج النفسي المعاصر في تقنيات علاجية تظهر وكأنها إعادة إنتاج لنفس المدرسة ولكن بمسمى آخر. إن هذه العلاجات تتبنّى كلها مقولات جديدة قديمة من قبيل التأمل واليقظة الذهنية وتصفية الذهن والسلام الداخلي والانفتاح على الذات، والتي تُعتبر مبادئ أساسية في العلاج. ويمكن التدليل على ذلك من خلال رصد الخطوط العريضة لكل علاج من خلال ما سيأتي:

1.1- العلاج السلوكي المعرفي:

- العلاج بالتقبل والالتزام:

يعتبر "ستيفن هايز" Steven Hayesمؤسس هذا العلاج مطلع التسعينات، ويهدف إلى زيادة المرونة النفسية للأفراد، وعيش لحظتهم الراهنة بعيدا عن حضور الماضي أو تسلط المستقبل على الحياة الشخصية، ووضع أهداف يمكن تحقيقها عبر تبني قيم إيجابية معينة. وعموما، يتمحور هذا العلاج على ستة مبادئ أساسية يطلق عليها "هايز" (Hayes et al., 2012)اسم "نموذج الهيكسافليكس" Hexaflex ModelTheأو "المرونة النفسية" هي:

- التقبل Acceptance:أي تقبل الفرد لمشاكله ومواجهتها عوض الهروب منها أو تجنبها، والوعي بها كمشكلة قائمة عوض الصراع معها.
- الانفصال المعرفيCognitive Defusing: ويركز على تغيير أسلوب تفاعل الفرد مع أفكاره وعدم تعلقه بها، وجعل تجربة الفرد الشعورية تجربة منفصلة عن الذات، والتفكير فيها دون انخراط قيمي عبر رؤيته لها عوض الرؤية من داخلها.
- كون الفرد حاضرا BeingPresent: الاتصال باللحظة الراهنة "هنا والآن" والوعي بها باستمرار عوض العيش في الماضي أو في المستقبل.
- الذات كسياق Self As Context: جعل المرونة النفسية منطلقا في رؤية الذات، وتجديد التصورات الذاتيةوإعادة اكتشافها.
- القيم Values:بناء القيمالخاصة بالفردكشخص مسؤول وواع، لأنها تمنح للحياة معنى وتمكّن الفرد من تحقيق أهدافه.
- الالتزام Commitment:متبادل بين المعالج والعميل بتشجيع الفرد على القيام بسلوكيات أكثر فعالية وأدوم استمرارية.

- العلاج باليقظة الذهنية:

يُعتبر "جون كابات زين"Jon Kabat-Zinn أول من أدرج اليقظة الذهنية Mindfulnessكمدخل علاجي اكلينيكي مطلع الألفية الثالثة، إذ يدور هذا العلاج النفسي على فكرة جوهرية مفادها زيادة الوعي باللحظة الراهنة عبر ربط اتصال الفرد بلحظته الآنية المعاشة بانخراط تام كامل وواعي، ويتحقق هذا الأمر بالمزيد من التأمل والصفاء الذهني وتجديد العيش وفق فلسفة "هنا والآن".

- العلاج الجدلي السلوكي:

تعتبر "مارشالينهان"Marsha Linehanهي المؤسسة الفعلية لهذا المدخل العلاجي، وقد تم "تطويره أساسا لتقليل السلوكيات الانتحارية وإيذاء الذات للعملاء الذين تم تشخيصهم باضطراب الشخصية الحدية، وقد قام هذا العلاج بناء على ثلاث وجهات نظر فلسفية هي السلوكية، معتقدات الزن، والديالكتيك"(Feltham et al., 2017)إذ يدور حول تثمين خبرات الفرد وتعزيز قدراته ومهاراته عبر تعليمه القيام بالمزيد من اليقظة الذهنيةMindfulness، وانفتاح الفرد على واقعه ووعيه بحجم الضغوطDistressTolerance، والتحكم في انفعالاتهEmotion Regulation، ثم الوعي بجودة العلاقات الشخصية InterpersonalEffectivness .

1.2- العلاج الإنساني الوجودي

هذا العلاج كما سبق وقلنا فإنه يركز على الإنسان واعتبار حريته في الوجود بشكل عام.يلاحَظ من خلال اتجاهاته العلاجية المتعددة أنها تركز كثيرا على الشخص داخل سياقه، واستخدامهالمفاهيم ذات وظائف إجرائية من قبيل فهم الذات، تحقيق التواصل الجيد مع المجتمع، تحقيق الذات، اليقظة الذهنية، التشجيع والتعاطف، الوعي الذاتي بالمجتمع وبالذات معا، التركيز الكامل للذهن.. وغيرها. فلنأخذ مثلا "العلاج الوجودي"فإنه يركز على التجارب السابقة في التأثير على الشخص، ومحاولة التركيز على الحاضر والمستقبل عبر استحضار السياق في العلاقة مع الآخرين، بناء القيم الشخصية والبحث عن المعنى داخل هذا العالم المعقد..،(Cooper & Dryden, 2016)وهناك"العلاج الجشطالتي"الذي يتطرق من خلال تقنياته إلى الدور التخييلي في فهم المشكلة وتجاوزها عبر لعب الأدوار من خلال تقنية "الكرسي الفارغ" Empty Chairوهي تدور حول وضع كرسي فارغ أمام العميل وتخيله لشخص وهمي جالس أمامه ليقوم بمحادثته حول مشكلته وما يرجوه من خلال عملية العلاج. أيضا هناك تقنية المبالغة في لغة الجسدExaggeration of body languageعبر فسح المجال للتعبير اللفظي وغير اللفظي وفهم

الانفعالات والسلوكيات الصادرة عن الجسد، هناك أيضا تقنيات مثل الأحلام المرجوة ومحاولة تحقيقها بمزيد من الفعالية والاستمرارية، وتقنية "هنا والآن"Here and Nowعبر ربط العميل بحاضره ولحظته وعيشها بشكل كامل وواعي، ناهيك عن التعاطف والحوار الجيد والتفاعل مع العميل.(Miller, 2005)كما أن "العلاج المركز على الشخص" فإنهيؤسس تقنياته على التحالف المثمر بين العميل والمعالج، والتعاطف والاحترام الإيجابي غير المشروط ورسم النهايات الجيدة وتحقيق الذات من خلال النظرة الإيجابية للآخرين عن الشخص..(Miller, 2005)وغيرها.

1.3- العلاج البنائي

تنطلق هذه العلاجات في مقارباتها من أهمية السياق الاجتماعي الذي يعيش فيه الشخص، بمعنى تأثير المجتمع على الناس وعلى مشاكلهم. كما تهتم بشكل كبير بالمعتقدات المتعلقة بالعمر والجنس والعرق والدين وغيرها والتي تمنحه معنى لواقعه وللحياة ككل. هذا المعنى أحيانا قد يتعارض مع المعايير "المثالية" التي يضعها المجتمع والتي يتم تبنيها على أنها "حقائق" لا جدال فيها،الشيء الذي يؤدي إلى مشاكل عاطفية أو سلوكية. (Miller, 2005)إن الأساليبالعلاجية المنتميةلهذه المدرسة ورغم تنوع تسمياتها إلا أنها تنتظم في نسق علاجي شبه موحد، "فالعلاج بالسرد" مثلا يهدف إلى فصل الشخص عن مشكلته ومساعدته على إخراجها عوض استيعابها، واعتبار أن الأفراد هم خبراء لديهم العديد من المهاراتوالكفاءات والمعتقدات والقيم والالتزامات والقدرات التي ستساعدهم على تغييرعلاقتهم بالمشاكل في حياتهم. "يستخدم العلاج بالسرد تقنيات تستحضر السياق بشكل أساسي في معالجة المشكل عبر تثمين خبرات الشخص وإعادة كتابة قصص جديدة متخيلة لوضعيات مستقبلية".(Miller, 2005) أما "العلاج المتمركز حول الحل" فإنه يرى أن التغيير يأتي من مصدرين رئيسيين هما:تشجيع الناس على وصف مستقبلهم المفضل وكيف ستكون حياتهم في حالة نجاح العلاج، وتفصيل المهارات والموارد التي أظهرها الأفراد واستخدامها من أجل التغلب على المشكلات الحاضرة. وبالتالي تتم الجلسات العلاجية "عبر الحوار المثمر والتفاعل الإيجابي والتشجيع والاهتمام بشكل أساسي بالحاضر هنا والآن، وخلق توقعات لوضعيات مشكلة قد تواجهالفرد في المستقبل عبر التخيل والأحلام"(Miller, 2005).

1.4- العلاج الدامج الانتقائي

ينطلق العلاج الدامج الانتقائي من فكرة جوهرية مفادها الجمع بين الأساليب والأفكار العلاجية المنتمية لمختلف مدارس العلاج الأخرى، على أن تكون الركيزة التي تتمحور حولها هذه الأساليب هي اعتبار العميل ذاتا متفردة لها خصوصياتها وسياقاتها الخاصة، والتعاون والحوار مع العميل وإشراكه في عملية بلورة العلاج، والاهتمام بالحاضر، والرفع من منسوب التأمل الذاتي وغيرها. ويمكننا قياس كل ذلك من خلال "العلاج المعرفي التحليلي"يستخدم تقنيات كثيرة من بينها التعاون المثمر بين المعالج والعميل، والحرص على إبقاء الذات نشطة وواعية خصوصا على المستوى العاطفي، وتجنب تفعيل أدوار وإجراءات العميل بشكل غير مفيد في العلاقة العلاجية..(Feltham et al., 2017)، كما أن هذا العلاج يشير بشكل واضح إلى "إعادة صياغة المهارات والاستراتيجيات" Skills and strategies reformulationمن خلال خطاطة تستحضر تقييم التجارب السابقة وفهم العميل لذاته بشكل جديد.(Feltham et al., 2017).وهناك أيضا "العلاج النفسي البين فردي"InterpersonalPsychotherapyالذي يستقي من تقنيات "هنا والآن" واستحضار السياق في العملية العلاجية، ووضع الأهداف والاستراتيجيات من أجل التعامل مع المشاكل، ورسم مواقف متفائلة للعميل، والتشجيع بهدف استفادة العميل من علاقاته الاجتماعية.(Feltham et al., 2017)هناك علاجات أخرى تنتمي لهذا الأسلوب العلاجي وتشترك معه في الغالب في أبرز خاصياته وتنقنياته مثل العلاج متعدد النماذج، العلاج التعددي، العلاج بالمخطط، النموذج المهاراتي المساعد، تحليل المعاملات.إن العلاج الدامج الانتقائي يعترف أنه مدخل علاجي متعدد الأساليب والأفكار والنظريات، بمعنى أنه ينهل من مدارس مختلفة قام على أساسها، وبالتالي يمكن القول أنه نسخة/نسختمزج بين مختلف العلاجات النفسية من أجل تشييد مدرسة علاجية نفسيةجديدة.

بعد هذه الجولة الاستكشافية لتقنيات المدارس العلاجية النفسية الكثيرة (العلاجات النفسية الما بعد حداثية)، يمكن الجزم بكونها تقوم على فكرة أن العلاج يتم عبر الحوار بين المريض والمعالج من أجل فهم أعمق

للمشكلة من طرف المريض أولا ثم المعالج ثانيا، وإعادة صياغة المشكلة وفق مقاربات جديدة وواعية تحاول إنتاج المعنى (الحل) من داخل اللامعنى (المشكل) ولهذا توصف أحيانا بـ"العلاج بالكلام"TalkingTherapy. إن ما يلاحظ على هذه العلاجات الجديدة هو أنها متداخلة من حيثالأهداف كما التقنيات، ويبدو أن هذا معطى ذا دلالة قوية يعكس الوحدة المرجعية العلاجية لها، فإذا عدنا بالزمن إلى الوراء قليلا يمكننا القول بكثير من الارتياح أن كل هذه الاتجاهات العلاجية المعاصرة إنما مردها إلى نهاية القرن 19 وبداية القرن 20 مع المدرسة السيكو ديناميكية التي أسسها "سيغموند فرويد" Sigmund Freudوالتي سيبرز فيها اسم الطبيب وعالم النفس النمساوي "ألفريد أدلر" Alfred Adlerالتلميذ النجيب لـ "فرويد"، والذي قام ب"ثورة فكرية" على أستاذه لينتهي بهما المطاف إلى قطيعة استمرت حتى وفاة "أدلر". ويعود سبب القطيعة إلى أن "ألفريد أدلر" اعتبر أن القوة الدافعةفي حياة الإنسان هي "إحساسه بالنقص" عكس ما كان يقوله "فرويد" بأن الطاقة التي تحرك الإنسان هي الجنس واللاوعي والعُقد الطفولية الميتافيزيقية "الأوديبية" و"الإلكترية". لقد انفصل "أدلر" عن الاتجاه التحليلي النفسي الفرويدي ليؤسس بذلك اتجاها جديدامن داخل الاتجاه السيكو ديناميكي ستستقي منه أغلب العلاجات النفسية "الما بعد حداثية" ركائزها النظرية بل وتدخلاتها الإجرائية أيضا.ومن هنا يمكن القول أن "أدلر" انتقل من كونه محللا نفسيا كلاسيكيا إلى كونه معالجا نفسيا أكثر تفاعلا مع الواقع وارتباطا به، خصوصا في ظل التراكم العلمي داخل حقل العلوم الإنسانية وحقل الطب وتأسيس العلاج المعرفي وظهور العلوم العصبية الحديثة.

تركز السيكو ديناميكية على مفهومين أساسيين هما "التحويل" Transfertو "القالب" Template، بمعنى أن تاريخ الإنسان وماضيه يؤثر في حاضره ومستقبله، فالإنسان يقوم بعملية تحويل ماضيه إلى لحظته الآنية عبر بناء قالب تفسيري يسقط عليه أحداثه الحالية من خلال أحداثه السابقة.إن "أنماط حياتنا وسلوكاتنا ما هي إلا نتيجة عن تصوراتنا الذاتية، كما أنها تظهر لنا منطقية جدا لكنها ليست منطقية بالضرورة للآخرين" (Feltham et al., 2017)هذه الفكرة نجدها حاضرة في المنطلق التفسيري للعلاج السلوكي المعرفي السياقي، وذاك ما أشار إليه "هوفمان"Stefan G. Hofmann في كتابه "العلاج المعرفي السلوكي المعاصر"، إذ يقول: "أن معتقداتنا وأنماط تفكيرنا وقوالب تفسيرنا التي تتشكل من خلال تجاربنا السابقة وطرق إدراكنا للعالم أو أنفسنا أو الآخرين أو المستقبل تؤثر مباشرة في استجاباتنا الوجدانية والانفعالية" (إس جى, 2012).

إن الفكرة الأساسية التي يقوم عليها الفكر "الأدلري" والتي تضمنها كتابه "ماذا تعني لك الحياة" تدور حول كون الشخص منذ لحظات وعيه الأولى بوجوده داخل جماعة تضم مجموعة من الأفراد، فإن عقدة كبيرة تتشكل لديه هي "عقدة النقص أو الدونية" تسير به في اتجاه محاولة "تعويض" هذا الشعور بالنقص إلى قوة. "وتظهر عقدة النقص أمام مشكلة لا يتكيف معها الفرد ويعتقد أنه غير قادر على حلها،فيقوم بحركة تعويضية تنحو نحو الشعور بالتفوق، لكن هذه الحركة التعويضية تسير في اتجاه خاطئ يضع المشكلة الحقيقية جانبا ويهتم بأشياء غير مجدية"(Adler, 1932). وأول استراتيجية يقوم بها الفرد هي البحث عن "انتماء واندماج" داخل جماعة معينة يحس فيها برضى باقي الأفراد عليه ويكون راضيا عن نفسه في الآن ذاته. على أن عدم الانتماء هذا أو صعوبات الانتماء تؤدي به في النهاية إلى عدم القدرة على التعويض ما يعني تفاقم عقدة النقص لتؤدي به في النهاية إلى سلوكات مرضية منحرفة. "ولهذا فكل مريض إنما سبب مشكلته النفسية هي عقدة النقص"(Adler, 1932)، إن الفرد دائم البحث عن استراتيجيات تخفي مرضه الحقيقي ولهذا فإن المرضى غالبا ما يكونون غير واعين بمشكلاتهم الحقيقية أو يتسترون عليها بأساليب "تجنبية" عوض أن تكون "تعرضية". فمثلا هناك شخص مصاب بالإحباط يحاول جاهدا التغلب على هذا الشعور لكنه يقوم باستراتيجيات تتحاشى المشكل الحقيقي ويقوم بمحاولات واهمة يقنع بها نفسه أنه غير مريض لتؤدي به إلى الشعور بالتفوق "الوهمي"، فهذه الاستراتيجيات هي بمثابة "تنويم مغناطيسي" للنفس وخداع للذات إنما مرده إلى الشعور الذي يحاول جاهدا إخفاءه وهو الشعور بالدونية والنقص(Adler, 1932). إن من بين الاستراتيجيات التجنبية التي يقوم بها الفرد من أجل إخفاء عقدة شعوره بالنقص هي: البكاء، الغضب، الاعتذار، الإفراط في بعض السلوكيات مثل قلة

الكلام أو الإفراط في ارتداء الملابس الفاخرة، وضع الصور الشخصية وأحداث الحياة اليومية وأنواع الأطعمة على مواقع التواصل الاجتماعي.. وغيرها.

يركز "أدلر" في تقنياته العلاجية وأساليبه الإجرائية سواء مناحية "الماكرو"أو "الميكرو" على مجموعة أمور يمكن إجمالها في:(Feltham et al., 2017)

- إفهام العميل لمشاكله الداخلية عبر انفتاحه عليها ووعيه بها.
- تشجيع العميل والتعاطف معه وعدم الاعتراض عليه.
- حلق التوقعات لدى العميل عبر وضعه أمام مشكلات مفترضة قد يواجهها مستقبلا.
- الفهم العميق للأهداف الحقيقية الكامنة وراء السلوك الذي يقوم به الفرد.
- فحص ذاكرة المريض عبر فصله عن أفكاره والنظر إليها لا النظر من خلالها للعالم.
- التزام العميل مع المعالج من أجل إتمام العلاج، وإعادة توجيهه عبر ربطه بالحاضر لا الماضي ولا المستقبل (هنا والآن).

يمكننا التدليل مرة أخرى على أن التقنيات المستخدمة في كل المدارس العلاجية النفسيةتتكرر وإن بمسميات مختلفة - هناك خمس مدارس علاجية كبرى كما تمت الإشارة مسبقا وهي: السيكوديناميكية، السلوكية المعرفية، الإنسانية الوجودية، الدامجة الانتقائية، البنائية. وداخل كل مدرسة هناك تفرعات كثيرة- فمن خلال تتبعناالدقيق للتقنيات المستخدمة كما سبقت الإشارة، يلاحَظ أنها نفسها في كل مرة أو تكاد تكون كذلك،ويمكن إجمالها في: التعاطف، الوعي بالحاضر، النمذجة، التعزيز، التعرض، الاحتراز، الواجب المنزلي، اليوميات، التفريغ، التخيل، الاستعارة والمجاز(Feltham et al., 2017) .

إجمالا، لا يسعنا سوى القول أن تعدد الاتجاهات العلاجية النفسية "الما بعد حديثة"هو في حقيقة الأمر تعدد من داخل الوحدة، هو تعدد يجعل من مدرسة "ألفريد أدلر" أرضية صلبة يقوم عليها، ومرجعا نظريا وعمليا ينهل منه، وعليه فهذه العلاجات ما هي إلا إعادة إنتاج للمدرسة "الأدلرية" تحت مسميات جديدة، سواء من حيث المفاهيم أو من حيث التقنيات الإجرائية؛ فاستحضار السياق في العملية العلاجية والتعاطف والتشجيع والاهتمام بالحاضر "هنا والآن" والتخيل والتوقع وغيرها.. كلها نجد لها حضورا وازنا في السيكو ديناميكية الأدلرية، كما أننا نجد لها تموقعات جوهرية لدى مختلف المدارس العلاجية النفسية الما بعد حداثية. إنه تعدد كمّي وفقط، يظهر أحيانا وكأنه مجرد تأثيث داخل تيارات العلاج النفسي أكثر منه تعددية ذات خصوصية مستقلة،فالعلاج السلوكي المعرفي، والعلاج الإنساني الوجودي، والعلاج الدامج الانتقائي، والعلاج البنائي، كلها علاجات ممتدة ومستمَدة من العلاج النفسي لأدلر،بل إنها لا تكاد تنفصل عنه.

قد يتساءل القارئ وقد يلاحظ أن السطور السابقة تتضمن تناقضا كبيرا لأننا اعتبرنا أن العلاجات النفسية المعاصرة هي وجه من أوجه "ما بعد الحداثة" غير أن هذه الأخيرة كفلسفة وكمفهوم وكفكر تتميز بالتعددية الحقيقية والانفصال، بينما العلاجات -حسب ما رأيناه- هي ذات تعددية صورية فقط ولا تعبّر عن الفروق العميقة بينها، إذ أن أصلها واحد في النهاية. وهذه ملاحظة في محلها، يمكننا الإجابة عنها من خلال الجواب عن السؤالين التاليين: ما الأغراض الحقيقية من بلورة علاجات نفسية متكررة؟ وكيف يمكن قراءة دلالات تعددها في ظل الواقع العالمي الراهن؟

2-مدارس العلاج النفسي الما بعد حديثة: بين العلاج النفسي واستراتيجيات التنميط

في مطلع تسعينيات القرن الماضي، انتشرت في العالم أطروحة نظرية للباحث الأمريكي من أصل ياباني "فرانسيس فوكوياما" Francis Fukuyamaتضمنها كتابه "نهاية التاريخ والإنسان الأخير"، تقول بأن العالم قد استكمل بناء نظامه المثالي والنهائي، والذي سيلغي كافة الأنظمة الأخرى (سياسية واقتصاديةواجتماعية وغيرها)، يقصد "فوكوياما"النظام الليبراليالأمريكي، قائلا أن التاريخ سيتوقف عندهكتحصيل نهائي لكل الفلسفات والأفكار البشرية، ولن يكون هنالك إبداع آخر باعتبار أن أرقى ما وصل إليه الإنسان وما يمكن أن يصل إليه في تطوره هو الديمقراطية الليبراليةالأمريكية "النموذجية".(Fukuyama, 1992)إن هذه الفكرة بكل ما تحمل من تناقضات وأخطاء منهجية لعل أبرزها تلك التي أوردها الباحث الأمريكي "صامويل هانتنغتون" Samuel Huntingtonأستاذ "فوكوياما" في كتابه "صراع الحضارات"،(P.Huntington, 1996)،حيث أشار إلى أن الديمقراطية

الليبرالية لن تكون النموذج النهائي في التطور البشري نظرا لتعدد المداخل الثقافية والدينية في العالم، والمستقبل ينبئ أن الصراع سيكون حضاريا ثقافيا ودينيا، لا إيديولوجيا سياسيا. ورغم أن "فوكوياما" نفسه تراجع عن فكرته لاحقا،إلا أن فكرةحشر الإنسان في قوالب نمطية موحدة وصنع إنسان على المقاس هي فكرة ذات امتدادات تاريخية أمريكية، نجد لها حضورا قويا في الفكر والسياسة والسينما وغيرها،غرضها إحكام السيطرة على الإنسان من أجل فهمه أولا ثم التنبؤ بسلوكياته وضبطه ثانيا.لا تبتعد أطروحة "نهاية التاريخ" كثيرا عن فكر "ما بعد الحداثة" ولا تعارضه رغم مناداتها بنظام عالمي موحد وتَمَيُز"ما بعد الحداثة" بالتعددية، فبُعيد نهاية الحرب الباردة وفض القطبية الثنائية وانهيار المعسكر الشرقي الشيوعي بزعامة الاتحاد السوفياتي وصعود المعسكر الغربي الرأسمالي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، سيتبلور مفهوم جديد هو "النظام العالمي الجديد" أو ما سيطلق عليه فيما بعد "العولمة"، هذه الأخيرة كانت بمثابة فكر عالمي سيزحفعلى جل المجتمعات ثقافيا وسياسيا واقتصاديا وإعلاميا بل وحتى ذوقيا..إن "ما بعد الحداثة" كبناء فهمي تفسيري ستكون له راهنية اعتبارية مع السقوط المدوي للسرديات الكبرى من قبيل الشيوعية والتفكك العالمي الكبير جراءانحصار الاتحاد السوفياتي وتراجعه لصالح دويلات جديدة، موازاة مع ذلك سينتشر المشروع "العولمتي"في مختلف دول العالم، وبالتالي فـ"العولمة" و"ما بعد الحداثة" مرحلتان لا تكادان تنفصلان عن بعضهما رغم نزوع الأولى نحو العالمية والكونية، ونزوع الثانية نحو الفردانية والتعددية. إن فكرة خلق "نظام عالمي جديد" كان قد أشار إليها أحد رواد المدرسة الألمانية النقدية وهو "هربرت ماركوز" Herbert Marcuseفي كتابه "الإنسان ذو البعد الواحد"، إذ يقول في بعضصفحات الكتاب أن "الرفاه وافتقاد الحرية في إطار ديمقراطي كحرية الفكر والكلام والضمير، وسيادة العقلانية التكنولوجية بنزعة كلية استبدادية تنميطية هو ما يميز الحضارة الحالية"(ماركوز, 1988) ، ويضيف "ماركوز"أن "المجتمعات اليوم صارت مجتمعات أحادية البعد بفعل التنميط والمكننة والتكنولوجيا، وخلق حاجات إنسانية في سياق مجتمعات صناعية استهلاكية، وإقناع الأفراد عبر وسائل الاتصال الجماهيري والتسويق بتلبية هذه الحاجاترغم أنها قد تكون حاجات كاذبة لا حقيقية، وبالتالي تصبح هذه الحاجات مفروضة،قمعية واضطهادية يكون فيها الفرد مستلبا، أي أنه خاضع لرقابة اجتماعية تسيطر عليه وتخضعه وتؤثر على اختياراته وتسلب حريته وتفصله عن إرادته دون أن يعي ذلك حتى"(ماركوز, 1988) .فالكثير من الحاجات اليوم هي "حاجات وهمية من صنع الدعاية والإعلان ووسائل الاتصال الجماهيري"(ماركوز, 1988).إن الاستلاب المقصود هنا هو أن الفرد يعتقد في قرارة نفسه أنه كائن حر لكونه يمارس اختياراته في الحياة، بينما الحقيقة أنه يمارس اختياراته من خلال ما تم تحديده مسبقا من طرف الرقابة الاجتماعية، فهو يختار من الوجود المفروض عليه لا من خلال ما يشاء كيفما يشاء وقتما يشاء. يتقاطع تحليل "ماركوز" بشكل كبير مع تحليل زميله في مدرسة "فرانكفورت" "إريك فروم"Erich Frommفي مسألة الاستهلاك والاستلاب، إذ يقول في كتابه "المجتمع السوي" أن "المجتمع السوي هو الذي يتوافق مع الحاجات الحقيقية للإنسان، لا الحاجات الكاذبة التي يتم تقديمهاعلى أنها حاجات ضرورية بسبب التراكمات الثقافية والتي تؤكد أن الإنسان ما يزال غير قادر على الانعتاق من سلطة الرأي العام الذي يقلب وعيهبإيهامه أنه سيدأفكاره وحريته وقراراته حسب ما يريد، والحقيقة أنه ليس كذلك بل إنه خاضع لسلطة الرأي العام"(فروم, 2009).ويضيف "فروم" في كتابه الآخر"الإنسان المستلَب وآفاق الحرية" أن "الإنسان المعاصر يتميز بسمة أساسية هي أنه يستهلك بشكل دائم،إنه مستهلك أبدي يستهلك كل شيء.. ولم تعد السوق اليوم كتلك السوق التقليدية، بل صار كل واحد حر في إنتاج ما يريد وتسويقه كما يريد، على أن معيار نجاح السلع هو نفاذها من عدمها"(فروم, 2013).إن هذا التوجه العام الذي تفرضه ثقافة المجتمع والمتمثل في ثقافة الاستهلاك، يصبح توجها "سويا" هو في الآن ذاته شرط وجود الفرد، وكل سلوك يلغي فعل الاستهلاك هذا يصير سلوكا "غير سوي"، فمجتمعات "ما بعد الحداثة"تجعل من ثقافة الاستهلاك أحد أعمدتها الرئيسية، ولهذا كان "إريك فروم" يؤكد على أن الشخص السوي سيعاني نفسيا في المجتمع غير السوي.

في ظل هذا الزخم المعرفي يمكن القول أن العلاجات النفسية "الما بعد حداثية" صارت حاجة تفرضها متطلبات السوق، وقانون العرض والطلب، والتي تزكت بفعل تغلغلمشاعر الخوف والشك وعدم اليقين داخل المجتمعات الغنية؛ أي أنها أصبحت سلعة قابلة للاستهلاك كغيرها من البضائع والسلع والمنتجات

في إطار منظومة رأسمالية تعتمد علىالتجارةو"الماركوتينغ"واستهداف الربح السريع.بل هناك من المتخصصين من نسف عنها صفة العلمية وأطلق عليها لقب "أسطورة العلاجات النفسية"(Szasz Stephen, 1988). كما أن الكثير من الآراء تعتبر أن "العلاج النفسي في عمومه غير قابل للتحقق من علميتهوموضوعيته، وكل ما في الأمر أنه صار عملية إقناع يتم فيها تخفيف المعاناة من خلال إيمان المريض بالمعالج النفسي وتعاطف هذا الأخير ودعمه للعميل"(Vitz, 1994).ومن خلال الإحصائيات أسفله(ينظر الشكل1)يمكننا الاطلاع على حجم الإقبال الكبير على العلاجات النفسية والتي تؤكد أن تزايد الطلب على العلاجات النفسية في نمو مطرد منذ مطلع الألفية الثالثة(Elflein, 2023):

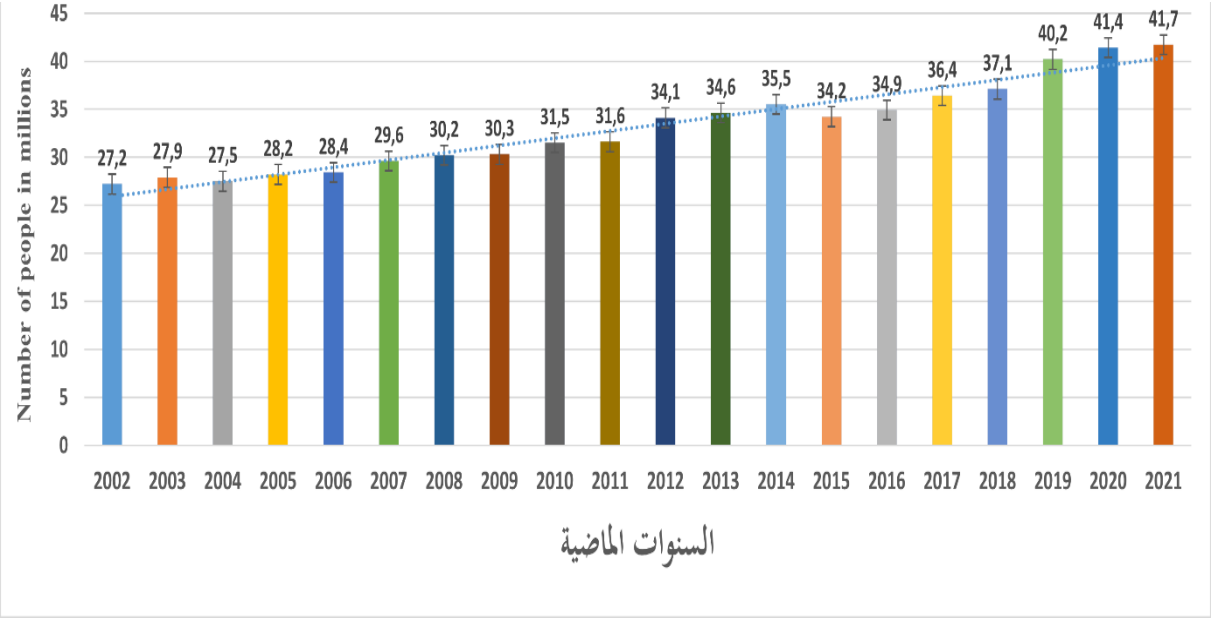

الشكل1:عدد البالغين في الولايات المتحدة الذين تلقوا علاجا أو استشارات في مجال الصحة العقلية في السنوات الماضية من 2002 إلى 2021 (بالملايين)

تشير هذه الأرقام إلى أن الأشخاص الذين تلقوا رعاية نفسية (دوائية أو استشارية) بالولايات المتحدة الأمريكيةقد ارتفع عددهم بأكثر من النصف في غضون أقل من 20 سنة الأخيرة، علما أنها إحصائيات تخص الراشدين فقط دون الأطفال؛ فالمنحى كان تصاعديا بين سنة 2002 التي استفاد فيها أكثر من 27 مليون شخص من رعاية نفسية، وسنة 2021 التي استفاد فيها أكثر من 41 مليون راشد من رعاية نفسية. إن هذه الأرقام الضخمة تدفعنا نحو التأكيد من جديد أن العلاج النفسي لما بعد الحداثة قد صار "عملا تجاريا" مربحا، خاضعا لقانون العرض والطلب، وفيا للروح الاستهلاكية القائمة على التسويق بشكل أساسي. ومن هنا يمكننا استعارة مقولة "ماركيوز" حينما تحدث عن "الحاجات الحقيقية والحاجات الكاذبة"، فالعلاجات النفسية "ما بعد الحداثية" قد تكون في أغلبها "حاجات كاذبة" استقرت في أذهان الناس كضرورة أساسيةملازمة للعيش، بفعل عدة عوامل لعل أبرزها انهيار منظومة القيم والأخلاقوزحف الثقافة الاستهلاكية الخاضعة لقانون السوق والترويج التجاري؛ إن هذا الواقع كما يصفه الفيلسوف "جون بودريار" أحد مفكري "ما بعد الحداثة" هو واقع يعكس "عصر الاستهلاك" حيث "المجتمعات صارت استهلاكية، من تنظيم العمل واستهلاك المنتجات إلى تسليع الثقافة والعلاقات الإنسانية والحياة الجنسية.. لا من باب الربح فقط، بل لأن الواقع صار فرجويا ممسرحا، وبالتالي صار كل شيء قابلا للاستهلاك"(بودريار, 1995)،والوسيلة الناجعة لتحقيق ذلك، هي قنوات قنوات التأثير الإعلامية والثقافية والتي نجحت في تحويل كل شيء إلى مادة مستهلكة بما في ذلك العناصر الروحية والثقافية.. وعليه، لا يمكن للمنتوج الثقافي داخل هذا السياق، إلا أن يكون سطحيا محدود الصلاحية ومتجاوَزا.. متنوعا وفاتنا نعم، لكنه منعدم العمق، خالي المعنى، هزيل النوعية.. إن واقعا بهذا الشكل، يؤدي وظيفتين في الآن ذاته:

فأولا، يضعف الحس النقدي للرأي العام، وثانيا، يدمج الأفراد في مجتمع محدد مسبقا، مجتمع قد يكون مخادعا ومزيفا"(بودريار, 1995).
ومن هذا المنطلق"يصير الفرد مدجنا بفعل الحث الكبير لوسائل الإعلام الجماهيري عبر خطابها الاستهلاكي الذي ينشر الأوهام، ليسهم في الأخير في صناعة"قطعان" من الناس محكومين بالترويض الاجتماعي والضبط والرقابة، ولا هم لهم سوى الاستهلاك والمزيد من الاستهلاك"(بودريار, 1995) .

خاتمة

نتائج ومقترحات
تصب نتائج ومقترحات هذا العمل في ما يلي:
- السعي نحو رفاهية المواطنين في إطار "دولة الرفاه" Welfare Stateقد أدى إلى "تسليع" كافة مناحي الحياة بما في ذلك القيم والأخلاق والثقافة والدين، فتم إغراق السوق بالبضائع والمنتجات وتشجيع الناس على استهلاكها؛ وتكاد العلاجات النفسية الآن لا تخرج عن هذا السياق.
- صارت العلاجات النفسية مهنة مربحة أكثر مما هي حاجة مُلِحة، فصار التسابق إليها من طرف المعالجين كما العملاء/الزبناءبوتيرة مرتفعة، بل تم الاتجاه صوب استحداث علاجات جديدة قديمة تستقي في غالبها من المعتقدات الدينية وتنهل من النظرية "الأدلرية" ركائزها.
- أدت العلاجات النفسية "لما بعد الحداثة" - سواء عن وعي أو دون وعي - أدوارا كبيرة في تنميط الإنسان وجعله شبيها لأخيه الإنسان، بل ربما ستؤدي هذه العلاجات إلى ما يمكن تسميته "التدمير الاجتماعي للعلاجات النفسية"،أولا لأن العلاجات النفسية كما سبقت الإشارة هي نفسها تقريبا من ناحية الأصل، وثانيا لأنها صارت تجارة ضرورية الاستعمال شأنها في ذلك شأن باقي السلع ذات الصلاحية المحدودة بل صار الإنسان هو السلعة في كثير من العلاجات، وثالثا لأنها سارت في طريق تحديد اختيارات الأفراد واقتراح خطواتهم المستقبلية - رغم أن هذه العلاجات تقرّ ببناء الحل بين المعالج والعميل -،فصار المعالج في الكثير من الأحيان يختار بدلا عن عملائه.
-إن الواقع ما بعد الحداثي ورغم سمته التعددية وإفرازه لمشكلات نفسية جديدة ومعقدة، إلا أنه ليس مصوغا موضوعيا لتعدد المداخل العلاجية النفسية؛ فحسب ما رأيناه بخصوص هذه الأخيرة فإنها تنسجم في مدخل علاجي واحد يعود لمدرسة"ألفريد أدلر"، وبالتالي يمكننا القول بكثير من اليقين أن تعدد المداخل العلاجية النفسية "لما بعد الحداثة" ليس انعكاسا لتعدد الأزمات والمشاكل النفسية، بل هو تعدد ذو صبغة نمطية مكررة يظل في عمقه واحدا.
-إن تعدد هذه المداخلكمي يروم إعادة إنتاج الموجود بمسميات مختلفة،لا كيفي يعبّر عن اختلافات نظرية وتقنيةجوهرية. وهذاما كان يعيبه العلاجالنفسي Psychotherapyعلى الطب النفسي Psychiatryبدعوى إهماله للعوامل الكلية في الإنسان واستحضار العضو الجزئي وفق مقاربة دوائية Pharmacotherapyتخدر المعاناة النفسية فقط عوض علاجها نفسيا.
-إن العلاج النفسي المعاصر والطب النفسي ورغم خصومتهما الشديدة وعدائهما الكبير إلا أنهما يسيران نحو نفس الأفق، فالأول صار علاجا تنميطيايكاد يكون علامة تجارية مسجلة تدرّ أرباحا طائلةفي إطار السوق الاستهلاكية والطلب المتزايد، بينما الثاني يستفيد ماديا من عائدات بيع الأدوية التي تبلغ مليارات الدولارات، إضافة إلى إسهامه-ولا يزال- في تخدير الاضطراب النفسي لا علاجه، بل في كثير من الأحيان يؤدي إلى تفاقمه؛ليجد الأفراد أنفسهم مجبرين في كل مرة على استهلاك العقاقير،إذ ستكون النتيجة الحتمية لهذه المعادلة هي خلق أفراد خاضعين، خاملي الانفعالات والمشاعر،وتفريخ أجيال من الأشخاص المنقادين، من العقليات المتشابهة، من عقليات "القطيع" التي تفتقد إلى "صلابة نفسية" وإلى "ميكانيزمات دفاعية" ذاتية تتحسن وتتقوى باستمرار في خضم المواجهة مع المشكلات النفسية.

توصيات

تتمة لما سبق قوله، وبعد دراستنا لموضوع العلاج النفسي "لما بعد الحداثة"، فإننا نوصي لا من موقع اقتراحي علاجي، ولكن من موقع اقتراحي موضوعي، بما يلي:

- الانفتاح بشكل كبير على مكوّن الدين كعنصر ثقافي له جدواه الموضوعية في الحفاظ على الاستقرار النفسي، فمن خلال اطلاعنا على العلاجات السابق ذكرها لاحظنا أنها استقت في أغلبها من الأديان والمعتقدات الشرقية. إذن ما المانع من جعل الدين قاعدة ارتكاز في حياة الأفراد والاكتفاء به؟إذ يمكنه أن يصير نوعا من العلاج الروحاني الذي يساعدهمعلى تحقيق المزيد من الصلابة والمرونة النفسيتين. فالصلابة تعني مواجهة الأزمات النفسية بقوة أكثر، والمرونة تعني التعامل مع المشكلات بأفكار جدية متطابقة مع نوع المشكل.
- اعتبار المشكل النفسي والمعاناة المصاحبة له جزء لا يتجزأ من الحياة الإنسانية بشكل عام، وبالتالي ضرورة التعامل مع هذه المشاكل بمنطق أن الفرد ليس مسؤولا عنها دائما، فأحيانا تكون عوامل أخرى خارجية مسببة لها وبالتالي وجوب التفاعل معها بشكل عادي دون مبالغة ولا تضخيم.
- أحيانا، يمكن للفرد علاج نفسه بنفسه دون تدخل نوع علاجي نفسي ولا تدخل طبي نفسي، والدليل أن هاتين المقاربتين (علاجية نفسية وطبية نفسية دوائية) دائمتا الصراع فيما بينهما ومهاجمتهما لبعضهما حول أحقية كل واحدةونجاعتها في علاج المشكل النفسي، رغم أن الواقع يثبت أن المقاربتين قد تعجزان عن ذلك. وبالتالي يمكن للفرد أحيانا الاستغناء عنهما ونهج مقاربة ذاتيةغير خاضعة للإملاء والرقابةوالفوقية.
- قضية تعدد المشكلات النفسية ليست مصوغا لتعدد المقاربات العلاجات النفسية في زمن "ما بعد الحداثة"، وعليه يجب توحيد المداخل العلاجية النفسية المتعددة -من حيث التسمية- من طرف المعالجين النفسيين المعاصرين في علاج نفسي واحد: إما عبر تجميع تقنياتها وأهدافها في قالب واحد، وإما عبر إعادتها إلى أصلها "الأدلري"، والاعتراف بها واعتمادها، فهذا التعدد يظهر أحيانا وكأنه مجرد تنويع بضاعي ذو أهداف ربحية، وإما تعددله أهداف وأجندات أخرى، خصوصا وأن ماضي بعض العلاجات النفسية ليس بريئا (مثل العلاج السلوكي) الذي تم استخدامه بطريقة غير أخلاقية إبان مرحلة الحروب والصراعات العسكرية بين الدول من أجل السيطرة على الآخر/العدو.
- عدم جعل العلاج النفسي اختيارا أولا مفضلا دوما، إذ أن هذا الأمر قد يؤدي إلى خلق نوع من الإدمان لدى الأفراد بل الإسهام في تقليص مستوى الصلابة النفسية لديهم، فالعلاج النفسي بهذه الشكل يصبح كاستجابة شرطية لكل مشكل نفسي،عبر استحضارهكحل "سحري" واهم، وإلغاء المبادرة الذاتية التلقائية دون وسيط.
- يمكن اعتبار العلاج النفسي لما بعد الحداثة حاجات تجارية استهلاكية، وبالتالي يمكن الاستغناء عنها لصالح العلاج النفسي لألفرد أدلر، لا باعتبار أن العلاج النفسي "الأدلري" كان مثاليا، ولكن باعتباره محطة قامت عليها باقي العلاجات اللاحقة.

المصادر والمراجع

- عربية:

1. إس جى, ه. (2012). العلاج المعرفي السلوكي المعاصر " الحلول النفسية لمشكلات الصحة العقلية " (م. علي عيسى, Trad.; 1re éd.). دار الفجر للنشر والتوزيع.
2. المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي. (2022). دراسة حول الصحة العقلية على الصعيد الوطني . https://www.cese.ma/ar/le-cese-appelle-a-lelaboration-des-politiques-et-programmes-publics-concertes-de-promotion-de-la-sante-mentale-et-de-prevention-des-troubles-mentaux-et-des-risques-psychosociaux/
3. باومان, ز. (2016). الحداثة السائلة (ح. أبو جبر, Trad.; 1re éd.). الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
4. بودريار, ج. (1995). المجتمع الاستهلاكي :دراسةفيأساطيرالنظامالاستهلاكيوتراكيبه (خ. أحمد خليل, Trad.). دار الفكر اللبناني.

5. بينيت, ر., & أوليفر, ج. (2021). العلاج بالقبول والالتزام (ع. صلاح سيد, 1re éd ;.Trad.). ، مكتبة الأنجلو المصرية.
6. خباش, ه. (2015). الدماغ، الذهن والتعلم مقاربة معرفية دروس وتطبيقات (1re éd.). مركز نقد وتنوير. https://drive.google.com/file/d/1H2RmNAWJ3qKgwOfBtzXU6qy9CDfc4H7I/view?usp=drive_open&usp=embed_facebook
7. سبيلا, م., & بن عبدالعالي, ع. ا. (2007). ما بعد الحداثة تحديدات (1re éd.). دار توبقال للنشر.
8. فروم, إ. (2009). المجتمع السوي (م. منقد الهاشمي, 1re éd ;.Trad.). دار الحوار للنشر والتوزيع.
9. فروم, إ. (2013). الإنسان المستلب وآفاق الحرية (ح. لشهب, Trad.). مطبعة فيديبرانت.
10. ماركوز, ه. (1988). الإنسان ذو البعد الواحد (ج. طرابيشي, 3e éd ;.Trad.). منشورات دار الآداب

- إنجليزية:

1. Adler, A. (1932). What Life Should Mean To You. Alan Porter.
2. Cooper, M., & Dryden, W. (2016). The Handbook of Pluralistic Counselling and Psychotherapy. SAGE Publications.
3. Elflein, J. (2023, juillet 31). Mental health treatment or therapy among american adults 2002-2021. Statista. https://www.statista.com/statistics/794027/mental-health-treatment-counseling-past-year-us-adults/
4. Feltham, C., Hanley, T., & Winter, L. A. (Éds.). (2017). The SAGE Handbook of Counselling and Psychotherapy (Fourth edition). SAGE Publications Ltd.
5. Fukuyama, F. (1992). The end of history and the last man. Free Press ; Maxwell Macmillan Canada ; Maxwell Macmillan International.
6. Hayes, S. C., Strosahl, K., & Wilson, K. G. (2012). Acceptance and commitment therapy : The process and practice of mindful change (2nd ed). Guilford Press.
7. Miller, L. (2005). Counselling Skills for Social Work. SAGE.
8. P.Huntington, S. (1996). The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order (1re éd.). Simon & Schuster.
9. Szasz Stephen, T. (1988). The Myth of Psychotherapy : Mental Healing as Religion, Rhetoric, and Repression. Syracuse unversity press edition.
10. Vitz, P. C. (1994). Psychology as religion : The cult of self-worship (2nd ed.). Grand Rapids, Mich. : W.B. Eerdmans Pub. Co. ; Carlisle, UK : PaternosterPress.

أستاذ الأدب والنقد لجامعة الإسلامية بمينسوتا
مركز تعليم اللغات ـ فرع تركيا(أستاذ زائر)
suadsayedmahgoub@gmail.com
00971506983863

الملخص
الدراسةُ بعنوان" من علماء الأدب المعاصر عبد الله الطيب المجذوب ،وهو من أبرز أعلام الأدب على المستوى المحلي والإقليمي والعالمي ،ومن العلامات الفارقة والأرقام المميزةفي مضمار الأدب، بل من أهم ركائزه، وحجر الزاوية فيه،لم يكن العلامة عبد الله الطيب المجذوبأديبًافحسب ؛ بل ظاهرة متفردة ومتميزه على المستوى الفكري والعلمي والثقافي ، وهبه الله تعالى ملكتي النظم والنثر، فكان شاعرًا مطبوعًا وخطيبًا مفوهًا،علا كعبه في شتى ضروب العلوم والمعارفوفي مضمار اللغة العربية وآدابها كان فارسها الذي لا يبارى،،شهدت له بحورُ الخليلِ بفضلِه وعطائه الثرّ. ومؤلفاته التي رفد المكتبة العربية في شتى ضروب اللغة العربية والترجمة والنقد والمسرح والكتابة الإبداعية بمختلف ألوان طيفها شاهد عيان على ذلك.وله باعٌ طويل في ميدانِ الأدبِ الأوربي بشِقَّيه المنظومِ والمنثور.
نهلَ المجذوب من مَعينِ التراثِ العربي، فضلاً عن تراثَ بيئته المحلية. التي تركت بصماتها الطيبة في وجدانه وتكوينه الفكري.وهو شاعر بدوي قح أتي في عصر الحداثة، ولم يتنكر لتراثه الأدبي والفكري. وقريضه عكاظي الملامح والقسمات ،احتل المجذوب الصدارة من بين أبناء الضاد الذين تعلموها وعلموها ، ودرسوها ودرسوها ، وأغرم بها؛ لأنه عرف أسرارها وسر جمالها. وأهلته للعالمية. وجعلته يتصدر كل المحافل والمنابر حيثما حل..
كان حاديه في نظمِه ونثرِه القرآن الكريم وسنة سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ ، والأدب قديمه وحديثه ، شكَّلت هذه العناصرُ مجتمعه محاورَ ثقافتِه؛ ورَفَدتها بالصورِ الجميلة، والمعاني الشريفة والمُفردات السامية، فصاغها في لوحاتٍ فنيَّةٍ جميلةٍ تسرُّ الناظرين، فسبت القلوبَ وسحرت العقول. فضلا عن ذلك؛فقد كان منفتحًا على الثقافة الغربية وقَرضَ الشعر الأوربي بلسان أهله، ولم تكن ثقافته الغربية خصما على نتاجه الأدبي، بل كانت إضافة حقيقة، والدليل على ذلك كتاباته الفنية باللغة الإنجليزية ،ونقده لإعلام الكتاب والأدباء الأفرنجة ، وهو الكاتب والقاص والمترجم والناقد باللغة الإنجليزية، وقدم الشعر العربي على الشعر الأوربي وأثبت ــ عن علم ودراسة ودراية ــ أن العديد من شعراء الأفرنجة قد تأثروا بالشعر العربي.حباه الله تعالى بحضور البديهة والذاكرة الحافظة،وأسلوبه جاحظي قلما يخلو من الاستطراد، أو الطرائف المليحة، والحكم البليغة للعظة والعبرة؛ حتى يجدد همم السامعين ويطرد عنهم شبح الملل للإستماع والاستمتاع ، وحديثه كان لا يمل.
ترك المجذوب بصمات طيبة في جبين الأدب العربي وكذلك في مضمار الشعر الحر.وكُرم على مختلف الأصعدة المحلية والإقليمية والدولية ؛لكن كان أكبر تكريم ناله وأهم جائزة في مسيرته العلمية والعلمية عشق بنت الضاد له وفخر عروس الشعر به. وكان رحيله بنيان قوم تهدما، والعزاء في ما خلده من إرث أدبي وفكري.
تناولت الدراسة سيرته ومسيرته،ومدرسته الشعرية ونماذج من موضوعاته الشعرية، وبصماته في الشعر الحر.
الكلمات المفتاحية : الأعلام، الأدب، المعاصر، المجذوب، التفعيلة.

One of the scholars of contemporary literature, Abdullah Al-Tayeb Al-Majzoub

Suad Sayed Mahgoub
Professor of literature and criticism
The Islamic University of Minnesota Language Education Center - Türkiye Branch (Visiting Professor(

Abstract
The study entitled" Among the Contemporary Literary Scholars Abdullah Al-Tayyib Al-Majzoub." It sheds light on his illustrious career in the various types of Arabic language sciences and literature. Al-Majzoub drew inspiration from the Arabic heritage as well as the heritage of his local environment. He is a prolific writer in all aspects of literature, both poetry and writing, in addition to his works in theatre, translation and creative arts .
His sharp memory and exposure to different cultures and his works in other languages, poetry, and translation, stemmed from early studies of the Holy Qur'an and prophetic teachings. Which gave him an unmatched style of writing from an early age. His writings were not limited to Arabic, he also had his share of poetry in English .
As possibly deduced by readers of his work, Al-Majzoub, the study explored two major aspects of his life, his bibliography, and his literature legacy. In addition, the study sheds light on his contribution as one of the pioneers of the free verse style of poetry introduction to the Arabic language and the contemporary literary scene .

Keywords:
Scholars, literature, Contemporary, Al-Majzoub, Free Verse Poetry)Al tufayli)

المقدمة

الدراسةُ بعنوان" من أعلام الأدب المعاصر عبد الله الطيب المجذوب، نهلَ العلامة من مَعينِ التراثِ العربي، فضلاً عن تراثَ بيئته المحلية،عشِقَ بنتَ الضاد فأتته طوعًا وهي تجرجرُ أذيالَها. له باعٌ طويل في ميدانِ الأدبِ بشِقَّيه المنظومِ والمنثور، وكان حاديه في نظمِه ونثرِه القرآن الكريم ونهج سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ ، والأدب قديمه وحديثه ، شكَّلت هذه العناصرُ مجتمعه محاورَ ثقافتِه؛ ورَفَدتها بالصورِ الجميلة، والمعاني الشريفة والمُفردات السامية، فصاغها في لوحاتٍ فنيَّةٍ جميلةٍ تسرُّ الناظرين، فسبت القلوبَ وسحرت العقول. المجذوب ثروه وطنية وقومية وعالمية، وأصبح من الرموز التي يفخر بها السودان في شتى المنابر على مر العصور والدهور، وسار في ركب الخالدين مع العلماء الموسوعيين، لقب ناله عن جدارة واستحقاق.

تناولت الدراسة بعض النماذج مما جادت به قريحته في الأدب بشقيه المنظوم والمنثور، ووقعت في ثلاثة مباحث، تناول المبحث الأول: سيرة المجذوب ومسيرته، بينما تحدث الثاني: عن مدرسة المجذوب الشعرية وأبرز موضوعاتها، وجاء المبحث الثالث يحمل عنوان: المجذوب من رواد شعر التفعيلة. وسبقت المباحث مقدمة وخُتمت بخاتمة، وملحق يوضح نتاجه العلمي فضلا عن النتائج والتوصيات، وضمت مكتبة البحث قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة.

إشكالية البحث:

طرحت الدرسة العديد من التساؤولات منها: ما ملامح مدرسة المجذوب الأدبية ؟ ما أهم الأغراض الشعرية التي تناولها ؟ ما أثر الثقافة الغربية واللغة الانجليزية في نتاجه الأدبي وصوره الشعرية؟ قرض الأديب الشعر الحر وترك بصمة طيبة في صفحاته لكن لماذا أعرض عنه

أهمية البحث:

العلامة عبد الله الطيب المجذوب سجل ضخم ، متعدد الصفحات، وما زال هنالك العديد من القضايا أو الموضوعات تحتاج إلى سبر أغوارها؛ منها ريادته للشعر الحر ثم عزوفه عنه،كذلك تكمن أهمية الدراسة في عقد موازانة بين عدد من رواد الشعر الحر (أحمد باكثير و محمد حسن عواد وعبد الله الطيب المجذوب نازك الملائكة وبدر شاكر السياب) لحسم جدلية الريادة في مضمار الشعر الحر ولمن تعقد الرآية؟

أهداف البحث:

إلقاء الضوءَ على مدرسة المجذوب الأدبية وأهم أغراضه الشعرية ، كذلك الوقوف على بصماته في مضمار الشعر الحر وريادته لشعر التفعيلة.

حدود البحث:

اقتصرت الدراسة على ما جادت به قريحة العلامة في مضمار الأدب بشقيه (الشعر والنثر)

الدراسات السابقة:

تناول العديد من الكُتاب والباحثين سيرته ومسيرته ،برؤى مختلفة ومتباينة . منهم

– إمام، زكريا بشير . (2004م) .عبد الله الطيب ذلك البحر الزاخر: دراسة تحليلية لحياته ونظرياته في الأدب والحياة، الخرطوم : الناشر زكريا بشير إمام.

تناول نتاجه في مجال الشعر والنقد والكتابة المسرحية والترجمة، كما تناول ثقافته الانجليزية وقرضه للشعر الأوربي ومسيرته ، مع دراسة تحليلة لنماذج من أدبه المنظوم والمنثور، وحاول أن يوضح فلسفته ونهجه في الحياة.

– الملك، علي. (د.ت). مختارات من الأدب السوداني، قطر: وزارة الثقافة والفنون والتراث.

تناول الكتاب بعض النماذج والمقالات لعدد من الكتاب والشعراء السودانيين،ووقع اختياره على قصيدة سمرقند للشاعر عبد الله
الطيب.

– المليك، صلاح الدين .(1973م). شعراء الوطنية في السودان، الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر.
من بين الموضوعات التي تناولها المؤلف التعريف بالبيئة وأثرها في الشعراء ،كما تناول أبرز الشعراء السودانيين ومن بينهم عبد الله الطيب المجذوب.

– هنالك العديد من الدراسات والبحوث تم نشرها على مجلات علمية مختلفة على مستوى العالم العربي منها: مجلة دعوة الحق أعداد مختلفة، ومجلة العربي. العدد 552.ومجلة مجمع اللغة العربية، العدد. 35.وغيرهم كثر،فضلًا عن على المواقع الإلكترونية المختلفة منها موقع سودانيز أون لاين وموقع موقع الانطولوجيا.
منهج البحث:
اختارت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي؛ لملائمته لطبيعة الدراسة؛ ولما يتمتع به من مرونة وشمولية، تمُكن الباحث من تحقيق أهداف البحث.

المبحث الأول
سيرة المجذوب ومسيرته

أ. نسب المجذوب ومسقط رأسه:
اسمه عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد المجذوب الطيب، ينتهي نسبه إلى المجاذيب وهم فرع من قبيلة الميرفاب؛ الذين ينتمون إلى قبيلة الجعليين، استقروا بمدينة بربر وأهلها:" عرب من قبيلة الميرفاب وهم يردون أصلهم إلى الشرق ــ يعنون جزيرة العرب ــ كما ترد أصولها سائر القبائل العربية النازلة بوادي النيل...،(ركهارت.(2007م). ص 171)
في الثاني من يونيو عام 1921م أنجبت قرية التميرابمولدًا ذكرًا، كتب الله تعالى له في سابق علمه النبوغ والذكاء وهيأ له أسباب العلم؛ للذود عن لغة الضاد فسار على نهج آبائه وأجداده من المجاذيب، شرفه الله تعالى بنسب رفيع ينتهي إلى بني هاشم أهل النهى والحجا، وحسبه من الفخر جده العباس بن عبد المطلب. (قاسم.1993م). ج4/ 1447.)
التميراب قرية صغيرة تابعة للدامر :" اسم الدامر قد يكون مشتقاً من عبارة (دامر الليل كله)، وتُقال في الشخص الذي يقوم الليل كله عابدًا، قد يرجع أصل إلى لفظ (الدَمِيرة) وهو الفيضان. والدامَر هو مكان حدوث الفيضان. ولعله اسم عربي نقله العرب إلى النيل منذ دهر قديم.(المجذوب.(1968). ص 89.)
تسربل المجذوب بالسؤدد والفضائل وورث المكارم والمفاخر كابرًا عن كابر، نشأ وترعرع بين ثُلة من علماء المجاذيب ،وشق طريقه نحو المعالي بهمة وثبات.أسس المجاذيب في شمال السودان، حاضنة لهم عُرفت بالدامر وهي:" قرية أو بلدة كبيرة قوامها خمسمائة بيت ...، ويسكنها عرب من عشيرة آل المجذوب ويردون أصلهم إلى شبه جزيرة العرب "بوركهارت،(2007) ، ص .205 وبفضل الله تعالى وعلو كعبهم في العلوم الشرعية والدينية نالت هذه المدينة الصغيرة في مبناها الكبيرة في معناها، حظوة وأصبحت قبلة الأنظار وكل صاحب حاجة كان يجد بغيته فيها خاصة طالب العلم الشرعي وصارت مصدر إشعاع روحي امتد وعم القرى الحضر.وهكذا:" صارت المدينة محط أنظار الكثير من الناس، يزورنها طلبا للعلم والشفاء والبركة والفتاوى والتجارة ومختلف الحاجات..."موقع واي باك مشين.
(2012م). مجاذيب الدامر. تم الدخول بتاريخ 31/ 7/ 2023.)

ب . مسيرة المجذوب العلمية
بدأ عبد الله الطيب المجذوب ــ الطفل الصغير سنًا الكبير قدرًا ـــ رحلته العلمية في خلاوي أهله بالتميراب، وحفظ القرآن مع أترابه، وقد كان في البلدة:"مدارس عدة يؤمها الطلاب من دار فور وسنار

وكردفان وغيرها من أنحاء السودان ليدرسوا الفقه؛ دراسة تتيح لهم أن يكونوا في بلادهم فقهاء كما كان يزورها علماء من شنقيط أثناء عبورهم لها في طريقهم إلى الحج."(بوركهارت.(2007م). ص 206.)
عن مسيرته العلمية ذكر عون الشريف قاسم في كتابة موسوعة القبائل والأنساب في السودان وأشهر أسماء الأعلام والأماكن مراحل تعليمه حيث يقول:" تعلم ببربر والدامر وكسلا وكلية غردون وبخت الرضا وجامعة لندن. (قاسم. (1993م).ص 1472.)

قريته كانت نقطة الإنطلاق والنافذة التي أطل من خلالها على العالم عربه وعجمه، في بربر درس المراحل الأولية ؛ وتتلمذ على يد أهله المجاذيب الذين قرأوا القرآن وعملوا به، وتعلموا العلم وعلموه؛ تعلم في بواكير صباه تراث ما درج عليه أهله من فقهاء الدامر الذين :" اقتنو من الكتب الشي الكثير؛ ولكنها لا تتناول من المواضيع غير الدينية والشريعة، ورأيت فيما رأيت نسخة من القرآن الكريم لا يقل ثمنها عن أربعمائة قرش ونسخة كاملة من تفسير البخاري تساوي ضعف هذا المبلغ في مكتبات القاهرة وقد جلب هذه الكتب من القاهرة الشباب من فقهاء الدامر أنفسهم فكثير منهم يجاور في الأزهر الشريف أو في المسجد الحرام بمكة ويظلون لسنوات ثلاثًا أو أربعًا ...فإذا عادوا إلى الدامر علموا الطلبة تلاوة القرآن وأعطوهم دروسًا في التفسير والتوحيد، ولهم جامع كبير حسن البناء..."(بوركهارت.(2007م). ص 206.) فضلًا عن الإرث الطيب، اطلع المجذوب على ديوان العرب الذي كان مصدر عزهم وفخرهم فزاده الله تعالى علمًا وفضلاً ومروءة، وحسبه من الفخر والشرف أولئك الصناديد، أهل العلم والرأي. الذين انحدر منهم، وأراد الله تعالى أن يكون لهذا الشبل حظ طيب من علوم العربية، وحفظ القرآن الكريم وتفقه في علومه، ورطب لسانه بسرده للسيرة النبوية العطرة ـــ على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التلسيم ـــ روى أخبار العرب وسيرهم، وملأ حس أجهزة الإعلام بمختلف ألوان طيفها بمحاضراته ودروسه، وقرض الشعر وفي بحور الخليل كان الربان الماهر، وإلى ذلك أشار طه حسين بقوله:" لم يدع بحرًا من بحور الشعر العربيّ، إلا حاول أن يبين لك الفنون التي تليق بهذا البحر، منذ كان العصر الجاهليّ، إلى أن كان العصر الذي نعيش فيه"(المجذوب.(1989م).ص7.)وقوله:" قد عرضالكاتب للشعر، فأتقن درس قوافيه وأوزانه، لا إتقان المقلِّد، الذي يلتزم ما ورث عن القدماء، بل إتقان المجدد، الذي يحسن التصرُّف في هذا التراث، لا يضيّع منه شيئًا"(المجذوب. (993م). ص7.)

وهو المؤرخ والناقد والباحث والخطيب المفوه والشاعر العربي المطبوع :" مؤلف مسرحي وكاتب مذكرات يمكن اعتبارها من أوائل ما وضع السودانيون في علم الاجتماع الوصفي "(موقع سودانبز أون لاين، بتاريخ 24 يوليو 2013م ، براعة في اللغويات وعقل حاشد بالمعارف يتحدث عن عبد الله الطيب.تم الدخول بتاريخ 25/ 7 / 2023)كما كان ضليعًا في شعر الأفرنج؛ لأنه أتقن لسانهم.

ج. مسيرة المجذوب العملية.

بدأ المجذوب حياته العملية بمعهد التربية ببخت الرضا، ثم انتقل إلى أم درمان، وبعدها ابتعث إلى لندن في دورة تدريبية عام 1945م، فنال الدكتوراه من جامعة لندن عام 1950م، عمل لمدة عام في معهد اللغات الشرقية بجامعة لندن، وكانت لندن دائمًا حاضرة في خاطره وبين قوافيه .(المجذوب.(1976م). ص 27.)

تذكرت يا حسناء أيام لندن

وأصناف سودان بها وهنود

وثق المجذوب للعلوم والمعارف التي حصل عليها في لندن، وتفاعله مع المشهد الثقافي ، ومشاركاته في الأنشطة الأدبية . وذلك في فائيته التي تجمل عنوان لندن وباريس يقول فيها: المجذوب،عبد الله الطيب.(1957م).مجلةدعوة الحق. العدد 173.

كنـــت بهـــا قـــد قضـــيت الشـــباب إلـــى العلـــم فـــي ســـوحها اختلـــف

تعلمـــــت فيهـــــا علـــــوم الحيـــــاة ومـــــن ثمـــــرات الحجـــــا اقتطـــــف

وشـــاركت فـــي حلقـــات النقـــاش واقـــرا كـــل ضـــروب الصـــحف

من لندن ألقى عصا ترحالهفي معهد التربية ببخت الرضا ثلاث سنوات، ثم انتقل إلى جامعة الخرطوم وتدرج بعد ذلك في الأعمال الأكاديمية والعلمية، فتولى عمادة كلية الآداب بجامعة الخرطوم (1961م - 1974م) ثم مديرًا للجامعة (1974م - 1975م) وتولى إدارة وتأسيس جامعة جوبا في جنوب السودان (1975م - 1976م) وتولى تأسيس كلية عبدالله بابيرو (بكنو) بنيجيريا منتدبا من جامعة الخرطوم (1964م - 1966م) ووثق لذلك بقوله:(المجذوب. (1976م).ص 46.)

وجـــاءتم مـــن أبنـــا تكـــرور دعـــوة وكـــانوا كرامـــا يحفظـــون المـــآثرا

وعلمـــــتهم علـــــم البيـــــان وخطـــــة كسرتُ بها حزبا من الغي ماكرا

تكرور هي البلاد الواقعة ما بين بلاد برنو والسنغالإلى أن يقول:

وشيدت عبد الله باييرو عنوة

ولواك ألفى أمرها القوم بائرا

كذلك عمل أستاذًا للعربية بجامعة سيدي محمد بن عبدالله بفاس بالمغرب في الفترة من 1977م إلى 1986م. وخلال هذه الفترة عين أستاذًا ممتازًا مدى الحياة بجامعة الخرطوم (1979م).

كما تعينه عضوًا عاملًا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة عام 1961م، و في عام 1990م أسس مجمع اللغة العربية بجمهورية السودان حيث أسندت إليه رئاسته.

المبحث الثاني

مدرسة المجذوب الأدبية

أولًا: مدرسة المجذوب الشعريةوأهم موضوعاتها

نشأ الشاعر عبد الله الطيب المجذوب نشأة بدوية في قريته التميراب، في بيت علم وأدب، وتشبع بثقافة بيئته المحلية، وحفظ كتاب الله تعالى في بواكير صباه فتقت قريحته وملكاته الأدبية، فأقبل على علوم العربية نحوها وصرفها وبلاغتها وعروضها وتاريخها وأدبها المنظوم والمنثور، ودرسها وأتقنها وأجادها وعلا كعبه فيها، وفهم ما سجله العرب في ديوانهم مصدر فخرهم ببلاغتهم وبيانهم، واطلع على تاريخهم وعرف أخبارهم وسيرهم، وأيامهم وحروبهم، ووقع في نفسه ما جادت به قرائحهم في شتى الموضوعات واستهواه شعرهم:" كنت أحب الشعر منذ أيام الكُتاب ونظمتُ قصيدة باللغة الدارجة بمعاونة فكي الطاهر ود بابكر هو ينظم بيتًا وأنا أنظم بيتًا:"(المجذوب .(1983م). ص 125.) وكذلك استهواه نثرهم؛ فسما حسه الأدبي وذوقه الفني، واستثمر قدراته في شتى ضروب اللغة العربية وملكاته الأدبية وخياله الخصب، ولم يتبرأ من معطيات عصره بل استثمرها أيضا في نظمه ونثره، فكان شعره القديم الجديد أو الجديد القديم، واتحدت كل هذه العناصر وشكلت ملامح نثره الفني وشعره المطبوع وكما يقول:" والشعر بعد عزاء وشفاء"(المجذوب.(1976م). ص5.)

صمم المجذوب ملامح مدرستة الأدبية على الطراز الأدبي القديم، وهو القائل :"القصيدة العربية فن من الشعر لم يكن لأرسطو طاليس به علم، قل أو كثر، وإنما كان عمله عند العرب الأولين.(المجذوب.(1970م). ص135) وهو:" ليس مجرد شاعر سوداني يُسلك مع غيره من الشعراء السودانيين،

من جيله أو من غير جيله. فهو ظاهرة فكرية وثقافية وأدبية ولغوية اجتمعت في واحد "جمال العربية.(شوشوة، فاروق. (2022م). مجلة العربي، العدد 552.)

كانت مدرسة المجذوب الشعرية مرآة صادقة عكست وترجمت روح التراث الأدبي العربي القديم، مفرداتها فصيحة صحيحة سليمة قحة ومعبرة، وعنها قال طه حسين في تقديمه لديوان المجذوب الموسوم بعنوان (أصداء النيل) :" شعر الديوان جديد كل الجدة؛ ولكنه مع ذلك قديم ممعن في القدم. فمواضيعه يألفها الناس ولا تنبو عنها طباعهم. إلا إنه اختار لها من الأساليب لا يذوقها إلا الأقلون الذين يذوقون الشعر القديم جداً، وأمعن في هذه الأساليب كأنه خُلق لها وكأنها خُلقت له"(حسين.(2013). ص89.)و يستطرد طه حسين:" و العجيب من أمره أنه وفق من ذلك إلى أروع ما يتاح لشاعر أن يبلغه من الإجادة والإتقان. و أعجب من هذا أنه طوع الحضارة الحديثة للغته القديمة أو طوع لغته القديمة لهذه الحضارة الحديثة، فلاءم بينها ملاءمة لا تحس فيها نبواً أو إعوجاجا، من حق كل مثقف في الأدب العربي أن يقرأ هذا الديوان فسيجد فيه متعة لا شك فيها و روعة قلما يظفر بها في شعر معاصر؛ و لكنه محتاج دائمًا إلى أن يكون المعجم قريبًا منه.(حسين. (2013). ص89.)

وظف المجذوب المفردة العربية القحة السلسة لتخدم معانيه، والألفاظ خدم المعاني كما ذكر الجرجاني(الجرجاني .(1983م). ص5 ،)وانسجمت ألفاظه وتناغمت مع صوره الشعرية ، المستوحاة من عمق الصحراء وفيها من أخبية وأثافي، وكان لبانات رامة حضورًا متميزًا في صوره الشعرية، فضلًا عن خيام البدو، ورمال الصحراء وشمسها اللآفحة، وبردها القارص، وتحقق التناغم التام بين المبنى والمعنى.

لم يكن المجذوب متأثرًا بالتراث العربي؛ لكنه كان جزءا لا يتجزأ من وجدانه وفكره، والشعر طارف وتليد في أسرته الممتدة إلى أرض الحجاز، حتى والده كان ضارب فيه بسهم:" وسألني كان بعضهم كيف تعلمت الشعر فذكرت أثر الوالد "المجذوب.(1983م). ص 101).ووثق لذلك بقوله: المجذوب (1976م). ص 73.)

ولقـــد ورثـــتُ أبـــي وكـــان مجـــودًا ظـــم القـــريض وبيتـــه معمـــور

نهج المجذوب نهج أسلافه من فحول شعراء العربية،ولم يكن مسكونًا بالأدب فحسب بل كان هو الأدب، وكان لايخفي إعجابه بأبي تمام والمتنبي والمعري وغيرهم من فحول الشعراء.

شعر المجذوب عكاظي الملامح والقسمات ووثق لذلك بقوله "وقد حاولت من صروف النظم أصنافًا منها المرسل الذي لا قوافي فيه، والدراما والملحمة، وقد جاوزت الأوزان المألوفة إلى أشياء اصطنعتها اصطناعًا، ثم بدأ لي أن هذا كله عبث لا يفصح بعواصف النفس وزوابعها، وإنما النفس بنت البيئة، وبيئتي العربية الفصيحة تسير على النحو الذي نرى من أوزان الخليل، وتخير المطالع والمقاطع"(مزيد، بهاء الدين محمد.(2005).مجلة أفق الثقافة،العدد 235.)

عاف المجذوب كل ضروب الشعر إلا القديم؛ إذ اتخذ منه وعاءا وماعونًا ليصب فيه أحاسيسه ومشاعره. (المجذوب.(1976م).ص 16.)

هـــو الشـــعر فـــأنظم لا تبـــالي بناقـــد ، وشـــعرك فيـــه حـــر أنفـــاس واجـــد

كان المجذوب شاعرًا مطبوعًا لم يتكلف ولم يتصنع ولم ينقح أو يهذب شعره مثل أصحاب الحوليات، ما عدا قصيدته التي تحمل عنوان خمر أسوان والتياستغرقت منه حولًا كاملًا، واقتطف منها:(المجذوب.(1957). ص164.)

يـــا صَـــخْر أسْـــوانَ إن القَلْـــبَ أسْـــوانُ وَأنـتَ مـن خمـرةٍ خرسـاء نشـوانُ

تلـــوحُ فيـــك وجـــوهٌ مـــا أبيّنهـــا مُبهمـــاتٌ مـــن الـــذكرى وأشـــجانُ

أسوان الأولى اسم مدينة في أقصى صعيد مصر، و أسْوانُ الثانية بمعنى حزين من أَسِي وأسَا.
سار الشاعر على نهجه أسلافه من الشعراء وخاطب خليليه في قوله(المجذوب.(1976م). ص16.)

خليلـي لـم أبـرح أحـن إلـى الصـبا حنينـا ومـا ذاك الزمـان بعائـد

وقوله كذلك:(المجذوب.(1976م).ص 16.)

خليلـي بـل أيـن الخليـان بعـدما نـأت أم حســان التـــي كنـــت آمـــل

لم يكن المجذوب يتصيد المفردة؛ بل كانت تتصيده وتأتيه عفو الخاطر، وكما بانت سعاد كعب بن زهير، كذلك بانت سعاد المجذوب؛ إذ يذكر رحيل سُعاده في تناص واضح مع لامية كعب بن زهير؛ التي أنشدها في حضرة المصطفى ﷺ بغرض الاعتذار وطلب العفو السماح:(زهير. (1957م). ص60.)

بانـــتْ ســـعادُ فقلـــي اليـــوم متبـــول		ميـــتم إثرهـــا لـــم يفـــد مكبـــول

عندما بانت فتاته سعاد مع قومها وعشيرته أنشد: موقع الأنطولاوجيا .(2018م).أضعف الإيمان قافية.تم الدخول على المواقع بتاريخ20/ يوليو 2023م.)

بانـــتْ ســـعادُ و بنَّـــا عـــن ملامِحِنـــا و مـــن ســـعادُ إذا مـــرَّتْ قوافلُهـــا

لم ينكفِئ المجذوب على الأدب العربي القديم، ولم يتقوقع في الأدب الحديث؛ بل كان أديبًا منفتحًا على شتى ضروب العلم والثقافة، وشتى أنواع اللهجات واللغات منها؛ اللغة الفرنسية واللغة الإنجليزية ، وكان ضليعًا فيهما، مما أتاح له الغوص في دهاليز الأدب الأوربي، وكثيرا ما يستشهد بنصوص من الشاعر الإنجليزي شيلي وغيره مثل قوله: (المجذوب.(1983م). ص 78.)
our sweets song is those that tell of saddest thought.

تبحر المجذوب في الثقافة الأوربية وعرف ثقافة أهلها وعاداتهم وتقاليدهم، وأجادته للسان الأفرنج لم يكن خصمًا على معشوقته الأثيرة بنت الضاد، بل كان مقصورًا فقط في الجانب الفكري، والانفتاح على ثقافات مختلفة يرفد الفكر والعواطف بمساحات من الجمال فضلًا عن الأخيلة، وهو :" دارس متعمق للأدب العالمي."الطيب، صفية عبد الرحيم.(2022م).مجلة العلماء الأفارقة، العدد 5.وشهد له النقاد والأدباء:" بالمعرفة العميقة الواسعة بالأدب الأوربي والثقافة الغربية"موقع الانطولوجيا.2021م.الأرض الخراب والشعر العربي القديم .تم الدخول على المواقع بتاريخ20/ يوليو 2023م.

على الرغم من انفتاح المجذوب على عدد من الأمم والشعوب واطلاعة على ثقافات متعددة وتبحره فيها، ومعرفته للغات أوربية مختلفة؛لكن ذلك كله لم ينل من نهجه في هندسة هيكل القصيدة العربية أو بنيتها؛ إذ ظل وفيًا لبحور الخليل؛ وكانت البيئة العربية القديمة هي مصدر وحيه وإلهامه، استمد منها صوره الشعرية وما فيها من تشبيهات ومعان، وأخيلة؛ حتى في غزله العذري العفيف سمى محبوباته بأسماء فتيات عدد من الشعراء القدامى، واستعار منهم أسمائهن ورمز بها لمحبوبته، وهن كثيرات منهن ليلى وسليمى وسعدى،وهند وتماضر وغيرهن كثر، وأحيانا يكني بأم حسان وله فطم وخدائج؛(المجذوب. (1976م). ص 26.)

جربت أصناف المودة والهوى وجيل النساء فطم وخدائج

فطم جمعومفردها فاطمة وتجمع كذلك على فاطمات، وكذلك خدائج جمع والمفرد منها خديجة.
من اللواتي تتيم بهن لميس وأنشد فيها:(المجذوب. (1976م). ص 55.)

ذكرتك يا لميس ونعم دارا لقاؤك بل أمنت بك العثارا

وكنت إذا ذكرتك هش قلبي إليك زاستفيد بك الحوارا

أحب الناس كلهم إلينا لميس وقد أطلت انتظارا

وله في لميس أيضا:(المجذوب .(1976م). ص 131.)

حبذا يا لميس وأهوا ك وقد لاح في دجاك مناري

كما سجلت سعاد حضورًا متميزًا في قصائد عدد من فحول الشعر على مر العصور والدهور، نالت كذلك حظًا طيبًا من قوافي المجذوب: (المجذوب. (1976م). ص 128.)

زودينا تحية يا سعادُ وألّمي فان قربك زاد

حتى الأمكنة القديمة لم يغفل عنها، وكانت حاضرة بين قوافيه، ومنها رامة؛ وله ديوان شعر يحمل عنوان بانات رامة،صَدَر الديوان في بيروت عام 1968م. والبان: نوع من الشجر طويل ليّن, ورقه كورق الصفصاف, تُشبّه به الحسان في الطول واللين. وسبقه عدد من الشعراء وذكروا رامة منهم جرير:(جرير.(1986م). ص47.)

حي الغداة برامة اطلالا رسما تقادم عهده فاحالا

قيس بن الملوح قد سبقه إلى ذكر جبل رامة وخلده في شعره، عندما قابل ليلاه العامرية بعد سفر وفراق طويل: موقع الانطولوجيا.2022م. قيس بن الملوح ولما تلاقينا على سفح رامة، تم الدخول على المواقع بتاريخ10/ أغسطس 2023م.(البيت غير موجود في ديوان الشاعر)

و لمَـــا تلاقينـــا علـــى ســـفح رامـــةٍ وجـــدتُ بنـــان العامريَـــة أحمـــرا

رامة موضع ببادية الحجاز، وسفح جبل رامة أي نهايته.
استدعى المجذوب ريح الصبا النجدية في شعره ــ التي كانت تهب من الغرب للشرق وهي محملة بالندى والنسيم العليل ــ لعلها بذراتها الندية تبرد حشاه من لواعج الهوى (المجذوب. (1976م). ص 20.)

ألا يـــا صـــبا نجـــد أمـــا فيـــك نســـمة يهـــب بهـــا مـــن مقلـــة أم حامـــد

لم يعبأ المجذوب بما أفرزته الحضارة من وسائل التنقل والسفر بمختلف ألوان طيفها وما تتمتع به من سرعة وما توفره من راحة، وفضل عليها الأينق، واستعار من عنترة ناقته لتبلغه دار محبوبته:
(المجذوب.(1976م). ص 71.)

هـــــل تبلغنـــــي دارهـــــا شـــــدنية وجنـــاء تســـبق فـــي الفـــلاة الأينقـــا

كان المجذوب على قناعة تامة بأن وحدة القصيدة العربية لا تتأتى من وحدة موضوعه، وإنما من صِبْغَةِ الكلام وروحه، و:" حال الجذب والانفعال التي ترافق تطلع الشاعر إلى اقتناص الوزن المناسب والقافية المواتية، هي نفسها التي تصبغ كلامه كله بصبغ واحد، وتشيع فيه روحًا واحدًا، وتجعله ذا نفس واحد متصل، وهي في رأينا سرُّ الوحدة عند الشاعر العربي، وجوهر الروح العاطفي في كلامه، تفيض أول أمرها نغمًا صرفًا، ثم تتسرب بعد ذلك في مسارب القول. وشيَّد عبدالله الطيب في سبيل تأكيد ذلك، النظرية التي أفاض في إقامة الأدلة المتكاثرة على صحتها في المجلد الأول من كتاب (المرشد ـــاستغرق في تأليف أجزائه خمسة وثلاثين عامًاـــحيث أبان بإقناع وامتاع متصاحبين عن أن لكل بحر من بحور الشعر العربي روحًا ونفَسًا خاصًا يميّزه عما سواه. في نتاجه الأدبي وصوره الشعرية؟ (الطيب، صفية عبد الرحيم.(2022م).مجلة العلماء الأفارقة، العدد 5.)
في مضمار الشعر الأوربي ترك المجذوب بصماته الطيبة.كما علا كعبه في حقول الترجمة ، ومن ذلك ترجمته لمقطع من قصيدة الملاح العتيق لصموئيل تايلور كولريدج:(الشاذلي. (2010م). أبوالعلاء شاعرًا ، ترجمة رسالة الدكتوراه التي نالها المجذوب عام 1950م.استعراض وتعليق خالد محمد فرح 2017م .)

The ice was here, the ice was there
The ice was all around
It cracked, growled, roared, and howled
Like noises in a sound

وترجمه على النحو الآتي:
صقيعٌ هنا وصقيعٌ هناكْ
لقد شمِلَ الكونَ ثوبُ الصقيعْ
وللريحِ زمجرةٌ خلْتُهَا
هَمَاهِمَ في حُلْمِ ليْلٍ مُرِيعْ.

ثانيا: موضوعات المجذوب الشعرية
تناول المجذوب جُل الموضوعات الشعرية التي سبقه إليها فحول الشعراء من غزل وفخر ومدح ووصف ورثاء، ومن نماذج الموضوعات الشعرية التي جادت بها قريحته وخلدها في دواوينه المختلفة:

- المديح النبوي :ومن غرر قصائده في المديح النبوي قوله:(المجذوب. (1976م). 68.)

ولقد تدرعنا بحب محمد وبه نخوض إلى النجاة حروبا

صلى عليه الله ما فتق الدجى فجر يخال على الفلاة لهيبا

وفي بائيته التي تحمل عنوان المولد مدح سيد البرية ﷺ بقوله: (المجذوب.(1976م). ص15.)

وهـــذا أوان المولـــد الآن كـــم بـــه مـــدحنا رســـول الله إذ أنـــا طالـــب

وحـب رسـول الله أعظـم مـا حـوى فـؤاد محـب وهـو للخيـر كاسـب

وســيرته منهــا اســتفدنا حياتنــا ومنهــا هــوى أبائنــا والمراتــب

ونـــدعو بـــه العلـــي وإنـــه بـه يسـتجيب الله والـروض عاشـب

وقوله:(المجذوب. (1976م). ص38.)

صـلى الإلـه علـى مـن دونـه الرسـل ومـن لـدى الخطـب مولانـا بـه نسـل

إنـــا نحـــب رســـول الله نعلمـــه هـــو الوســـيلة عنـــد الله والأمـــل

مدح المجذوب الأديب والسياسي محمد أحمد محجوب بلامية عصماء، ولسان حالة يردد لا نمدح الرجل إلا بما فيه أو بما يستحق.(المجذوب ،(1970م)، ص7)

حـيّ الـرئيس رئـيس القـولِ والعمـلِ للهِ درُّك يـا محجـوب مـن رجـلِ

- شعر والشوق والحنين .(حسين. (2013). ص94.)

إلـى الخرطـوم مـن بعـد اغتـرابِ بعـد بِلَـى الشـهيّ مـن الشـبابِ

حـب النيـل زمجـر ثـم لجّـت سـواقيه الشـجية فـي انتحـاب

حـب النيـل حـين صـفا وشـعت هاويـل الأصـيل علـى الروابـي

شِـمْت البـرق مثـل السـوط شـق الـدْ جُنـة بـين مركـوم السـحاب

في ديار الغربة هاجت به الأشواق، وشده الشوق والحنين لنهر النيل، فجادت قريحته بلامية يقول فيها(المجذوب(1957م).ص 197).

بلندن ما لي من أنيس ولا مال وبالنيل أمسى عاذريَّ وعذالي

ذكرت التقاء الأزرقين كما دنا أخو غزل من خدر عذراء مكسال

ينازعها كيما تجود وينثني		وقد كاد محبورًا مؤانس آمال
إذا الأبيض الزخار هاج عبابه		له زجل من بين جال إلى جال
ويا حبذا تلك السواقي وقد غدت		بألحان عبرى ثرة العين مشكال
ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة		بكثبان داري والأحبة أحوالي

شعر الحكمة: (المجذوب.(1976م). ص61.)

ومن يكن يحسب الدنيا مكانًا هنيئًا لم ينم إلا غشاشا

وما الدنيا لعمرك غير جُهد فصايرها ولا تخش الهراشا

قوله: نوم غشاش: أي نوم قليل. والهراش من معانيها القتال.

وقوله:(المجذوب.(1976م). ص25.)

وما هذه الدنيا بدار سعادة ولكنها فيها الأسى والشدائد

وما العمر إلا ساعة بعد ساعة وما تجربات المرء إلا مشاهد

وليس الغنى الإ القناعة إنها هي الزاد كل الزاد والكدح بائد

- الغزل العفيف: المجذوب،(1976م)، ص 131– 132.)

نظمـــت القـــريض بـــالالق الخـــا لـــص فيـــه الضـــياء مـــن أنـــواري

والتـــي تيمتـــك يـــا أيهـــا الشـــا عـــر حوريـــة مـــن الاغـــوار

كذلك من غزله العفيف رائيته التي يقول فيها:(المجذوب.(1976م). ص13.)

كذلك من غزله العفيف رائيته التي يقول فيها:(المجذوب.(1976م). ص13.)

تـــذكرت ســـعداي التـــي هـــي كـــالقمر ومـــن عـــن حفـــافي جيـــده الشـــعر

وتنظـــر ســـعدى مـــن ســـراجين وجههـــا إلـــى بحبـــي واضـــح وبـــه ازدهـــر

وأرنـو إليهـا وهـي أجمـل مـن رأت ... لعمـرك عينـا مـن رأيـتُ مـن البشـر
وخـــدكمو أزكـــى ضـــياء ... وأسـناه يـا ذات المخيلـة والصـعر
ســلام علــى أنــف الحبيبــة إنــه ... إنـه ليشبه أنف الريم والطرف ذو حور
ســلام علــى عنــق الحبيبــة إنــه ... كجيـد غـزال مـد جيـدا إلـى شـجر

الصعر من الصَّعَر،بمعنى الكبرياء. وهو في الأصل داء يصيب البعير يجعله يميل برقبته، ويشبه به الإنسان المتكبر الذي يميل بخدِّه، ويُعرض عن الناس تكبّرًا.

من غرر غزله العفيف عينيته التي يقول فيها:(المجذوب.(1976م). ص 148.)

صـــديقة قلبـــي وراحـــة نفســـي ... ومتعـــة روحـــي والمرتعـــا
وتفســـح عمـــرى حتـــى الزمـــا ... ن يصـــير بأشـــراقها أوســـعا
وحتـــى نكـــون معًـــا واحـــدا ... بشخصـــين هامـــا ولـــن يفزعـــا
ألا حبـــذا جلســـات لنـــا ... مهـــذب وكوبهـــا شُعشـــعا
تحـــدثني بفنـــاء الزمـــان ... وأمـــن المكـــان ومـــا أودعـــا
فـــإن كنـــت تجهـــل أمـــر الهـــوى ... فعنـــدي أســـراره أجمعـــا
تعـــال أعلمكـــه إننـــي ... تقينتـــه وســـواي إدعـــى
شـــربت كـــؤوس ســـلافته ... ومـــن شـــربهن فلـــن أقلعـــا
أتعلـــم أن الفتـــاة الخلـــوب ... تضـــم علـــى حبـــي الأضـــلعا
وقـــد أثبتـــت شخصـــها فـــي فـــؤادي ... ثباتـــا أقـــام فمـــا ودعـــا
ألـــم ترنـــي أبـــدا مقلتاهـــا ... أمـــامي وأوشـــك أن أكرعـــا
همـــا احتواتـــاني وأرنـــو إليهـــا ... فألفيتهـــا بـــالهوى أبرعـــا
ويـــا حبـــذا شـــفتاها اللتـــا ... ن قـــال لنـــا الفـــم لـــن تكرعـــا
لهـــا بشـــر مثـــل ضـــوء الســـراج ... إذ زيـــن الحلـــك البلقعـــا
تزيـــد إضـــاءتها إذ تـــراك ... إليهـــا وكنـــت لهـــا مطلعـــا

- **الفخر:** ومن ذلك فخره بوالده:(المجذوب.(1976م). ص17)

وكـــان أبـــي يـــا عطـــر الله ذكـــره ... فريـــدا وبـــين النـــاس جـــم المحامـــد
وكـــان يلاقينـــي بـــأتبرة لـــدى الرصـــيف ... علـــى ضـــعف بـــه متزايـــد

يعلمنـــــي علـــم المـــروءة ناشـــئا وفـي قلبـه حبـي وعرفـان واعـدي

كذلك فاخر بعلم والده ونظمه للشعر :المجذوب،(1976م)، ص71.

ولقـــد ذكـــرت أبـــي وكـــان مجـــودًا		نظـم القـريض ويبـدع الإبـداعا

كذلك افتخر المجذوب بعلمه وتفسيره لكتاب الله وقرضه للشعر:*(1957م).مجلةدعوة الحق. العدد 173.*

يـــا رب نصـــرك فأنصـــرني وإنـــك إن		لا تنتصـر لـي فمـن فُصـحاكا يحميهـا
ومـــن يفســـر آيـــات الكتـــاب وبالاعـــ		ـــراب معجـــزة القـــرآن يرويهـــا

ومن فخره بتفسير القرآن وتعليمه للنشء:(المجذوب.(1976م). ص130.)

قـــد شـــرحت القـــرآن للأطـــ		فـــال مـــا للـــدعي واستفســـاري

من فخره بنفسه كذلك قوله:من جوانب الحركة الشعرية في السودان الخصائص الجمالية في شعر عبد الله الطيب.(1957م). مجلةدعوة الحق، العدد 173.

وأوتيت مقدرة في البيان		وتبهر بالأدب الرائع
وانت امرؤ عربي السليقة		تصفو بوردك للكارع
وتهوى الجمال وتبغي الكمال		ونخبة بالورع الخاشع
وتتلو الكتاب وترجو الثواب		وليس دعاؤك بالمنائع
وطاع الي القريض العصى		الذي ما لغيري بالطائع
وأبيات شعري رناتها		كصلصة الجرس القارع

كذلك من فخره بعلمه وثقافته الواسعة:*(1957م).مجلةدعوة الحق. العدد 173.*

وأعاجيب علوم وفنون حويت		وصنوفا من حديث حسن الجرس وعيت

وقوله: (المجذوب.(1976م). ص131)

نظمت القريض بالالق الخا		لص فيه الضياء من أنواري

خاطب نفسه مفاخرا بها في قوله:(المجذوب(1976م). ص48.)

وإنك قرن الأقوياء وشوكة الـ		داء تستعصي وتعلو المنابرا

- **المديح النبوي** : وفي بائيته التي تحمل عنوان المولد مدح سيد البرية ﷺ بقوله:
-

فؤادي بحب المصطفى متنور ولي فيه آراب ساذكرججج

وحاشا جناب الهاشمي يردنا ونحن به نرجو النجاة وننظر

عليك صلاة الله ثم سلامه ألا يا رسول الله إني أشعر

بنورك في هذه الدجنة نهتدي ونهواك حقا والصلاة نكرر

وقوله:(المجذوب.(1976م). ص38.)

صلى الإله على من دونه الرسل ومن لدى الخطب مولانا به نسل

إنا نحب رسول الله نعلمه هو الوسيلة عند الله والأمل

الرثاء : تناول المجذوب غرض الرثاء وكل من رثاهم وبكى عليهم كانت تربطه بهم صداقة ومودة، وكان جلهم من الأدباء وأهل العلم ومن الذين بكى عليهم بالدمع السخين طه حسين.(المجذوب. عبد الله الطيب. (1975م).*مجلة مجمع اللغة العربية، العدد 35*ص197.)

ثوى الحبر طه لدى ربه وخلده الله في حزبه

ولا نثر أسلس من نثره سهل الكلام سوى صعبه

وبالعلم قد ورث الأنبياء والفن كان رحى قطبه

لطيف الدعابة حلو الحديـ ث وفي الخطابة سل عن خطبه

فصاحة سحبان في سمته وقس الأيادي في ثوبه

وأحيا لنا الجاحظ العبقري بإبداعه ومدى وثبه

ومثـــــل للمعـــــري لكنـــــه أضـــاف إلـــى الشـــرق مـــن غربـــه
وراد لنـــــا نهضـــــة لا نـــــزا ل نســـلك فيهـــا علـــى دربـــه
عرفنـــــا بـــــه الأدب الجـــــاهلي وصـــــدق الروايـــــة مـــــن كذبـــــه
وعلمنـــــا فهـــــم نهـــــج الجـــــزا لـــــة حتـــــى ثبتنـــــا علـــــى حبـــــه
ونحـــــن بهـــــا مـــــن تلاميـــــذه وأي أولـــــي الفضـــــل لـــــم تســـــبه

كما رثي الأديب والمحقق محمود شاكر بقصيدة نونية جاء فيها:(الغنيم. عبد الله يوسف .(2004م). *مجلة العربي،العدد 522*

يـــزوره الطـــلاب فـــي منـــزل رحـــب بنـــور العلـــم مـــزدان
مـــأوى أولـــي الألبـــاب فـــي داره الـــ جـــــود وفيهـــــا زاد أذهـــــان
وأم فهـــر كـــم أعانـــت علـــى البـــر همـــــا فـــــي الجـــــود صـــــنوان
أذكـــــر لمـــــا جئتـــــه زائـــــرا صـــــاحب دردبـــــري وحيَّـــــاني

- **شعر الشكوى والعتاب**:(المجذوب. (1976م) . 154.)

وكل ذي نعمة محسود فقد ابتلاه الله تعالى بعدد من الحساد، و في عزة وإباء بث شكواه بين ثنايا قوافيه و أنفاس قريضه

وقـــد ضـــقت ذرعـــا بهـــذا العنـــاء وفطنـــت نفســـي علـــى الواقـــع
وذقـــت الأمـــرين حتـــى دريـــت بتجربـــــة الآلـــــم النـــــافع
وأحمـــل نفســـي علـــى المكرمـــات يـــا رب ذي رحـــم قـــاطعي

في كتابه حقيبة الذكريات أشار إلى الحسد والحساد ويومئذ كان بالمدرسة الوسطى (الكُتاب) عندما سئل عن حاله بالمدرسة:" وخبرته بترتيبي ومحافظتي على الأولية ألا تخاف يحسدك أصحابك...، وما كنت أفهم معنى الحسد"(المجذوب.(1976م). ص 12.)

عرف الكُتاب بقوله:" والكُتاب عندنا لا تعني مدرسة القرآن كما في مصر وبعض الأقطار الأخري"

شعر الإخوانيات:أنشده الشاعر توفيق صالح رائية يقول فيها (المجذوب.(1983م) . ص 189.)

أيـا دامـر المجـذوب لا أنـت قريـة		بـدواتها تبـدو ولا أنـت بنـدر

فرد عليه عبدالله الطيب قائلا: (المجذوب.(1983م) . ص 189.)

بلـــى أنـــا حقـــا فـــوق ذلـــك		ودونـي خرطـوم وبـارا وبربـر
أيـا دامـر المجـذوب أنـت مليحـة		تـذكرتها يـا بُعـد مـا أتـذكر
وفيـك بنـو المجـذوب أبنـا بيـرق		وأبنـا عبـد الله والفضـل يـذكر

ثالثا: مدرسة المجذوب النثرية

على غرار مدرسته الشعرية صمم مدرسته النثرية؛ حيث اختار لها المفردات الفصيحة القحة، وجاء نثره لا يقل شأنًا عن نثر من سبقوه من فحول الخطباء المفوهين، وشهدت له المحافل والمنابر على المستوى المحلي والإقليمي والدولى، وكان يتصدرها متى ما حل.

حباه الله تعالى بملكة الحفظ، فقد كان حافظًا لكتاب الله تعالى ومفسرًا له، وكذلك السنة النبوية الشريفة، ومطلعًا على سير العرب وأخبارهم، فضلًا عن إلمامه بالمنظوم والمنثور من التراث العربي، وانفتاحه على ثقافات وحضارات مختلفة، وتناغمت كل هذه المحاور مع بديهته الحاضرة وذاكرته القوية وتركت بصماتها الطيبة في أسلوبه الشيق؛وكان متحدثًا لبقًا ، مما جعل لحديثه حلاوة، حتى الصعب يسهل ويلين عندما يتناوله بلسان عربي مبين، ومتى ما تحدث شنف آذان السامعين، وسحر الحاضرين، وكان يجُمل خطبه ويزينها ـــ بما يناسب المقام والمقال ـــ من القرآن الكريم وحديث المصطفىﷺ، وماجادت به القرائح من الشعر القديم، وكذلك من شعر الأفرنجة. وأسلوبه جاحظي قلما يخلو من الاستطراد، أو الطرائف المليحة، والحكم البليغة للعظة والعبرة؛ حتى يجدد همم السامعين ويطرد عنهم شبح الملل للإستماع والاستمتاع ، وحديثه كان لا يمل.

من عيون نثره خطبته العصماء التي ألقاها في مجمعاللغة العربية عام 1957م . كانيومئذ رئيس وفد السودان وقدمه طه حسين قائلًا: صديقي الدكتور عبد الله الطيب سيخاطب الجمع الكريم بلغة تركها العرب قبل تسعة قرون" وأقتطف منها:" تفعقر ناقوش الكري بقراعقم فقال نافوشهم شعثان ضبهم بدراهم ،أيشكون سافور الجراري عندهم طوقان قلب الهاطل المتوهم، مبشور شاري لواكع شرهم يقظان شاري الكمكمان السواهم، ثم استطرد قائلاً (وقبل أن أبرح مكاني أقول لكم ، قراحفةمن أحشاف هول سكعبل ـــ ـــ تسعفه لكن بالجرنش الجمقمل ..وكنت إذا الأرناف جئنه تمرضلا ..تفشكفت عمداً في خوافي التمرضل ..سلام ـــ من الله عليك يا ظئر خيثم وقد جئت تسعي بالمذاق المزمقل"(موقع سودانيز اون لاين.(February 20, 2018) . خطبة عبد الله الطيب في مجمع اللغة العربية عام 1957م ، تم الدخول على المواقع بتاريخ30/ يوليو 2023م.)

في مضمار النقد الأدبي كتب دراسة نقدية بعنوان مسائل في الأدب :" النقد مسألة ذوق شخصي، يضاف إلى ذلك عاملا الثقافة والبيئة ...، والناقدالشخص المثقف الذكي المرهف الحس، ذو الذوق اللطيف، ولا أحسب المقاييس النقدية التي تسطر فيها الكتب الآن تكسب الإنسان معرفة بعلم اسمه النقد...، " (المجذوب. عبد الله الطيب .(مايو 1952م).مجلة الثقافة العدد 700.الصفحات 21 – 24.)

من عظيم نثره خطبته التي افتتح بها كتابه المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها؛ حيث وضح في كلمات قلائل ذات معان ودلائل الغرض من تأليفه لهذا الكتاب الذي يعد من أهم المراجع في هذا العصر الحديث، ومن مفاخر الأسفار:" الكتاب كله مبني على فكرة بسيطة؛ وهي أن الشعر العربي من حيث الصناعة يقوم على الأركان الآتية: النظم والجرس اللفظي والصياغة، ثم إلقاء الكلام على صور خاصة من الأداء، وفي أساليب ومناهج تمليها عوامل التقاليد والبيئة على مر الزمان واختلاف الأمكنة ، وتؤثر

فيها الإكار المستحدثة وما يجري مجراها من دجواعي التغيير والتجدد ، وقد أخذت على نفسي أن أدرلاس جميع ذلك في نوع من الإيجاز" (المجذوب.(1993م). ص 13.)
لم يقتصر نثره على اللغة العربية فقط؛ بل كان ناثرًا وكاتبًا متميزًا باللغة الإنجليزية؛ حيث كتب رسالته لنيل درجة الدكتوراه ـــــ من جامعة لندن عام 1950م ـــــ باللغة الإنجليزية وكانت تحمل عنوان Abū al-ʿAlāʾ al-Maʿarrī as a Poetوتم ترجمتها في عام 2010م. (الشاذلي. (2010م).
من كتاباته الإبداعية تقديمه لعدد من الدواوين الشعرية والكتب وكان من بين الأسفار التي نالت هذا ديوان نحن والردي للشاعر صلاح أحمد إبراهيم:" قرأت في زمان مضى كلمة للأستاذ صلاح أحمد إبراهيم رحمه الله في إحدى المجلات أو في كتيّب (لا أذكر على وجه التحديد) بعنوان "ماتوا سَمْبَلَه". أحسبها كانت مقالة كقصة أو قصة صغيرة كمقالة. وصف فيها جنوبيًّاً (لم يُحدِّد قبيلته ولكن يغلب على الظن أنه من الاستوائية) بيده أداة موسيقية يترنم بها ويغنّي بين حين وحين: " ماتوا سمبلة "في المقالة حزن شديد عميق. وفيه دموع كأنها تجرى من موسيقا الجنوبى وترنمه. كأنَّ هذا الجنوبى نفسه يرثي القتلى " سمبلة " بلوعةٍ ويعلم أنه هو وقومه ضَيَّعوا حياة هؤلاء القتلى بلا سبب. كانوا يظنونهم صقوراً جارحة فإذا هم ذباب يعصرونه ويهصرونه ويَفْطَس.أثرت في نفسى تلك المقالة. أحسست فيها رقة بالغة...، في شعر صلاح إشارات إسلامية السّنخ قوية منبثقة بلا تكلف من أصول معانيه وعواطفه وانفعالاته...، لا عجب من استكثار صلاح من الشواهد والإشارات الدالة على تأثره بثقافة السيرة والدين ونوادر الأدب العربى. فقد نشأ في دار ثقافة إسلامية. وكان أبوه رحمه الله من أساتذة العربية والدين معلمًا شديد التقوى غضيض الطرف معروفًا بذلك مشهودًا له فيه: (موقع أبو جبيهة منتدى الشعر والخواطر.(2009م).بروفيسور عبد الله الطيب يكتب عن الشاعر صلاح أحمد إبراهيم ، تم الدخول على المواقع بتاريخ11/ 8/ 2023م).
رابعًا: نتاجه الأدبي
رفد المجذوب المكتبة العربية بعدد من الأسفار في شتى ضروب الأدب، والدراسات النقدية، والتاريخ، والفكر والثقافة، وفسر القرآن الكريم على المستوى المحلي والإقليمي والعالمي، وكان له حضورًا متميزًا في أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة، ونالت المكتبة العالمية حظها من نتاجه الأدبي؛ إذ تم ترجمت العديد من مؤلفاته إلى لغات عديدة، وله أيضا مؤلفات باللغة الإنجليزية منها كتابه التماسة عزاء بين الشعراء.صدر عام 1970م، والكتاب في مجمله خواطر،وضم بين دفتيه قراءات في الشعر الإنجليزي والعربي.
الملحق المرفق في نهاية البحث جاء يحمل عنوان مكتبة المجذوب الأدبية والفكرية والثقافية يوضح نتاجه الأدبي والفكري وما رفد به المجذوب المكتبات السودانية والعربية والعالمية. وذلك حسب ما وقفت عليه بعد البحث والتنقيب.
صفوة القول وخلاصته في هذا المحور:المجذوب شاعر بدوي قح أتي في عصر الحداثة ، اطلع على ثقافة عصره وزواج بينها وبين مخزونه الأدبي وإرثه الثقافي ،وحافظ على هيكل القصيدة العمودية شكلًا ووزنًا ومضونًا، معجم المجذوب الشعري موغل في البدواة، ألفاظه سلسلة أبعد ما تكون عن الحوشية والمفردات النابية، وقد يستعصي فهم بعضها على بعض محبي الأدب ومتذوقي الشعر لقصور في معاجمهم اللغوية وبعدهم عن بنت الصحراء القحة. :" وكان إذا ألقى القصيدة من الشعر العربي. حتى الجاهلي منه العصي الفهم ألقاها بطريقة يطرب لها المستمعون"(الطيب. صفية عبد الرحيم.(2022م).مجلة العلماءالأفارقة، العدد 5).كذلك ترجمته لكتاب أندروكليس والأسد 1954م وغيره كثر.
النثر المجذوبي لا يخلو من سحر أخاذ، وقد أجمل طه حسين عندما وصف أسلوبه في تقديمه لكتابه المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها بقوله :" أخصّ ما يُعجبني في هذا الكتاب، أنه لاءم بين المنهج الدقيق للدراسة العلمية الأدبية، وبين الحرية الحرّة التي يصطنعها الكتاب والشعراء، حين ينشئون شعرًاً أو نثرًا، فهذا الكتاب مزاج من العلم والأدب جميعاً، وهو دقيق مستقص حين يأخذ في العلم كأحسن ما تكون الدقة والاستقصاء، وحر مسترسل حين يأخذ في الأدب، كأحسن ما تكون الحرية والاسترسال. وهو من أجل ذلك يُرضي الباحث الذي يلتزم في البحث مناهج العلماء، ويُرضي الأديب الذي يرسلنفسه على سجيتها، ويخلّي بينها وبين ما تحبّ من المتاع الفني، لا تتقيد في ذلك إلا بحسن الذوق، وصفاء الطبع، وجودة الاختيار"(المجذوب. (1989م). ص 8.)

المبحث الثالث

المجذوب من رواد شعر التفعيلة

تباينت الآراء وتضاربت حول ريادة شعر التفعيلة، ومهده الذي ولد فيه، وبداياته الأولى، وأول من نظم في هذا الضرب من ضروب الشعر العربي؛ الذي ولد في العصر الحديث في عشرينيات القرن الماضي. وكاد جُل نُقاد الشعر العربي الحديث أن يعقدوا رآية شعر التفعيلة أو الشعر الحر أو الشعر المرسل للشاعرة العراقية نازك الملائكة، ويليها الشاعر العراقي بدر شكر السياب.

بنظرة فاحصة لتاريخ قصيدة التفعيلة التي ذاع صيتها والموسومة بعنوان الكوليرا للشاعرة العراقية نازك الملائكة التي جاءت على وزن بحر المتدارك(فعلٌ فعلٌ فعلٌ فعلٌ) نجد عام 1947م شهد ميلاد هذه القصيدة؛ أي بعد الحرب العالمية الثانية، حيث تفاعلت الشاعرة مع هذا المرض الفتاك الذي أبكى العيون وأدمى القلوب وحصد الأرواح وأنشدت:الصفراني،محمد بن سالم،(1921م)،صحيفة القبلة السعودية.العدد رقم 519.

أصغِ إلى وَقْع صَدَى الأنَّاتْ
فى عُمْق الظلمةِ، تحتَ الصمتِ، على الأمواتْ
صَرخَاتٌ تعلو، تضطربُ
حزنٌ يتدفقُ، يلتهبُ
فى كل فؤادٍ غليانُ
فى الكوخِ الساكنِ أحزانُ
فى كل مكَانٍ روحٌ تصرخُ فى الظُلُماتْ

كما عقد النقاد الريادة للشاعرة نازك الملائكة، جاء بعدها مباشرة أو متزامنًا معها الشاعر العراقي بدر شاكر السياب، الذي طرق باب الشعر الحر بقصيدته الموسومة بعنوان هل كان حبًا والتي يعود تاريخ نشرها إلى 1947م.الصفراني،محمد بن سالم،(1921م)، صحيفة القبلة السعودية.العدد رقم 519.

•

هل تسمين الذي ألقى هيامًا؟
أم جنونا بالأماني؟ أم غراما ؟
ما يكون الحب؟ نوحًا و ابتساما؟
أم خفوق الأضلع الحرى إذا حان التلاقي

وإذا تأملنا في تاريخ الشعر العربي الحديث نجد أن الشاعر والأديب السوداني عبدالله الطيب المجذوب أنشد في ابريل 1946م قصيدته التي جاءت تحمل عنوان الكأس التي تحطمت:

أترى تذكر لما أن دخلنا الفندق الشامخ
ذاك الفندق الشامخ في ليدز
ذاك الرحب ذاك الصاخب الصامت
ذاك الهائل المرعب إذ كُنا معا
أنت واليانوس والأخرى التي
تصحب ايانوس
والأبصار ترمينا بمثل الرشقات
وسهاماً حانقات
فجلسنا في قصيٍ ثم قُمنا
وجلسنا في قريبٍ
زاخرٍ بالنور ضاح
نتاسقى روح إيناس وراح
وجدالٍ جِدُّهُ كان مِجَنّاً لِلمِزاح والمراح

فوددنا لو مكثنا هكذا حتى الصباح
عليه قصيدة الكأس التي تحطمت كانت سابقة لقصيدة الكوليرا ولقصيدة هل كان حبًا ، لكن عاف عبد الله الطيب هذا الضرب من الشعر الذي لا يعبأ بالقافية، ولا يقيم لها وزنًا ولم يقبل شرف ريادته لعشقه للشعر العمودي المشطر، وحرصه على الشعر الكلاسيكي. وقوافيه التي تحمل بين طياتها الجرس الموسيقى أو الإيقاع الذي يفرق بين المنظوم والمنثور.
وللمجذوب قصيدة أخرى عود تاريخ ميلادها إلى ديسمبر/ 1945م يقول فيها:(موقع سودانيز أون لاين، بتاريخ 24 يوليو 2013م ، براعة في اللغويات وعقل حاشد بالمعارف يتحدث عن عبد الله الطيب.تم الدخول بتاريخ 25/ 7 / 2023)
هذه لندن إذ نحن صرنا
من بني لندن فلترو عنا
يوشك اللب بها ان يجنا
هي كالبحر وأمواجه
أما الشاعر السعودي محمد حسن العواد فقد سبق المجذوب؛ عندما وضع اللبنات الأولى لهذا الضرب من ضروب الشعر في العصر الحديث. عليه كانت أرض الحجاز هي المهد الأول لشعر التفعيلة على يد الشاعر محمد حسن عواد،كما ورد في صحيفة القبلة السعودية، وكان أول شعر تفعيلة يشهده تاريخ الأدب العربي على مر العصور، وهكذا وضع العواد لمسة جديدة في جبين الأدب العربي
الحديث بباكورة نتاجه في شعر التفعيلة أو في الشعر الحر بقصيدته التي يستهللها بقوله:(صحيفة القبلة السعودية.العدد رقم519.)
نهضتي
أنت فخري
أنت ذخري
بك قدري
يعتلي، فوق السماك الأعزل،
لك قد آثرت في عمري احتساء العلقم
بكِ دوما
فقت قوما
عرفوا معنى الحياة
فانشلينا
وارفعينا
في الورى أرفع جاه،
نحن قوم نعتلي تحت ظلال العلقم
فند المجذوب الجدل الذي يدور حول ريادة الشعر بقوله:"هذا الشعر الحديث أدَّعى اختراعه والسبق إليه جماعة. ادعت نازك الملائكة السبق إليه واختراعه فيمن سبقوا إليه أو اخترعوه. وهذا عجيب؛ لأنها استشهدت بأبيات الناقوس المنسوبة إلى على كرَّمَ الله وجهه:
يا ابن الدنيا مهلاً مهلاً ...، ويختم المجذوب حديثه "يكون على هذا سيدنا علي اخترع وزن التفعيلة لا نازك"الموقع الالكتروني لصحيفة الصيحة .(نوفمبر 2019م) . مقدمة ديوان نحن والردى . تم الدخول بتاريخ 11/ 8/ 2023م.
وقصيدة الناقوس التي أشار إليها المجذوب نصها كالآتي:(الأمالي - الشيخ الصدوق ص 295)
لا إله إلا الله حقا حقا صدقا صدقا،
إن الدنيا قد غرتنا وشغلتنا،
واستهوتنا واستغوتنا،
يا بن الدنيا مهلا مهلا،
يا بن الدنيا دقا دقا،

يا بن الدنيا جمعا جمعا،
تفنى الدنيا قرنا قرنا،
ما من يوم يمضي عنا إلا أوهى منا ركنا،
قد ضيعنا دارا تبقى،
واستوطنا دارا تفنى،
لسنا ندري ما فرطنا فيها إلا لو قد متنا.

نستخلص أن عشرينيات القرن الماضي شهدت ميلاد شعر التفعيلة وأول من نشر قصيدة على مستوى الصحف السيارة هو محمد حسن عواد، ويليه عبد الله الطيب، وأول من نظم هو الشاعر أحمد باكثير الحضرمي الأصل المصري الجنسية كان هو الأسبق على الإطلاق من ناحية النظم، لكنه لم ينشر ما جادت به قريحته، وبهذا نجد أن العواد حاز على قصب السبق ومن المفترض أن تُعقد له الرآية.

لقد عافت شاعرية المجذوب المرهفة شعر التفعيلة أو الشعر الحر؛ لأنه تمرد على بحور الخليل،وهكذا ظل وفيًا للشعر العمودي. ولخص المجذوب عشقه للشعر العمودي وفلسفته في هذا المحور بقوله:(المجذوب، عبد الله الطيب.(1957م).مجلةدعوة الحق. العدد 173.)

والشعر أنظر في تجويد اشطره
للناقدين، إذ التجويد من همي

قوله كذلك: (المجذوب. (1976م). ص 51.)

وقد نظمت قريض الشعر، أحسنه
والدهر يعجب من صوتي وإفصاحي

مما سبق نستنتج: أن ريادة شعر التفعيلة لم تكن لنازك أو السيباب ، أما من ناحية السبق إلى النشر الراية تعقد لأحمد حسن العواد فقد نظم ونشر، يليه عبد الله الطيب، بينما نظم أحمد باكثير ولكنه لم ينشر. وهكذا خلصت الدراسة إلى أن أقطاب شعر التفعيلة من ناحية السبق إلى النظم والنشر هما أحمد حسن العواد يليه عبد الله الطيب.

الخاتمة

- العلامة عبد الله الطيب المجذوب من العلامات الفارقه، بل حجر الزاوية في الأدب المعاصر، وهو موسوعة علمية ومدرسة متكاملة في شتى العلوم والمعارف. وثروة وطنية و قومية وعالمية، وما زال وسيظل روضا أنفًا، على الرغم من الدراسات التي تناولت سيرته وأدبه وفكره، لكن هنالك العديد من المحاور تحتاج إلى سبر أغوارها.
- تركت البيئة المحلية بكل تفاصيلها وألوان طيفها بصماتها الطيبة في وجدانه وتكوينه الفكري.وهو شاعر بدوي قح أتي في عصر الحداثة، ولم يتنكر لتراثه الأدبي والفكري. واحتل الصدارة من بين أبناء الضاد الذين تعلموها ودرسوها وأغرم بها؛ لأنه عرف أسرارها وسر جمالها. وأهلته للعالمية. وجعلته يتصدر كل المحافل والمنابر حيثما حل.
- كان الأديب عبد الله الطيب المجذوب شاعرًا مطبوعًا وخطيبًا مفوهًا. تناول الموضوعات الشعرية التي سبقه إليها أسلافه من فحول الشعراء، وطاف بالكلمة وحلقه بها في فضاءات عديدة ومتباينة، وأعاد إليها ماضيها التليد. قصائده عكاظية في معناها ومبناها.وشعره اتسم بالقدم والحداثة في آن واحد.

- تفردت مدرسة المجذوب الشعرية بمفرداتها القحة واستمد صورها من عمق التراث العربي، وعلى الرغم من مواكبته لعصره وانفتاحه على ثقافات عديده وقرضه للشعر الأوربي بلسان أهله؛ لكنه ظل عاشقًا وفيًا لبنت الضاد وعروس الشعر وبحور الخليل والشعر العمودي.
- لم تكن ثقافته الغربية خصما على نتاجه الأدبي، بل كانت إضافة حقيقة، والدليل على ذلك كتاباته الفنية باللغة الإنجليزية ،ونقده لإعلام الكتاب والأدباء الأفرنجة.
- كان عبد الله الطيب من أوائل الذين حاولوا التمرد على هكيل بناء القصيدة العربية القديمة ونظامها العروضي ووزنها وبعض تعابيرها ؛وكان ذلك بدافع الحداثة مع المحافظة على رونقها وموسيقاها، لكن نفسه عافت ذلك النوع من الشعر (التفعيلة)؛ لأنه على قناعة تامة أنه كان خصمًا على جمال القصيدة العربية القحة وعمودها المشطر؛ لأنه شوه ملامحها ومسخها.
- لم يكن المجذوب من أنصار المدرسة القديمة فقط أو أتباعها، بل كان حجر الزاوية فيها ومن أهم ركائزها، وعض عليها بالنواجذ، وقدم الشعر العربي على الشعر الأوربي وأثبت ــ عن علم ودراسة ودراية تامة ــ أن العديد من شعراء الأفرنجة قد تأثروا بالشعر العربي أمثال دانتي ومارفيل ووليام بليك، وغيرهم من الذين اتخذوا من الرومانسية مطية، ووعاءا للتعبير عن مشاعرهم وأحاسيسهم.
- صفوة القول وخلاصته: نال المجذوب العديد من الجوائز وكانت أكبر جائزة في مسيرته العلمية والعملية عشق بنت الضاد له، وفخر العروس الشعر به، ما تناولته الدراسة ما هو إلا غيض من فيض، وما زال هنالك الكثير ، وما ورد بين طيات الدراسة من نظمه ونثره ما هو إلا نتف يسيرة جدًا، لأن المقام لا يسمح بأكثر من هذا وذلك مراعاة لضوبط المؤتمر.

المقترحات:

أقترح عقد ندوات شهرية تتناول سيرة العلماء والأدباء،حتى يستفيد الناشئة من أسلوبهم ونهجهم في الكتابة الإبداعية. كذلك تساعد مثل هذه الندوات واللقاءت الفكرية في النهوض بالأدب والسمو بالحس الأدبي والذوق الفني للعامة والخاصة .

التوصيات

1.الأمة العربية والإسلامية أنجبت ــ وما زالت ــ العديد من العلماء في شتى ضروب العلم والمعرفة، وفي مضمار الأدب، لا نستطيع أن نحصيهم عدا؛ لذا لابد من الاهتمام بهذه الكنوز النفيسة ولفت الانتباه إلى أعلام الأدب المعاصر، حتى يتَبَوَّءُوا المنزلة التي تليق بهم بين الأدباء العالميين، وبهم يسمو أدبنا العربي إلى مصاف الآداب العالمية؛ التي استثمرت علومنا ومعارفنا ووظفتها لترتقي وتزدهر، ومما لا شك فيه أن من آليات النهضة والتقدم الاهتمام باللغة والأدب وبهما تسمو الأمم والشعوب، وتُبنى الحضارات.

2 ـ العلامة عبد الله الطيب المجذوب من أعلام النهضة الأدبية في العصر الحديث، ومن رواد مسيرة الأدب المعاصر، ومن مفاخر الأمة العربية والإسلامية، وهو سجل ضخم متعدد الصفحات ضم بين دفته شتى ضروب العلم والأدب؛لذا لابد من تضافر الجهود للمحافظة على إرثه الفكري والثقافي والأدبي، ولفت انتباه المسؤولين والباحثين وطلاب العلم إلى البحث والتقيب في نتاجه العلمي والأدبي، وذلك بإعادة طبع ما نفد من مؤلفاته وطباعة ما هو مخطوط، والاهتمام بنشر مؤلفاته وإتاحتها للباحثين وطلاب العلم. وعلى مؤسسات التعليم المختلفة تشجيع الطلاب لدراسة أدب المجذوب وفكره ونهجه في الكتابة وأسلوبه.لأنه مدرسة متكاملة.

ثبت المصادر والمراجع

أولا: مؤلفات المجذوب التي اعتمدت عليها الدراسة

1. الدواوين الشعرية : المجذوب، عبد الله الطيب ــ

- (1976 م).ديوان أغاني الأصيل. جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم ، السودان.
- (1957م). ديوان أصداء النيل. دار المعارف، مصر.

2. الكتب: المجذوب، عبد الله الطيب.

- (1971م). كتاب التماسة عزاء بين الشعراء. الدار السودانية للنشر ، السودان.
- (1983م) من نافذة القطار. وزارة الإعلام والشئون الاجتماعية، لجنة التأليف والنشر. السودان.
- (1983م). من حقيبة الذكريات. دار جامعة الخرطوم للنشر، السودان.
- (1989م).المرشد إلى فهم أشعار العرب. الناشر مطبعة حكومة الكويت ، الكويت.

ثانيا: المصادر والمراجع

- امرؤ القيس، ابن حُجر بن الحارث .(1984م).ديوان امرؤ القيس.القاهرة: دار المعارف.
- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر.(1983م). أسرار البلاغة.الأردن: المسيرة للنشر.
- الخطفي، جرير بن عطية.(1986م).ديوان جرير، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر.
- ركهارت، جون لويس.(2007م). رحلات بوركهارت في بلاد النوبة والسودان. ترجمة (اندرواس، فؤاد).مصر: المجلس الأعلى للثقافة.
- الصدوق، محمد بن علي بن الحسين .(2009م) . أمالي الصدوق. بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
- قاسم ،عون الشريف.(1996م). موسوعة القبائل والأنساب في السودان وأشهر أسماء الأعلام والأماكن.الخرطوم:الناشر شركة أفر قراف للطباعة والتغليف.
- ابن منظور، محمد بن مكرم.(2000م). لسانالعرب. لبنان: دارصادر للطباعةوالنشر.
- حسين ، طه.(2013م). من أدبنا المعاصر.المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي.

ثالثًا: المجلات العلمية

- شوشوة، فاروق . (سبتمبر 2022م). مجلة العربي. العدد 552.
- من جوانب الحركة الشعرية في السودان الخصائص الجمالية في شعر عبد الله الطيب"(1957م).مجلة دعوة الحق، العدد173.
- الصفراني، محمد بن سالم.(1921م). صحيفة القبلة السعودية، العدد 519.
- الطيب، صفية عبد الرحيم .(2022م). مجلة العلماء الأفارقة، العدد 5.
- الغنيم،عبد الله يوسف.(نوفمبر 2004م). مجلة العربي، العدد 552.
- المجذوب، عبد الله الطيب. (مايو 1975م). مجلة مجمع اللغة العربية، العدد35.
- المجذوب، عبد الله الطيب .(مايو 1952م). مجلة الثقافة، العدد 700. الصفحات 21 – 24.
- لوريمير. ف،(يونيو1936م). مجلة السودان، العدد 19.

رابعًا: المواقع الإلكترونية

- موقع الانطولوجيا. (17/ 2/ 2021 م) . الأرض الخراب والشعر العربي القديم، في الرد علي الدكتور عبد الله الطيب، تم الدخول 15/ 7/ 2023م.
- موقع الانطولوجيا.(31/ مايو 2021م).عبد الله الطيب رجل في عصر وعصر في رجل،تم الدخول 20/ 7/ 2023م.
- موقع سودانيز أون لاين.(24 يوليو 2013م).براعة في اللغويات وعقل حاشد بالمعارف، تم الدخول 15/ 7/ 2023م.
- موقع سودانيز أون لاين.(30 يوليو2003م). أندروكليس والأسد، تم الدخول بتاريخ 31/ 7/ 2023م.
- موقع سودانيز أون لاين(فبراير2018م).خطبة عبد الله الطيب في مجمع اللغة العربية بمصر15/ 7/ 2023م.
- موقع سودانايل .(2010م) .أبو العلاء شاعرًا ، تم الدخول بتاريخ30/ 7/2023 م.
- موقع واي باك مشين .(2012م). مجاذيب الدامر، تم الدخول بتاريخ30/ 7 2023م.

ملحق

مكتبة المجذوب الأدبية والفكرية والثقافية:

يبين هذا الملحق ما رفد به المجذوب المكتبات السودانية والعربية والعالمية،(الطيب. صفية عبد الرحيم.(2022م).مجلة العلماء الأفارقة. العدد 5.)

1. الكتب

• *الأحاجي السودانية* ، الخرطوم من 1947
• *مشروع السدرة* "قصصي، مكتب النشر الخرطوم، 1952م.
• *المعراج*،مكتب النشر الخرطوم 1954م
• *أندروكليس والأسد* ـ ترجمة ـ 1954
• *المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها* ، أربعة أجزاء 1955م
• *سمير التلميذ* "كتاب مدرسي من جزءين مصر، 1954م1955
• *ملحق سمير التلميذ* "كتاب مدرسي، 1955م.
• *شرح أربع قصائد لذي الرمة* ، 1958
• *تاريخ النثر الحديث* ، 1959
• *الحماسة الصغرى* "من جزءين " الجزء الأول 1960م ، مطبعة أكسفورد
• *من نافذة القطار*.1964م
• *نوار القطن "قصصي*. 1964م.الخرطوم
• *مع أبي الطيب* ،1968م.
• شرح بائية علقمة ، 1970
• Stories from the Sands of Arabia1975م
• الطبيعة عند المتنبي، بغداد 1977م
• محتام الفتنة باليوت "نقد" ، 1982
• من حقيبة الذكريات،1989م
• شرح عينية سويد، الخرطوم 1992م
• Heroes of Arabic د. ت.
• كلمات من فاس1986م
• ذكرى صديقين1987م
• هذا الصوت «أو صوت من السماء». بحث في أنساب أهله المجاذيب.
• تاريخ كمبردج والأدب العربي د.ت.

2. تفسير القرآن الكريم

• تفسير جزء عم .1970 ــ 1986م.
• تفسير جزء تبارك.1988م.
• تفسير جزء قد سمع .1993م.
• تفسير القرآن الكريم مع تلاوة المقرئ الشيخ صديق أحمد حمدون، ثم مع قراءة الشيخ إبراهيم كمال الدين، مسجّل بالإذاعة السودانية (مع الشيخ صدّيق أحمد حمدون، من 1959 ــ 1969م). وقد سجّل في تشاد، ومالي، وفي الأذاعات الصومالية، والموريتانية، ومكتبة الكونغرس الأمريكي.

3. الدواوين الشعرية

•	1957م.أصداء النيل
•	القصيدة المادحة ومقالات أخرى (برق المدد بعدد وبلا عدد) 1964م
•	اللواء الظافر 1968م.
•	بانات رامة 1968م.
•	بين النير والنور "شعر ونثر".1970م.
•	التماسة عزاء بين الشعراء "شعر ونثر"1970م.
•	سقط الزند الجديد 1976م.
•	أغاني الأصيل 1976م.
•	أربع دمعات على رحاب السادات 1978م.

4. المسرحيات الشعرية

•	زواج السمر ١٩٥٨
•	الغرام المكنون ١٩٥٨
•	قيام الساعة ١٩٥٩
•	نكبة البرامكة د. ت.

5. المقالات

•	أندروكليس والأسد "مترجمة". 1954
•	"مقالات في السودان في وثائق ومدونات باللغة الإنجليزية بعنوان "عادات السودان المتغيرة
•	مجلة دراسات أفريقية "هجرة الحبشة وما وراءها من نبأ" بتاريخ 18 يناير 1998م
•	مقال في الموسوعة البريطانية عن محمود عباس العقاد ومصطفى لطفي المنفلوطي وأحمد شوقي والأدب العربي. 1960،1961
•	هجرة الحبشة وما وراءها (مجلة الدراسات الإفريقية) 1998م

6. المحاضرات:

حاضر المجذوب في العديد من المنابر منها الإذاعة ذاعة السودانية، و برنامج سيَر وأخبار ـ تلفزيون السودان)، (شذرات من الثقافة ـ تلفزيون السودان)، (خواطر عن اللغة العربية وتعليمها)، (محاضرات مجمّع اللغة العربية بالخرطوم)، (محاضرات عن الطبّ عند العرب ـ كلية الطب بجامعة الخرطوم)، (محاضرات عن: الصيدلة عند العرب ـ كلية الصيدلة بجامعة الخرطوم)، (محاضرات عن: عِلم الإدارة العامة ـ اتحاد طلّاب جامعة أم درمان الإسلامية)، وله مشاركات في الدروس الحسنية أمام جلالة ملك المغرب،ومحاضرة عن المجامع اللغوية ودورها في حفظ اللغة العربية ونشرها في السودان ـ كلية اللغة العربية بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية)، (محاضرة عن: الهجرة النبوية ـ مؤسسة شمبات الثقافية الاجتماعية)، (محاضرات في السيرة النبوية) د. مهدي علاَّم في كتابه (المجمعيون في خمسين عاما) (1984م) تسعة عشر موضوعا مما نشر للدكتور الطيب بمجلة المجمع, خلافا لما نشر وقد يكون هنالك الكثير، لكن هذا ما وقفت عليه من خلال البحث والتنقيب من نتاجه. نشر الطيب مقالاته الأدبية والفكرية في العديد من المجلات العربية منها: (الثقافة)، (الآداب)، (المناهل)، (الدوحة)، (فصول)، (العرب)، (مجلة المجمع العلمي العربي)، (القاهرة)، كما كتب مقدمات للعديد من الكتب والمؤلفات الفكرية والأدبية.

7. مخطوطات لم تنشر بعد

•	نغمات طروب
•	وصف جزيرة توتى للتجانى يوسف بشير.
•	زمهر (مسرحية)
•	ملقى السبيل

"المقاربة الانبثاقية: مقاربة معاصرة في الدراسات السيكولوجية"

الباحث/ يوسف نجيب
طالب باحث بسلك الدكتوراه
مختبر البحث : الإنسان والمجتمعات والقيم
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل
youssef.najib@uit.ac.ma
الهاتف : 00212-662291845

البروفيسور/ مولاي التهامي باديدي
أستاذ التعليم العالي
مختبر البحث : الإنسان والمجتمعات والقيم
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،جامعة ابن طفيل
badidimoulay.touhami @uit.ac.ma
الهاتف:00212-677512140

الملخص
تتموقع "المقاربة الانبثاقية" « l'approche d'énaction »، كمقاربة معرفية حديثة ومعاصرة كانت بداياتها سنة 1990 لواضعها Francisco Javier Varela، ضمنالأنظمة الديناميكية المجسدة والمموضعة ثم الإنبثاقية« Les systèmes dynamique incarnés, situé et d'énaction »، والتي انتقدت البراديغمات السابقة عنها والمتمثلة في السلوكية « le béhaviorisme »، المعرفية « le cognitivisme »والاقترانية « le connexionnisme » ، إذ لم تهتم بالدماغ فقط، ولكن صبّت اهتمامها أيضا على الجسم خاصة (le corps)، والبيئة (l'environnement)التي يعيش فيها الكائن وينمو بشكل حقيقي وواقعي.
إذ تتمحور أهمية هذه النظرية في فهم عملية تشكل المعرفة من خلال تفاعل الفرد المستمر مع العالم المحيط به. وبفضل الحركة والتفاعل المستمر، يتم تشكيل نماذج معرفية مختلفة تساعد الفرد على التكيف مع بيئته واتخاذ القرارات الملائمة.
سنعرض في مقالتنا لمفهوم المقاربة الانبثاقية وأهم خصائصها، فبراديغمات العلوم المعرفية التي تجاوزتها الانبثاقية، كالسلوكية والتي تركز على تأثير البيئة على عملياتنا العقلية من خلال المدخلات والمخرجات دون الاهتمام بما يحدث بالدماغ، باعتباره صندوقا اسودا بطبيعته، غير مراقب ويستعصي الوصول غليه بطريقة منهجية، لذلك تهتم فقط بالمحفزات التي تؤثر على الكائن الحي والاستجابات التي يقدمها هذا الكائن. المعرفية كمجال هيمن على العلوم المعرفية من منتصف الخمسينات حتى الثمانينات، اهتم بالدماغ ومقارنته بجهاز الكمبيوتر، فالمعرفية عنده هي معالجة للمعلومات من خلال التمثلات باستخدام القواعد دون الاهتمام بأي عنصر أو جهاز قادر على تمثيل الرموز. الاقترانية التي تحدَّت تقاليد المعرفية في أوائل الثمانينات، بأخذ الدماغ بالحسبان ومحاولة فهم المعرفية باستخدام شبكات العصبونات، على اعتبار أن المعرفية تتأسس على ظهور حالات عامة في شبكة مكونة من عناصر بسيطة، إنه براديغم أكثر قربا من التدريب أكثر من الترميز.
ثم سنعمل على توضيح ومناقشة ما تقدمة الانبثاقية التي تجاوزت البراديغمات السابقة بأخذها بعين الاعتبار ليس فقط الدماغ، ولكن جسم الكائن الحي من جهة والبيئة التي يتطور فيها في الوقت الحقيقي المعيش من جهة أخرى أثناء تشكل المعرفية في حقل السيكولوجيا خلال دراسة الظواهر الإنسانية.

الكلمات المفتاحية : الانبثاقية، السلوكية، المعرفية، الاقترانية، السيكولوجيا.

The emergent approach: a contemporary approach in psychological studies

Researcher/Youssef Najib
Doctoral research student
Research Laboratory: Humans, Societies and Values
Faculty of Humanities and Social Sciences, Ibn Tofail University
Professor Moulay Thami Badidi
Professor of higher education
Research Laboratory: Humans, Societies and Values
College of Humanities and Social Sciences, Ibn Tofail University

Abstract

The "Enactive Approach," as a modern and contemporary cognitive framework, emerged in the 1990s with its founder Francisco Varela. It is part of the embodied and situated dynamical systems, and it criticized the previous paradigms such as behaviourism, cognitivism, and connectionism. Unlike these paradigms, the Enactive Approach does not solely focus on the brain but also emphasizes the body and the environment in which the organism lives and develops authentically and realistically.

The significance of this approach lies in understanding the process of knowledge formation through the continuous interaction of the individual with the surrounding world. Thanks to continuous movement and interaction, various cognitive models are shaped, helping the individual adapt to their environment and make appropriate decisions.

In this article, we will present the concept of the enactive approach and its key features, transcending the paradigms of cognitive sciences. We will explore behaviourism, which focuses on the influence of the environment on our mental processes through inputs and outputs, without concerning itself with what happens in the brain, viewing it as a black box, inherently inaccessible and unobservable. In contrast, the cognitive approach, which dominated cognitive sciences from the mid-1950s to the 1980s, centred on the brain and compared it to a computer. In this view, cognition is information processing through representations using rules, without considering any element or device capable of symbol representation. Connectionism, which challenged cognitive traditions in the early 1980s, takes into account the brain and seeks to understand cognition using neural networks, viewing cognition as the emergence of global states in a network composed of simple elements. It is a paradigm closer to training rather than coding.

Furthermore, we will work on clarifying and discussing what the enactive approach has to offer, surpassing previous paradigms by taking into consideration not only the brain but also the body of a living organism on one

hand, and the environment in which it evolves in real-time on the other hand, while studying cognitive processes in the field of psychology during the study of human phenomena.

Keywords: Enactive Approach, Behaviorism, Cognitivism, Connectionism, Psychology.

مقدمة:

تساءل الإنسان مند وعيه بذاته عن وجوده وعن الظواهر التي كانت تصادفه، فحاول تفسير وفهم الأحداث والسلوكات والأفعال التي كانت ملازمة لهعلى الدوام، فاعتمد التفكير الأسطوري والخرافي والسحري بداية، لينتقل بعد ذلك الى التفكير الفلسفي العقلاني، وصولا الى التفكير العلمي التجريبي المؤسس على ضوابط منطقية وبراهين وحجج تتوخى الدقة والموضوعية العلميتين.

وللإجابة على سؤال : "ما هو العامل المتحكم في سيكولوجيا وسلوك الفرد وكيفية تشكل المعرفة لديه؟" تنقلت السيكولوجيا بين براديغمات مختلفة تبعا لطبيعة التفسير الذي تبنته كل مدرسة، انطلاقا من البراديغم الاستنباطي، فالوجداني، مرورا بالبراديغم السلوكي ، فالبراديغم المعرفي، وكذا البراديغم الاقتراني.

لتبرز المقاربة الانبثاقية كمقاربة معرفية حديثة ومعاصرة في حقل السيكولوجيا، كانت بداياتها سنة 1990 لواضعها عالم الأعصاب التشيلي Francisco Javier Varela ، وهي مقاربة تتجاوز النماذج والمقاربات السابقة على المستوى الابستمولوجي ،ضمنالأنظمة الديناميكية المجسدة والمموضعة ثم الإنبثاقية« Les systèmes dynamique incarnés, situé et d'énaction »، إذ لم تهتم بالدماغ فقط، ولكن صبّت اهتمامها أيضا على الجسم (le corps)، والبيئة(l'environnement)التي يعيش فيها الكائن وينمو بشكل حقيقي وواقعي ، على اعتبار أن تشكل المعرفية وانبثاقها لا يتم بمعزل عن تفاعل هذه العناصر فيما بينها، وما يربطها من تأثير وتأثر بعضها ببعض.

وسنعرض في ورقتنا البحثية للمقاربات الكلاسيكية في مجال العلوم المعرفية عامة وفي السيكولوجيا خاصة كالسلوكية ، فالمعرفية ثم الاقترانية والتي تجاوزتها المقاربة الانبثاقية بالتطرق لمفهومها وأهم المفاهيم المميزة لها ثم أهم خصائصها، مبرزين لأهم الاعتلالات التي تعتري المقاربات الأولى وكيف استطاعت المقاربة الانبثاقية سد تلك الثغرات كمقاربة شاملة تعيد خلخلة تفكيرنا في الظواهر السيكولوجية وتغيير رؤيتنا لما ترسخ في أذهاننا لعقود عديدة حول تشكل المعرفية والإدراك والسلوك،لننتهي بعد ذلك بتقديم جملة من التوصيات والمقترحات الموجهة للباحثين والممارسين في حقل السيكولوجيا.

إشكالية الورقة البحثية

وفي هذا السياق، تتمثل إشكالية ورقتنا البحثية في السؤال التالي:

"ما هي المقاربة الانبثاقية؟ وماهي خصائصها ومفاهيمها المميزة لها والتي تجاوزت بها سابقاتها من المقاربات السيكولوجيةالكلاسيكية؟

أهمية الورقة البحثية

تكمن أهمية الورقة الحالية في الموضوع الذي تتناوله على مستويين، نظري وتطبيقي عملي:

نظريا: فالدراسة ستكشف عن حاجة البحث العلمي في مجال السيكولوجيا إلى الاهتمام بتطوير أساليب الاشتغال وتغيير زاوية الرؤية بتجاوز ما أستهلك من نظريات سابقة وتبني مقاربة علمية حديثة تتجاوز بخصائصها وكيفية تحليلها للظاهرة الإنسانية وفق متغيرات ظلت مغيبة لعقود عديدة ونقصد هنا متغير الجسم والبيئة أو السياق الذي يتفاعل معه الفرد.

تطبيقيا: ستكون الورقة بمثابة أرضية تتضمن مجموعة من المعطيات والمعلومات التي ستساعد الباحثين في السيكولوجيا للتعرف عن قرب على المقاربة الانبثاقية وكذا دعوة الممارسين والمهنيين إلى الأخذ بعين الاعتبار لمكوناتها وخصائصها أثناء تقديم العلاجات أو التدخلات السيكولوجية.

أهداف الورقة البحثية

لا يمكن اعتبار الدراسة دراسة أو البحث بحثا، إن لم يتغيّى الباحث من ورائه هدفا أو مجموعة أهداف لعمله، ومنه فإن ما نأمل إضافته للحقل العلمي ما يلي :

- التعرف على مفهوم المقاربة الانبثاقية؛
- التعرف على خصائصها ومميزاتها؛
- التعرف على حدود المقاربات الكلاسيكية في حقل علم النفس؛
- الإحاطة بما تقدمه المقاربة الانبثاقية التي تجاوزت البراديغمات السابقة بأخذها بعين الاعتبار ليس فقط الدماغ، ولكن جسم الكائن الحي من جهة والبيئة التي يتطور فيها في الوقت الحقيقي المعيش من جهة أخرى أثناء تشكل المعرفية في حقل السيكولوجيا.

حدود الورقة البحثية :

تقتصر ورقتنا البحثية على مفهوم المقاربة الانبثاقية وأهم خصائصها ومميزاتها، ومقارنتها ببراديغمات العلوم المعرفية التي تجاوزتها، وتحديا السلوكية ،المعرفية، فالاقترانية كبراديغمات تنتمي إلى حقل السيكولوجيا، دون التطرق للمقاربات الأخرى كالمقاربة الاستنباطية أو التحليل النفسي...

المنهج المستخدم

تبعا لطبيعة موضوع ورقتنا البحثية، فقد اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي، باعتباره لا يكتفي فقط بوصف المفاهيم والمقاربات العلمية أو الظواهر النفسية، وإنما يتعدى ذلك إلى القيام بالتحليل والتفسير والمقارنة، ومن ثم التوصل إلى تقييمات ذات معنى وأهداف محددة. فقد عملنا على قراءة وجمع أكبر قدر

ممكن من المعلومات والمعطيات التي من شأنها مساعدتنا على تقديم الاختلافات القائمة بين المقاربات المدروسة ومن تم استنتاج ما تجاوزت به المقاربة الانبثاقية نظيراتها.

متن الورقة البحثية :

وفيما يلي سنعرض للمقاربات السيكولوجية المتضمنة في ورقتنا البحثية بدءا بالسلوكية، المعرفية، فالاقترانية ثم الانبثاقية، مع تحديد أهم مفاهيم هذه الأخيرة، خصائها المميزة لها ونقدها للمقاربات الكلاسيكية السابقة عنها:

1. المقاربة السلوكية« l'approche béhavioriste »: ظهرت هذه المقاربة في عشرينيات القرن الماضي (1920)، كحركة علمية معادية تماما للمنهج الاستبطاني(introspection)الذي كان يهتمبدراسة الأفكار والعواطف والأحاسيس الداخلية من خلال وصف الفرد لحالته الشعورية أو تأمله لما يجول في ذهنه،تقول أنيك ويل باري (Annick Weil-Barais): "تفترض المقاربة السلوكية أننا لا يمكننا الوصول إلى الحالات الذهنية للأفراد. إن معتقداتهم وتطلعاتهم ونواياهم ودوافعهم غير متاحة. ما يقوله الفرد عندما يفكر فيما بداخله أي الاستبطان، ليس إلا إعادة بناء لأفكاره بشكل قسري، وخاضع بشكل خاص للنظام اللغوي والبيئة الاجتماعية"(Weil-Barais et al., 2011).فالسلوكية تركز على تأثير البيئة على عملياتنا الذهنية من خلال المدخلات والمخرجات دون الاهتمام بما يحدث بالدماغ، باعتباره صندوقا أسودا بطبيعته، غير مراقب ويستعصي الوصول لمعرفة ما يحدث بداخله بطريقة منهجية؛ لذلك فقد اهتمت فقط بالمحفزات والمثيرات التي تؤثر على الكائن الحي والاستجابات التي يقدمها،بمعنى الاهتمام بالسلوك المرصود، الملاحظ والموضوعي والقابل للقياس فقط.

بحسب المقاربة السلوكية، يتم اكتساب السلوك وتعديله من خلال التعلم من التجارب ضمن البيئة بدلا من الاعتماد على العمليات الذهنية غير الملاحَظة.

ومن ضمن أهم المفاهيم التي استندت عليها السلوكية في فهم السلوك الإنساني وأيضا الحيواني نجد:

- السلوك : وهو كل استجابة أو رد فعل إزاء المثيرات البيئية، ظاهر وملاحظ وقابل للقياس.
- الإشراط الكلاسيكي الذي وضعه إيفان بافلوف(Ivan Pavlov)، والذي شرح من خلال تجاربه على الكلابكيفية جعلمثير شرطي (الجرس)، مرتبط باستجابةغيرشرطية (سيلان اللعاب)، بعد أن تم ربطه بمحفّز غير شرطي (اللحم).
- الإشراط الإجرائيالذي وضعه سكينر(Burrhus Frederic Skinner)، تركّز هذه النظرية على العلاقة بين السلوك والاستجابة المترتبة عنه،فالسلوك الذي يتبعه التعزيز الذي يعد واحداً من أهم العوامل النفسية المؤثرة على الاستجاباتيتم ترسيخه وتثبيته، بينما يميل السلوك الذي يتبعه العقاب إلى التراجع.

- المحاولة والخطأ : تفيد أن حل المشكلات يتم بالمحاولة والخطأ ومحاولة وتكرار محاولة اختبار البدائل إلى حين التوصل إلى البديل الناجح وبلوغ الهدف المرغوب
- قانون الأثر : قانون وضعه إدوارد لي ثورندايك (Edward Lee Thorndike)،ويفيد أن هناك احتمال لتكرار الاستجابة بناء على النتيجة التي تتولّد عنها، فالاستجابات التي تتبعها نتائج إيجابية، تزداد احتمالية حدوثها، بعكس الاستجابات التي تكون نتائجها سلبية.
- التعزيز والعقاب: يُستخدم التعزيز لزيادة احتمالية تكرار سلوك ما، في حين يُستخدم العقاب لتقليل احتمالية ظهور سلوك معين.
- التعلم بالملاحظة: على الرغم من أن السلوكية تركز بشكل أساسي على التعلم المباشر من خلال الاشراط والتعزيز، فقد أدخل ألبرت باندورا (Albert Bandura)أيضًا فكرة أن الأفراد يمكن أن يتعلموا من خلال مراقبة سلوك الآخرين وكذا النتائج المرتبطة بهذه السلوكات.

ومن أهم رواد المقاربة الكلاسيكية نجد، إيفان بافلوف (Ivan Pavlov)صاحب الاشراط الكلاسيكي والذي أسهمت تجاربه في تطوير فهم التحفيز والاستجابة السلوكية؛ سكينر (B.F. Skinner)رائد الاشراط الإجرائي وصاحب مفهوم التعزيز والعقاب، نجد جون ب. واطسون (John B. Watson) عالم النفس الأمريكي ومؤسس المدرسة السلوكية في علم النفس، كواحد من أوائل العلماء الذين رفضوا استخدام الدراسات التجريبية لفهم العمليات الذهنية الداخلية ودعوا إلى التركيز على السلوك المرصود وقابليته للتجربة والقياس؛إدوارد ثورندايك (Edward Thorndike) الذي عمل على دراسة الاستجابات الحيوانية والبشرية، وقدم مفاهيم مهمة مثل قانون الأثر والتعلم بالمحاولة والخطأ؛ وألبرت باندورا (Albert Bandura)المعروف بمساهماته في نظرية التعلم الاجتماعي بوضعه فكرة التعلم بالملاحظة وأشار إلى أن الأفراد يمكنهم تعلم السلوك من خلال مراقبة الآخرين وتكرار ما يلاحظونه، وقد ساهمت هذه النظرية في توسيع فهم آليات اكتساب السلوك ونقل المعرفة بين الأفراد...

هؤلاء من أهم رواد ومؤسسي المقاربة السلوكية الذين قدموا أفكاراً وأبحاثاً هامة ساهمت في تشكيل هذا النهج النفسي الهام ووضع لبنة ضمن بناء صرح السيكولوجيا.

2. المقاربة المعرفية«l'approche cognitiviste»:المعرفية(le cognitivisme)كمقاربة هيمنت على العلوم المعرفية (sciences cognitives)من منتصف الخمسينات حتى الثمانينات من القرن الماضي وتحديدا سنة (1960)، حيث ركزت على دراسة العمليات والسيروراتالذهنية الداخلية، مثل الانتباه، الإدراك، الذاكرة، الاستدلال، وحل المشكلات... على عكس المقاربة السلوكية التي ركزت على السلوك الملموس والمُلاحظ.وفي مجال علم النفستضم هذه المقاربة مقاربتين فرعيتين وهما: المعرفية البنائية (le cognitivisme structural) والتي تضم النظرية الجشطالتية لفريتز بيرلز(Fritz Perls) والنظرية البنائية لجون بياجي(Jean Piaget)، والمعرفية الحاسوبية (le cognitivisme

(computationnelلصاحبها جيري فودور(Jerry Fodor)؛ وهي بذلكتهتم بالسيرورات الذهنية التي تكمن وراء السلوك البشري، باهتمامها بالدماغ من جهة ومقارنته بجهاز الحاسوب من جهة أخرى.

فالمعرفية(la cognition)بالنسبة لهذه المقاربة هي معالجة للمعلومات من خلال التمثلات باستخدام قواعد محددة ووفق سلسلة من العمليات المنطقية، دون الاهتمام بأي عنصر أو جهاز قادر على تمثيل الرموز؛ وبالتالي فهي تقدم المعرفية (cognition) كشكل من أشكال الحساب (le calcule)، وتجادل بأن المحتوى الدلالي للحالات الذهنية يكون مشفراً(codé) بنفس تمثيلات الحاسوب واستنادا على الذكاء الاصطناعي الكلاسيكي. ومنه فرؤية المعرفية للمعرفة، تتمثل فيالاهتمام المميَّز الممنوح لنوع من بناء التمثل، بحيث يتم تصور الفكر كعملية رمزية متسلسلة؛ الاستغناء عن أبعاد أخرى للكائن الحي، الذي هو موضوع المعرفة وأساس الدراسة (الإنسان)، لدرجة الاستخدام الحرفي لجهاز (الكمبيوتر) كنموذج للدماغ البشري. وبالتالي يمكننا القول إنكل نظام معرفي يشكل "نظاما فيزيائيا للرموز"، مبنيًا على "مجموعة من العناصر، يطلق عليها اسم "الرموز" والتي يمكن تشكيلها كهياكل رمزية بواسطة مجموعة من العلاقات" (Vera & Simon, 1993).

السؤال الذي يطرح نفسه إزاء هذه المقاربة هو : كيف يتفاعل الإنسان مع البيئة؟فهي ترى أنالإنسان يتفاعل مع بيئته الدائمة التغيُّر من خلال مدخلاته الحسية، ويتفاعل مع البيئة التي تَعَرَّف عليها مسبقًا من خلال المعلومات المحفوظة في الذاكرة.

على الرغم من أن المقاربة تؤكد على عدم معرفتها بكيفية تشفير الرموز في الدماغ، إلا أنها تقترح تخمينات وفرضيات حول عمله: "فالسيرورات الإدراكية تعمل على "تشفير" المحفزات أو المثيرات الحسية في شكل رموز داخلية، والسيرورات الحركية تفكك الرموز الحركية وتحولها إلى استجابات عضلية. وفي نظر المعرفييننفهاتان السيرورتان (الإدراكية والحركية) هما اللتان تربطان النظام (الإنسان) ببيئته، مما يوفر له معناها والتعاريف الإجرائية لرموزه.هذا النهج النظري الأساسي لا يدَّعي توفير وصف مثالي للواقع الملاحظ، فمن الواضح أن التمثيل الداخلي لمشهد حقيقي سيكون غير مكتمل للغاية، وقد يكون غير مناسب، مما يؤدي إلى أن الإجراءات قد تحقق أو لا تحقق النتائج المرجوة."(Vera & Simon, 1993)

ومن أهم مفاهيمها نجد:

- معالجة المعلومات: يعتبر المعرفيون الدماغ البشري نظامًا لمعالجة المعلومات شبيهابالحاسوب، فهم يدرسون كيفية إدراك المعلومات ومعالجتها وتخزينها واسترجاعها بالدماغ.
- البنياتالدماغية: إذ يفترض المعرفيون أن الدماغ البشري يحتوي على بنيات ذهنية معقدة، مثل الخطاطات والنماذج الذهنية والتمثلات الداخلية، التي تؤثر في كيفية معالجتنا للمعلومات واتخاذ القرارات.

- الوظائف والسيرورات الذهنية: يدرس المعرفيون السيروراتالذهنية مثل الانتباه والإدراك والتفكير وحل المشكلات واتخاذ القرارات... لفهم كيفيةتأثير هذه العمليات في السلوك البشري.
- طرق الدراسة: حيث يستخدم المعرفيون طرقًا علمية صارمة لدراسة العمليات والسيرورات الذهنية بما في ذلك التجارب المضبوطة والاختبارات المعرفية والنماذج الرياضية وأدوات التصوير الدماغي.

ومن أهم رواد هذه المقاربة يمكن الإشارة إلى عالم النفس السويسري جان بياجيه (Jean Piaget)، مؤسس النظرية البنائية التي تركز على تطور الذكاء والتفكير لدى الأطفال خلال مراحل نموهم؛هيرمان إبنجهاوس (Hermann Ebbinghaus) الذي أسهم بأبحاث مهمة تتعلق بدراسة الذاكرة والنسيان وكيفية التعلم؛جورج ميلر (George Miller) الذي قدم نظرية العدد السحري الذي يُظهر كيف يتم تجميع وتنظيم المعلومات في مجموعات تحتوي على حوالي سبعة عناصر بالذاكرة القصيرة المدى؛ نعوم تشومسكي (Noam Chomsky) عالم النفس اللساني وصاحب النظرية التوليدية والتحويلية، والذي أسهم بشكل كبير في فهم عمليات تكوين وفهم اللغة؛ ألبرت إليس (Albert Ellis) وآرون بيك (Aaron Beck) اللذان ساهما بشكل كبير في تطوير العلاجات المعرفية السلوكية للاضطرابات النفسية؛ ماكس فريتمر(Max Wertheimer)، كيرت كوفكا(Kurt Koffka)و وُلفغانغ كوهلر (Wolfgang Köhler) اللذين نظروا في سيكولوجية الإدراك والتعلم والتفكير وحددا مجموعة من القوانين والمبادئ المرتبطة بالمقاربة الجشطالتية على أساس أن تعلم الأفراد لا ينتم إلا بإدراكهم لذواتهم وتحديد الهدف من تعلمهم؛ جيري فودور (Jerry Fodor)الذي جمع بين النظرية التمثيلية للذهن والنظرية الحاسوبية الكلاسيكية معتبرا النشاط الذهني متضمنا لحوسبةللغة الفكر، إذ تخزن الحاسوبية الدماغية الرموز الذهنية في مواقع الذاكرة وتعالج هذه الرموز وفقاً لقواعد ميكانيكية...وغيرهم كثير. وقد أسهم هؤلاء الرواد المعرفيون في علم النفس في تطوير هذا المجال ووضع الأسس لدراسة العمليات الذهنية الباطنية وتأثيرها على السلوك الإنساني.

3. المقاربة الاقترانية« l'approche connexionniste »:ظهرت المقاربة الاقترانية بداية الثمانينات كمقاربة تربط بين الذكاء الاصطناعي والعلوم المعرفية، بحيث تحدّت تقاليد المعرفية (le cognitivisme) بأخذ الدماغ بالحسبان ومكوناته من حيث البنية والوظيفة، ومحاولة فهم المعرفية (cognition) باستخدام شبكة الخلايا العصبية (les neurones)، كوحدات صغيرة يقترن بعضها ببعض أثناء الاشتغال بواسط النهايات أو المشابك العصبية (les synapses) على اعتبار أن تشكل المعرفية(cognition)وعملية التعلم والإدراك هي نتيجة تنشيط وتفاعل وحدات المعالجة المتصلة المتمثلة في الخلايا العصبية الحية في الدماغ كما هو الأمر بالنسبة للحاسوب، كل وحدة تتميز بمتغير أو قيمة معينة تمثل مستوى تنشيطها وبقيمة معينة أخرى ثابتة تمثل عتبتها، فعندما تتجاوز الوحدة عتبة تنشيطها،

ينتشر هذا التنشيط تجاه وحدات أخرى باتباع الارتباطات والاقترانات الموجودة، وهذا يعني وجود دينامية داخلية بالنظام."إنه نموذج شبكي يفترض محاكاة عمل الدماغ (اقتراناتالخلايا عصبية واتصالها) أو كنموذج مملكة النمل"(Dortier, 2011).

أصبحت شبكة الاقترانات بذلك مجازًا للاجتماعي والتفاعل مع البيئة، وهو أمر ضروري لتشكل المعرفة والمعنى، هذا المعنى "يعتمد على الحالة الشاملة للنظام ويبقى مرتبطًا بالنشاط العام ضمن مجال محدد، مثل المعرفة أو التعلم" كما يشير إلى ذلكJ.F. Varela(F. J. Varela et al., 1993). وفي علاقة الاقترانية بالبيئة والعالم المحيط الذي هو مصدر تفعيل الخلايا والمشابك العصبية أو العُقد أو الوحدات يري D.Andler أنه "لا يوجد بالمعنى الدقيق تبادل أو معالجة للمعلومات، فالعالم الذي "يَعرِفُه" النظام يتشكل تدريجيًا، ويظهر معناه خلال تاريخ التفاعل بين النظام وبيئته(Andler, 1987).

ومن أهم المفاهيم المتداولة بهذه المقاربة نجد:

- شبكات الخلايا العصبية(réseaux des neurones): تستخدم الاقترانية شبكات عصبونات اصطناعية لمحاكاة السيرورات المعرفية. تتألف هذه الشبكات الاصطناعية من عُقد (nœuds) تسمى وحدات،متصلة ومقترنة فيما بينها بواسطة أوزان ناقلة،تمثل قوة الاقتران بين الوحدات.
- التعلم الموزع(apprentissage distribué) : على عكس النماذج المعرفية التقليدية التي تعتمد على التعلم الرمزي المبني على القواعد والتمثيلات الصريحة، تقترح الاقترانية التعلم الموزع،الذي يتأسس على تخزين المعلومات بطريقة موزّعة عبر اقترانات واتصالات الشبكة.
- التعلم عن طريق ضبط الأوزان(apprentissage par ajustement des poids): تتعلم شبكات العصبونات الاصطناعية عن طريق ضبطقوة الأوزان الناقلة وفقًا للمدخلات والمخرجات المفَعَّلة بالنظام. يتم غالبًا التعلم عن طريق الرجوع إلى مدى انتشارالغلط الواقع بالنظام، حيث يتم ضبط قوة الأوزان الناقلة لتقليل الفروق بين المخرجات الفعلية والمخرجات المرغوبة.
- المطواعية العصبية للدماغ (plasticité synaptique) : تستلهم الاقترانية قوانينها من المطواعية العصبية للدماغ البشري، أي قدرة الدماغ على إعادة تشكيل بنياته وارتباطاته العصبيةبتعزيزها وتطويرها أو ضعفها استنادًا إلى النشاط العصبي وتأثره بالعوامل البيئية والتعلم.

وقد شهدت هذه المقاربة مساهمات هامة من قبل العديد من علماء النفسومن بين أهم روادها:

دونالد هيب (Donald Hebb) الذي يُعتبر واحدا من أهم مؤسسي المقاربة الاقترانية، حيث اقترح قاعدة التعلم المعروفة ب"القاعدة هيب" (larègle de Hebb) ، فوفقًا لهذه القاعدة، تزداد قوة الاتصالات بين العُقد عندما تُنشّط هذه الأخيرة معًا بشكل متكرر؛ وارين ماكولوش ووالتر بيتس (Warren McCulloch & Walter Pitts) اللذان اخترعا نموذجًا مبدئيًا للعصبون الاصطناعي عام (1943)، وقدموا نظرية رياضية للعصبون الاصطناعي أثناء عمليتي التنشيط والكبح؛ فرانك روزنبلات (Frank

(Rosenblatt المعروف بتطوير "القرص المرن" (Perceptron) في عام (1957)، وهو نوع من شبكات العصبونات الاصطناعية؛ دافيد روميلهارت وجيمس ماكليلاند (David Rumelhart et James McClelland)اللذان عملا معًا على النموذج الاقتراني المؤثِّر المعروف باسم "المعالجة الموزعة الموازية"(Parallel Distributed Processing)، تم تقديم هذا النموذج في كتابهما المرجعي "المعالجة الموزعة الموازية: استكشافات في البنية الدقيقة للمعرفية" (Parallel Distributed Processing: Explorations in the Microstructure of Cognition) والذي نُشِرَ في عام (1986)...

4. المقاربة الانبثاقية« l'approche d'énaction »:كما أشرنا إلى ذلك أعلاه، الانبثاقية مقاربة معرفية حديثة ومعاصرة في حقل السيكولوجيا، كانت بداياتها سنة 1990 لواضعها FranciscoVarela ، وهي مقاربة تعارض النماذج والمقاربات السابقة وتتجاوزها ابستمولوجيا. ونقصد بالانبثاقية « énaction »ما يلي: هي من فعل «énacter» باللغة الفرنسية وهيمشتقةأيضا منالفعل « acter»الذييعنياتخاذالقرارللقيامبالفعل،إذنهيأفعال «actes» صادرةعنالفردداخلياً.

مقاربة واعدةفيالعلومالمعرفية عامة والسيكولوجيا تحديدا،مستمدةمنالفينومينولوجيا، يقول Francisco Varela: "إن الباحث في العلوم المعرفية المنجذب نحو الفينومينولوجيا، إذا ما فكر في أصل المعرفية(la cognition)، يمكنه التفكير على النحو التالي: كل ذهن يستيقظ في عالم، لم نصمم عالمنا، نحن ببساطة نجد أنفسنا فيه؛ نستيقظ في ذواتنا وفي نفس الآن في العالم الذي نسكنه. نبدأ في التفكير حول هذا العالم بينما نكبر ونعيش. نفكر في عالم لم يُصنع، ولكن تم العثور عليه؛ في حين أنه من خلال بنيتنا، نستطيع التفكير في هذا العالم. لذلك، نجد أنفسنا أثناء التفكير وسط دائرة: نحن في عالم يبدو أنه كان هنا قبل أن يبدأ التفكير، ولكن هذا العالم ليس منفصلًا عنّا"(F. J. Varela et al., 1993). وهنا تظهر بجلاء علاقة الجسم بالبيئة والعالم ، وربط ذلك بالدماغ من خلال الاستناد إلى "نظريةالفوضى (la théorie de chaos)أوالمعروفةب (Effet papillon) ،حيث أن الاقترانات المشبكية العصبية تعمل وفق نشاط فوضوي لكنه منظم في نفس الآن

(une activité chaotique)،تكشف عن انتظام وقدرةعلى التغيرالسريع والشامل،تتوافق وتلك الت يتُميزالفكرالإنساني، حيث أنها تربط تشكل المعرفية وأنماط السلوك بالجسم والبيئة.

فوفقًا لهذه المقاربة، يتم تفسير المعرفية البشرية باعتبار الإنسان كائن حي منغمس في بيئةٍ تمكِّنه من بناء معرفته بها من أجل التأثير فيها. فكل معرفة هي منبثقة (énactée)، بمعنى أن المعرفة تنشأ من حقيقة أن بيئتنا لا تنفصل عن جسمنا، هذا الجسم التي يحتوي دماغنا كجهاز أو كنظام ديناميكي دائم التغير. وبالتالي ، فإن قدراتنا المختلفة لا تنفصل عن أجسادنا وتجربتنا المعيشية، مما يسمح لنا بفهم وإعطاء معنى لعالمنا. في المقاربة الانبثاقية، تعد التجربة المعيشية (l'expérience vécue) محركًا

حقيقيًا لتشكل المعرفة بالاستناد إلى الأساس الفسيولوجي العام الذي يتضمن تاريخ حياة الفرد، فالفرد يحدد نفسه في نفس الآن الذي يحدد فيه بيئته، وبالنتيجة فأفكارنا في تأثر دائم بجسمنا وبالبيئة التي نتواجد بها.

- أهم مفاهيم المقاربة الانبثاقية تتمثل في:

- الفينومينولوجيا (la phénoménologie) : كمدرسة فلسفية، يُعرِّفهاإدموند هوسرل (Edmund Husserl)، بأنها العلم الذي يدرس خبرة الوعي، خبرته بالأشياء، وخبرته بذاته؛ وفي علاقتها بالمقاربة الانبثاقية فهي تؤكد على أهمية مراعاة السياق والبيئة في دراسة المعرفية (la cognition)، وكذلك ضرورة الأخذ بعين الاعتبار للأبعاد الجسدية والإدراكية للتجربة الإنسانية الذاتية. وهي بذلك تقترح فهمًا أكثر شمولًا وتكاملاً للمعرفية (la cognition)من خلال مراعاة تعقيد التفاعلات بين الفرد وبيئته.
- الدماغ، الجسم، والبيئة(cerveau, corp et environnement): تُولِي المقاربة الانبثاقية أهمية بالغة للتفاعل الديناميكي بين الدماغ والجسم والبيئة. فالدماغ ليس كيانا أو عضوا معزولا، بل بدلاً من ذلك فهو جزء أساسي ضمن نظام معقد يؤثر ويتأثر بالجسم والبيئة. ويلعب الجسم بما له من قدرات حس-حركية، دورًا نشطًا في كيفية فهمنا لبيئتنا وتفاعلنا معها، فجسمنا وحواسنا ليسا مجرد أدوات بسيطة لإدراك العالم، بل هي جزء لا يتجزأ من طريقة تفكيرنا وفهمنا. وبالمثل، توفّر البيئة والسياق مختلف الموارد الأساسية لتشكيل إدراكنا وسلوكنا. وبذلك، تنبثق المعرفية (la cognition) بشكل نابع من التفاعلات المستمرة والديناميكية بين الدماغ والجسم والبيئة، وهذا الترابط يخلق واقعًا إدراكيًا فريدًا خاصا بكل فرد.
- التخلق الذاتي (autopoïèse)والتنظيم الذاتي الآلي (auto-organisation):التخلق الذاتي (autopoïèse)مفهوم تم تطويره من طرف Francisco Varelaو Humberto Maturana بداية السبعينات من القرن الماضي كامتداد لما توصل إليه كل من Gregory Bateson، Ludwig Wittgenstein

وPaul Weiss من خلال مصطلح الإنتاج الذاتي(notion d'autoproduction)، وهو مفهوم مستمد من المكانة المركزية الممنوحة للأصل البيولوجي للكائن المعرفي والمستقل؛ حيث يُنظَر لأنظمة الكائنات بما فيها الجهاز العصبي والجهاز المناعي مثلا (ومفهوم "جهاز" في جسم الإنسان يعني الجاهزية للعمل الذاتي واللاإرادي) على أنها قادرة على خلق وإنشاء وإعادة إنتاج مكوناتهاوعملياتها الداخلية نفسها بنفسها بشكل مستمر للحفاظ على اتساقها واستقلاليتها، من خلال التفاعل الديناميكي بين الدماغ والجسم والبيئة، حيث تساهم العملية الإدراكية نفسها في الحفاظ المستمر على هذا التخلّق الذاتي كنظام مستقل، وبهذا ترتبط كل من الحياة والمعرفية (la cognition)بصورة وثيقة.وبالتالي ، فهذا المفهوم يفتح آفاقًا جديدة لاستكشاف طبيعة انبثاق الذكاء والوعي كخصائص ديناميكية وذاتية

التوليدللحياة(autogénératives).كما أن التنظيم الذاتي الآلي(auto-organisation)يُمَكِّنُ الأنظمة من التكيّف والاستجابة لتغييرات بيئتها، في الوقت نفسه يُحافِظُ على تماسك مكوناتها وثباتها الداخلي.

- التجربة الذاتية المعيشة (l'expérience subjective) : مفهوم مهم أيضًا في المقاربة الانبثاقية لصاحبهاFrancisco Varela؛ويشير هذا المفهوم إلى الطريقة التي يعيش بها كل فرد ويدرك العالم بطريقة فريدة وشخصية تختلف عمن سواه، استنادًا إلى تجاربه وعواطفه ومعتقداته وتفاعلاته مع بيئته. فالتجربة الذاتية مُجَسَّدة بشكل عميق في التفاعلات الحس-حركية للكائن الحي مع بيئته، وبالتالي فالسيرورات المعرفية والإدراكية لا تنتج بطريقة منفصلة وموضوعية، بل تتأثر بالتجارب الذاتية للفرد. بمعنى أن التجربة الذاتية لا يمكن فهمها بشكل مستقل عن السياق البيئي الذي تحدُث فيه،فالطريقة التي يدرك بها كل فرد ويعطي معنى لبيئته ترتبط ارتباطًا وثيقًا بتفاعلاته معها، وأيضًا بذكرياته ودوافعه وعواطفه. وهذا المُعطي يشكل تحديًا لفكرة وجود واقع موضوعي ومطلق، وبدلاً من ذلك يؤكد على الطبيعة الخاصة الفردية وكيفية بناءهذه التجربة الإنسانية الذاتية، لأن كل فردهو فاعل نشِط في بناء واقعه الخاص وفهمه للعالم والمحيط.

- الانبثاق (émergence) :يشير الانبثاق إلى السيرورة التي تنشأ وفقها خصائص أو بنيات جديدة أو سلوكات في نظام معقد نتيجة لتفاعلاته الديناميكية مع البيئة. هذا المفهوم هو أحد أركان المقاربة الانبثاقية في العلوم المعرفية وفلسفة الذهن.تنبثق السيرورات الذهنية بشكل مُجسد في العالم المادي، بفضلالحلقاتالمستمرة(les boucles)للفعل من جهة والإدراك من جهة أخرى بين الكائن وبيئته، بحيث تؤثر أفعال الكائن وتفاعلاته مع العالم الخارجي على إدراكه، بينما يؤثر هذا الأخير في أفعاله المستقبلية، ومن خلال هذه العمليات التفاعلية يمكن أن تنبثق خصائص جديدة وغير متوقعة، تتجاوز خصائص العناصر الفردية لكل مكون من مكونات النظام.يعترف نشاط الانبثاق بفكرة أن الكل أكثر من مجرد مجموع أجزاءه،فالخصائص المنبثقة لا يمكن اختصارهافي أجزاءالعناصر المكونة لها، لأنها نتيجة للتفاعلات الديناميكية بين هذه العناصر ويمكن أن تكون هذه الخصائص المنبثقة عبارة عن سلوك جماعي (كما في مملكة النحل أو مستعمرات النمل بتفاعل الكائنات التي تتبع قواعد بسيطة دون وجود قيادة مركزية)، أو أنماط تنسيق، أو سيرورات معرفية... أكثر تعقيدًا. الانبثاق يساعد على فهم أفضل لكيفية ظهور خصائص جديدة ومكيَّفة في أنظمة معقدة متفاعلة بشكل دائم مع بيئتها، ويقدم نظرة شاملة لكيفية تشكل المعرفية والوعي، واللذان ينبثقان بشكل موزَّع من خلال التفاعلات بين الكائن ومحيطه، بدلاً من أن تكون متمركزة فقط في دماغ أو ذهن فرد بمعزل عن بيئته.

- الاقتران (le couplage) : هو مفهوم آخر أساسي في المقاربة الانبثاقية؛ويشير هذا المفهوم إلى فكرة أن الكائنات الحية لا تتفاعل مع بيئتها بكل بساطة فقط، بل إنها مشتركة ومتربطة ارتباطًا وثيقًا معها. يعني ذلك أن الحدود بين الكائن وبيئته ليست واضحة، بل يشكلان نظامًا متداخلا وديناميكيًا.في هذا

السياق، يؤكد مفهوم الاقتران على أن الكائن وبيئته يتفاعلان كنظام معقد ويتأثران بعضهما ببعض، إذ تنبثق السيرورات المعرفية والسلوكية من هذه العلاقة الديناميكية بين الكائن ومحيطه.يمكن الإشارة إلى وجود مستويات مختلفة للاقتران، بدءًا من التفاعلات الحسية-الحركية للكائن مع بيئته المباشرة، وصولاً إلى التفاعلات الاجتماعية والثقافية المعقدة. على سبيل المثال، في حالة فرد يتفاعل مع أداة (شخص فاقد للبصر يستند إلى عصى لتلمس الطريق)، يتجسد الاقتران هنا في الطريقة التي يتكيف بها هذا الفرد ويقترن مع الأداة لأداء مهمة محددة بحيث تصبح الأداة امتدادا لجسمه ومنه دماغه وما تبع ذلك من تعديلات في بنيته أو تعويض. كما أن هذا المفهوم يضع موضع تساؤل المفهوم التقليدي للذهن المعزول والمنفصل عن بيئته، فعوض اعتبارالذهن مقيدًا بشكل صارمبالدماغ، تبرز أهمية التفاعل المستمر بين الكائن ودماغه وجسده وبيئته في تشكيل المعرفية والسلوك.

- أهم خصائص المقاربة الانبثاقية:

تتمثل أهم خصائص المقاربة الانبثاقية والتي تُعتبر تعريفا وشرحا لها في خمس نقاط أساسية كما قدمها Francisco Varela، وسنعرض لها بشكل مقتضب ما دمنا قد فصّلنا القول في أهم مفاهيمها من خلال الفقرة أعلاه وهي كالآتي:

1.تعتبرالمقاربة الانبثاقية المعرفية (la cognition) هي ممارسة "معرفة الفعل" بواسطة كائن مُتجسد (incarné) ومُموضع (situé)داخل البيئة.

2. المعرفية مُجسَّدة في جسم يحتوي على جهاز عصبي، والذي هو جهاز ديناميكي قادر على توليد أنماط النشاط المتناسقة والحفاظ عليها.

3. العالم، ليس شيئا خارجيا أو مُعطىً مسبق نتمثله داخليا. يتموضع عالم الكائن الإنساني وينبثق من خلال ما أسماه J.F. Varela "اقتران" (couplage) بين ما هو حسي-حركي لهذا الكائن مع البيئة التي يتموضع بها، بين الفعل والإدراك.

4. الأصل البيولوجي للأفراد المعرفيين المستقلين: حيث ننظر للكائنات الإنسانية على أنهم فاعلون يتوالدون ويتكاثرون ذاتياً. أي "التخلُّق الذاتي (l'autopoïèse) "وهو قدرة نظام أجهزة الإنسان على تخليق ذاتها ذاتياً بشكل دائم وبالتفاعل مع البيئة.

5. التجربة الشخصية المُعاشة (l'expérience vécu subjectivement) بوعي من طرف الكائن الإنساني ليست ظاهرة عرضية أو ذات "تأثير ثانوي" على السيرورات المعرفية الغير واعية وإنما هي شيء مركزي ضمن ملكاتنا المعرفية.

-المقاربة الانبثاقية ونقدها للمقاربات الكلاسيكية:

إذا كانت السلوكية هي تلك المقاربة التي تركز على دراسة السلوك القابل للملاحظة والقياس وتتجاهل السيرورات الذهنية الداخليةالتي لا يمكن ملاحظتها لصعوبة اقتحام الدماغ؛ والمعرفية تركز على

دراسة السيرورات الذهنية مثل الإدراك والذاكرة والتفكير وحل المشكلات بالاستناد إلى الرموز والتمثلات من خلالها تحويل المدخلات الحسية ، معالجتها، تخزينها واسترجاعها وقت الحاجة؛ الاقترانية التي تعتمد نمذجة الذهن على أساس وظيفة الشبكات العصبية والاقترانات العصبية استنادا إلى فكرة أن المعرفة يتم تمثيلها بواسطة روابط ذات أوزان بين الوحدات، بدلاً من الرموز المجردة؛ فإن المقاربة الانبثاقية تركز على التفاعل بين الكائن وبيئته في بناء المعرفية (la cognition)، ولا تعتبر هذه الأخيرة نشاطًا ذهنيا منعزلًا، بل هو تفاعل نشط وديناميكي بين الكائن، دماغه، جسمه وعالمه المحيط.

وقد تجاوزت المقاربة الانبثاقية المقاربة السلوكية، من خلال اعتماد هذه الأخيرة على اختزالوتقليص تعقيد التجربة البشرية في السلوك الملاحظ والقابل للقياس، وإغفال الجوانب الداخلية والذاتية للذهن، كالأفكار والعواطف والسيرورات المعرفية، التي تلعب دورًا حاسمًا في كيفية تصورنا وتفاعلنا مع العالم؛ كما أن السلوكية عملت على تجاهل السياق والبيئة، وضرب عرض الحائط لأهميتهما البالغة في تشكيل المعرفيةوالسلوك. بدلاً من ذلك، تركيز المقاربة الانبثاقية على التفاعل المستمر بين الفرد وبيئته، حيث ينظر إلى السلوك على أنه انبثاق لهذا التفاعل الديناميكي؛

فيما يتعلق بانخراط الجسم، فالسلوكية تعتبر السلوك في كثير من الأحيان على أنه استجابات لمحفزات ومثيرات خارجية، دون أن تأخذ بالحسبان للدور الأساسي للجسم وانخراطه في تشكيل المعرفية (la cognition)والفعل، لذا تشدد المقاربة الانبثاقية على أن الدماغ جهاز داخل الجسم يتفاعلان بينهما بشكل دائم، وأن كل الأفعال والسلوكات يتشكلان من تفاعلات بين الجسم الذي يحتوي الدماغ والبيئة؛ من جهة أخرى فالمقاربة السلوكية تركز ا بشكل أساسي على التعزيز والعقاب كمحركات وموجهات للسلوك، ولكن هذا قد لا يكفي لشرح تعقيد الدوافع البشرية، بينما تُقرُّ المقاربة الانبثاقية بدلاً من ذلك على أن السلوك تتحكم فيه سيرورات الاستقلالية والانبثاق، وأن الدوافع تنبع من التفاعلات بين الفرد وبيئته؛ زد على ذلك أن السلوكية في كثير من الأحيان، تفضل مقاربة الفرد منهجيًا بشكل فردي وأحادي، بعزل الأفراد عن التفاعلات الاجتماعية والثقافية التي تشكل سلوكهم، في حين أن المقاربة الانبثاقية تأخذ بعين الاعتبار دور السياق الاجتماعي والثقافي في تشكيل المعرفية والسلوك.

تنتقد المقاربة الانبثاقية المقاربة السلوكية من خلال التأكيد على أهمية المعرفية المتجسد، والتفاعل مع السياق البيئة، وتعقد الدوافع والمحفزات البيئية والبشرية،وهي بذلك تركز علىالفهم الشمولي والسياقي للسلوك، متجاوزةً بذلك حدود السلوكية التي تركز بشكل أساسي على السلوك الملاحظ وسيرورات التعلم.

بخصوص المقاربة المعرفية، التي قارنت الدماغ وتشكل المعرفية (la cognition) بجهاز الحاسوب واعتماد التمثلات والرموز تثير إشكالية في المقارنة نفسها: حيث يعمل الحاسوب على أساس معالجة الرموز التي ليس لها أي ارتباط بما تمثله أو ما يتم معالجته، في حين أن ما يتم معالجته يؤدي إلى التفرقة بين الجهاز (hardware) والبرنامج(software) ؛ وبعبارة أخرى، فإنهاتعتبر أن بيولوجيا الدماغ

(الجهاز) والمعرفية (البرمجيات) مستقلان. في الواقع، هذه التفرقة بين الجهاز والبرمجيات هي التي تؤدي إلى المشاكل التي نواجهها في التمثلات. فإذا كان الجسم والذهن منفصلين بشكل أساسي، فكيف يمكن للذهن أن يستوعبالمفاهيم التي هي خارجية عنه؟ إذ أن العلاقة بالجسم تشبه العلاقة بالعالم الخارجي، فمن الضروري اللجوء إلى عملية التحويل التي تسمح بترجمة الخارج إلى الداخل وكذلك ترجمة الداخل إلى الخارج، وبالتالي فإن اللجوء إلى مفهوم التمثلات يظلقاصراً عن شرح هذه العلاقة.

إن المقاربة المعرفيةتفترض أن العالم موضوعي، وأن المعرفيةتعيد تركيب خصائصهاالموضوعية بدرجات متفاوتة من الأمانة للواقع بفضل استخدام التمثلات الداخلية، وأخيرًا أن مفهوم "الذات" منفصل عن العالم الخارجي وأن هذه الذات تقوم بعمليات المعالجة المعرفية بشكل مستقل. فعلى النقيض من ذلك ، فإن مفهوم السياقية (la contextualisation) الذي اقترحه Francisco Varela(1993، 1995، 1996، 1988و1997)،جاء لدحض مفهوم التمثل، وعندما نقول السياقية، فإننا نعني التجربة الذاتية المعيشة، أي أننا نرى المعرفيةفي ارتباط وثيق مع البيئة: إنها متجسدة ومموضعة. حيث أدى تأصيل هذا الارتباط إلى لفت الانتباه إلىانبثاق البنيات المعرفية من خلال السيرورات المجسدة انطلاقا من التاريخ والأحداثالمتواترة للتفاعلات بين الفرد وبيئته، وهذا ما أ سماه Varelaب "التخلق الذاتي"(l’autopoïèse)، وهي كما أشرنا إليه أنفا، قدرة الجهاز على خلق وتنظيم وإعادة تنظيم نفسه بنفسه .

إذا كان الإدراك قادرًا على توجيه الفعل، فإن الإدراك أيضًا قادر على إدراك الوضعية الحس-حركية التي ترتبط بالفعل، هذا الفعل بدوره يؤثر على الإدراك (الحس- الحركية هي تغذية راجعة حركية دائمة الدينامية). وبذلك، لم يعد بإمكاننا اعتبار ما هو مُدرك في شكل حدث أو شيء مستقل عن السيرورات الإدراكية، بل بناءً على طبيعة الوضعية الحس-حركية بنظام الإدراك : نحن ندركالطريقة التي نعالج بها المعلومات. وفقًا لـ بروكس(Brooks, 1991)، فإن العقبة الرئيسية التي تواجهه البحث في الذكاء الاصطناعي هي أن التمثل ليسوِحدة التجريد الصحيحة في بناء أجزاء النظام الذكي المتطورة، لنمذجة النظام المعرفي يتوجب تعليمه كيفية معالجة المعلومات.

إنالإنسان كائن غير قابل لاختزاله إلى مجرد دماغ معزول بجوار عالم خاص به، نحن كيانات ديناميكية مرتبطة باستمرار ببيئتنا(Cosmelli & Thompson, 2010)،فالبيئة عنصر أساسي من عناصر النظام المعرفي، وبالتالي فإن المعرفية لا تعمل على معالجة تمثلات العالم الخارجي، ولكن تعالج الصلة المباشرة بين الفرد والبيئة والتيهي في حد ذاتها معلومات مادية ملموسة (F. Varela, 1995)، وبالتالي، يجب أن تكون هناك قطيعة تامة بين المقاربة المعرفية والمقاربة الانبثاقية، حيث يجب رفض العلاقة العشوائية التي تنص عليها الأولى بين الموضوع والذات والرموز ، ورفض مفهوم التمثل برمته،

ويضيف Varela بالقول : "...لا يلعب التمثل دورًا رئيسيًا بعد الآن، و"الذكاء" لم يعد يُعرَّف بأنه القدرة على حل المشكلات، بل هو القدرة على اختراق وولوجالعالم المشترك" (F. Varela, 1996).

ظهرت انتقادات متعددة التخصصات للمقاربة الاقترانية، تسلط الضوء على مستوى التجريد (الرمزي) للفكر والمعرفة، وطلبت بدمج الجسم بشكل أكثر وضوحًا في هذا النهج، وبالأساس عمل الدماغ، من خلال استبدال الحاسوبية الرمزية للمقاربة المعرفية بالعمليات الرقمية، أي استبعاد الرموز، كما هو مفهوم من قِبَل المقاربةالمعرفية. نعم، قدمت الاقترانية لمفهوم دينامية الدماغ، لكنها لم ترقى إلى إدراج العوامل الخارجية المؤثرة في عمله من قبيل البيئة والسياقات الاجتماعية والثقافية. لكن المقاربة الانبثاقية، من خلال مسارها الخاص، تعيد بشكل واضح إدماج العوامل الاجتماعية والثقافية والتاريخية والعاطفية التي تم تجاهلها في الغالب بالعلوم المعرفية كمكونات مُشكِّلة للمعرفة، وبذلك فهي تُخصص دورًا أساسيًا للروابط مع البيئة،"الكائنات الحية وبيئاتها تتمركز في علاقة بعضها ببعض من خلال تحديد بعضها ببعض أو ترميزهما بعضهما ببعض"(F. J. Varela et al., 1993).

ومن أهم الانتقادات التي وُجهت للاقترانية، نجد عدم وضعف قابلية وصف وتفسير عمل شبكات العصبونات الاصطناعية ، لأن قراراتها في تشكل المعرفية وتفسير السلوك غالبًا ما تستند إلى عمليات موزعة،يصعب شرحها بشكل بديهي؛زيادة التعلم، حيث قد تكون شبكات العصبونات عُرضة لمشكلات التعلم المفرط، بحفظ الأمثلة التدريبية بشكل جيد، كما لا يمكن تعميم هذا التعلم علىالمعطيات والسياقات الجديدة؛ وأخيرا نقص الفهم المعرفي، لأنه وبالرغم من أن شبكات العصبونات الاصطناعية يمكن أن تحقق أداءً مميزًا في بعض المهمات، فإنها في كثير من الأحيان لا توفر فهمًا واضحًا للآليات المعرفية الأساسية الكامنة وراء تحقيق هذه المهمات.

وفي هذا السياق، تكون البيئة عمومًا مجالًا لعمليات الإدخال/ الإخراج أو المحفز/ الاستجابة، والظاهرة أو الفعلينبثق عن، أو يتشكل من نمط وزنالمشابك العصبية الذي يتطور بناءً على القيود المفروضة من هندسة هذه الشبكة العصبية؛هذه الشبكة التي يمكن تشبيهها بالعلاقة الجدلية الكلاسيكية (الجسم والدماغ/ الفطري) في تفاعله مع البيئة (السياق/ المكتسب) (Jorand, 2006)؛وهنا نقول بناء على الأسس التي تستند عليها المقاربة الانبثاقية، أن مسألة الفطري والمكتسب أصبحت تشكل كلاً واحداً، لا يمكن أن يستغني أحدهما عن الأخر، فجزء كبير من الدماغ فطري ووراثي يتمثل في الخلايا العصبية والمحاور التي تمتد هنا وهناك لتتواصل الخلايا فيما بينها، المشابك العصبية، الخلايا الداعمة، المهاد، تحت المهاد، اللوزية، قرن آمون...إلخ ، وكذا البيئة والتجربة الذاتية التي تتدخل لتشكيل هذا الدماغ وتعديله كمعطيات يتم تعلّمها واكتسابها. فكلنا نولد بقدرات معينة مبرمجة في جيناتنا وبنية أدمغتنا وهذا هو حظ سحب "اليانصيب"، لكن كيفية ترتيب أفكارنا وخبراتنا وتمثيل المستقبل هي أشياء تقع ضمن تحكمنا الكامل وفق ما يتيحه لنا الجسم والبيئة التي نعيش فيها ومدى تأثيرنا فيها وتأثُّرنا بها؛ كتب تشارلز داروين

(Charles Darwin)مرة يقول: "لقد قلت دوما إنه عدا الأغبياء، فإن الناس لا يختلفون كثيرا في الذكاء، إنهم يختلفون فقط في الحماس والعمل الجاد"(Gould et al., 1997).فالدماغ بذلك يستطيع إعادة تنظيم بنياته وخلق اقترانات جديدة على مستوى مشابكه تحت تأثير التجربة الذاتية والبيئة المحيطة. والحقيقة المثيرة والمخيفة للحياة هي أننا لا نحتاج إلى المشاركة بنشاط في مهمة تدريبية محددة من أجل أن نغير عقولنا، فذلك سيحدث على كل حال نتيجةً للتجارب التي نمتلكها وللبيئة التي نتواجد بها، تكتبGreenfieldعنSharon Begley في كتابها "العقل اللدن" « The Plastic Mind »: "المشابك العصبية الجديدة، وهي الوصلات التي تربط بين العصبون والآخر، هي التعبير المادي عن الذكريات. وبهذا المعنى، فإن الدماغ يخضع لتغيُّر مادي مستمر... يعيد الدماغ صنع نفسه طوال الحياة، وذلك استجابة للمثيرات الخارجية لبيئته ولتجاربه" (Greenfield, 2015)

الإشكالية الأساسية للانبثاقيةتتمثل فيالاهتمام والتركيز علىالتجربة الذاتية المعيشة كون المعرفية والاقترانية لم تتمكنا من تفسيرها. بعبارة أخرى، تتموقع الانبثاقيةهنا كدراسة فينومينولوجية للتجربة المعرفية. بالإضافة إلى ذلك، يُتيح لنا مفهوم "التخلق الذاتي" الذي استخدمه Varela تجاوز افتراضات الاقترانية، بحيث تُعرَّف الأنظمة ذات التخلق الذاتي بما فيها الدماغ بقدرتها على الاستمرار في الزمن وإعادة تشكيل بنياتها على الرغم من كل التعديلات التي تسببها المؤثرات التي تعتريها، سواء كانت تلك النظم تعاني من مؤثراتمن ذاتها أو من بيئتها. وبالتالي فالنظام (الدماغ) متعرض للتعديلات الدائمة التي يجب عليه أن يتكيف معها منالبيئة والنظام أيضا يؤثر في البيئة ويعدِّلها، مما يُظهر وجود علاقة جدلية للتأثير والتأثر بين الدماغ والجسم والبيئة كحلقة دائرية دائمة التفاعل،"لهذا السبب، يُشيرVarelaإلى وجود حلقات مغلقة، إذتوجد حلقة مغلقة داخلية حيث يتفاعل النظام مع بيئته، يتكيف مع تأثيرات بيئته، لكنه أيضًا يتفاعل معها بشكل نشط (Le Blanc, 2014).

خاتمة

يمكن إجمال القول من خلال كل ما قدمناه ، أنه على عكس المقاربة السلوكية التي تجاهلت العمليات الذهنية الداخلية، تركز المقاربة الانبثاقية على المعرفية المجسَّدة(la cognition incarnée) والتفاعل النشط والدائم بين الكائن وبيئته في تشكيل المعرفية؛في مقابل المقاربة المعرفية والاقترانيةاللتان تركزان على السيرورات الذهنية والتمثيلات المجردة بالنسبة للأولى، ونمذجة الذهن وفق الذكاء الاصطناعي وتشبيه الدماغ بالحاسوب بالنسبة للثانية، تُبرز المقاربة الانبثاقية فكرة أن المعرفية (la cognition)تنبثق من التفاعلات الديناميكية بين الكائن وبيئته في الزمن الواقعي المعيش، كما ترفض مفهومالمتمثلات الذهنية على حسابالمعرفية المموضعة (la cognition située)، حيث تُعتبر التجارب الذاتية و حضور متغير الجسم أمرين أساسيين في فهم كيفية تشكل المعرفية.

من خلال التركيز على التفاعل الدائموما ينبثق عنه في الاتجاهين معا سواء نحو الكائن أو نحو بيئته(la co-émergence)،تقدم المقاربة الانبثاقية منظورًا مبتكرًا يتجاوز المقاربات التقليدية في السيكولوجيا، كونها تعتبر الدماغ وعمله متجسدا ومموضعا في السياق، كما أنها تُصر على أهمية التجربة الذاتية ودور الجسم في تشكيل المعرفية. وبالتالي تعزز هذه المقاربة قوة الترابط والتفاعل المتبادل بين الكائن وبيئته، وبذلك توفر رؤية أكثر شمولية للمعرفية الإنسانية.

الاقتراحات والتوصيات :

تعتبر المقاربة الانبثاقية (l'approche d'énaction) مقاربة معاصرة، مُجدِّدة وواعدة يمكنها أن تثري الأبحاث العلمية والممارسات المهنية في مجال علم النفس،لذا نقدم اقتراحات وتوصيات موجهة للباحثين في مجال السيكولوجيا لأجل اعتماد المقاربة الانبثاقية أثناء إنجاز أبحاثهم، وكذا للممارسين ومهني المجال السيكولوجي بشتى فروعه لأجل الأخذ بعين الاعتبار للمتغيرات التي جاءت بها المقاربة الانبثاقية وتحديدا معطى الجسم، البيئة والسياق وأيضا التجربة الذاتية، لذا ونوصي بما يلي :

1. اعتماد المقاربة الانبثاقية في الأبحاث السيكولوجية سيسمح بتوفير رؤية أكثر ثراء واكتمالاً للظواهر النفسية، لأنها مقاربة تلامس مصادر وتخصصات متعددة تندرج ضمن ما يسمى بالعلوم المعرفية كعلم النفس، البيولوجيا، النورولوجيا، اللسانيات، الذكاء الاصطناعي...وباعتماد هذا التنوع، سيتمكن الباحثون من إغناء بحوثهم من خلال تناول الإشكالية من زوايا تحليل متعددة.
2. تبني المقاربة الانبثاقية سيمكن الممارسين في مجال علم النفس بشتى فروعه من فهم معنى الفعلبالنسبة للأفرادأثناء تفاعلهم المستمر مع بيئتهم، سواء "الأسوياء" أو ذوي الاضطرابات الذهنية.هذه المقاربة ستمكنهم من فهم كيف تتأثر سلوكات هؤلاء الأفراد واختياراتهم بالمعنى الذاتي المنسوبلتجاربهم الحياتية اليومية، وبالتالي فهم الظواهر النفسية في سياقها الحقيقي المعيش، وليس على نحو منفصل، ومنه تناول كل حالة على أنها حالة فريدة من نوعها ومختلفة عن شبيهاتها.
3. دعوة واضعي الاختبارات النفسية بالأخذ بعين الاعتبار لمتغيرات المقاربة الانبثاقية ومفاهيمها الأساسية من خلال عمل الدماغ، دور الجسموالبيئة، لأجل إعداد اختبارات أكثر دقة وتحديدا للاضطرابات النفسية الموجودة بالدلائل التشخيصية كالدليل الإحصائي والتشخيصي الخامس الذي وضعته الجمعية الأمريكية للطب النفسي(DSM 5) و التصنيف الدولي للأمراض (CIM 11)، الصادر عن منظمة الصحة العالمية (OMS).
4. الدعوة لتبني الباحثين والممارسين في مجال علم النفس للمقاربة الانبثاقية التي تربط بين الدماغ والجسم والبيئة، كونها تساهم بشكل فعال في فهم كيفية تكيُّف الأفراد وتعلمهم من بيئتهم، وكيف تؤثر السياقات في سيروراتهم الذهنية.

5. أهمية "المعرفية المُجسَّدة" المتمثلة في التجربة الذاتية وحضور متغير الجسم كعاملان متدخلان في بناء المعرفية والسلوك، من شأنها إعطاءالباحثين والممارسينفي الميدان فهما أكثر للجوانب الانفعالية والجوانب الحياتية المعيشية للأفراد بشكل أفضل، وبالتالي تطوير ممارسات أكثر تعاطفًا وملاءمة.

6. أهمية "المعرفية المموضعة" التي قالت بها المقاربة الانبثاقية، تمكن الباحثين والممارسين من تغيير زاوية رؤية دراسة الظواهر النفسية وطرق العلاج بالتخلي عن فكرة أن الدماغ وحده المسؤول عنها وإنما هي مرتبطة بالتفاعل الديناميكي والمستمر مع البيئة.

7. توفر المقاربة الانبثاقية آثارًا عملية في العديد من مجالات علم النفس، مثل التعليم والتربية، العلاج والتأهيل النفسي، وعلم النفس الاجتماعي... وباعتمادهايتمكن الباحثون والممارسون من تطوير تدخلات سياقية (contextualisées)أكثر فاعلية وفق ما هو اجتماعي وثقافي لمساعدة الأفراد على التكيف بشكل أفضل مع بيئتهم.

لائحة المراجع المعتمدة:

1. **البابديي, مولاي التهامي**. (2017). *الذاكرة قضايا وإشكالات من منظور العلوم المعرفية* (Noor Publishing).
2. **Andler, D.** (1987). Progrès en situation d'incertitude. *Le Débat*, *47*(5), 5-25. Cairn.info. https://doi.org/10.3917/deba.047.0005
3. **Briglia, J.** (2017). *De l'énactivisme appliqué à la mémoire humaine : Athena, un modèle fractal de covariances sensorimotrices*. Université Paul Valéry-Montpellier III.
4. **Brooks, R. A.** (1991). Intelligence without representation. *Artificial Intelligence*, *47*(1), 139-159. https://doi.org/10.1016/0004-3702(91)90053-M
5. **Cosmelli, D., & Thompson, E.** (2010). Embodiment or envatment ? Reflections on the bodily basis of consciousness. *Enaction: Towards a new paradigm for cognitive science*, 361-385.
6. **Dortier, J.-F.** (2011). *Le cerveau et la pensée : Le nouvel âge des sciences cognitives*. Sciences humaines.
7. ***E49b8b60f72e5a0ec7defeb28d288092.pdf*. (s. d.).** Consulté 24 juillet 2023, à l'adresse https://lecerveau.mcgill.ca/flash/pop/pop_pres/II_COURS_5%20(6%20d%E9c%202011)%20-%20v3pdf.pdf

8. **Gould, S. J., Lemoine, D., & Blanc, M.** (1997). Darwin et les grandes énigmes de la vie : Réflexions sur l'histoire naturelle. *(No Title)*.

9. **Greenfield, S.** (2015). *Mind change : How digital technologies are leaving their mark on our brains*. Random House.

10. ***II_COURS_4** (22 nov 2011)—V2.pdf*. (s. d.). Consulté 24 juillet 2023, à l'adresse https://lecerveau.mcgill.ca/flash/pop/pop_pres/II_COURS_4%20(22%20nov%202011)%20-%20v2.pdf

11. **Jorand, O.** (2006). *Pour une évaluation des approches connexionnistes de la construction des concepts*. Thèse d'habilitation, Université de Fribourg, Faculté des Lettres.

12. **Le Blanc, B.** (2014). Francisco Varela : Des systèmes et des boucles. *Hermès*, *1*, 106-107.

13. **Masciotra, D., Roth, W.-M., & Morel, D.** (2008). *Énaction. Apprendre et enseigner en situation*. De Boeck Supérieur; Cairn.info. https://www.cairn.info/enaction-apprendre-et-enseigner-en-situation--9782804159139.htm

14. **Miljkovitch, R., Sander, E., & Morange-Majoux, F.** (2017). *Traité de psychologie du développement*. https://univ-paris8.hal.science/hal-02113554

15. **Varela, F.** (1995). The emergent self. *The Third Culture; Beyond the Scientific Revolution. New York Simon & Schuster*.

16. **Varela, F.** (1996). *Invitation aux sciences cognitives: Vol. Sciences* (P. LAVOIE, Trad.; Seuil).

17. **Varela, F.** (2017).*Le Cercle créateur , Ecrits (1976-2001): Vol. Sciences humaines* (C. V. Amy, Trad.; Seuil).

18. **Varela, F., Thompson, E., & Rosch, E.** (1993). *L'Inscription corporelle de l'esprit Sciences cognitives et expérience humaine: Vol. 1 vol.* (V. Havelange, Trad.; Points).

19. **Vera, A. H., & Simon, H. A.** (1993). Situated action : A symbolic interpretation. *Cognitive Science*, *17*(1), 7-48.

20. **Weil-Barais, A., Dubois, D., Nicolas, S., Pedinielli, J.-L., & Streri, A.** (2011). *L'homme cognitif* (2e édition). Presses Universitaires de France - PUF.

مخرجات التحول من اللوحة الثابتة الى الصورة الرقمية في الفن التشكيلي المعاصر

أ.م.د.ندى عايد يوسف
قسم التربية الفنية - كلية التربية الأساسية
الجامعة المستنصرية
hirabosh99@yahoo.com
009647710583898

الملخص:
منذ إطلالة القرن العشرين والعالم الفني يشهد تحولات وانزياحات تتجه نحو تجديد أنظمة فنية تعبر عن وجهة نظر مبدعيها، وتحدد مسارات نسقية ترتبط بالتنوع الثقافي الذي شهدته الساحة الفنية، نتيجة دخول نخبة من الشعراء والمنظرين والكتاب في تجمعات مع الفنانين والولوج في حوارات ثقافية، كان من شأنه إثارة التساؤلات والبحث عن الحلول عن طريق رفض الخط التشكيلي، وتكوين نسق مغاير يعكس الإشكالات الاجتماعية والثقافية الجديدة. فكانت ولادة الانطباعية التي منحت موقعا لتحدي كل ما هو مألوف،وتأكيد ما هو مرفوض.إذ بدأ ذلك مع صالون المرفوضات الذي يعد "نقطة تحول في تاريخ الفن يتحدد بفضله أنسب موعد لبدء تاريخ الفن الحديث" . فظهرت أعلام مشاكسة كانت السبب في إحداث مقدمات من الجدال الفنيبدأ مع ظهور الكاميرا الفوتوغرافية وصولا إلى الشاشة الرقمية التي ترافقت مع التطورات العلمية والتكنولوجية وصولا إلى المعلوماتية، المؤطرة بمسميات عصور الحداثة، وما بعد الحداثة،وبعد مابعد الحداثة، وصولا إلى العصر الرقمي.
وبناء على ذلك يناقش البحث أبعاد العلاقة التي تربط الفن المعاصر بالمخرجات المعاصرة ودراسة التأثير المتبادل بينها. بمعنى أن الخطاب الثقافي الجديد المرتبط بالوسائط والنظم المعرفية المجاورة، ادى الى انزياح مفاهيم الفن. كما أن موضوع البحث لا يتعامل مع الرسم بوصفه فناً يعتمد معايير ثابتة؛ بل بالكشف عن مواطن التجديد والتحول المتتالي في أنساقه .
ونتيجة لتلك الإشكالياتيهتم البحث بقراءة التحولات النسقية في فن الرسم والتشكيل المعاصر قياسا إلى القيمة الجمالية، المنبثقة من الوسائط والتقانات المؤثرة على تلك التحولات. لذلك جاءت هذه الدراسة بعنوان (مخرجات التحول من اللوحة الثابتة الى الصورة الرقمية في الفن التشكيلي المعاصر(
حيث تضمنت المقدمة الوقوف على مشكلة البحث بغية رصد المتغيرات العالمية للفن، لاكتشاف موقع التشكيل في تلك المنظومة. فضلاً عن تسليط الضوء على العلاقة التواصلية بين العمل الفني وجمهور المتلقين والمخرجات الفنية المعاصرة.
أما أهداف البحث فتتلخص بالآتي:
1. الكشف مخرجات التحول من اللوحة الثابتة الى الصورة الرقمية في الفن التشكيلي المعاصر.
2. التعرف عن الأساليب الفنية التي تقترحها المخرجات الجديدة.

الكلمات المفتاحية: التحول، اللوحة الثابتة، الصورة الرقمية، الفن الرقمي، الفن التشكيلي

Transformation from the painting to a digital imageIn contemporary art

Dr.Nada Aaied Yousif
Department of Art Education - Faculty of Basic Education
Mustansiriya University

Abstract

Since the beginning of the twentieth century, the artistic world has been witnessing shifts and shifts that tend towards the renewal of artistic systems that express the point of view of their creators, and define systematic paths related to the cultural diversity witnessed by the art scene, as a result of the entry of elite poets, theorists and writers into gatherings with artists and engaging in cultural dialogues. Raising questions and searching for solutions by rejecting the plastic line, and forming a different format that reflects the new social and cultural problems. It was the birth of Impressionism, which was given a site to challenge all that is familiar and confirm what is rejected. It began with the Salon of the Rejected, which is considered "a turning point in the history of art, thanks to which the most appropriate date for the start of the history of modern art is determined." Quarrelling flags appeared, which was the reason for the creation of introductions to the artistic debate, which began with the advent of the photographic camera, all the way to the digital screen, which coincided with scientific and technological developments, leading to informatics, framed by the names of eras of modernity, post-modernism, and after post-modernism, leading to the digital age.

Accordingly, the research discusses the dimensions of the relationship between contemporary art and contemporary outputs and the study of the mutual influence between them. In the sense that the new cultural discourse associated with the media and the neighbouring knowledge systems led to the displacement of the concepts of art. In addition, the subject of the research does not deal with drawing as an art that adopts fixed standards. Rather, it is by revealing the citizens of renewal and the successive transformation in its systems.

Because of these problems, the research is interested in reading the systemic transformations in the art of contemporary painting and composition in comparison to the aesthetic value emanating from the media and technologies affecting these transformations. Therefore, this study was entitled (Outcomes of the Transformation from the Still Painting to the Digital Image in Contemporary Fine Art)

Where the introduction included standing on the research problem to monitor the global variables of art, to discover the place of composition in that system. As well as shedding light on the communicative relationship between the artwork, the audience, and the contemporary artistic outputs.

The research objectives are summarized as follows:
1. Disclosure of the outputs of the transformation from a still painting to a digital image in contemporary plastic art.
2. . Learn about the artistic methods proposed by the new outputs.
The researcher adopted the descriptive approach in analyzing the samples
Keywords: transformation, static painting, digital image, digital art

الفصل الأول:المقدمة:

يعيش العالم اليوم الكثير من التحولات الثقافية التي يصعب الإمساك بحدودها أدت إلى تغيرات جذرية في الأنساق؛ من نسق الاكتشاف إلى المعرفة. إذ ظهرت ثقافات موازية واستُحدثت أنواع من المعارف التي أجبرت الإنسان على تغيرات مصيرية في مفاهيمه وعقائده، أدت لظهور انساق ثقافية تستوعب عصر الآلة والذكاء الصناعي، حتى غدت تنافس الذات الإنسانية. وتراجع دور الفرد في محاولته إيجاد مكان له داخل النسق الثقافي.

ويذهب (لويس كوسر) (Lewis Coser)، إلى انه "يمكن النظر إلى الصراع على انه ظاهرة ايجابية لها تأثير تكاملي مهم، فمن خلال الصراع يُطلق النسق شحنات التوتر الكامنة فيه ويُدخل سلسلة من التعديلات في آليات عمله" (إيان كريب، 1999، ص78) . وبهذا تتوالد الأنساق وتظهر سلالات جديدة في المفاهيم والأفكار والحاجات، وقد ساعد في هذا حضور الكم الهائل من وسائل الاتصال المتمثلة بالتلفاز والفضائيات والانترنيت وما لها من قوة تأثير تفوق أهمية الكلمة، حتى بدأت الشاشة والنظام المعلوماتي يقتحم العالم في البيت والشارع والمطار والمطاعم، وتحول نظام الصورة من الثابت إلى المتحرك، ليتسع تأثيرها ليس فقط عالم الفنان فحسب بل في التأثير في أفكار الوعي الجمعي للمجتمع ككل.

مشكلة البحث:

وعلى هذا الاساس بدأت مشكلة الفن وأتجاهاته تتمدد على أكثر من سياق سواء بالانتاج او التلقي، وصار استيعاب هذه المتغيرات يرتبط بثقافات متعددة. لذا اصبحت الاشكالية تمتد نحو رصد التحولات النسقية في الفن التشكيلي المعاصر، ناتج عن الانفتاح على مفاهيم ورؤى مغايرة.

وفي ضوء ذلك يمكن وضع هذه المشكلة أمام التساؤلات الآتية:

هل تغير مفهوم الرسم على وجه الخصوص ومفهوم الفن على وجه العموم؟

ما هي التحولات التي حدثت في الأساليب الفنية المعاصرة والصورة التشكيلية؟

كما باتت فاعلية اندماج المجالات الاعلامية وتكنولوجيا المعلومات الرقمية؛ مع الفنون التشكيلية والبحث في العلاقة الناتجة من ذلك التداخل، من الامور المهمة لتأسيس انظمة جديدة تستوعب التحولات الجديدة بغية اعادة قراءة الاعمال الفنية والكشف عن الخطاب المضمر على وفق مبررات التواصل التي صارت من اساسيات الطرح الفني.

أهمية البحث:

وهكذا فإن اهمية البحث تمثلت في محاولة تفسير داخل السياق الثقافي بالاعتماد على مجموعة من الحقول التيتسعى الى استيعاب الاشكالية التي اثارها التداخل بين الفنون التشكيلية والعلوم المعرفية. وتحويل هذا الفهم لاستيعاب الاعمال غير المألوفة، الناتجة من متتالية التحولات النسقية التي ظهرت بفعل دخول الوسائط الاعلامية كقوة مسيطرة. وتكوين آفاق معرفية جديدة للوقوف على طبيعة تلك التحولات.

وبناءً على ذلك تكمن اهمية البحث في الوقوف على المتغيرات العالمية للفن، وذلك لاكتشاف موقع التشكيل واهميته في تلك المنظومة. لفهم السياق العالمي باستقراء المفاهيم الجديدة التي اسهمت في احداث التبدلات في بنية الفنون التشكيلية. والكشف عن التحولات الفنية واتجاهاتها.

اهداف البحث:

ومما تقدم تتحدد اهداف البحث في:

الكشف مخرجات التحول من اللوحة الثابتة الى الصورة الرقمية في الفن التشكيلي المعاصر.

التعرف عن الأساليب الفنية التي تقترحها المخرجات الجديدة.

منهج البحث: اعتمدت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي

الفصل الثاني:

الاختراق الفوتوغرافي وتداخل الفنون

هناك إجماع على أن ظهور الكاميرا أصاب الرسم بهزة عنيفة؛ لان الصورة الفوتوغرافية نافست مهارة الفنان في محاكاة الواقع، فاتجه الفنان ليرى على وفق ما يفكر ويعرف، ويترك الواقع الذي استنفذ عنصر الدهشة والإثارة، وانتقل من نقل الواقع إلى رصده.

ومع مجيء عصر ما بعد الحداثة وثورة الاتصالات والمعلومات وتداخل الأفكار والآيديولوجيات يصبح تصنيف الفن وتوقع مخرجاته أكثر صعوبة. نتيجة التركيز "على سقوط الحدود بين الحقول المعرفية والثقافات، التي توافر مرجعية فكرية لطروحات إزالة الحدود بين الأسواق العالمية، ليسود بذلك منطق السوق، الذي يسمح له إخضاع كل شيء لمنطق التسليع". (باسم علي خريسان ، 2006، ص246)الذي نتج منهتعليب الثقافة وتحويلها إلى سلعة يسهل تداولها واحتكامها إلى آليات السوق في العرض والطلب. ومن ثم فتح المجال لهيمنة عصر الصورة في ثقافة جديدة ولدت نسقاً مغايراً ناتجاًمن إلغاء الفوارق بين الثقافة الشعبية وثقافة النخبة، التي تمازجت مع ما أضافته التغيرات الصناعية والاقتصادية، معلنة "تراجع المقروء أمام المرئي على الشاشة، وطغيان مجتمع الصورة على مجتمع العقيدة والآيديولوجية، وحلول الواقع الاصطناعي للنظم الرقمية والعلامات الضوئية محل الواقع الفعلي للكائنات البشرية واللغات الطبيعية". (علي حرب: 2000، ص172). مما قدم انفتاح غير محدود للوسائط وطرائق العرض وفق المتغيرات في المفاهيم والأفكار.ومع هذه المتغيرات تم تفعيل دور المؤسسات بأنواعها المختلفة لتتبنى الفنانين والترويج لأعمالهم وصولا لأهداف السيطرة والهيمنة.

من اللوحة الثابتة إلىاللوحة الرقمية:

كان لثورة الاتصال الأثر البالغ في السياسة والاقتصاد، مثلما كان للانترنت والصورة الرقمية والشاشة فاعليتها في عصر الموجة الثالثة. ولذلك امتلك الفن نسقاً آخر غير تلك الجمالية العتيقة التي تبناها منذ قرون. ولا سيما مع تخوم ما بعد الحداثة وحضور أميركا بديلا عن مركز الفن الأوربي.وبدأ صوغ الآيديولوجيات الكبرى التي لامست الفن بكل مفاصله. ومع(يفيس إيدس) (Yves Eudes) "فأن كل إنتاج ثقافي ينبغي أن يكون له محتوى إيديولوجي واضح مهما يكن شكله أو نوعه، ومن هنا كانت القاعدة المتفق عليها في مستوى المصالح الخاصة الأميركية، التي تنص على أن الثقافة ينبغي أن تكون الغلاف الخلاب لأي بضاعة سياسية". (علي ناصر كنانة: 2009، ص16).

كماوجد كل فنان أسلوبهالأدائييمكن عن طريق مخرجاته التشكيلية الإشارةإليه، مما اكسب المدرسة تنوعاًأسلوبياً كبيراً.ولم يعد للمدرسة معايير عامة يتبعها الجميع بل تظهرالحقول الملونة ذات الحافة المتشظيةعند (روثكو) شكل (1)، وتعبيرية النساء عند (دي كوننك)، شكل (2)، والخطوط العمودية والحافة الصلبة عند (نيومان)، شكل (3).وبقعية(بولوك)، شكل (4). فلكل فنان أداؤه الخاص المختلف جذريا عن بقية فناني التعبيرية التجريدية، إذأصبح العمل الفني استعراضاً لقدرات الفنان التقانية.

وبرغم تلك الاداءات شديدة التباين بين فناني التعبيرية التجريدية لم يبتعد مفهوم الفن عن دائرة تخصصه. ومع التجريد ما بعد الرسموي "بدا كأنه يقود الإمكانات التي يوافرها الرسم الخالص إلى خاتمة من نوع ما، فتوجه الفنانون إلى نبذ فكرة القماشة المرسومة. وقد أدىإلى تحول الاهتمام نحو النحت وازدياد التجارب القائمة على المزج بين مواد الرسم المختلفة في اللوحة الواحدة". (ادوارد لوسي سميث: 1995، ص103). ومن هؤلاء الفنانين (فرانك ستيلا) الذي ادخل النحاس والألمنيوم وتقانات النحت والكرافيك في أعماله. كما في شكل (5).إذ تلاشت الجدران الفاصلة بين الفنون التشكيلية والتي تتطلب قراءات فنية تتلاءم والمخرجات الجمالية الجديدة التي سمحت فيما بعد للانطلاقة نحو كل شيءوأي شيء مهد للظهور الكاسح للفن الشعبي.

شكل (1)

شكل (2)

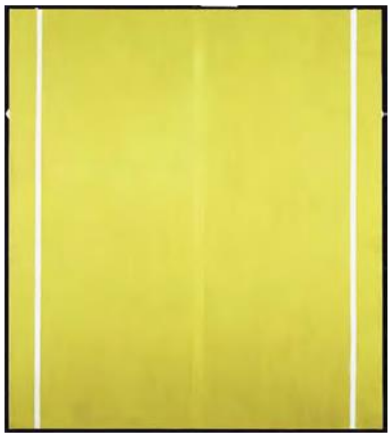

شكل (3)

فالصدمة والتشظي والانفتاح كان بداية التحرر الذي ساعد على تقويض الأفكاروإحداثالإزاحةوما رافقها من استبدال جذري للأنظمة الشكلية والتقانات والمواد المستعملة ناتجة من استيعاب واستقرار لمفاهيم كانت متأرجحة في المجتمع. ومع تلك الضغوط ظهرت مسميات متداولة في المجتمع انعكست على مخرجات الأعمال الفنية. فكانت نظرية الكايوس أي "فلسفة الفوضى التي تقود إلى النظام". (علي حسين الجابري، 2007، مجلة دراسات فلسفية، عدد (20)، تشرين الأول، ص155).فضلاً عن مفاهيم الاقتصاد والرفاهية والاستهلاك والربح والنفعية بمجموعها تمثل مشاريع لتحقيق نظام خاص. لذلك توجب ظهور فن دعائيللايدولوجيا الجديدة قادر على التواصل مع كل دول العالم، ويعمل على صناعة ثقافة تروج لتلك الأفكاروتوافر الحاجات الرئيسة لتحقيق هيمنة مركزية الأميركي الجديد. وبهذا تحولت مصادر القوى المسيطرة من الدين والسياسة، نحو اعتماد ثقافة الاستهلاك والإعلام وامتلاك التكنولوجيا. إذيعتقد (هربرت ماركوز) "إن التقانة تسعى بشكل دؤوبإلى خلق إنسان جديد، إنسان يمثل الاستهلاك الاستفزازي حده الأقصى حتى يصبح شعاره (أنا استهلك إذنأنا موجود)". (عمر مهيبل: 2007، ص143). فمن المستهلك إلى الفن، ومن النخبة إلى الشعبي، ومن الفن إلى التواصل، هذه الخطوط تكشف عن دخول الفن الشعبي (البوب آرت) الذي يعد ربيب الدادا، لكن فرقه المفهوميهو أن فن البوب لا يرفض المجتمع، بل هو ولد منه ومعبر عن النزعة التسويقية وروح العصر الاستهلاكية، ويعلن أن الفن للجميع ويرفض أحادية العمل وأحادية التصنيف، فانفتح بلا حدود نحو اللامعقول من الوسائل والوسائط، وأسس قاعدة تفصل ما قبل عن ما بعد من الحركات الفنية. وفتح بالفعل المجال لكل إنسانأن يكون فنانا إذا وجد مؤسسة اقتصادية تدعم فنه، وتحول الفنان من مبدع إلى منتج يحقق حلم (وارهول) الذي تمنى أن يصبح آلة.هذا الذيأحدث خلخلة في مقاييس متحف الفن التشكيلي التي كانت تعتمد على الإبداع الفردي للفنان ومهارته في إيجادأسلوب في الرسم مخالف لما هو مألوف.

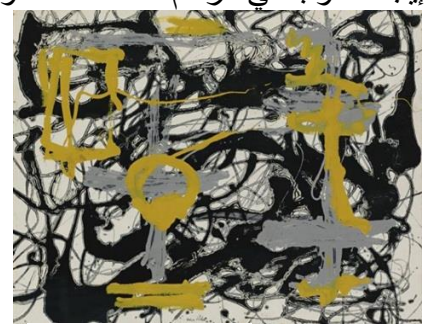

شكل (4)

شكل (5)

شكل (6)

وبكيفيات إدخال المواد الجاهزة والصناعية في العمل الفني، ظهرت التقانة الطباعية الكرافيكية كمثير ينسف الاعتقاد بأهمية اللوحة المفردة، نحو إمكانية تعدد النسخ الموقعة باسم الفنان ذاته وبكلفة اقل، ترتبط بمفهوم الاستهلاك والتداول، وتتلاءم وثقافة المجتمع الجديد.وذلك لأن"ثقافة الصورة هي الابتكار

الأبرز...وتحديداً مع اختراع تقانة الاستنساخ التي أرست الأسسالأولى للثقافة الجماهيرية". (علي ناصر كنانة: 2009، ص18).

وظهر تحول جذري في مفهوم الصدمة ناتج من الابتعاد عن الوسائل الفنية الاعتيادية.وإحداث الصدمة من استعمالتقانةجديدة في الوسائط والموادجاهزة فاق ما أحدثته الدادا، التي مثلها (روبرت روشنبرغ) باستعمال تشكيلة مختلفة من المواد الجاهزة، فضلاً عن الكولاج والأكريلك والطباعة الحريرية والحيواناتالمحنطة وإطارالسيارة، شكل (6). والذي خلق من تلك الفوضى عملاً فنياً يقتحم المجاورات ويحدث نظاماً شكلياً يحتفى به، مثلما يحتفى بابتسامة الموناليزا. كما أن (دوشامب) كرر "احتجاجه بعجلة دراجة وضعت فوق تابوريه مع حمالة صحون ومشط صدئ، وقد أعطى رد الفعل ضد لا معقولية الحرب والعالم، بالتضافر مع روشنبرغ ووكيله التجاري ليوكاستيللي، ليعلن من ولادة الفن الجاهز والبوب ارت والإعلان عن حقبة جديدة".(روجيه غارودي: 1998، ص45-46.). ونتج من إرهاصات تلك المرحلة أن تكشف أعمال(البوب آرت) عن خطاب إشهاري موجه مباشرة إلى المتلقي، ليحدث خلخلة في مفاهيم الجميل والجمالأمام متغيرات المجتمع الجديد الاجتماعية والسياسية والصناعية والاقتصادية.

وتأتيأهمية(جاسبر جونز) و(اندي وارهول)، في أنهماأسهما في نسف الذاكرة الإيقونية. إذ استعمل (جونز)الأعلامالأميركية شكل (7)، أما (وارهول) فقد قوض رموز النجوم، ورسخ الاعتقاد بإمكان اقتحام تلك الصور التي تمثل رمزا للجمال أو للقوة أو للسياسة ومن ثم إمكانية تداولها واستهلاكها. ووجه بهذا الصدد(مارلين) رمزاً متلوناً لصورة المرأةالأميركيةمتعددة الوجوه، وليس مثالا للجمالوالإغراء شكل(8). كما أن (وارهول)أسهم في إدخالالإعلانات التجارية وعدها عملا فنيا مميزاًعن طريق استعمال قناني الكوكا وعلب الحساء والصابون وغيرها. شكل (9).

هذه التقانات والتجاوزات على مناطق أخرىساعدت علىتحرك الرسم وتهجينه حتى صار العمل الفني مزجاً من عُدد وخامات النحت والرسم والسيراميك. وأصبح من العسير تمييز انتماء العمل إلىأيمن تلك التخصصات. إنها مهدت الطريق لهجر الزيت والفرشاة وساعدت علىإدخال التقانات الكرافيكية التي تحولت في المستقبل إلى صورة أثيرية مع دخول الحاسوب والسينما والفيديو والأقمار الصناعيةإلى مجال الفن التشكيلي. فضلاً عن دخول سينوغرافيا المسرحفي الفنالاستعراضي السمعي البصري.التي جعلت الصورة الفنية في نهاية مسيرتها الثقافيةتعتلي عصر ما بعد المكتوب.لقد "سمحت الأنظمة الرقمية والتقانات السينمائية بالتعاطف والتقمص مع ما يحدث أمامنا على الشاشة وتحويل ما هو صلب إلىأثيري، من اجل إشباع رغباتنا في الاكتشاف والتمتع".(بلاسم محمد: 2006، ص281). حتى ظهرت مدارس فنية تتبع مسارات وأبعاداً متطورة، تمتلك خصائص وسمات نابعة من التغيرات الفكرية والعلمية لتحقيق أساليب جديدة في خارطة التشكيل وتبتكر معطيات لإبداع منظومات بصرية تبتعد عن السائد وتغتني بلعبة الاختلاف عن طريق توظيف الاكتشافات العلمية والتقانةوالتكنولوجية والالكترونية والرقمية. ومن تلك المدارس يمكن تحديد (الفن البصري) الذي حاول اقتناص الإيهام والغموض في إظهار الصورة الفنية،من جراء الدخول إلى مجال التلفاز والإعلان والعمارة والديكور.

شكل (7)

شكل (8)

شكل (9)

شكل (10) شكل (11) شكل (12)

ومع فن (الاوبتكال آرت) انغمس الفنان في علوم البصريات والتكنولوجيا لدراسة تجارب فنية أحدثت اهتزازات فسيولوجية. إذ"جاء دور الرسم ليتحرك! ويصبح أكثر التقانات تنوعاً كما يستعمل اليوم، أما بصورة انتقائية أو متزامنة.. تقانات مستعارة من البصريات والسينما والميكانيك والكهرباء والالكترونيات، وبما أن المعرفة التقانية تتجاوز قدرات الفرد، فقد ظهرت مجموعات من الفنانين تعمل معا على انجاز عمل إبداعي مفرد". (جي. أي. مولر، وفرانك ايلغر: 1988، ص163). ناتج من ابتكار وإدخالآليات ووسائط وخامات وتقانات تم تفعيلها من مناطق معرفية مختلفة، كان من مخرجاتها المشاركة الجمعية في العمل الفني يشترك فيها المهندس والعالم والفنان، وحضور المتلقي كأساس لاكتمال العمل الفني.

وعليه يكون فن (البوب آرت) وفن (الاوب آرت) هو تعبيراً عن التناقض الذي جاءت به فنون ما بعد الحداثة ومفاهيمها. فمع الفن الشعبي يكون حضور مصطلح الفوضى التي ينتج عملاً متناسقاً، يتناقض مع الدقة والنظام والاقيسة لتحقيق الإيهام البصري، الذي أحدثته البنيوية وأفكارها، حين يتم الحكم عليه عن طريق المعطيات والمعلومات التي تجمعها حاسة البصر وما يحدثه الشكل من اثر على العين لتنقله إلى الدماغ الذي يحلل ويركب الصورة في محاولة لتقصي المعطيات وإعطاء الحكم النهائي باعتماد الأنظمة الهندسية والفسيولوجية والتلاعب بقواعد المنظور، بعد الأخذ بمسببات الظواهر الشكلية التي لا تتناسب مع بديهيات الشكل الأولي الخام. وبهذا تحرك الفن للفعلالهجين مع العلوم الأخرى وتحقق المتوازن بين الفن والعلم، عندالوتيرة المتسارعة للاكتشافات العلمية والالكترونية والتقانية. وبهذا تهجر اللوحة عدتها القديمة لتدخل إلى عصر تقانات الصورة والاندماج مع السينما والحاسوب والشاشة والبلازما. وأصبح تداول مصطلح الفن البصري بدلا من فن الرسم هو من بديهيات المجتمع المعاصر.وتتحقق مقولة (فولفن) بأن "تاريخ الفن هو تاريخ لعلم البصريات الفنية بمعنى انه تاريخ للأحوال الفسيولوجية والسايكولوجية الخاصة بأي منهج في دراسة الطبيعة". (ارنولد هاوزر: 1968، ص129). شكل (10)، (11).

مقابل هذا التوجه استحوذت عروض الفن البصريعلى زوايا قاعات العرض واشتملت على الجدران والسقوف كما في أعمال (سوتو) الذي انتقل بالحركة من العمل نحو حركة جسد المتلقي في داخل العمل وملاحقة التغيرات التي تحدثها الانعكاسات الضوئية للأسلاك الزجاجية وأشرطةالألمنيوم والقضبان المعدنية مع استعمال الحجوم الكبيرة لإحداثالتأثير والتفاعل والدهشة بين العمل والمتلقي كما في شكل (12). وتلك الاستكشافات أدتإلىإحداثتأثيراتمن حركات فنية لاحقة بلغت الذروة في فن التركيب installation art، الذي هو "شكل فني له مرجعيات مع فن الحدث وفن الأداء وفن التجميع".
Smith, Edward Lucie 2004, p118-119.

إذيقدم فن التركيب إثارة في بيئة مصنعة، ويتجاوز حدود اللوحة والمعرض والمتلقي،عن طريق تلاقح التأثيرات مع الوسائط والخامات المستعملة بوسيلة متلائمة مع البيئة المحيطة،إذ يكون المكان الداخلي والخارجي جزءاً من العمل ومحملاً بمواد متباينة تستدعي علاقات وأفكاراً وأمزجة ومشاعر مختلفة ومعقدة. ويتم عرضها لمدة محدودة في المعارض ومن ثم تفكيكها حال انتهاء مدة العرض؛وهي استجابة للحضور والتفاعل من المتلقي.إن هذا النتاج المرئي "لا يخاطب وعي الفرد بقدر ما يتوجّه إلى استثارة عواطفه والحصول على استجابة آنية في العلاقة مع المنبّه. هذه الصيرورة يمكن إيجادها في حالة الفرد

الذي يبقى مشدوداً إلى المرئي من دون أن يكون حاضراً بوعيه في ما يراه". (علي ناصر كنانة: 2009، ص27).

فيعيش حالة من التغريب أمامأشكال تجريدية لا تتطابق مع خزينه الصوري. عندما تدفعإلى سياق آخرفي صناعة فن يسعى إلى فصل جذور المتلقي من واقعه المادي ويشد انتباهه ويسلب إرادتهوصولاً إلى إقحامه جزءاً من العمل التركيبي. كما في عمل الفنان (غبريال داو،Gabriel Dawe) الذي يقتصر عمله على شبكات ضخمة محاكة من خيوط وخشب ومسامير وأنتجأعمالا بصرية تجريدية تبدو كأنهاأضواءبألوان مختلفة أو ذات تأثيرات رقمية تختلف عن تجريدات الحركات الفنية السابقة. تلك الأعمال تتطلب دقة وانتظاماً في العلاقات الرياضية والهندسية وكأنها تنتمي إلى فن (الاوب آرت). كما وظف الفنان الحاسوب لإتمام التخطيطات الأوليةلأعماله الفنية في بعض الأحيان. كما في شكل (13). وتلك الشبكات يتم تفكيكها حال الانتهاء من العرض وكل ما يبقى منها فكرة توثيق بالصورة والتسجيل لا غير.

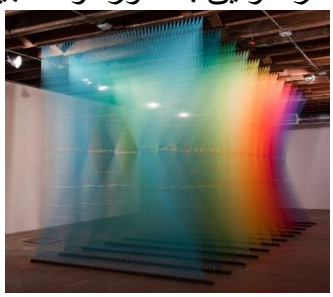

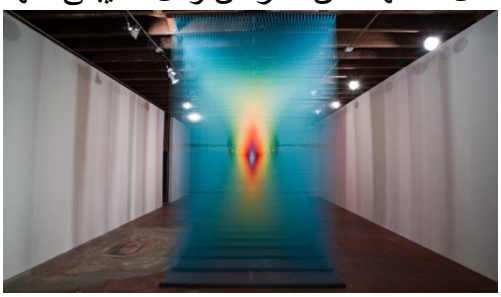

شكل (13)

شكل (14)

وعليه لم يعد حلم الفنان بان تعرض أعماله في صالات أشهر المتاحف العالمية، بل يكتفي بساعات من العرض في أماكن جديدة يتم توثيقها بالصور،ما يمثل رؤية فنية جديدة ومقاييس مختلفة. تتطابق مع مفاهيم عصر يحتفي بآنية الفرجة، والسرعة.عندما يستقبل كل يوم تقانات يتسابق الفنانون في توظيفها، وأمام تلك السباقات الفنية اكتفى الفنان بتأكيد وجوده عن طريقأعماليمكن أن تزيلها التغيرات المناخية، كما طرحها الفن الكرافيتي (Graffiti Art) شكل (14)، الذي لا يُعد "رسما فقط ولا صورة بل هو فعل بصري تختلط فيه الكتابة مع الصورة المتحركة ويقترب كثيرا من فن السينما لكنه يتخطاها في وسائل العرض الأكثر انتشارا في الساحات والحدائق والطرق والبيوت والكتب والجرائد وغيرها". (بلاسم محمد: محنة الرسم، 2006، ص283).لقد استمد مقومات نجاحه من فن الإعلان وعالم التلقي في كل مكان، في الشارع والملعب والحمّامات العامة وفي أنفاق المترو وعلى الشاحنات (Freight Art)، والقطارات (Train art) شكل (15). ليعلن فناًإعلانياً بكل معانيه، يمحي قوانين المعارض واللوحة المعلقة وحفلات الاستقبال والمرطبات، وذهاب المتذوق إلى مكان العرض. انه فن يأتي قسرا إلى المشاهد ويلاحقه بالصورة والكلمة، إنه ينبثق من المجتمع ويعبر عن تطلعاته، هو جزء من تاريخ المدينة الجديدوصيرورتها.مثلما صارت الشاشة وسيطاً بديلاً عن جدار العرض، إنها جدار متنقل بين أحشاء المدينة وعلىالقاطراتوالشاحنات. واتخذت موقعا بديلا عن خيمة السيرك بعروضها وتفعيل التواصل بين الفنان المجهول وأطياف المتلقين.

ظهرت المؤسساتية المتصارعة تحمل في عدتها الفن الكرافيتي، الذي يبث رسائل إعلانية متعددة عن طريق اتحاد الصورة مع الكتابة، والتي تكون الرسالة سياسية للتعبير عن الوقوف ضد الكبت والقمع والأفكارالرأسمالية في المجتمع. أو تكون الرسالة موجهة ضد سوق الفن ونظام المعارض الفنية وروادها. فضلاً عنعدّه فناً تزيينياًولا سيما في الأحياء الفقيرة للإثارة والمتعة المجانية.

وهنا لم يقتصر إدخال اللغة على الفن الكرافيتي بل حدثت الانتقالة من اللغة إلى التشكيل مع الفن المفاهيمي. عندما أزاح وظيفة اللغة من المكتوب إلى المرئي. عن طريق الصورة الكتابية بعيدا عن معناها المكتوب. فأحدث التحول من المعنى الأحادي للغة المكتوبةإلى تعدد المعانيوتأويلها. إنالفن المفاهيمي لا يبحث في اللغة بل يبحث في معنى ما بعد المكتوب.هذا المفهوم يقود إلى وضع تساؤلات حول ماهية العمل والموضوعات التي توظف لانجازه وتقنيات إظهاره، مع المواد الجاهزة التي عرضها (دوشامب)، الذي احتج بقوة ثم ما لبث أن أصبحالآن مقبولا بوصفه فناً.

شكل (15)

شكل (16)

شكل (17)

وعلى هذا الأساس يمكن القولبتجدد الوسائط والوسائل التي عملت على إمكانإعادةإنتاجأعمال الفن المفاهيمي بوسائط حديثة مثل التصوير الفوتوغرافي، والأفلام، والفيديو، ووسائل الإعلام والنظم المعلوماتية، فضلاً عن الاستعانة بالجسد، والبيئة، والحدث، والأداء.للتغلب على فكرة انجاز عمل فني يهتم بالجميل والجمال. والاهتمام بخاصية التفكير في نوعية الأشياء.فمن أكوام النفايات صنع الفنان مئات التماثيل تعرض في كل دول العالم شكل (16)، ومن أطنان الكتب شيد الفنان محطة تعبئة للبنزين شكل (17). ولقد أدخلت الفنانة الفلسطينية (منى حاطوم) مثالاً مجموعة من الأكياس الترابية، التي نمت عليها الأعشاب، وأسهمت الطبيعة في هذا العمل فالنباتات نابضة بالحياة مستمرة بالنمو وليست صناعية، في عملها (حدائق بابل المعلقة)، شكل (18). ومثلما اقتحم الفن الكرافيتي بعبثيته جدران المباني، أصبح الفن المفاهيمي جزءاً من العمارة يعطي تعريفا صوريا عن وظيفة ذلك المبنى المعماري الذي زينه. شكل (19)

ومثلما يحدث في الثورات العلمية. اقتضى مع الثورات الفنية، ظهور تحولات سياقية، ترتبط بالتغيرات السياسية الاجتماعية والفكرية الكبرى. إذ أرغمت الكاميرا الفوتوغرافية الفن على تغير نماذجهوأنساقه والابتعاد عن الواقع، وإيجادأنظمة جديدة ابتعدت تدريجيا عن المضمون والموضوع ليصل بالعمل إلىأقصى درجات الشكلية والتجريد. ومع ظهور الشاشة ومغرياتها في صناعة عوالم مجانية للمتلقي، أصبحت للمخيلة وسائط جديدة تسهم في انطلاقها نحو اللامحدود. ووجد الفن منافسا قويا قادرا على صناعة ملايين الصور. إذ "تطرح الشاشة الصور وكأنها امتداد للواقع أو جزء منه.. فالواقع والإيهام يتحركان على امتداد بصري يومي في الصالات وعلى جدران المدن وكذلك في المطارات والساحات والبيوت.. فالشاشة فرضت نفسها كواقع آخر ينقل صورا من عوالم مختلفة". (بلاسم محمد: اللوحة التشكيلية وصدمة التاريخ، 2006، ص12).

Christine Rosen: The Image Culture-1). أحدثت هزة جديدة تطلبت إيجادأرضيةفنية جديدة أرغمته على هجر القماشة والباليت المحدد الألوانوإيجاد وسائط الكترونية تنتقل بالفن من اللوحة الثابتة نحو الفن التشكيلي المتحركوإنتاجصورة أثيرية لها مرجع تقاني وعلمي يختلف عن أنموذج اللوحة وانساقها الفنية. هذا التحدي كان نتيجة حتمية للتغيرات الثقافية والتقابلات المعرفية بين التكنولوجيا والتداخلات الفنية. ليصبح الفن في نسق كوني مختلف ويخاطب أطيافاً تقبل التجديد من المتلقين. إذ "إننا في عالم اليوم صرنا ننام ونأكل الصور، ونصلي لها ونلبسها أيضا".

شكل (18)

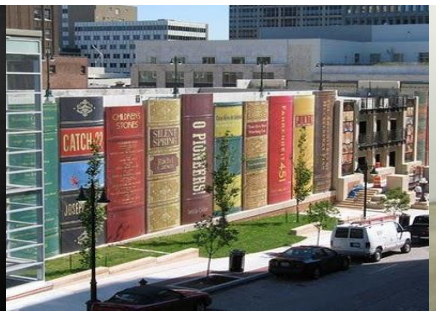

شكل (19)

شكل (20)

وفي القرن الحادي والعشرين دخل (فن الفيديو)إلى منطقة الرسموأضافإمكانات جديدة،ليكون جزءاً من العرض في الصالات الفنية.ويصبح الفن أكثر بروزا وتواصلا ناتج عن إيجاد حقل مغاير يقدم عن طريقه شكلا فنيا ناتجاًمن ولادة نسقمغاير يتلاءم مع التغير الثقافيالجديد، ساعد عليه تطور الوسائط والعدد وصولا إلى الكاميرات الرقمية عالية الدقة.

وفتحت تلك التقاناتآفاق جديدة للفنانين للتواصل مع العالم عن طريق الشاشة التي تعكس الواقع الاجتماعي بصوغ معاصريمثل رؤية الفنان الحديثة. كما في عمل الفنان العراقي (عادل عابدين) بعنوان (رغوة) (foam) إذ يتشكل الرمز طفلا يتدرب على وضع رغوة الحلاقة واستعمال الشفرة بحذر على وجه بالون أسود مثبت على كرسي الحلاقة.تجعل من التوتر المستمر في الشريط المصور طاقة توحي بالقلق والاضطراب والعبثية مدفوعة بحداثة وليدة تمثل عراق اليوم وبأوضاع آيلة للانفجار في خضم توقعات مستحيلة كنقطة انطلاق نحو الانفجار المحتم.وفي أثناء الحلاقة بتفجر البالون يتحول لون الكرسي فجأة إلى اللون الأحمر بما يحمله اللون من صفة إعلانية تهدد حقيقة عالم الصورة المعروضة بكاملها للزوال غير المعلن. شكل (20).

وفي فضاء تكنولوجيا المعلومات والنظم الرقمية صار الحاسوب وسيلة جديدة دخلها الفن للبحث عن نماذج تقترحها الشاشة وتختفي معها الذات والفردية، يتحول فيه الفنان إلى مبرمج له دراية بالبرامج المخصصة لإنتاجالأعمال البصريةثنائية الأبعاد وثلاثية. ومع تلك المثيرات لم يعد من أساسيات دخول عالم الفن، المعرفة التاريخية بالحركات الفنية والتدريب على أعمال كبار الفنانين. وذلك لان العُدد والنماذج والوسائل قد تغيرت بعد تبوء الحاسوب مسؤولية خزن المعلومات، أماماقصاء الذاكرة الإنسانية، وعلى الفنان أن يستعيد خزين الذاكرة الحاسوبية، بكبسة زر،لتتحول فيها وظيفة الفنان من مجال الإبداعإلى مجال الرؤيةوالإنتاج مع التقانة الرقمية. وبهذاتصبح "البنية المبرمجة، الموضوعة بتناسق وانتظام تبعاً لتصميم حدد مسبقا.. بعيدا عن أي انفعال، أو حدث، أو ذكريات.. هي انعكاس لذلك التحول إلى الوظيفي الخالص".(محمود أمهز: 1996، ص364-365). وبعد أن كان الفنان يستغرق أعواما وهو منهمك بتنفيذ عمل فني، أصبح اليوم ينفذ عشرات الأعمال وهو جالس يحتسي الشاي أمام شاشة الحاسوب.

وفي المقابلوافرت النظم الرقمية للمتلقي الذي يبعد آلافالأميالوسيلة اتصالية أعطته صلاحية الفرجة المجانية والتواصل عبر التصفح الالكتروني، مع إمكانية توافر الأقراص المضغوطة والصور المطبوعة بتقانة عالية عن أعمال الفنانوإيصالهاإلى بلد المتلقي بواسطة وسائل الاتصال السريعة.ومع تلك المستجدات انتفت الحاجة اليوم إلى حضور المتحف، انه يحضر بعدة طرق إلى البيت وشاشات العرض. وصار بإمكاننا الانتقال بين القارات لنرى ملايين الصورعلى جهاز الحاسوب الذي صار اليوم متحفاً كونياً بلا جدران.وإزاء تلك المستجدات "يمكن لآلاف الصور أن تظهر وتختفي في دقائق. إذ تحول الطلاء إلى ضوء، وصرنا أمام صور متحركة.. يمكن أن تحث على حضور الغائب المتأمل الفوقي.. الذي تغيب فيه الذات العارفة والاعتراف بواقع إنساني جديد يزيح بكل مفرداته ومجاوراته الذائقية الجمالية التي يتم التنظير لها من فلاسفة الجمال ونقاد الفن عبر تاريخ الرسم بأكمله". (بلاسم محمد: ، 2006، ص291).

كما أن الرسم والحاسوب ينتميان إلى خلفيتين ثقافيتين متباينين، وتمازجهما يقتضي تنازل الرسم عن تقاناته وخاماته والتخلي عن عبق التفرد والاكتفاء بتقانات بصرية تستوجب وجود عين تلمس وتفسر

وتشعر بالجمال وتكون بديلة عن كل الحواس. ويتحول العمل إلى صورة مرئية في شاشة أو مطبوعة يتراجع أمامها مصطلح الرسم أمام تقدم الصورة التي تطلق العنان للمخيلة تبحث عن واقع افتراضي بعيد عن صورة الواقع. شكل (21). وكان تاريخ الرسم يعلن تمرده على وجوده، حين ينزع إلى عمل هزات عنيفة وانقطاعات متتالية، في توظيف التقانات والخامات لصالحه. ومع مجيء عصر الإعلاماتيةاكتفى الفن بالانزواء بدور ثانوي ليكون وسيلة لصالح التقانة والرقمية، مع اختفاء الذات الإنسانية أمام الآلة.

شكل (21)

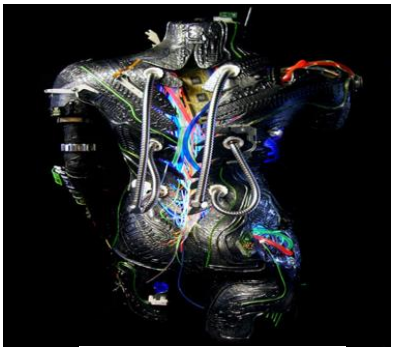

شكل (22)

شكل (23)

ومن تلك المقدمات كلها هناك اعتقادأن فنان الحاسوب هو المتحكم بالآلة وهو المسؤول عن اختيار النماذج والأنساقوالألوان، واقتصار التبدل على مخرجات شكلية بعيدا عن الجوهر وذلك بإبدال اللوحة بالشاشة، وحضور الفأرة (الماوس) بدلا من الفرشاة. لكن الواقع المضمر يعلن إنساناً رقمياً متجرداً من ذاته يخضع لقوانين تقاناتالحاسوب وبرامجياته المتاحة ومعاييره الاتصالية، متميز بسرعته وآنيته وانتشاره وتدفق هائل للمعلومات والصور.فالفنان "السايبورغي كائن لا يعرف الحدود ولا التمايزات الطبقية أو الثقافية.ويعيش في فضاء سايبيري تلاشت فيه كل عناصر التفاضل، وانفتح العالم على احتمالات بلا نهاية لإعادة تنظيم البنى والعلاقات الاجتماعية. ولن ينتهي عند احتمالية ثابتة، ولكنه سيواصل التفكيك والإدماج". (أماني أبو رحمة: أدب الألفية الثالثة، 23/ 8/ 2011. www.shehrayar.com.). وأمام هذا الإسناد الرقمي تسقط الإحالات وتقتضي نسف الأنساق وولادة أنموذج تقاني مقطوع الجذور، يغير مفهوم المعنى الذي يحتكم بالثقافة الالكترونية وشروطها.يستطيع بهيمنته "التأسيس للغة بصرية يُستحوَذُ عن طريقها كلياً على طاقة البصر ويحصل هذا الاستحواذ وفق مستويين. الأول: اعتقال العقل والمخيلة في دائرة البصر وعزل المتلقي عن محيطه. أما الثاني فهو يتطور عن المستوى الأول في تفاعل اللامرئي في الصورة والعالم الباطني للإنسان".(علي ناصر كنانة: 2009، ص22).

وعن طريق الانتقالات النسقية في الفنون البصرية من الرسم إلى الفن الجاهز إلى الحدث ومن ثم إدخال الآلة والشاشة والفيديو والحاسوب والسبرانية وتوظيف التقانات الرقمية وصولا إلى البث عبر الأقمار الصناعيةشكل (22) ، و(23).. صار لثقافة الصورة دور فاعل بوصفها وسيلة اتصالية جديدة انتقلت بالفن من التلقي الفردي نحو التلقي الجماهيري. وتلك الثقافة الجديدة التي تقولب الأفكار تبعا للحاجات لتحقيق الهيمنة. ومع تلك التقانات وأهمية ثقافة الصورة في عصر ما بعد المكتوب، تشعبت وتغيرت وسائل العرض الفني تدريجيا لتتلاءم مع متغيرات الثقافة الاتصالية. وبما أن الصورة هي الوسيط الاتصالي الأهمفي النظام الثقافي الجديد كونها تمثل خطاباً عالمياً لا يحتاج إلى معرفة لغوية. وتجد لها جمهوراقادراً على قراءة الصورة حتى لو كان ينتمي إلى بلد آخر ويمتلك ثقافة مغايرة؛ ظهرت مؤسسات ربحية لها غايات مختلفة وجدت في الصورة الفنية وسيلة مهمة للسيطرة على الذوات والوصول إلىالأهداف. في محاول للتحكم في العالم والسيطرة عليه من جراء توظيف كل الإمكانات للتحكم بالفرد والدول.وباتت ثقافة الصورة تمثل وسيلة تنافسية ورمز للقوة ولغة للصراع بين الدول الكبرى والمؤسسات الربحية والتي فرضت هيمنتها على المجتمعات الأخرى.فمثلا "شركة (جنرال إليكتركس – General Elwctrics)، وهي صناعة عسكرية ضخمة، أصبح لها اهتمام كبير بالصناعات الثقافية ووكالات الأنباء". (سمايرز جووست: 2009، ص300).

ومع انقسام العالم الكوني على عالم منتج وعالم مستهلك. صار الفن سلعة تتحكم المؤسسات في صوغهوالسيطرة حتى على الفنان. تستعمله كذريعة لصناعة الثقافة وإعادةإنتاج الوعي عن طريق وسائل الاتصال الحديثة وقدرتها على التأثيرفي الجماهير، للوصول إلىأقصى بقاع العالم. فضلاً عن تمويله بوصفهوسيلة دعائية تمارس المؤسسة عن طريقه آيديولوجيتها.والتحكم بالجماهير وتملي عليهم رغباتها بصورة مباشرة أو غير مباشرة. "ومنذ تلك اللحظة من التاريخ التي أُنجزت فيها صناعة الثقافة بناء آلياتها، أمكن لها صناعة الوعي، أن تبيعه معلبا داخل السلعة. وأمكن لمنتجها الأعظم (الثقافة الإعلاميةأو الجماهيرية أو التجارية) أن تكون أساساً لإعلام جديد ذي آفاق كونية، يصدّر لغته إلى القارئ بما تحمل من مواقف عبر مساحة كبيرة تدعى الرأي العام".(علي ناصر كنانة: 2009، ص13).

الفصل الثالث: تحليل العينات

عينة(1) بلاسم محمد، 2009، الانفجار

يمثل الإنسان محور مهم في عمل الفنان الذي اتخذ بؤرة مركزية في العمل وتمظهر بأشكال وأماكن مختلفة. أقصى الحدود الحسية بالهجرة من الواقع والانتقال نحو عوالم سريالية للتعبير عن مضامين سلبية مشحونة بانفعالات الموت والدمار. ويلاحظ أن الفنان لم يمنح الأجساد ملامحها الواقعية لأنه أراد منها أن تكون صالحة لاتخاذ أدواراً مختلفة تبعاً لاماكن وجودها لحظة الانفجار، التي قد تمثل الأنا أو الآخر. ووقع الاختيار على الآخر بفعل قوى غيبية، أما الأنا فاتخذت من فعل الصدفة مسوغا للإقناع بنجاتها من ذلك الدمار.

ويتميز العمل بتكوين حر تنتشر فيه الأشكال بحرية في الفضاء وتبحث عن قوانين وعلاقات جديدة لتفعيلها في دلالات ذات مستويات متداخلة ومتحولة تمثل عناصر جذب، ومثير استفزازي للتلقي الذي ينفتح على سلالات تأويلية لا نهائية تنطلق خارج حدود الشكل الظاهر بفعل آلية التحليل والتركيب التي من شأنها أن تقود إلى تأسيس ستراتيجية للقراءة تحدث الانزياح في القيم الجمالية بفعل المسافة المتكونة بين أفق توقع المتلقي الذي يستند إلى كم من المرجعيات المتداولة، وبين ما يحدثه العمل من كسر لتوقع التلقي.ليحاول الكشف عن الفجوات ومن ثم ملئها بالأجوبة التي تسهم في إحداث تحول في ذائقيته الفنية. فالفنان لم يحاكِ الواقع بل ترجم ما رأى إلى مدركات تجسد المضمون بصياغات غير مألوفة تسهم في تجلي قيم جمالية مستخلصة من تجربة مؤلمة عاشها الفنان. مرسلة إلى متلقي ضمني مُفترض يولد مع المباشرة بالعمل، وتجسيدها لتبقى حية في ذاكرة التلقي والتاريخ الاجتماعي.

عينة(2) قيس السندي، 2007، البترول

مابرح النزاع مستمر حول تدويل التنوع في الأنساق وتوظيفها في أعمال تنتمي إلى خارطة التشكيل بفعل الوسائل المستخدمة في نسيج الصياغة النهائية لفكرة العمل الذي يطلق عليه عملاً فنياً. ليكون جزء من تعاقب نسقي وتحول على طول التاريخ الفني الذي ينبغي عبوره. لتأسيس أنماط جديدة من رحم المجتمع الرأسمالي. تستكشف منه الأفكار لتوليد صور لا تسترجع ما سبق وإنما تكون ناتجاً لظاهرة منبثقة من أحداث المجتمع الأكثر تداولا وتأثيرا. وهذا ما قدمه الفنان العراقي (قيس السندي) في عمله التجميعي (البترول)*. والذي يمثل تكوين تجميعي ثلاثي الأبعاد. إذ يتكون من حوض زجاجي يحوي على النفط الخام تطفو في داخله قصاصات ورقية وصور ممزقة لأعمال الفنان (يحيى الواسطي). كما ادخل الفنان اللغة بإيجاد نقطة التقاء بينها وبين والمادة لتكون لها وظيفة تثقيفية تسهم في الإعلام والإعلان عن قضيتها وتفعيل محتوى مضامينها. والتي تؤهلها لبث الكثير من الدلالات التي تحيل العمل إلى انفتاحات تأويلية تنتقل بين ما هو مدرك ومحسوس. وبهذا أنتج العمل التجميعي صورة منبثقة من تحول أبجدية العناصر إلى فكرة تفوق أهمية الشكل. لما تحمله من قيم جمالية تتأرجح بين الفكرة والمادة، لها معايير مختلفة في أنظمتها الشكلية وآليه إخراجها. تُقصي المعنى الأولي لترتقي بما هو جوهري كامن خلف المظهر المادي.

*كتب الفنان عن هذا العمل "عندما أُكتُشِفَ النفط في العراق في عام 1927, أصبح البلد حينها معروفاً بثروته النفطية وباتت هذه الصفة تفوق شهرته كمهد للحضارات منذ آلاف السنين". ينظر موقع الفنان قيس السندي

عينة(3): اليزابيث برايس، 2012، جوقة وولورث
جمعت الفنانة في عمل فيديوي واحد، ثلاثة موضوعات متناقضة من تواريخ مختلفة، تمثل صور لعمارة قوطية من القرن الثالث عشر، وعروض أداء لمجاميع من فتيات حقبة الستينيات، وحريق كبير في متجر الأثاث من سبعينيات القرن العشرين، شكل (19-أ، ب)؛ تعرض على شاشة لما يقارب من عشرين دقيقة. إذ ينبني العمل على جزأين يعرض أحدهما لقطات من العمارة القوطية عن طريق جولة في أرجاء البنية الداخلية للكنيسة بعرض خليط وتفاصيل من الصور والمخططات المعمارية الأرشيفية بالأسود والأبيض. وتوجيه الانتباه إلى المنقوشات الزخرفية وتفاصيل البناء، وأماكن الجلوس بلقطات سريعة، تتقاطع مع لقطات مغايرة أخرى لفرق رقص وموسيقى من الفتيات في مرحلة الستينيات من القرن العشرين.
ولاستكمال دورة السرد يبدأ الجزء الثاني بعرض لقطات مأخوذة من ارشيف قناة (BBC) الإخبارية، تحكي قصة انتشار حريق حقيقي حدث في مخزن (مانسشتر وول ورث، Manchester's Woolworth) عام (1979). تتقاطع تلك الصور، مع لقاءات لمجاميع من الشهود الذين يصفون الأحداث ساعة وقوع الحريق. ويرافق العمل موسيقى تصويرية؛ مع التركيز على تكرار بعض الصور والكلمات لفترة وجيزة جداً من كلام الشهود وبعض الحركات الرشيقة للفتيات، والسنة اللهب المرافقة لأصوات التصفيق وطقطقة الأصابع.
وتشير كلمة (جوقة،Choir)، الموجودة في عنوان العمل إلى فرقة من المطربين، وكذلك وصف مساحة في الكنيسة تتكون من مقصورات بنيت لتحمل جموع مرددي الأناشيد الدينية في الكنيسة.
صاغت الفنانة عملها بتوظيف تقنيات الفيديو الرقمي لعمل ميلودراما**سينمائية استخدمت فيها الصورة والصوت والنص، لإثبات أن كل تلك المعارف قابلة للتكيف،وتعمل أنساق إبداعية جديدة ضمن تكنولوجيا الإعلاماتية. لمعالجة الموضوع بصرياً ولفظياً وسمعياً للمزج بين العناصر المتباينة ضمن التاريخ الاجتماعي وفانتازيا الخيال. وتحقق جماليتها من الاختلاف في المرجع والتاريخ والتقانة.
ويمثل العمل رغبة الفنانة بإحياء لحظات اختفت من الحياة، كنوع من حنين نحو الماضي ورؤية سريعة لأحداث من التاريخ القديم. عن طريق لغة الشاشة القادرة على التداول وتسهم في مد خطوط الاتصال والتواصل بين العمل والتلقي. وما يعزز هذا التواصل هو ظاهرة الاختلاف التي طرحها العمل للجمع بين العمارة والموسيقى التصويرية وحدث مروع؛ والذي ساعد عليه وجود التكنولوجيا الرقمية التي نزعت الطابع الاجتماعي عن الأحداث الغير متتالية في الزمن؛ وصاغت المنجز النهائي وكأنه موضوع جمالي كلي موحد يعرض بتوظيف الشاشة. ومن الطبيعي في هذه الحالة أن يخضع العمل إلى قانون مغاير للفرجة. باستخدامه لغة التسارع في عرض اللقطات المتباينة بوقت كافٍ يستوعبها جيل تربى على التلفاز والكومبيوتر؛ لكن الفرجة في هذه الحالة لا تخضع لقانون الشاشة التي يتحكم بها المتلقي بل تفرض استلاباً قسرياً تحت مسمى البث المرسل على وفق قانون العمل الذي يأخذ المتلقي في جولة بصرية متخمة بالصور ذات جرأة وقوة في الطرح. وأمام هذا المد الصوري تتكرر بعض الجمل اللغوية (شكل 19 – ج)، لتعزيزها في عقل التلقي وتأخذ مكانها في خزين الذاكرة. إذ تظهر على الشاشة جمل متقطعة ومكررة ترافق ظهور اللقطات وأصوات الموسيقى مثل (خرجنا من أسفل ورأينا جميعا السنة اللهب قادمة من النوافذ، وذهب كل شيء، وكل البنات رموا الكؤوس في الأسفل في الأرض، ورموا كل شيء، وإنا ما زلت اسمع الأصوات، وقد كسروا كل الأقداح، ورموا كل شيء من النوافذ، واستمروا بالتكسير، وأنا ما زلت اسمع.. نحن الجوقة)، هذه الجمل اللغوية تصنع طقوسها بالتكرار للإسهام في تفعيل التأثير الدرامي لدى التلقي الذي يسمع الأصوات والتصفيق في جميع أنحاء المعرض. مما يؤدي إلى إثارة عمليات الاستجابة والتساؤل وتنشيط الحماس لفهم الشفرات المرسلة من المرئي والمقروء والمسموع. والسعي نحو الارتقاء إلى مستوى الإدراك من ملء الفجوات الناتجة من عدم التوافق بين ما يُبث وما يتم استيعابه، بالمقارنة بين الصورة الآنية الظاهرة في الشاشة ومضامينها المضمرة. وبهذا لن تكون عملية الحوار والاستجابة متساوية بين المتلقين المختلفي الثقافات والمستويات الفكرية.

**الميلودراما هو نوع من العروض التي تحوي مبالغة في التعبير عن العواطف والانفعالات ومفعمة باللقطات المؤثرة. وتوظف الموسيقى للحصول على إثارة اكبر.

الفصل الرابع: نتائج البحث ومناقشتها
في لعبة التحولات في وسائط العرض قدمت المؤسسات إمكانات اقتصادية ووسائط مغرية وموارد ضخمة وتمويلاً اقتصادياً لترويج الأفكار القادرة على استرجاع ما أنفقته المؤسسة وتحقيق الإرباحوالأهداف المؤسسية. التي تقوم بشراء الأفكار ومن ثم إعادة بيعها. لتحقق الفائدة وتقدم بالمقابل فرصة للفنان ليصبح بطلاً كونياً.
مع ازدهار المشاريع المؤسساتية أصبح من الضروري إطلاق سلسلة من العروض الفنية بمخرجات تختلف عّما أصبحمألوفا في الفن الجاهز. وبهذا اقتحم الفن معارف أخرى ليجد مخرجات غير مألوفة تحدث الدهشة والصدمة. وبحث عنأماكن عرض جديدة تستوعب ضخامة الأعمال الفنية. فانتقل الفن من قاعة العرض إلى مسرح التشكيل وإدخال المؤثرات الضوئية والصوتية في عروض فن الأداء ويكون دور الفن استعراضيا تكونه بنيات مختلفة. ومن ثم انتقل الفن إلى الشارع في فن الحدث ليربك الهوية الفنية في تمازج مع الحدث والبيئةوالاحتفال بعروض آنية سريعة. ومن بين الأنشطة المتاحة التي يصفها (كابرو) أنشطة تدور في أماكن يقوم الإنسان بخدمة نفسه، فمثلاً يقف بعض المشاركين داخل أكشاك الهواتف العامة ويتناولون السندويشات ويشربون الصودا فيحينيراقبون العالم من خلف الزجاج.(كاي نيك: 1999، ص56-57). تبرز مع تلك العروض تساؤلات عن معنى الفن ودائرة انتمائه التخصصي.
برز تناقض جديد مع دخول الحاسوب والذكاء الصناعي في الثمانينيات إذ تبدلت الوسائط التي أثرتفي دور الفنان الذي أصبحمبرمجا ومهندسا وعالم. إذفرضت الثقافة المتحولة على الفنان أنموذجا فنيا يرتبط بتحولات العصر وتطوراته. وبما"أن البرمجيات في عصر صناعة الاعلاميات (Informatigue) هي مفتاح القوة، وان مفتاح التسلط على البرمجيات، هو نظام الاستثمار، وآخرأداة للسيطرة". (الفن توفلر: 1991، ص25).
صار لزاما على الفن أن يلاحق تلك البرمجيات ليكون وسيلة تواصلية إعلاماتيةعابرة للقارات قادرة على صناعة الوعي وإحداث التغيرات الثقافية الموجهة. وهذا التحول أدىإلى حدوث تغيرات جذرية في بنية النظام الفني ومخرجاته التي تتحكم فيها المؤسسات المهيمنة.إذبدأت عملية إنتاج الفن من قبل المؤسسات تطبقالمعايير الاقتصاديةوالإنتاجيةلتدعيم وتعزيز الآليات المهيمنة وتكوينأنظمةآيديولوجياتمن شأنها تعزيز تلك الهيمنة.
من تلك التغيرات في وسائط العرض من استعمال المواد الجاهزة في فنون العصر الاستهلاكي، إلى الآلة في فنون العصر الصناعي، وصولا إلى الشاشة والحاسوب في فنون عصر الرقمية، التي تعززت في القرن الواحد والعشرين يكون المتلقيأمامإشكالية تصنيف الفن، فليس بوسعه اليوم أن يحدد مع الوسائط الجديدة، تصنيف انتماءالشكل الفنيإلى التجريد أو التشخيص؛ لان الفن لم يعد صورة من لون على قماش سواء كانت الصورة أصليةأو مستنسخة. فالرسم انتقل إلىتقانات فتحت الآفاق نحو عوالم افتراضية. إذتوالت الأساليب في مدة زمنية قصيرة وتحول الصلب إلىأثير وتغيرت مفاهيم اللوحة التي تحولت إلى شاشة،تشكل عن طريقها صيغاً ثورية تأخذ مكانتها في مستقبل التاريخ الفني. وتلك التغيرات كانت في السابق تستند إلى ثورات فردية. أما اليوم فالمؤسسات الربحية هي التي تحدد معاييرها وأنساقها ونماذجها الفنية الجديدة لتمرير أهدافها غير المعلنة. ويصبح الفن يُصنع من خارج الذات، وصنّاعُهُ مؤسسات غير ثقافية.وما ساعد على ذلك وجود الترسانة الإعلامية والاتصالية التي من شأنها أن تعيد تشكيل الوعي والترويج لأهداف المؤسسة باسم الثقافة والفنون.
على وفق المفهوم الجديد تكون الأعمال الفنية صالحة للفرجة فحسب وليست للاقتناء تعجز أمامه النظريات النقدية القديمة كالنفسية والانطباعية والفلسفية وغيرها من قراءتها؛ لان الفنأوجد حلة صورية اتصالية تكتفي بالعرض لمدة محدودة، بتوظيف مخرجات تقانية ورقمية مبهرة تعكس رفاهية الوضع الاقتصادي وصلاح الهيمنة. يختفي معه التساؤل: ما معنى العمل؟ ويظهر تساؤل بديل: من يشتري العمل؟

مصادر البحث
أبو رحمة، أماني: (2011) أدب الألفية الثالثة، 23/ 8. www.shehrayar.com.

ارنولد هاوزر: 1968 ، فلسفة تاريخ الفن، ت: رمزي عبده، مطبعة جامعة القاهرة.
باونيس، الآن: 1990،الفن الأوربي الحديث، ت: فخري خليل، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد.
بلاسم محمد: 2006،محنة الرسم في عصر ما بعد الحداثة، دراسات في الفن والجمال، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، ط1.
جي. أي. مولر، وفرانك ايلغر: 1988،مئة عام من الرسم الحديث، ت: فخري خليل، دار المأمون، بغداد.
خريسان، باسم علي: 2006،ما بعد الحداثة، دار الفكر، دمشق، ط1.
روجيه غارودي: 1998،الولايات المتحدة طليعة الانحطاط، ت: مروان حموي، دار الكتاب للطباعة والنشر، دمشق، ط1.
سمايرز جووست: 2009،الفنون والآداب تحت ضغط العولمة، ت: طلعت الشايب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
سميث، ادوارد لوسي: 1995،الحركات الفنية الحديثة، ت: فخري خليل، دار الشؤون الثقافية، بغداد.
ضياء يوسف: 2012، عادل عابدين النافذة تفتح على المبدأ، موقع كلوروفيل. www.sedrh.com
علي حرب: 2000، حديث النهايات فتوحات العولمة ومأزق الهوية ، المركز الثقافي العربي، بيروت.
علي حسين الجابري: 2007،العولمة وإدارة الحدث بين الفلسفة الكايوسية والتطبيق الادهوقراطي، مجلة دراسات فلسفية، عدد (20)، تشرين الأول- كانون الأول.
علي ناصر كنانة: 2009،انتاج وإعادة إنتاج الوعي، منشورات الجمل، بغداد-بيروت.
عمر مهيبل: 2007،من النسق إلى الذات، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1 .
الفن توفلر: 1991،تحول السلطة، ت:حافظ الجمالي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق.
كاي نيك: 1999،ما بعد الحداثة والفنون الادائية، ت:نهاد صليحة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2.
كريب، إيان:1999،النظرية الاجتماعية من بارسونز الى هابرماس، ت: محمد حسين غلوم، عالم المعرفة، الكويت، العدد 244.
محمود أمهز: 1996، الحركات الفنية المعاصرة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت،.

1. Christine Rosen:2005,**The Image Culture**, The New Atlantis, A Journal of Technologe&Society, fall. *www.**thenewatlantis**.com*
2. Smith, Edward Lucie: 2004, **Dictionary of Art terms**, 2edition, thames&hudson, Slovenia,.

اشكال العينات

بلاسم محمد، 2009، الانفجار

قيس السندي، 2007، البترول

اليزابيث برايس، 2012، جوقة وولورث

تطور الافكار الاقتصادية والاسس النظرية للتطبيق في العلاقات الدولية

د . عماد فاضل فيصل
المديرية العامة لتربية محافظة الديوانية في جمهورية العراق \ اعدادية الشامية المهنية المختلطة
Imadfadhilo99@gmail.com
009647813992551

الملخص
تبدا هذه الدراسة في ملخص تنفيذي تندرج ضمنه اهداف البحث في العلاقة بين تطور الافكار الاقتصادية والممارسات الاقتصادية في العلاقات الدولية وفق النظريات الاقتصادية والسياسات الحاكمة, وباليات المنهج الوصفي ومنهج التحليل المقارن, فضلا عن المنهج التاريخي الذي كان ضروريا لادراك اشكالية البحث عندما يكون هناك نوعين من التفكير الاقتصادي والسياسي احدهما معرفي انطباعي مرتبط بالفلسفة الاجتماعية قبل عصر النهضة, والاخر علمي ممنهج بعد عصر النهضة وقيام النظريات الكبرى في الاقتصاد السياسي, وعلى اعتبار ان الافكار الاقتصادية ليست تركيبات منطقية مجردة فان تطورها مرتبط بعناصرها الرئيسية, لذلك خصص المبحث الاول اطارا مفاهيمنا لدراسة الترابط الجدلي بين مفهوم النظرية الاقتصادية والمنهج الاقتصادي والمذهب الاقتصادي, فضلا عن الفلسفة والسياسة الاقتصادية , كذلك دراسة وتعريف الاسس النظرية للممارسة الاقتصادية في العلاقات الدولية.
واختص المبحث الثاني لدراسة تطور الافكار الاقتصادية من خلال التحليل والمقارنة والمقاربة مع الانماط الاقتصادية السائدة المرتبطة بالفلسفة الاجتماعية والمعتقدات الدينية في العصور القديمة والوسيطة, ومع النظريات الاقتصادية في العصور الحديثة والمعاصرة التي بينت اصول واسس الافكار الاقتصادية المنظمة منذ النشاة والتوسع الرأسمالية الماركنتيلي , مرورا بالافكار الاقتصادية الفيزوقراطية, فالكلاسيكية, والرومانسية والاصلاحية, الى الافكار الاقتصادية الاشتراكية, كذلك دراسة اهم المدارس الاقتصادية في العصر الحديث والمعاصر, بدا من المدرسة الحدية, ومدرسة التوازن العام, والمدرسة الكينزية, والمدرسة النفوذية وتيارتها الرئيسية, ومدرسة التبعية كاحدى المدارس التي نمت في احضان العالم الثالث.

وتضمن المبحث الثالث دراسة نماذج من الممارسات الاقتصادية المعاصرة في العلاقات الدولية مثل الشركات متعددة الجنسية, والتجارة والتمويل الدولي, والعولمة والاندماج الاقليمي, واسواق الطاقة, فضلا عن الازمات الاقتصادية العالمية, وذلك على ضوء الاسس النظرية للمدارس الاقتصادية الحديثة والمعاصرة التي اشرنا اليها مقارنة بالنظريات السياسية الكبرى المتنافسة في العلاقات الدولية من منظور اقتصادي , وهو المنظور الليبرالي بخياريه الماركنتيلي الدولاني والعقلاني, والمنظور الراديكالي, والمنظور البنائي., واختتمت هذه الدراسة بعدد من الاستنتاجات والتوصيات.

الكلمات المفتاحية:
الافكار الاقتصادية, العلاقات الدولية, النظريات الاقتصادية , المنظورات المتنافسة, الممارسات الاقتصادية.

The development of economic ideas and theoretical foundations for application in international relations

Dr. Imad Fadhil Faisal
General Directorate of Diwaniyah Governorate
in the Republic of Iraq

Abstract

This study begins with an executive summary, which includes the objectives of the research in the relationship between the development of economic ideas and economic practices in international relations according to economic theories and governing policies, the mechanisms of the descriptive approach and the comparative analysis approach, as well as the historical approach that was necessary to realize the problematic of the research when there are two types of thinking The economic and political one, one of which is cognitive and impressionistic, linked to social philosophy before the Renaissance, and the other is systematically scientific after the Renaissance and the emergence of major theories in political economy. Considering that economic ideas are not abstract logical combinations, their development is linked to their main elements, so the first topic devoted our concepts framework to study the dialectical interdependence between the concept of economic theory, economic method and economic doctrine, as well as philosophy and economic policy, as well as studying and defining the theoretical foundations of economic practice in international relations The second topic was devoted to studying the development of economic ideas through analysis, comparison and approach with the prevailing economic patterns associated with social philosophy and religious beliefs in ancient and medieval times, and with economic theories in modern and contemporary times that showed the origins and foundations of organized economic ideas since the inception and expansion of Mercantilian capitalism, through the physiocratic economic ideas classic, Romanticism and reformism, to socialist economic ideas, as well as studying the most important economic schools in the modern and contemporary era, beginning with the marginal school, the general equilibrium school, the Keynesian school, the influential school and its main current, and the dependency school as one of the schools that grew in the embrace of the Third World.

The third topic included the study of models of contemporary economic practices in international relations such as multinational companies, international trade and finance, globalization and regional integration, energy markets, as well as global economic crises, in light of the theoretical foundations of modern and contemporary economic schools that we referred to compared to major political theories Competing in international relations from an economic perspective, which is the liberal perspective with its statist and rationalist

options, the radical perspective, and the constructivist perspective. This study concluded with a number of conclusions and recommendations

Keywords
Economic ideas, international relations, economic theories, competing perspectives, economic practices.

المقدمة

على ضوء فلسفة التفاعل الجدلي بين اساليب نمو المنهج العلمي ونمو النطرية العلمية باعتبار ان التفكير والتنظير بلا ملاحظة ومنهج او بالعكس عاجز ان يوصل الباحث الى حقائق دقيقة ذات معنى , وانما الى تجريدات غير مبرهنة , نسعى في هذه الدراسة تتبع اواصر الصلة بين تطور الافكار الاقتصادية وبين وقائع الاقتصاد الدولي المعاصر وفق النظريات السياسية في العلاقات الدولية بمنهج وصفي بغية التحليل المقارن للسياسات الاقتصادية المعاصرة التي تحكم العالم , ولادراكنا نسبية الافكار الاقتصادية وخضوعها للظروف التاريخية عمدنا التمييز بين الافكار الاقتصادية الحديثة والمعاصرة باعتبارها نظريات تخضع لقوانين موضوعية علمية , وبين الافكار الاقتصادية القديمة والوسيطة باعتبارها مذاهب اقتصادية تساير الفلسفات والمثل الاجتماعية المعاصرة لها.

وجهدنا بداية البحث الى تعريف الافكار الاقتصادية من خلال دراسة اهم عناصرها الاساسية وهي : اولا- النظرية الاقتصادية او التحليل الاقتصادي ,وهي جميع الفرضيات التي تحكم الظاهرة الاقتصادية وعلاقاتها المختلفة وترصد وتحلل السلوك الاقتصادي وتشخص وتدرك الالية التي تسيرها وتصنف القوانين التي تحكمها, ثانيا – السياسية الاقتصادية , وتعني افضل الوسائل الممكنة التي تعتمدها الدول لتحقيق اهداف معينة, ثالثا –المذاهب الاقتصادية, وهي مجموعة الاراء التفضيلية لنظام اقتصادي على نظام اقتصادي اخر والتي تنطلق من الظواهر الاقتصادية المعاشة في مرحلة تاريخية معينة, رابعا – المنهج الاقتصادي بطريقيه الرئيسين الاستنتاجي والاستقرائي, خامسا – الفلسفة الاقتصادية, وهي ادراك تطور الفكر الاقتصادي وفقا لاتجاهات الفلسفة العامة عموما والفلسفة الاجتماعية على وجه الخصوص.

ووفقا لذلك ذهبت الدراسة وفق بحث منهجي الى السعي الحثيث في اغوار الفكر الاقتصادي الممتد عبر الاف السنين منذ عصر فجر السلالات لتلمس الصلة العضوية بين التطور التاريخي للفكر السياسي والفلسفة الاجتماعية وبين تطور الافكار الاقتصادية, فقد سعى البابليون في اقامة المعابد للالهة كسبيل لتعزيز السلطة عندما كان الاله يختار الملك لحكم المدينة حيث كانت اولى مهامه ترميم المعابد وبنائها وتقسيم الاراضي بين الرعية والمعبد باعتباره مانح الارض حتى تحولت اراضي المعابد في زمن الامبراطورية الاكدية الى اراض حكومية, وقدمت اثينا للعالم شذرات من الافكار الاقتصادية كانعكاس لصنوف المعرفة في الفلسفة والسياسة والاخلاق, حيث قدمت بداية لمراحل انحلال المشاعة البدائية مع التقدم النسبي في قوى الانتاج حتى ظهرت الفرصة المؤاتية للتبادل التجاري مع المدن المجاورة.

ورغم ان الحضارة الرومانية لم تخلف تراثا مميزا في التحليل الاقتصادي باعتبارها امتدادا للعلوم والفلسفة الاغريقية, الا ان الاحوال الجغرافية المناسبة ووفرة الموارد الطبيعية وتوسع الدولة ووجود مجتمع زراعي وتجارة محدودة وتقسيم صارم للطبقات الاجتماعية نتاج غزو المستعمرات عزز بعض الافكار الاقتصادية كصراع بين مصالح الفقراء والاغنياء مثل نسبة الضرائب والصراع الاجتماعي , وكان العصر الوسيط امتدادا طبيعيا للعصور القديمة رغم ظهور المذاهب الاقتصادية التي تظمنتها الرسالات السماوية وعلى وجه الخصوص الديانة المسيحية و الرسالة الاسلامية, فعلى سبيل المثال لا الحصر كان توماس الاكويني من ابرز اعلام المذاهب الكنسية وبالخصوص المدرسة السكولائية, بينما كان ابن خلدون والمقريزي من ابرز اعلام المذاهب الاقتصادية في العصور الاسلامية ,و تعد العصور الوسطى تمهيدا طبيعيا للافكار الاقتصادية في العصور الحديثة باعتبارعناصرها الاساسية مثل توزيع الملكية وعلائق توزيع الثروات, فضلا عن التبادل التجاري بين الغرب والشرق .

وتعززت الافكار الاقتصادية في العصور الحديثة بظهور النظريات الاقتصادية الكبرى بعد عصر النهضة من النظرية الماركنتيلية او الراسيمالية التجارية الكلاسيكية ورائدها ادم سمث في اطروحة ثروة الامم الى المدرسة الفريدمانية النقودية وتيارتها , ومن نظرية ريكاردو في التوزيع وتحليل الريع الى المدرسة الكنزية واطروحة النظرية العامة مرورا بنظرية فائض القيمة لكارل ماركس ومدرسة المنفعة

الحدية ونظرية التوازن العام ورائدها ليون والراس, كذلك بظهور النظريات السياسية في العلاقات الدولية في العصر الحديث من النظرية العقلانية والليبرالية الى النظرية الراديكالية والنظرية البنائية, تتبعت الدراسة اثر هذه الاسس النظرية على الافكار الاقتصادية للممارسات المعاصرة في الاقتصاد العالمي مثل التمويل والتجارة والتنمية الدولية, والعولمة والشركات العابرة للحدود والاندماج الاقتصادي , وغيرها من الممارسات الاقتصادية في العلاقات الدولية.

هدف البحث

تهدف الدراسة الى بيان حقول التقارب بين النظريات السياسية في العلاقات الدولية وتطور الافكار الاقتصادية واثر ذلك في الممارسات الاقتصادية على الساحة الدولية.

اشكالية البحث

تكمن اشكالية البحث في الفصل المنهجي من خلال الاسس النظرية والممارسة الفعلية في العلاقات الدولية بين الجدل التفاعلي لنوعين من التفكير الاقتصادي احدهما فكر معرفي عام ذو صبغة انطباعية , والاخر فكر علمي ممنهج ومتخصص.

منهج البحث

اعتمد الباحث المنهج الوصفي , ومنهج تحليل النظم, والمنهج المقارن, فضلا عن المنهج التاريخي.

هيكلية البحث

تضمنت الدراسة ثلاثة مباحث , كان المبحث الاول اطارا مفاهيميا عن ماهية الافكار الاقتصادية والنظريات السياسية ذات الصلة بها في العلاقات الدولية , ودرس المبحث الثاني مراحل تطور الافكار الاقتصادية القديمة والوسيطة, فضلا عن المراحل الحديثة والمعاصرة, بينما اختص المبحث الثالث بتحليل ومقاربة التفكير الاقتصادي المعاصر والممارسات الاقتصادية على الساحة الدولية, واختتمت الدراسة بعدد من النتائج والتوصيات.

نتائج البحث

توصلت الدراسة الى عدد من النتائج التوصيات وكان من اهم النتائج بقاء الازدواجية الراسمالية تحكم الممارسات الفعلية في الاقتصاد العالمي من خلال الادوار التي تلعبها المؤسسات الاقتصادية الدولية والشركات متعددة الجنسية في الاقتصاد السياسي الدولي رغم ماحدثته اسواق الطاقة من تغيير في العولمة الاقتصادية بثبات الاختلاف بين اصحاب النظرية الليبرالية من المركنتيلين والعقلانيين.

المبحث الاول

ماهية الافكار الاقتصادية والاسس النظرية ذات الصلة بها في العلاقات الدولية

يمكن دراسة ماهية الافكار الاقتصادية وتحديد تعريف دقيق لها من خلال دراسة اهم عناصرها الاساسية مثل المناهج والنظريات الاقتصادية او التحليل الاقتصادي, والسياسات والمذاهب والفلسفات الاقتصادية, وقد كرس المطلب الاول لذلك, اما المطلب الثاني فدرس الاسس النظرية ذات الصلة بها في العلاقات الدولية وهي النظرية الواقعية, والنظرية الليبرالية, والنظرية الرايديكالية, والنظرية البنائية.

المطلب الاول \ ماهية الافكار الاقتصادية

لما كانت الافكار الاقتصادية هي سسلسلة مترابطة من التركيبات المنطقية المترابطة غير المجردة فلا يمكن تعريفها الا من خلال ادراك عناصرها الاساسية وهي :

اولا \ النظرية الاقتصادية او التحليل الاقتصادي Economic theory or Economic analysis

وهي بيان القوانين والروابط الاقتصادية التي تحكم العلاقات بين الاطراف المختلفة والكشف عن الظواهر الاقتصادية واسبابها وردود الافعال التي يمكن ان تحدثها في السلوك الاقتصادي باعتبارها انعكاس للواقع, كذلك رصد التناقض الاساسي بين الطابع الاقتصادي والطابع الاجتماعي مثل التناقض الاقتصادي للانتاج والطابع الاجتماعي لملكية وسائل الانتاج الذي يفسر الدورة التجارية Cycle Prissiness حسب النظريات الاقتصادية الحديثة والمعاصرة (لانكة وكالنسكي, 1967 ,ص. 314), فالتفكير الاقتصادي الحديث والمعاصر المحكوم بالنظرية لايخرج عن سياق كشف القوانين التي تحلل الظاهرة الاقتصادية دون اصدار اي احكام عليها وهو يتطابق مع التفكير العلمي التجريبي ودوره في الكشف عن الظواهر الطبيعية وبيان القوانين التي تخضع لها وفقا للنظريات العلمية ذات الصلة دون الحكم عليها (المعموري, 2006 ,ص. 20).

ثانيا \ المنهج الاقتصادي الاستنتاجي والاستقرائي Economic Deductive and Inductive

1 – المنهج الاستنتاجي

ويرتكز فيه دوما الوصول الى النتائج من مقدماتها على مبدا عدم التناقض المنطقي حيث تكون النتيجة المستنبطة مساوية لمقدمتها او اصغر منها فيسلك هذا المنهج في التفكير والاستدلال طريقه من العام الى الخاص بمعنى انه يسير من الكلي الى الفردي ومن المبدا العام الى التطبيقات الخاصة, كما يبرهن هذا المنهج حتمية صدق النتائج اذا صدقت المقدمات على اساس منطقي وهو ان افتراض صدق المقدمات دون نتائج يستبطن تناقضا منطقيا مادامت النتيجة مستنبطة بكامل حجمها في تلك المقدمات, وعليه يكون هذا الاستدلال صحيح من الناحية المنطقية (الصدر, 2002 ,ص. 19), ويقتضي هذا المنهج التحقيق في صحة المقدمات وان لاتكون متعسفة وغير ملموسة استنادا الى مايعرف بالحقائق الاعتيادية تجنبا لاشكالية التجريد والاطلاق, وكان هذا المنهج سائدا في العصور القديمة والوسيطة متماشيا مع الفلسفة المطلقة حتى القرنين السادس عشر والسابع عشر حين تطرف الماركنتيليون في استخدام المنهنج الاستقرائي رغم تمسك الفيزوقراط الفرنسيون والكلاسيك الانكليز واقطاب المدرسة النمساوية بهذا المنهج الاستنتاجي , اما الباحثون المعاصرون فيميلون غالبا الى استخدام المنهج الاستنتاجي والمنهج الاستقرائي معا (المعموري, 2006 ,ص. 25).

2 – المنهج الاستقرائي

وهو الاستدلال السائر من الخاص الى العام على اساس ان النتائج المختبرة لصياغة القوانين التجريبية العامة (Empirical Laws) حيث تكون هذه النتائج اكبر من مقدماتها, وبذلك يشمل المنهج الاستقرائي الاستنتاج العلمي القائم على اساس الملاحظة والتجربة, ويختلف المنهج الاستقرائي الحديث والمعاصر عن المنهج الاستقرائي القديم حسب المنطق الارسطي الذي يقسم الاستقراء الى كلي وجزئي بينما يعتبرالاستقراء المعاصر ان الاستقراء الكلي هو استنباطا يدخل في خانة المنهج الاستنتاجي, وعليه يفرق المنهج الاستقرائي الحديث والمعاصر بين الملاحظة والتجربة, باعتبار ان التجربة هي اقتصار الباحث

على مشاهدة سير الظاهرة كما تقع في الطبيعة لاكتشاف اسبابها وعلاقاتها , بينما يدخل الباحث في حالة التجربة عمليا في دراسة سير الظاهرة ومحاولة تغيرها او خلق ظاهرة موضوعة البحث في حالات شتى لاكتشاف اسبابها وعلاقاتها (الصدر, 2002 ,ص. 25).

ثالثا \ المذهب الاقتصادي Economic doctrine

وهو الموقف الحاكم على نظام اقتصادي معين بالرفض او القبول او التفضيل على اساس تجريبي او عقلي او ذاتي دون قوانين مجردة يرتقي بها الى مستوى النظرية, فيكون اقرب الى الفلسفة الاجتماعية النقدية المتظمنة مجموعة من الاراء التي تنطلق من الواقع الاقتصادي في مرحلة زمنية معينة لتعبر عن اختيارات عقائدية في احيان كثيرة مثل النطام الاقتصادي في الاسلام , كما تستوحي حججها في احيان اخرى من مبادئ واحكام متعلقة بالنظريات الاقتصادية الكبرى او من الانظمة والبيانات الاقتصادية التاريخية مثل الراسمالية المتشددة التي ترفض اي شكل من اشكال تدخل الدولة في الاقتصاد الحر والمطلق (المعموري, 2006 ,ص 21) .

رابعا \ الفلسفة الاقتصادية Economic philosophy

اقترنت الفلسفة الاقتصادية بالفلسفة الاجتماعية العامة منذ العصور القديمة وعندما انقسمت الفلسفة اليونانية في القرن الخامس قبل الميلاد الى اتجاهين, الاول هو الاتجاه المثالي بدا من السوفسطائيين وكورجياس الى سقراط رائد المثالية الذاتية وافلاطون رائد المثالية الموضوعية , ومن بعض الرواقيين حتى العصر الوسيط الوسطى حيث اوغسطين وتوماس الاكويني وصولا الى عصر النهضة وبركلي وكانت وهيغل وكونت, ويتضمن هذا الاتجاه قدرة العقل الانساني المستقلة عن الظروف المادية والمرتبطة بالارادة المطلقة خارج الكون والتي خلقت العالم و تفرض النظم الاجتماعية والاقتصادية, حيث يتضمن هذا الاتجاه نسبية وذاتية الافكار الاقتصادية وعدم موضوعيتها , حيث يذهب المثاليون الى انكار اهمية القوانين في الحياة الاقتصادية, ويجعلون علم الاقتصاد في سياق فلسفة الفن عندما ينكرون وجود القوانين الاقتصادية اصلا (شقير, 1986) , (دويدار واخرون, 1988).

بينما تمتد جذور الاتجاه الثاني وهو الاتجاه المادي الى ابعد من ذلك حيث المدرسة الايونية التي نشات في القرن السابع قبل الميلاد من باطليس الى هيرقديلس رائد المادية الدياليكتية حتى ابيقور صاحب المدرسة الابيقورية في القرن الثالث قبل الميلاد ورائد مذهب السعادة وفكرة العقد الاجتماعي فضلا عن فكرة ذرية الكون, ويتضمن هذا الاتجاه الايمان بالفردية والنظام الطبيعي وخضوع العقل الانساني دائما لمحيطه المادي, وعليه حتميةخضوع الافكار الاقتصادية لمجموعة من القوانين الطبيعية, و عندما انكر هذا الاتجاه في العصور الحديثة نظم القرون الوسطى الدينية والسياسية والاخلاقية انكر كذلك الافكار الاقتصادية ذات الصلة بها معرفيا وفلسفيا حين اعتبر الفلسفة الاجتماعية تاخذ معناها الابستمولوجي فقط كونها نظرية عامة للمعرفة, يجب ان تكون محايدة للعلوم الطبيعية بما فيها علم الاقتصاد رغم اشكالية النظم المتنقدية System of Beliefs في العلاقة بين الفلسفة الاجتماعية والاقتصاد , والتي تعطي احكاما في الحقائق النهائية سواء كانت ثيولوجية او مادية فهي تشمل الاتجاهين المادي والمثالي (ولعلو, 1981) , (كبة, 1970) , (المعموري, 2006 ,ص. 24).

خامسا \ السياسية الاقتصادية Economic policy

وهي دراسة افضل الوسائل الممكنة التي تنتهجها السلطات العامة لتحقيق اهداف او غايات معينة , وتشمل السياسية الاقتصادية في الشؤون الداخلية التي تتضمن التدخل الحكومي لتحقيق القسط الاكبرمن الاشباع للحاجات الاساسية للوصول الى قدر معين من الرفاهية, كما تتضمن دراسة افضل السبل الممكنة لكبح جماح التضخم باعتماد سياسات نقدية او سياسات مالية معينة, كذلك تشمل السياسات التي تعالج نسب

البطالة في المجتمع المحلي , وتوصف السياسات الاقتصادية في الشؤون الداخلية بالاختلاف والنسبية في مستوى التدخل الحكومي فيها طبقا للافكار الاقتصادية التي تعتمدها السلطات العامة بين الواقعية والليبرالية والريديكالية والبنائية, اما السياسية الاقتصادية في الشؤون الخارجية فهي جزء اساسي من الاستراتيجية العليا للدول بشكل مطلق لانها تمثل اهم الوسائل لتحقيق الاهداف الاسترتيجة باستغلال الفرص او درء التهديدات او ضمان المصالح, كذلك هي تعبر عن السياسة الاقتصادية في الشؤون الاخارجية في معظم الاحيان عن العقيدة السياسية والايديولوجية للدولة , ومن نافلة القول ان السياسة الاقتصادية المراد تطبيقها يجب ان تمتاز بالدقة والحيوية والتحليل (كبة, 1970), (المعموري, 2006 ,ص. 21).

وعلى ضوء جميع هذه العناصر الاساسية يمكن ان نعرف الافكار الاقتصادية بانها نتاج طبيعي عن وعي العقل الانساني بجوهر مكونات عالمه ذات الصلة بتطور الوقائع والاحداث الاقتصادية , وهي انعكاس للظواهر والمشكلات الاقتصادية في محاولات دينامية لتجسيدها او التعبير عنها من خلال الفلسفة الاجتماعية المعاصرة لها والمرتبطة بمنظومة قيمية معينة,اومن خلال التفاعل الجدلي بين نمو النظرية ونمو المنهج العلمي واساليبه لاعتماد سياسات اقتصادية تنسجم مع العقيدة السياسية للانظمة السياسية التي تحكم الممارسات الاقتصادية التي تضمن اشباع حاجات شعوبها وضمان مصالحها العليا.

المطلب الثاني \ الاسس النظرية للممارسة الاقتصادية في العلاقات الدولية

رغم ان تجار بلاد مابين النهرين والتجار الاغريق والفينقيين في العصور القديمة اول من ارسى اشكال الممارسة الاقتصادية في العلاقات بين الدول, الا ان التغيرات الرئيسية التي حدثت في الافكار والممارسات الاقتصادية منذ القرون الوسطى حتى نهاية القرن الثامن عشر فضلا عن التقدم التكنولوجي بعد عصر النهضة هي من ارست الدعائم النظرية للممارسة الاقتصادية في العلاقات الدولية عندما بلورت النظريات الكبرى في العلاقات الدولية والتي تقوم في جزء كبير منها على الافكار والممارسات الاقتصادية, ويمكن البحث في هذه النظريات من خلال المنظورات المتنافسة التالية :

اولا \ المنظور الليبرالي

وهو من براهين ودوال ومصاديق النظرية الواقعية في العلاقات الدولية التي تعتبر نتاج تقاليد تاريخية وفلسفية عمقيقة رغم ان تطبيقها المباشر في القضايا الدولية حديث العهد, وتقوم هذه النظرية على ان كل دولة تتصرف بطريقة موحدة ومتكاملة تظمن حرية الافراد فيها في السعي نحو مصالحها الوطنية العليا من خلال قوة مواردها المادية الظرورية لفرض نظام توازن القوى الدولي يضمن مصالحها ويعزز فرصها ويدرء الاخطار والتهديدات عنها, وينقسم هذا المنظور من خلال النطرية الاقتصادية والتطبيق الى خيارين هما :

1 – الخيار العقلاني في العولمة

واول من نظر له الاقتصادي البريطاني ادم سميث على واقع ان الناس عقلانيون يعملون لتعظيم مصالحم الخاصة, وعندما يعمل الناس بهذه الطريقة تتطور وتتعزز الاسواق لوجود كثير من البائعين المتنافسين وكثير من المشترين الذين يسعون الى انجاز صفقاتهم الخاصة , عندها تنخفض الاسعار قدر الامكان لوجود منافسة حرة بعيدة عن اي تدخل حكومي , وهذة الاسعار المنخضة كفيلة بزيادة الرفاهية الاقتصادية التي تعزز النمو الاقتصادي باعتبار ان الاسواق هي محور الدورة الاقتصادية التي سرعان ماتحتاج الى اسواق اكبر للتنافس الحر في دول اخري دون اي تعريفات كمركية او كوابح سياسية او

اجتماعية بما يضمن توزيع فعال للموارد يضمن تنافس حر للتجارة العالمية, وهي افضل تعريف للعقلانية التي تعزز النظرية الليبرالية في الاقتصاد (Friedman, 1999 ,p.257).

2 – الخيار الدولاني – المركانتيلية

عكست سياسات الدول الغربية في العصر الحديث خيار اخر للنمظور الليبرالي على اساس النظرية الواقعية في العلاقات الدولية وهو المركانتلية او الدولانية التي تهدف الى بناء ثروة اقتصادية جبارة كاداة لقوة الدولة, ويمكن اعتبار الفرنسي جان بابتست كولبرت هو رائد هذا الخيار الميركانتيلي عندما كان احد مستشاري لويس الرابع عشر, وشملت السياسات المركانتيلية تحقيق الاكتفاء الذاتي عن طريق رفع التعريفات الكمركية وعدم تشجيع الاستثمار الاجنبي والاستيراد وحماية المنتوج الوطني , واید الكسندر هاملتون وزير الخزانة الامريكي الاول واحد الاباء المؤسسين هذا الخيار الليبرالي العقلاني الدولاني رغم انتقاد المثاليين له, واشار المؤرخ الاقتصادي البريطاني جفري وليامسن الى هذا الخيار بالقيد المركانتلي المضاد للعولمة رغم ازدهار حصة التجارة بشكل ملحوظ في الناتج العالمي الاجمالي وازدهار التجارة في العالم بشكل عام Williamson,2006,p.9-13))

وعزز التوسع الاستعماري هذا الخيار في القرن الثامن عشر عندما كانت الدول الاوربية بحاجة المواد الاولية التي اكتشفت في المستعمرات , وكانت بريطانيا العظمى نموذجا حتى عرفت تلك الحقبة بالسلام البريطاني حيث كانت الامبراطورية المهيمنة ومركز الثورة الصناعية ومركز راس المال الدولي فضلا عن الهيمنة السياسية والثقافية التي لم تنافسها انذاك الا فرنسا , وفي فرضيات هذا الخيار الليبرالي المركنتلي الحاجة الى وجود الدول المهيمنة لضمان الاستقرار وتوفير اقتصاد ليبرالي مفتوح وتسهيل عمل النظام الاقتصادي العالمي (Kindleberger,1986 ,p.1-13).

ثانيا \ المنظور الريديكالي

يستند هذا المنظور الى مجموعة الكتابات الماركسية التي قسمت المجتمع الى طبقات تعاني الطبقة العاملة فيه ظروف قاسية في العيش بعد التوسع الراسمالي في العالم الغربي وانتشار التصنيع خلال القرن التاسع عشر , والذي جعل بدوره هوة كبيرة بين البلدان المتطورة والبلدان المتخلفة والنامية خلال القرن العشرين, وقسم الراديكاليون على اساسه النظام الدولي كذلك الى طبقات غير متكافئة وفقا لما تملكه مجموعات الدول المختلفة من مواد حيوية مثل الثروة النفطية او القوة العسكرية او القوة الاقتصادية, فالتركيب الطبقي هو احسن تعريف للمنظور الراديكالي للنظام الدولي عندما يجعل التقسيم الطبقي في العلاقات الدولية على اساس طبقات القوة والموارد , واحد هذه المقايس المعاصرة التي يطرحها انصار هذه النظرية هو ان ماتملكه الولايات المتحدة, المانيا, بريطانيا , اليابان, فرنسا, روسيا والصين هو نصف الانتاج الوطني العالمي (GDP) تقريبا, بينما تمتلك 180 دولة اخرى في النصف الاخر,, وان هذا العجز في الطبقية بين المجموعات الدوليه يبرره المنظور الرديكالي لوجود النظرية الراسمالية التي فرضت العلاقات الدولية بين الطبقات المستفيدة والطبقات غير المستفيدة (منغنسنت, اريغوين , 2003 , ص. 60-61).

ثالثا \ المنظور البنائي

يرتبط هذاالمنظور بفلسفة مابعد الحداثة التي تفند النظريات الكبرى في عصر الحداثة وتعتبرها افكار اوربية ومنها النظريات السياسية في العلاقات الدولية والنظريات الاقتصادية التي تبررها, فقد اشارت مارثا فينمور مثلا الى ان جميع الانظمة الدولية التي حكمت العالم اعتمدت طرق مختلفة للحفاظ على كينوناتها , فنظام توازن القوى في القرن الثامن عشر والفكر الراسمالي التجاري الكلاسيكي الماركنتلي الذي عبر بطرق غير مشروعة عن صيرورة البنى الفوقية باعتبارها استجابة لضرورات البنى التحتية,

ونظام التوافق في القرن التاسع عشر الذي برر الفهم الراسمالي ذو الطابع اليميني في الحرية الفردية الذي يعادي اي تنظيم اجتماعي, كذلك نظام ثنائي القطبية التي افرزته الحروب الكونية في القرن العشرين الذي رسخ الانقسام بين المنظور الليبرالي الراسمالي والمنظور الراديكالي الشيوعي, ويعتقد انصار البنائية ان المعايير الاجتماعية هي التي تحكم تطور الافكار الاقتصادية باعتبارها معايير تحويلية فردية او جماعية تفرضها قوانيين الاكراه على المستوى الحاجات الفردية, اوعبر القوانين المحلية والمؤسسات الدولية والحركات الاجتماعية, او القدرات المادية ذات الاهمية في التغيير (Fennimoer,2003,p.94-95).

المبحث الثاني

تطور الافكار الاقتصادية

يعتقد كثير من الباحثين والمختصين في تاريخ وفلسفة الافكار الاقتصادية ان هذه الافكار هي نتاج طبيعي للاحداث والوقائع الاقتصادية الناجمة من الحاجات الانسانية المتعددة والمتطورة والموارد المحدودة نسبيا, فهي انعكاس للظواهر والمشكلات الاقتصادية (المعموري, 2006 ,ص. 18), وان تطور الافكار الاقتصادية مرتبط بشكل وثيق بتطور الفكر الانساني من خلال منظومة معرفية ذات ابعاد علمية وفلسفية وقيمية, وبتطبيق المنهج الوصفي التحليلي والمنهج التاريخي يمكن دراسة تطور الافكار الاقتصادية بتقسيم ابعاد هذه المنظومة الى مرحلتين , المرحلة الاولى ترتبط بالبعد الفلسفي والقيمي وهي مرحلة العصور القديمة والوسيطة باعتبار ان الافكار الاقتصادية في هاتين المرحلتين كانت انعكاس للفلسفات الاجتماعية والرسالات السماوية, اما المرحلة الاخرى فان الافكار الاقتصادية ترتبط بالبعد العلمي في العصور الحديثة والمعاصرةعندما تحاكي النظريات الكبرى في السياسة والاقتصاد.

المطلب الاول \ تطور الافكار الاقتصادية في العصور القديمة والوسيطة

يمكن تتبع دينامية الحياة الاجتماعية والاقتصادية ووسائلها في العصور القديمة والوسيطة وادراج مايترشح عنها من انماط العلاقات الاقتصادية القائمة انذاك لعلها تساعدنا في ادراك التفكير الاقتصادي السائد في اهم الحضارات الانسانية التي ساهمت في تطور الافكار الاقتصادية.

اولا \ حضارة وادي الرافدين

يمكن اعتبار اختراع الكتابة المسمارية في القرن الثالث قبل الميلاد في بلاد وادي الرافدين وعصر فجر السلالات ونشوء اولى الحضارات الانسانية التي تجسد المعنى الموضوعي لماهية الحضارة الانسانية باعتبار ان الكتابة والتدوين هو الفيصل في ذلك عندما يسفر عن اخبارنا بشكل موضوعي عن طبيعة التنظيم الاجتماعي والعلاقات الاقتصادية, فمن خلال هذا التدوبين عرفنا ان حضارة وادي الرافدين شملت خمسة عصور متوالية هي: العصر السومري, العصر البابلي القديم او مايعرف بالعصر الاموري, العصر الاشوري, العصر الكلداني اومايعرف بالعصر البابلي الحديث,عصر الانحطاط (الهاشمي, 1993 ,ص. 7 8).

ففي العصر السومري كانت ملكية المدن السومرية الاربعة عشر تحت حماية الالهة بواقع الاه واحد لكل مدينة, وكان الملك المختار لكل مدينة من قبل الاه يسمى الكاهن الاعظم او الرجل العظيم (ان-سي), وكان الملك هو مانح الارض للافراد او لبناء المعابد فضلا عن سلطاته السياسية والعسكرية الاخرى (الهاشمي, 1931 , 87), اما الحكومة الاكدية فقد عززت الملكية الخاصة وحولت ملكية اراضي المعابد الى ملكية الحكومة, كذلك شكلت الامبراطورية الاكدية طبقة اجتماعية باسم طبقة العبيد من اسرى

الحروب الكثيرة التي خاضتها ومنحتها طابع اقتصادي عندما جعلت منها قوة عمل رخيصة تم استغلالها لاول مرة في التاريخ(المعموري, 2006 , ص. 30).

وتطورت الافكار الاقتصادية في العصر البابلي القديم عندما شرع حمورابي مسلته القانونية المعروفة, والتي تشمل كثير من القوانين ذات الطابع الاقتصادي , وربما يكون قانون العرف السائد من اهم تلك القوانين الذي فرض على القضاء تطبيق الاجراءت الاقتصادية التي تتناغم مع اوضاع المجتع انذاك بعدما ادمجت خمس ولايات لتشكيل الامبراطورية, ورغم عصور الفوضى التي مرت بها حضارة وادي الرافدين بعد سقوط المملكة البابلية وعودة سلطة المعابد في السيطرة على اوضاع الحرفيين والمزارعين , الا ان العصر الاشوي اعاد سلطة المبراطورية حيث استطاع الحكام الاشوريون تحصيل الاموال الكثيرة من خلال اجبار المدن والاقاليم الاخرى دفع اموال الجزية لتجنب الاحتلال والتدمير(الرشيد, 1985, ص. 105), ويمكن اجمال الانماط والعلاقات والاجراءات الاقتصادية التي يستنتج منها تطور الافكار الافتصادية في حضارة وادي الرفدين بما يلي:

1 – ظهور طبقة العبيد كنمط اقتصادي باعتباره قوة عمل رخيصة, اما مصادر هذا النمط الاقتصادي فهي اسرى الحوب, العبودية بسبب الدين , الفقر والمجاعة, استيراد العبيد(Bernard,1949, p.8).

2- الملكية العامة والملكية الخاصة ومن اهم مظاهرها ملكية الارض للمعبد الذي يمثله رئيس اساقفة المعبد, ومن مظاهر الملكية الخاصة للارض والرقيق (اوبنهايم, 1981 , ص. 105).

3 – الضرائب – وهي حق للملك باسم الالهة من فرض الاتاوات ومصادرة العبيد والدواب والعربات (سميسم, 1999, ص. 34).

4 – القروض والربا – وهو الاقراض بنوعيه السلعي والنقودي , وتزداد فعاليته عند حدوث ظروف اقتصادية غير طبيعية مثل الحصار والمجاعات (باقر, 1986, ص. 584-585).

5 – النقود – كانت اجور الحرفين والصناع من الفضة, بينما كانت اجور رجال الدولة والمزارعين من الشعير (ساكس, 1979 , ص. 335).

6 – التجارة – كانت تجارة الخشب منذ عهد السومريين, وتطورت التجارة لتشمل انوع اخرى مثل المعادن والاحجار الكريمة, وتوسعت في العهد الاكدي والبابلي وبالخصوص في زمن سرجون الاكدي عندما اقام شبكة من العلاقات التجارية مع البلدان والمناطق المجاورة (الطعان, 1981 , ص. 126).

ثانيا \ الحضارة الاغريقية والرومانية

1 – الحضارة الاغريقية

رغم ماقدمته الحضارة الاغريقية من شذرات لامعة في صنوف المعرفة الانسانية مثل الفلسفة والسياسة والاخلاق كان التفكير الاقتصادي لايندرج ضمن المضاربة الفكرية في المشكلات العقلية والاخلاقية باعتباره من المشاغل الدنيوية التي لاتحتاج عمقا فلسفيا في التامل والبحث ولايمكن اعتباره فرعا مستقلا من فروع المعرفة, ولهذا كانت المشكلات الاقتصادية عند الاغريق محدودة جدا بسبب التفكير السياسي الطاغي الذي يهدف الى ارساء دعائم الحكم التي تضمن القوة والمنعة للمجتع الاغريقي امام التهديدات الخارجية , كذلك نتيجة احتقار اليونانين للنشاطات الاقتصادية القائمة على جهد العبيد بسبب واقع التقسيم والتمييز الطبقي الذي يعد من الملامح الاجتماعية في المدن الاغريقية (رول, 1968 ,ص. 42).

الا ان بوادر التفكير الاقتصادي قد بدا عند الاغريق في القرن الخامس ق.م اثر بواعث النهضة في اثينا الظافرة انذاك حتى ان مصطلح اقتصادي هو كلمة يونانية استخدمها الفيلسوف الاغريقي كسينافون Xenophon في مؤلف له عن دراسة اسس الادارة المالية العامة (الاثيني, 1935 , ص. 270), كذلك دشنت اثينا التقسيم الثنائي للعمل بعد اضمحلال مرحلة المشاعة وتبلور الملكية الخاصة عندما تمكن مالكي وسائل العمل من ارغام المحرومين على العمل لحسابهم ,كما ارست اثينا دعائم تقسيم المجتمع الى طبقات بعد بروز ظاهرة ازدياد اسرى الحروب التي وفرتها الانتصارات العسكرية المتكررة, حيث استغلت هذه الطبقة من الاسرى الى ارقاء مهدت لطبقة لتبلور طبقة العبيد وطبقة الاسياد,وبالخصوص مع تنامي ظاهرة النخاسة والمديونية (دليلة, سفر, 1977 , ص. 14), كذلك شهدت اثينا البدايات الاولى للتبادل التجاري مع المناطق المجاورة لها. (المعموري, 2006 , ص. 62), ومن اهم الانماط الاقتصادية الدالة على تطور الافكار الاقتصادية في الحضارة الاغريقية هي :

& - نظام العبودية \ لم ياتي الاهتمام الفكري باوضاع المجتمع الاغريقي من قبل كبار الفلاسفة اليونان امثال افلاطون وارسطو واكسينافون الا من واقع المجتمع المحلي الذي تتطابق فيه الفلسفة الاجتماعية السائدة في تكريس نظام العبودية الذي يقسم المجتمع الى عبيد ومواطنين واحرار, والتي بدات ملامحه بالظهور منذ نهايات القرن الخامس قبل الميلاد والفلاسفة السفسطائيون بعد الاضطربات التي اجتاحت اثينا وشيوع نزعة الاثراء الفردي (المعموري, 2006 , ص. 66-69).

& - الملكية الخاصة \ تضع الفلسفة الاجتماعية اليونانية الملكية الفردية في خانة طبقة الحرفيين والصناع والمزارعين الذين لايستطيعون الارتقاء الى طبقة المواطنين الاحرار من الصفوة الحاكمة مثل القضاة والمحاربين والفلاسفة, وعليه فان طبقة النخبة يجب ان تترفع بكل مايحط من شانها وان تحرم من الملكية الخاصة وحتى من الاسرة وان تكون الاموال والنساء مشاعا بينهم , وهذا مايعده افلاطون من اهم الافكار في جمهوريته (Blanqui,3), بينما ينتقد بعض الفلسفة هذة الافكار ومنم ارسطو الذي يعتقد بجدوى الملكية العامة ويعارض افكار استاذه افلاطون ويعتبرها تناقض ميول النفس البشرية (رودك,1995).

& - النقد والقيمة التجارية \ رغم ان عموم الفلسفة الاجتماعية اليونانية لم تفطن الى جبرية الظواهر الاقتصادية, الا انها نادت بالادارة العقلانية للاقتصاد , فقد اطلقوا صفة الكسب الى كل شيء نافع للانسان, فعدوا النقود رمز لتسهيل التبادل بين الناس وفرقوا بين النقود المحلية والنقود العامة للتبادل التجاري وفرقوا بين القيمة الاستعمالية والقيمة التي تحملها (كبة, 1990 ,ص. 163).

& - نقد الوسائل والظواهر الاجتماعية \ رغم ان الزراعة والصناعات الحرفية من اهم وسائل النشاط الاقتصادي في الحضارة الاغريقية الا انها صنفت باحتقار طبقيا بتبرير ذرائعي من قبل الفلاسفة اليونان بصورة عامة, كدلك استكرنت الفلسفة الاجتماعية بشكل عام بعض الظواهر الاقتصادية وعدتها سلبية في المجتمع مثل زيادة الضرائب والاحتكار والمعاملات الربوية النقدية باعتبارها فعاليات اقتصادية غير انتاجية تعزز المشكلات الاقتصادية (الاثيني, 1935 , ص. 8).

2 - الحضارة الرومانية

لم تضع الحضارة الرومانية اضافات مميزة على الافكار الاقتصادية السائدة الا في جوانب محدود اهما الجانب القانوني Natural law ,والشؤون الزراعية, فعندما شرع الفقهاء الرومان القانون الطبيعي الذي كان يشمل جميع الكائنات الحية اثرهذا التشريع على تطور الفكار الاقتصادية بشكل ملحوظ حيث خلفت المؤسسات الحقوقية الرومانية اطارا نطريا للنطام الراسمالي عندما كرسوا الملكية الفردية بشكل قانوني

حتى باتت مشروعة بصورة مطلقة باعتبارها حقوق مكتسبة فضلا عن الحرية غير المحدودة التي منحت للمالك في حق التصرف المادي والقانوني بشكل يخدم المذهب الفردي عندما يقرر النشاط الاقتصادي دون اي تدخل من الدولة (دليلة, 1977 , ص. 37).

اما في الشؤون الزراعية فكان بروز عدد من رجال الدولة والعلماء والكتاب المهتمين في الاقتصاد والفن الزراعي ومجدوا مهنة الزراعة دون المهن الاخرى , فمثلا كاتون وهو من اعلام الدولة البارزين والكتاب في روما القديمة امتدح نظام الانتاج الزراعي القائم على الملكية الفردية بينما هاجم نظام الرق الذي تستغله الاقطاعيات الكبيرة في استغلال طبقة العمال والعبيد, كذلك فعل فارون وهو كاتب وعالم معروف في جوانب متعددة من المعرفة عندما اشار في مؤلف الاقتصاد الزراعي الى ضرورة انتشار العلاقات البضاعية والنقدية , كما دعا الى الاهتمام بتكثيف الزراعة واقامتها على اسس علمية والاهتمام بتقلبات اسعار السوق لضمان اكبر ارباح ممكنة , وايضا تضمن كتاب كالوميلا في الاقتصاد الزراعي ازمة نظام الاستغلال العبودي وحالة الزراعة في روما, وان تدهور الانتاج الزراعي يعود الى تناقص خصوبة الارض , كما اكد كالوميلا على العلاقات البضاعية --النقدية حيث دعا الى عدم الاكتفاء باستهلاك المنتجات الزراعية وانتاج البضائع من اجل السوق, كذلك طالب بتقسيم العمل وحذر من توسيع ظاهرة ايجار الارض من اجل مزيدا من الريع (المعموري, 2006, ص. 96-99).

واخيرا يمكن ان نقول ان فكرة القانون الطبيعي في الحضارة الرومانية اثرت بشكل كبير في تطور الافكار الاقتصادية عندما احتلت مكانة هامة في الفكر الاقتصادي منذ القرن الثامن عشر, كذلك مهدت مبادئ القانون الطبيعي في الحضارة الرومانية لنشوء المذهب الفردي في الملكية وحرية التعاقد وحرية التبادل التجاري وهو من ملامح وسمات الافكار الاقتصادية في الحضارة الرومانية, ومن نافلة القول ان نقارن هذا المذهب الفردي في الحضارة الرومانية مع مذهب الملكية الجماعية والاشتراكية الذى اشرنا اليه في الحضارة الاغريقية كدوال منهجية عن تطور الافكار الاقتصادية في تلك المراحل التاريخية.

ثالثا \ العصور الوسيطة

1 – العصر الاوربي الوسيط (العصر الكنسي)

يجمع معظم الباحثين والمختصين ان الفترة الزمنية المقدرة بالف عام والممتدة منذ سقوط روما في القرن الخامس الميلادي على ايدي القبائل الجرمانية الى سقوط القسطنطينية في القرن السادس عشرعلى ايدي الدولة العثمانية هي الاطار الزمني للعصر الاوربي الوسيط وهو مايعرف بالعصر الكنسي (بروي, 1986, ص. 19), كما يجمع الكثير من المختصين والباحثين ان العصر الوسيط في اوربا هو امتداد طبيعي للعصور القديمة وتمهيدا للعصور الحديثة على المستويين الاجتماعي والاقتصادي , وذلك لان الفلسفة الاجتماعية والطبيعة الاقتصادية قد اكتسبت عناصرها الاساسية في نهاية العصر القديم عندما اصبحت العقيدة الكنسية هي الحاكمة على المستوى الاجتماعي بما انعكس ذلك على المستوى الاقتصادي وبالخصوص على توزيع الملكية وعلائق الاستثمار حتى باتت حالة تداخل النظم الاقتصادية بين هذه العصور امر مسلم به رغم حالات عدم الثبات في تطور الفعاليات والافكار الاقتصادية بين الحيوية والسبات الا انها لم تشكل فراغا في التاريخ والفكر الانساني (كبة,1970 , ص. 389).

اما اهم الملامح المادية للافكار الاقتصادية في العصر الوسيط فهي طبيعة وبنية المجتمع الاقطاعي المنقسم بشكل كبير بين الملاكين Landlords وبين الاقنان Serfs سواء في نظام الطوائف والزراعة او المهن والحرف ذات الصلة في الصناعة والتجارة حتى تبلور نظام جديد من الرق افضى الى نوع اخر من الاستعباد يشبه الى حد ما نظام الرق في العصور القديمة رغم القواعد الاخلاقية التي يبشر بها الفكر الكنسي السكولائي والتي تستهدف ادارة النشاط الاقتصادي ادارة صالحة حسب الاهوت المسيحي , وهو

ماعبرت عنه كتابات توماس الاكويني التي تتستند الى الرفض المسيحي والاوغسطيني للملكية الخاصة وحب التملك وعدم المساوات لانها تغيب السعادة العليا للانسان لانها مرتبطة بالرب الذي لايهبها الا لاصحاب القلوب السليمة (جويك, ص. 1949 , 245), كما تركز الفلسفة الكنسية على حقوق العمل والاجر العادل واستنكار الثراء والتوفيق بين العقيدة اللاهوية والاحوال السلئدة في الحياة الاقتصادية ومنها العمل التجاري الخارجي بمقدار مايحققه من منفعة للدولة (دليلة, 1977 , ص. 96).

2 – العصر الاسلامي

تميز العصر الاسلامي بقيام مذهب اقتصادي متفاعل ومستمرعلى اساس تشريعات واضحة تقنن الظواهر والوقائع الاقتصادية بصيغة مفروضة بحكم الفلسفة العقائدية التي تنتمي اليها على مبادئ الدين الاسلامي, ورغم جدلية انتماء المذهب الاقتصادي الاسلامي الى العصر الوسيط باعتبار مديات تطور الافكار الاقتصادية الحيوية التي تضمنها بحساب ظروف التاريخ والجغرافيا, الا اننا ادرجنا ملامح تطور الافكار الاقتصادية وفق المذهب الاسلامي في سياق العصر الوسيط بسبب مايفرضه منهج البحث التاريخي فضلا عن التفاعل بين نمو المنهج والنظرية العلمية من ناحية اخرى , باعتبار ان الافكار الاقتصادية الاسلامية لاتنتمي الى النطريات الاقتصادية الحديثة الكبرى وانما تعطي رؤئ نقدية على اساس التشريعات الاقتصادية التي تؤمن بها.

ومن اهم الانماط الاقتصادية التي تعبر عن الافكار الاقتصادية حسب الشريعة الاسلامية والمقاربات الفلسفية التي تفسرها هي :

& \ لايقر المذهب الاقتصادي الاسلامي اساسا بالمشكلة الاقتصادية باعتبار الوفرة بالموارد التي ضمنها الله سبحانه وتعالى (الدوري, 1978 , ص. 7).

& \ الملكية في المذهب الاقتصادي الاسلامي هي وظيفة اجتماعية بمعنى الاستخلاف, ويعد ملكية وسائل الانتاج باشكالها العينية والنقدية تعود الى الله سبحانه وتعالى (المعموري, 2006 , ص. 151).

& \ تخضع جميع قوانين الاسعار والاجور والتوزيع والاستهلاك والتكافل الاجتماعي الى فلسفة ومعايير الشريعة الاسلامية (النبهان, 1983 , ص. 378).

& \ العلاقات الاقتصادية هي نتاج طبيعي لممارسة الدولة الاسلامية لوظائفها الرئيسية في تنظيم المجتمع من خلال الحكم والتشريع والرقابة (مبارك , 1986, ص . 10).

المطلب الثاني \ تطور الافكار الاقتصادية في العصور الحديثة والمعاصرة

مهد النظام الاقطاعي في العصر الوسيط في ظل طبيعة التنظيم الحرفي في المدن الاوربية او مايعرف بنظام الطوائف بظهور التجارة والعلاقات النقدية التي احدثت تغيرات في نمط الانتاج من خلال انجازها للتراكم السلعي والنقدي عبر الربا والتجارة, وتزامنت هذه الممارسات والافكار الاقتصادية مع عصر النهضة الاوربية في القرن السادس عشر الذي فجرته الاستكشافات الجغرافية التي عدها ادم سميث بانها اكبر الاحداث المسجلة في تاريخ الانسانية ,ومن اهم بواعث عصر النهضة وعصر التنوير الذي انعكس على تطور الافكار الاقتصادية وظهور النطريات الكبرى ,التي افضت بمجموعة عمليات تاريخية الى سيطرة الانتاج الصناعي والثورة الصناعية وسيادة اقتصاد السوق وتطور النظام الراسمالي فضلا عن ظهور النظام الاشتركي من خلال المراحل التالية :

اولا \ الراسمالية التجارية --- الماركنتيلية

وهي السياسات والاراء الاقتصادية التي سادت في اوربا للفترة الممتدة من القرن السادس عشر الى القرن الثامن عشر, وتطورت هذة الافكار والسياسات الاقتصادية التي استرشدت بها معظم الدول الاوربية لتفضي الى المذهب التجاري الذي يضمن ثراء الدول التي تسعى لبناء قوتها العسكرية والسيايسة وتحقيق اهدافها القومية, ومن اهم عناصر الماركنتيلية هواعتبار التجارة اهم مصادر الثروة للدول وضرورة التدخل الحكومي في تطبيقها, وان بناء قوة الدولة هو الهدف الحقيقي للسياسة الاقتصادية, وان الشكل النقدي للثروة هو مقياس قوتها, وان التصدير الخارجي هو اهم نشاط اقتصادي بفروعه الرئيسية, كما ان الوسيلة الرئيسية لامتلاك الثروة هو التجارة الخارجية (Gray, 1931, p .66) , اما اهم اعلام الماركنتيلية فهو توماس مان وافكاره في الميزان التجاري وحركة الاسعار, كذلك انطوان مونكريتيان وارائه في فضيلة الادخار, وانطونيو سيرا وافكاره في الصناعة الوطنية, باالاضافة الى جون بودان والدولة المركزية, ووليم بتي ومفهوم القيمة, وريتشارد كانتيون وارائه في الدورة الاقتصادية والسياسة النقدية (المعموري , 2006 , ص. 253-257).

ثانيا \ الفيزوقراطية – الطبيعية

تعد الفيزوقراطية انعطاقة مهمة في تطور الافكار الاقتصادية بعد عصر النهضة باعتبارها اول مدرسة اقتصادية تقوم على اساس نظري علمي عندما وضع فرانسوا كيناي وهو اشهر اطباء لويس الرابع عشر مؤلف الجدول الاقتصادي الذي ايده العديد من الكتاب والمختصين والمهتمين في الشؤون القتصادية فضلا عن كبار ملاك الاراضي الذين ارسوا دعائم طبقة جديدة من الراسمالين الزراعيين التي تعارض السياسات التجارية القائمة, واعلاء شان السياسات الزاعية من خلال افكار جديدة تؤمن بوجود نسق جوهري في جميع المجتمعات البشرية هو النسق الطبيعي, وان الزراعة هي نواة الاقتصاد وتفضيلها على التجار ة والصناعة باجراءات علمية مثل اصلاح النظام الضريبي الذي كان سائدا هو البداية باعتبار ان عناصر الانتاج الزراعي وطبقة المزراعين كفيلة بترسيخ نتاج اقتصادي صافي باعتبارها طبقة منتجة تختلف عن الطبقات العقيمة, ومن الجدير بالذكر الفيزوقرط كلمة يونانية تعني حكومة الطبيعة , وبظهور هذه المدرسة دخلت الافكار الاقتصادية مرحلة النظريات الكبرى (سول, 1962, ص42 - 51).

ثالثا \ الكلاسيكية

وظف ادم سميث ومالثوس وريكاردو القوانين الفيزوقراطية للانتقال بالافكار الاقتصادية من طور الفلسفة الاجتماعية الى علم مستقل تحكمه القوانين النظرية, فاسس المدرسة الكلاسيكة التي عدت سمة القرن الثامن عشر في تطور الافكار الاقتصادية الحديثة والمعاصرة عندما مهدت للثورة الصناعية وولادة الفكر الليبرالي الذي عبر عن الوجه المتطور للراسمالية التي نقلت الانتاج من الطابع الحرفي الى الانتاج النمطي واشاعت الليبرالية الاقتصادية السياسية فكرا ونمطا للانتاج, ومن اهم الخصائص الفكرية النظرية والمادية للمدرسة الكلاسيكية هو تقدم الحقائق العلمية والمنهج التجريبي Empirical Method امام النظرة الميتافيزيقية اللاهوتية في ذهنية الفرد والمجتمع, كذلك تقدم مفهوم شرعية الملكية الخاصة بفضل تطور التفكير السياسي وظهور الاطروحات الكبرى في الفلسفة السياسة الاجتماعية مثل اطروحات هوبز, لوك, هوبز, روسو, ومونتسكيو ....الخ, اما اهم الخصائص المادية فهو التحول في نظم الانتاج القائم على اساس التخصص وتقسيم العمل وتوسع السوق الداخلية في الانتاج والاستهلاك فضلا عن تزايد رسملة الانتاج الزرعي بظهور سوق العمل الزراعي على خلفية حركة النسج Unclosed Movement) ولعلو, 1981 , ص. 57).

رابعا \ الرومانسية الاقتصادية والاصلاحية

تقوم الرومانسية الاقتصادية على نقد الافكار الكلاسيكية للراسمالية الى درجة الانشقاق عنها فهي تنتمي الى الرومانسية الاصلاحية عبر التاريخ باعتبارها حركة صوفية غير متماسكة منهجيا تدعوا الى اندماج الفرد في الدولة والمجتمع و ترفض التجريد والذرائعية في الاقتصاد السياسي(جالبريث, 2000 , ص. 111) , فمثلا ينقد سيسموندي وهو من اعلام هذه المدرسة افكار ونظريات ادم سميث وريكاردو في تفسير ظاهرة الفقر باعتبارها نظريات لاتتطابق مع الواقع (سفر, دليلة, 1977, ص. 337), اما المذهب الاصلاحي فيبتغي معالجة ظاهرة الفقر بافكار المثاليين في رفض الملكية الخاصة واستبدالها بتنظيم الانتاج الصناعي والتوزيع القائمة على اساس الاشتراكية المثالية ونظرية النمو التاريخي لمعالجة الازمة الاقتصادية, ومن اهم رواد الاصلاحية سان سيمون وكارل رودبرتس (ولسون, 1973 , ص. 76-131).

خامسا \ الاشتراكية

الاشتراكية هي نتاج الفلسفة الاجتماعية المثالية التاريخية منذ العصر الاغريقي , وهي كذلك نتاج الرومانسية الاقتصادية بعد عصر النهضة كبديل حضاري واصلاحي للراسمالية, ويمكن تقسيم الاشتراكية من منظور اقتصادي الى ثلاثة انماط منذ ان تم استعمالها في انكلترا وفرنسا عام 1835 , النمط الاول هو الاشتراكية المثالية وهي لاتعدوا كونها مبادئ وتجريدات عاطفية واساطير ضبابية غير محددة لا تلامس ارض الواقع الاقتصادي جل طموحها كبح نهوض الراسمالية بعد الثورة الصناعية في اوربا, ومن ابرز روادها روبيرت اوين الذي بلور الافكار الاقتصادية للاشتراكية المثالية في المجال التعاوني عندما انشا تعاونية الانسجام الجديد New Harmony في مشروعين احدهما في اسكتلندا والاخر في ولاية انديانا الامريكية مستوحيا افكار الفرنسي شارل فورييه في الامور الدينية, والملكية الخاصة, والشكل الاجتماعي للعائلة (كول, 1963 , ص. 18).

اما النمط الثاني فهو الاشتراكية الفوضوية التي ولدت في منتصف القرن التاسع عشر تقريبا بمصطلح يوناني الاصل مشتق من كلمة تعني (بدون السلطة), وترعرت الاشتراكية الفوضوية في البلدان ذات الانتاج البضائعي البسيط (الماجد, 1977 , ص. 81), ويعد جوزيف برودون مؤسس اشتراكية الفوضى من خلال نظرية الخدمات المتبادلة التي استوحى فيها الديالكتيك الهيغلي ليطبقه على النظام الراسمالي عندما يقترح تخليص الملكية من مساوئها عن طريق انشاء مصارف التبادل لتعميم الاطلاق في الملكية الى الحيازة , كذلك عن طريق تقسيط الاموال التي تدفع الى ملاك الاراضي سنويا نظير استعمالها (سفر, دليلة,1977 ص. 349).

واالنمط الثالث هو الاشتراكية العلمية او الماركسية وهي استنتاج لفشل الاشتراكية المثالية في امداد الانسان بالمبادئ العلمية لتحرير نفسه من الاستلاب والقهر الاقتصادي الذي تنتجه مخرجات الراسمالية في سعيها لبلترة Proletarilization المجتمع بشكل دائم, ومن ابرز رودها كارل ماركس وفريدريك انجلز عندما شرعوا العنف باعتباره مولد التاريخ ووسيلة لتغيير الاقتصاد السياسي ووجهة المجتمع من خلال ثورة الطبقة العاملة ودخول الناس مرحلة الانتاج الجماعي وتوافق علاقات الانتاج وفقا لقوانينن الديالكتيك التي تضمن مجموع التغيرات الكمية فيه التحولات الكيفية بوجود صراع الاضداد وفق منطق نقض النقض (جالبريث,2000,146), وتقوم الافكار الاقتصادية للماركسية على اعتماد المادية التاريخية وفق المنطق الجدلي في تحليل الظواهر الاقتصادية بدا من نقد اسلوب الانتاج الراسمالي وطبيعته وقوانينه الحاكمة التي يصفها ماركس بالوثنية السلعية مرورا بنقد فائض القيمة وتكديس الثروة حسب الفهم الراسمالي وصولا الى نقد علاقات الانتاج الراسمالي التي تعبر عن التناقض بين الطابع الاجتماعي للانتاج وبين الطابع الفردي لملكية وسائل الانتاج (لانكة, كاليتسكي, 1967 , ص. 314).

سادسا \ الحدية

تقوم المدرسة الحدية على فكرة المنفعة الفردية التي شكلت محور نظريتها الاقتصادية في محاولة لتطوير الكلاسيكية في منظومة الفكر الاراسمالي التي وصلت الى مرحلة الشيخوخة والانحطاط حسب تعبير شومبيتر (Schumpeter, 1976,P.5) بما ترتب عليها من اصطفاف طبقي حاد, وتتميز الحدية باهتمامها بالذاتي وهو الاستهلاك على حساب الموضوعي وهو القيمة او فائض القيمة من خلال منهج الاستنباط والتحليل الحسابي المجرد, وتعد الذاتية الفكرة المركزية المرتكزة على المنفعة الحدية Marginal Utility التي تمنح الاهمية في تقرير سلوك الفرد منتجا او مستهلكا بما يحقق الاشباع الذي توفره الاضافة الاخيرة التي يحصل عليها الفرد من ذاك الاستهلاك خارج دائرة الاهتمام بالمنفعة الكلية Total Utility تعبيرا عن حرية التصرف الاقتصادي (جالبريت, 2000 ,ص. 124), ومن اعلام المدرسة الحدية كارل منجر من التيار النمساوي في مؤلف اسس النظرية الاقتصادية (شومبتير, 1968 ,ص. 114) , ووليم ستانلي جيفونر من التيار الحدي في لندن وكتابه نظرية الاقتصاد السياسي (سلمان, 1966 ,ص. 293).

سابعا \ التوازن العام

وهي مدرسة اقتصادية انبثقت في الربع الاخير من القرن التاسع عشر من محاولات فكرية لتقريب التناقض بين المدرسة الكلاسيكية والمدرسة الحدية في الفكر الراسمالي بعد ضعف الية التضبيط او الاصلاح الذاتي التي كان معولا عليها لاحداث التوازن الديناميكي, ويعد ليون والراس اهم رواد هذه المرسة عندما كان استاذا في جامعة لوزان حتى كرمته اخيرا عندما نقشت كلمات التوازن الاقتصادي على تمثاله (شومبيتر, 1968 , ص. 106), ومن اهم الشروحات الجزئية التي جاء بها والراس هو تحليل ظاهرة تداخل النفعة والندرة عندما يلقيان بظلالهما على عملية التبادل في الاسواق لتحديد القيمة الفعلية للاشياء, فاشار الى مفموم المنفعة النادرة بعدها مزيج من المنفعة والندرة لاحداث التوازن العام (رول, 1968 , ص. 384), كذلك اعتقد والراس بمفهوم المنفعة المتناقضة Diminishing Returns وهي التدرج في اشباع الحاجات دون الاهتمام بموضوعة القيمة باعتبار العلاقة التبادلية بين مختلف الظواهر الاقتصادية بعملية الفعل ورد الفعل مثل تحديد الاسعار من خلال علاقة العرض والطلب (سفر, دليلة, 1977 , ص. 529).

ثامنا \ الكنزية

يعتبر مؤلف النظرية العامة لجون مينارد كينز جوهر المدرسة الكنزية عندما جاءت مخالفة لطبيعة الراسمالية الكلاسيكية التي تحطمت اطروحاتها بصخور ازمة الكساد العظيم بعد الربع الاول من القرن العشرين, كذلك عندما هاجمت هيمنة منهجية ريكاردو على الواقع الاقتصادي الراسمالي لاكثر من مئة عام والتي اعترضت التقدم في علم الاقتصاد (روبنسون, ايتول, 1980 ,ص. 82), فضلا عن معالجتها لازمة البطالة من خلال نقدها للسعي الدائم للراسماليين الكلاسيك بخفض الاجور والتركيز على الاجور الكفافية ومن ثم الاجور الحدية الذي سببت بشكل مباشر على خفض الطلب وهو اساس الازمة الاقتصادية , كما عالجت ظاهرة التوزيع من خلال مبدا المساواة والتدخل الحكومي في فرض الضرائب التصاعدية مصحوبة باجراءات التامين الاجتماعي والخدمات العامة, واعتماد سياسة حماية المنتج المحلي لزيادة الطلب وزيادة الانتاج, وتاكيدها على الجمع بين النظرية الاقتصادية والسياسة الاقتصادية من خلال تقرير الاسعار والتقلبات الاقتصادية فضلا عن تقرير مستوى الانفاق والدخل والاستخدام, وضمان الترابط العضوي بين السياسة النقدية والسياسة المالية للدولة بدينامية تقرير سعر الفائدة من خلال تقاطع منحنى عرض النقد Money Supply ومنحنى تفضيل السيولة Liquidity Preference, كذلك العمل على

تحديد عرض النقد وتخفض قيمة العملة باستمرار لضمان عدم اكتناز السيولة , وفك ارتباط النقد بالمعادن والاستغناء عن الاساس الذهبي Gold Standard (اكلي, 1986).

تاسعا \ النقودية

وهي احدث المدارس الاقتصادية المعاصرة التي ظهرت منذ ستينات القرن العشرين على واقع ارتفاع مستويات التضخم – البطالة – ارتفاع اسعار الطاقة, وقامت المدرسة النقودية في تجاوز الافكار والاحداث الكنزية التي باتت عاجزة عن حل المشكلات الاقتصادية المعاصرة في المنظومة الراسمالية, وترتكز المدرسة النقودية على اطروحة بعنوان التاريخ النقدي للولايات المتحدة 1867 – 1960 اصدرها ميلتون فريدمان و انا ج شوارتز, وتظهر هذه الاطروحة ان سرعة تداول النقود بعد عام 1948 اشرت نمطا ثابتا من النمو المتوقع ,وهو تحدي للادعاء الكينزي في ضرورة الانفاق الحكومي والاصلاح النقدي في تحفيز الاقتصاد, واحياء للمذهب النقدي الذي يؤكد الارباك الذي يفرضه التدخل الحكومي على الاقتصاد باي شكل كان (Maynard, 1973,P.294) .

وترسخت المدرسة النقودية من خلال تيارين رئيسيين, الاول هو تيار التوقعات العقلانية و ترجع اصوله دراسة قام بها جون موث عام 1961 في تطور الافكار الاقتصادية الحديثة والمعاصرة والتوقعات التي يمكن اضافتها الى النظرية الاقتصادية في حقول السياسة المالية والسياسة النقدية والتضخم واسواق الاسهم والسندات, وكرس هذا التيار مجموعة من الاقتصاديين من انصارهذه التوقعات في سبعينيات القرن العشرين بدراسات في حقل الاقتصاد الكلي ,حيث عملوا على التكامل المنهجي لمنظومته الفكرية , ورغم ان هذا التيار كان قد نما في رحم المدرسة النقودية واراء فريدمان الا انها عمدت احيانا الى تبني بعض الافكار الكنزية (جالبيرث, 2000 , 21), اما التيار الاخر فهو تيا ر اقتصاديات جانب العرض الذي يدعوا الى اعتماد سياسات مالية و نقدية تحفز النمو في العرض الكلي وتدعم الانتاج وتحقيق الاستخدام الكامل لتخفيض الاسعار (Scott& Nigro,1982,P.805).

عاشرا \ التبعية

تتلخص فكرة المدرسة التبعية بانها محاولات نظرية نمت في احضان بلدان العالم الثالث لاعادة تعريف للمفاهيم الاقتصادية في النظريات الاقتصادية الكبرى مثل الراسمالية او الماركسية على خلفية مرحلة الاستعمار لرسم ملامح النهوض الاقتصادي او التنمية الاقتصادية في الدول المتخلفة في امريكا الاتينية وافريقيا واسيا بعد الاستقلال عن الدول الراسمالية, والنظرية التبعية اكدت قصدية الاسس النظرية للراسمالية في خلق التبعية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في العلاقات الدولية, والتبعية ترفض نظرية التحديث Modernization كون الاحتكاك المكثف بين الدول المتقدمة والبلدان المتخلفة كرس هذا التخلف ودعمه (سنتتش, 1978 , ص. 18), وترتكز المدرسة التبعية على اطروحة روزا لوكسمبورغ التي ترى ان قيام علاقات اقتصادية بين الدول المتقدمة واقتصاديات متخلفة بوجود التبادل غير المتكافئ , ونظرية التجارة الدولية, والتقسيم الدولي للعمل هو تعظيم لمصالح الدول المتقدمة فقط (امين , د.ت, ص. 143).

وشغلت هذه الافكار الاقتصادية مساحة واسعة في التفكير الاسترتجي المعاصر في الشؤون الخارجية كونها نسجت العلاقة النظرية بين النظريات الاقتصادية والنظريات السياسية في العلاقات الدولية في اطار مجارات تطور الافكار الاقتصادية لتعبر عن حاجات ومصالح الدول الصناعية المتقدمة في مراحل نضوج نمط انتاجها واستقرار بنائها الاقتصادي في نفس الوقت التي تطمح ان تلبي فيه حاجات ومصالح دول العالم الثالث في مراحل نموها الاقتصادي بعد الاستقلال, ويمكن ان يكون هذا مدخلا للمبحث الثالث في تحليل الممارسات الاقتصادية المعاصرة في العلاقات الدولية.

المبحث الثالث

الممارسات الاقتصادية المعاصرة في العلاقات الدولية

رغم انتصار الليبرالية الاقتصادية منذ منتصف القرن العشرين تقريبا حتى وقتنا الحاضرفي الربع الاول من القرن الحادي والعشرين على ضوء النجاحات التي حققتها معظم الدول الدول المنسجمة مع المنطق المركانتلي والمنظور الدولاني عندما استخدمت تلك الدول سلطاتها لتعزيز النمو الاقتصادي مثل اليابان وبلدان شرق اسيا المصنعة منذ عقد الستينات من القرن العشرين , كذلك عندما شجعت ودعمت التصدير على حساب الاستيراد, فضلا عن دعم البحث العلمي والتعليم من اجل المنافسة العالمية وتسخير الشركات متعددة الجنسيات لصالح دولها, رغم ذلك لايزال النقاد الاصلاحيون والراديكاليون كما كانوا في القرن التاسع عشر يثيرون الجدل والنقد الشديد لهذا النهج , وبالخصوص انصار نظرية التبعية عندما ينتقدون الممارسات والوقائع والقرارات الاقتصادية والمالية في العالم , ومن اهم الممارسات الاقتصادية الجدلية المعاصرة مايلي :

اولا \ الشركات متعددة الجنسيات

تاخذ الشركات متعددة الجنسيات MNCS اشكالا متعددة مثل الاستثمارات العابرة للحدود ,والتصدير والاستيراد,التصنيع والجميع, والترخيصات والبراءات, وهذه الشركات تجسيد للمثال الليبرالي في عولمة التجارة والمال والانتاج وفق الخيار العقلاني من المنظور الليبرالي الاقتصادي في العلاقات الدولية هذه الشركات عبارة عن افراد يعملون بشكل عقلاني لتضخيم مصالحهم الخاصة التي تنعكس على قوة الدولة دون اي تدخل منها حسب النظرية العقلانية التي تضمن التنافس بين المجموعات لانتاج وتوزيع واستهلاك السلع بشكل افضل (Gilpin,1975,P.39) , اما الخيار الدولاني من المنظور الليبرالي فيرى ان الميول المتنازعة للافراد يجعلهم عدائيون , وان عدم تدخل الدولة يجعل التنافس بين اصحاب الثروة والعمال تصادميا واستغلاليا, اما المنظور الراديكالي في العلاقات الدولية فيعتقد ان انسجام الافراد داخل هذه الشركات لايمنع تنازعهم كجماعات بما ينعكس على الاقتصاد الدولي ويجعله تصادمي وفوضوي وغير امن , ولذلك يسعى الى تغيير راديكالي في هذه الشركات, (منغنت& اريغيون, 2013 , ص. 433-436).

ثانيا \ المنظمات الاقتصادية و المؤسسات المالية الدولية

ومن اهما منظمة التجارة العالمية WTO , والاتفاقية العامة للتعرفة الجمركية والتجارة GATT, ومؤسسة بريتن وودز Bratton Woods – صندوق النقد الدولي والبنك الدولي , وقد صممت هذه المنظمات والمؤسسات وفق المنظور الليبرالي الاقتصادي وعلى ضوء الخيار العقلاني في العلاقات الدولية الذي يحفظ مبادئ ليبرالية مثل دعم تحرير التجارة وعدم التمييز بينها على الخيار الدولاني, ودخول منتجات الدول النامية الى الاسواق المتطورة, ودعم المعاملة الوطنية للمشاريع الاجنبية, كذلك تشجيع التعاون النقدي وتوفير الاستقرار في معدلات الصرف في البورصات العالمية بضمان الدول الصناعية الكبرى(مجموعة السبع), وان يقدم صندوق النقد الدولي القروض للدول الاعضاء التي تواجه الصعوبات الانية في ميزان المدفوعات, ورغم التفاؤل الليبرالي بما يقوده هذا الاعتماد المتبادل التي توفره هذه المنظمات والمؤسسات الاقتصادية العالمية الى ازدهار اقتصادي يفضي الى سلام عالمي تشهده العلاقات الدولية تكون الحرب فيه شيئا من الماضي(Angell,1933,P.11), الا ان الراديكاليين واصحاب نظرية التبعية يرون عكس ذلك تماما, عندما يصف احدهم هذه المنظمات والمؤسسات الاقتصادية الدولية بانها تشعر عددا من القلوب بالدفء لاكنها لاتسبع البطون الجائعة (Christy\ 2008 \ 24).

ثالثا \ العولمة الاقتصادية والاندماج الاقليمي

لما كانت العولمة الاقتصادية من مظاهر الخيار العقلاني للمنظور الليبرالي في العلاقات الدولية الذي يعارضه الخيار المركانتلي باعتباره يقوض من قوة الدولة , فان وقائع الاندماج الاقتصادي الاوربي في السوق الاوربية المشتركة ومن ثم الاتحاد الاوربي الذي فرضه التظام الدولي ابان الحرب الباردة كان خيارا لليبراليا ماركنتيليا فضلا عن كونه يعزز العولمة الاقتصادية , وذلك يشكل تطورا مهما تفرضه الممارسة الاقتصادية في العلاقات الدولية على تطور الافكار الاقتصادية رغم ان هذا الانسجام في الاقتصاديات الليبرالية الاوروبية كان على مستوى اقليمي ولم يكن على مستوى دولي, الا انه سرعان ماخلق ردود افعال لدى الدول الاخرى في شبكة تفضيلية للعلاقات الاقتتصادية عبر اتفاقيات ابرمتها دول المتوسط من المستعمرات السابقة, فضلا عن اتفاقيات تجارية اقليمية تشمل اتفاقية التجارة الحرة في امريكا الشمالية والمجموعة التجارية الامريكية في امريكا الجنوبية(Meunier&Nicolaidis,2005,P.65-264) , فضلا عن نحو 400 اتفاقية تفضيلية اخرى مثل اتفاقية اسيان ASEAN , واتفاقية ابيك APEC, ومنطقة التجارة الحرة AFTA.

رابعا \ اسواق الطاقة

تشكل اسواق النفط والغاز تحديا حقيقيا للافكار الليبرالية العقلانية والدولانية على حد سواء في حرية التجارة والعولمة الاقتصادية عندما تفرض الدول المصدرة للنفط والغاز ارادتها السياسية والعسكرية بسسبب الموارد المحلية الضئيلة في اكبر الاقتصاديات العالمية مثل الاتحاد الاوروبي والصين واليابان , مثلما تفعل روسيا اليوم وتقطع امدادات الغاز عن اوربا بسبب موقفها من الغزو في اوكرانيا, او مثلما فعلت الدول العربية من جعل النفط سلاح في المعركة في مطلع سبعينيات القرن العشرين على هامش الصراع العربي الاسرائيلي , وهو مايعزز نظرية التبعية والاشتراكية في الفكر الاقتصادي والنظرية الراديكالية في العلاقات الدولية على حساب الراسمالية والنظرية الليبرالية في العلاقات الدولية وبروز محور الطاقة مقابل الهيمنة الامريكية والغربية (Leverette Noel\2006\P.62) .

خامسا \ الازمات الاقتصادية العالمية

وصف كارل ماركس الازمات الاقتصادية بانها نقطة الضعف القاتلة في النظام الراسمالي , ورغم ان اهم مباني النظرية الليبرالية الاقتصادية هي قدرة النظام الراسمالي على اصلاح ذاته في حالات الركود والكساد والانكماش التي يمكن ان تصيبه, الا ان ازمة الكساد الكبير التي اصابت النظام الرسمالي في ثلاثينيات القرن العشرين, والاصلاحات التي جرت وفقا للنظرية الكنزية, فضلا عن المعايير الجديدة في تطوير القواعد التنظيمية المصرفية ووكالات التقييم لتحسين المعلومات وضمان الشفافية اقتصرت في معظمها على الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى, حتى غدت الازمات ميزة متكررة في الاقتصاد العالمي , فمن ازمة الدين المكسيكية عام 1982 الى الازمة المالية الاسيوية في نهاية التسعينيات من القرن العشرين, ومن ازمات النمو والركود في اسواق النقط الى ازمة الرهونات العقارية في الولايات المتحدة عام 2008 ,(Naim,2005),

وبفلسفة التفاعل الجدلي الذي تطورت فيه الافكار الاقتصادية يفسر انصار النظريات المتنافسة في العلاقات الدولية الازمات الاقتصادية العالمية المعاصرة , فيعتقد الليبراليون الاقتصاديون ان اصلاحات طفيفة بمزيد من الشفافية كفيلة بالتعافي من الازمة من خلال الدينامية الكامنة في النظام الراسمالي, بينما يرى انصار الميركانتلية ضرورة العودة الى سياسات حماية الدولة للتعافي من الازمات المتلاحقة, في حين يؤمن الرديكاليون ان نظاما يوفر العدالة هو الرباط الحاسم للتعافي من الازمات الاقتصادية العالمية,

بينما ينظر البنائيون بان الاصلاح الاجتماعي كفيل بتطوير الافكار الاقتصادية للتعافي من هذه الازمات الاقتصادية.

الاستنتاجات

1 – تقارب الافكار الاقتصادية المعاصرة في النظام الدولي بعد الحرب الباردة نحو الليبرالية الاقتصادية العقلانية رغم النزعة الروسية الرديكالية وطموحها في الهيمنة على اسواق الطاقة وسلاسل التوريد العالمية.

2 – اظهرت ازمة الرهونات العقارية في عام 2008 خطورة النظرية الراسمالية الكلاسيكية بنموذجها الانكلوسكسوني وغياب الحد الادنى من التنظيم الحكومي للانفتاح المالي.

3 – عجز المؤسسات الاقتصادية والمالية العالمية التي قادت العولمة في معالجة الازمات الاقتصادية بسبب عدم امتلاكها الادوات والموارد الكافية.

4 – لاتزال معظم الدول النامية تختبر مخاطر اندماجها بالنظام الاقتصادي العالمي بسبب هيمنة نظرية التبعية على عقول مجتمعاتها وفق النظرية البنائية في العلاقات الدولية.

5 – بقاء الازدواجية الراسمالية تحكم الممارسات الفعلية في الاقتصاد العالمي من خلال الادوار التي تلعبها المؤسسات الاقتصادية والمالية العالمية , والشركات متعددة الجنسية في الاقتصاد السياسي الدولي رغم ماحدثته اسواق الطاقة من تغيير في العولمة الاقتصادية بثبات الاختلاف بين الليبراليين الواقعيين , واليبراليين الماركنتليين.

التوصيات

لما كانت تطور الافكار الاقتصادية للمدرسة التبعية حصل جله في احضان بلدان امريكا اللاتينية عندما طور كتابها وباحثوها افكار رائد المدرسة التبعية اندريه جوندر امثال شيسلو فورتادو وسانتوس وغيرهم حتى شغلت مساحة من تطور الافكار الاقتصادية المعاصرة في جانب التنمية, ولان اوضاع الدول النامية متماثلة نوصي مراكز البحث العلمي في جامعات ومعاهد ومدارس الدول الاسيوية والافريقية محاولات البحث العلمي لتطوير الافكار الاقتصادية لهذه المدرسة بما ينسجم وظروف كل بلد على المستوى السياسي والاجتماعي والاقتصادي لخدمة عملية التنمية في بلدانهم , وعلى غرار تجربة المصري سمير امين في دراساته التي طورت الافكار الاقتصادية ضمن نظرية التبعية بما يخدم عملية التنمية في مصر والبلدان العربية, ومن اهم مؤلفاته في ذلك , التيارات النقدية والمالية في مصر, الامة العربية: القومية وصراع الطبقات , التبادل غير المتكافئ وقانون القيمة, الاقتصاد العربي المعاصر.....ومن الله التوفيق.

المصادر باللغة العربية

١-اوسكار لانكة ومايكل كالينسكي، الإقتصاد السياسي ، ترجمة محمد سلمان حسن ، دار الطليعة ، بيروت ، 1967.
٢- عبد علي المعموري ، تاريخ الأفكار الإقتصادية ، الجزء الاول ، كلية العلوم السياسية ، جامعة النهرين ، مطبعة الميناء ، بغداد ، ٢٠٠٦ .

٣- عبد الرسول سلمان ، معالم الفكر الاقتصادي ، الكتاب الأول ، شركة الطبع والنشر الأهلية ، ١٩٦٦ ، بغداد.
٤- محمد باقر الصدر الاسس المنطقية للاستقراء ، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر ، قم إيران ، ٢٠٠٢ .
٥- ابراهيم كبة ، دراسات في تاريخ الاقتصاد والفكر الاقتصادي ، الجزء الاول ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ١٩٩٠.
٦- محمد حامد دويدار، واخرون ، اصول علم الاقتصاد السياسي ، الدار الجامعية ، القاهرة ،١٩٨٨ .
٧- لبيب شقير ما تاريخ الفكر الاقتصادي ، دار الحكمة للطباعة والنشر ، بغداد ١٩٨٦ .

٨- فتح الله ، الاقتصاد السياسي ، دار الحداثة ، بيروت ، ١٩٨١ .
٩- كارين أ ، منغست وايفان م. أ ريموين ، مبادئ العلاقات الدولية ، ترجمة حسام الدين ، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ،٢٠١٣ .
١٠- طه الهامشي ، تاريخ الشرق القديم ، مطبعة دار السلام ، بغداد ، ١٩٣١ .
١١- فوزي رشيد ، الشرائح العراقية القديمة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٥.
١٢- ليو او بنهايم ، بلاد ما بين النهرين ، ترجمة سعدي فيض عبد الرزاق ، منشورات وزارة الثقافة ، الإعلام ، بغداد ، ١٩٨٦.
١٣- سلام عبد الكريم سميسم ، السياسية المالية ، في الفكر الاقتصادي الإسلامي ، أطروحة دكتوراه ، ما معهد الشارع الغربي ، ١٩٩٩.
١٤- طه باقر ، مقدمة في تاريخ المضارات القديمة ، دار الشؤون الثقافية ط ، ١٩٨٦.
١٥- اريك رول ، تاريخ الفكر الاقتصادي ، ترجمة راشد البراري ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٨ .

١٦- كيسنافون الاثيني ، النظام المنزلي بالروسية ، 1935 ، 270 .
17- رودك م. تشيزهولم . نظرية المعرفة ، ترجمة نجيب الحصادي ، الدار الدولية للنشر والتوزيع، مصر – كندا 1995 .
18- ادوار بروي وآخرون ، تاريخ الحضارات العام – القرون الوسطى ، ترجمة فريدم داغر ويوسف اسعد ، ط2، باريس ، 1986 .
19- هـ. سد جويك ، المجمل في تاريخ علم الاخلاق ، ترجمة توفيق الطويل ، وعبد الحميد مهدي ، الإسكندرية ، 1949 .
20- عبد العزيز الدوري ، مقدمة في تاريخ الاقتصاد العربي ، دار الطليعة ، ط2 ، بيروت ، 1978 .
21- محمد فاروق النبهان ، شرعية تدخل الدولة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ، 1983 .
22- محمد مبارك ، نظرات في التراث ، بغداد ، 1986 .
23- جورج سول ، المذاهب الاقتصادية الكبرى ، ترجمة راشد البراوي ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، 1962
24- ادموند ولسون ، تاريخ الفكر الاشتراكي المعاصر من فيكو إلى لينين ، ترجمة يونس شاهين ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1973.
25- جون كينيث ، البريث، تاريخ الفكر الاقتصادي ، ترجمة احمد فؤاد بلبع ، عالم المعرفة ، الكويت 2000.
26- ج. هـ. كول ، تاريخ الفكر الاشتراكي: الماركسية والفوضوية ، ترجمة عبد الكريم احمد ، المؤسسة المصرية العامة ، القاهرة ، ١٩٦٣ .
27- عبد الرزاق مسلم الماجد ، مذهب ومفاهيم في الفلسفة والاجتماع ، المكتبة العصرية بيروت 1977 .
28- اوسكار لانكة ، مايكل كاليتسكي، الاقتصاد السياسي ، ترجمة محمد سلمان ، ج، دار الطليعة ، بيروت ، 1967.

29- عارف دليلة وإسماعيل سفر ، تاريخ الأفكار الإقتصادية ، منشورات جامعة حلب ، 1979 .
30- جوزيف شو مبيتر ، عشرة اقتصاديين عصام ، ترجمة راشد البرواي ، دار النهضة ، القاهرة 1968.
31- عبد الرسول سلمان ، معالم الفكر الاقتصادي ، الكتاب الأول ، شركة الطبع والنشر الأهلية ، بغداد ، 1966.
32- جوان روبنسون وجون ايتويل ، مقدمة في علم الاقتصاد والحديث ، ترجمة فاضل عباس مهدي ، دار الطليعة ، بيروت ، 1980 .
33 – ج. أكلي ، الاقتصاد الكلي: النظريات و السياسات ، ترجمة عطية مهدي سليمان ، جامعة المستنصرية ، ١٩٨٦ .
34- توماس سنتش ، الاقتصاد السياسي للتخلف ، ترجمة فالح عبد الجبار ، ج، دار الفارسي، 1978 .
35- سمير امين ، التراكم على الصعيد العالمي ، ترجمة حسن قبيسي ، دار ابن فلدون، بدون تاريخ.
36- عبد علي المعموري ، تاريخ الأفكار الإقتصادية ، الجزء الثاني ، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية ، بغداد ، 2009 .

المصادر باللغة الإنكليزية

1. TomasL. Friedman, The Lexus and the olive Tree: Understanding Globalization (New York:fariar straus and Giroux , 1999 .(
2. Jeffery G.williamson , Globalization, Income Distribution and History, in Inequality and Economic Integration, Francesco farina and Ernest to savaglio (New York: Routede , 2006 .(
3. Gharles P. Kind berger , International public Good without International Government, American Eeo-nomic Review 16 (march1986 .(
4. Martha Fennimore , The Purpose of International: changing Buliefs about the use of force (Ithaca y : Cornall university press, 2003.(
5. Siegel , Bernard, slevery durig The third dynasty of America . Anthropologist, 1941 , Vol 49 No.1 .
6. Adolph Blangui, History of Economics political Chapter -3 .
7. Alex ander Gray , (London: longmans, Green , 1931 .
8. Schnmpeter, J.A , Economic Doctrine and method, Oxford university press New York, 1976 .
9. John maynard Keynes , The collected writings of J.M. Keynes. Xxi, London Martin's press for Royal Economic, so cite, 1973 .
10. scottr, Nigro.N, Principles of Economics, Macmillan publishing Company, N . y , 1982 .
11. 1Robert Gilpin, Theree Models of the future, International Organizations 29 : (winter 1975 .(
12. Sir Norman Angell, the Great Illusion (New York:pantnern 1933 .(
13. Davids . Chirsty, << Round and Round we co ,>> world policy January 25 : (summer 2008 .(

14. Flynt leveret and pleas Noel, The New A is of Oil , National Interest 84 (summer 2006 .(
15. shophine Meunier and Kalyp so Nicolaiadis, the European as a Trade power, " in International Relations and the European Union, ed . Christopher Hill and Michaul Smith (xofred : Xofred university press, 2005.(
16. Moises Naim, lllicit: How smugglers , Traffickers, and copy cats Are Hijackeing the Global economy (New York: Doubleday, 2005 .(

المواقع الإلكترونية

1. https://www.thomaslfriedman.com/the-lexus-and-the-olive-tree/

2. https://www.taylorfrancis.com/books/edit/10.4324/9780203325100/inequality-economic-integration-francesco-farina-ernesto-savaglio

3. https://link.springer.com/chapter/10.1007/0-306-48082-4_6

4. https://publications.iadb.org/en/publication/16810/illicit-how-smugglers-traffickers-and-copycats-are-hijacking-global-economy

5. https://www.worldcat.org/title/205843

إسهامات السوشل ميديا في بلورة الوعي السياسي لدى الجزائريين- دراسة لعينة من مستعملي الفايسبوك في الجزائر.

ط.د: **شعيب عبد الرحماني**
جامعة تامنغست - الجزائر
Abderrahmanichouaib@gmail.com
00213770884086

الملخص

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على مستوى الوعي السياسي لدى الجزائريين، بالإضافة إلى التعرف على أهم مصدر عند أفراد العينة للحصول على المعلومة السياسية، ومن أجل تحقيق هذه الأهداف اعتمدنا على خطوات المنهج الوصفي، والاستبيان كأداة أساسية لجمع البيانات، بحيث تم توزيعه على عينة متكونة من (100) شخص، وقد توصلنا إلى أن مستوى الوعي السياسي لدى الجزائريين عالي، ويعتبر الفيسبوك مصدر مهم لدى الجزائريين للحصول على المعلومات السياسية، وليس هناك فروق فردية كثيرة بين أفراد العينة في التفاعل مع المعلومات السياسية عبر الفيسبوك.

وتندرج دراستنا ضمن الدراسات المسحية فدراستنا عبارة عن مسح بالعينة، نظرا لحجم الجمهور الكبير، الذي يسلتزم الدراسة الجزئية للمفردات عن طريق العينة الصدفية، حيث سنحاول إظهار كيفية تشكل الوعي السياسي عند الجزائريين من خلال مواقع التواصل الاجتماعي و قد اخترنا موقع الفايسبوك كنموذج تتمحور عليه تساؤلاتنا الموجهة لعينة الدراسة، وبما إننا اعتمدنا على المنهج المسحي في دراستنا فان أداة الدراسة المناسبة لهذا المنهج هي استمارة (الاستبيان)، ومجتمع البحث الأصلي في دراستنا هم الأفراد المشتركين في موقع التواصل الاجتماعي "فيسبوك"، ونظرا لصعوبة الوصول إلى المجتمع الأصلي وحصر كل الأفراد المشتركين في هذا الموقع، فقد لجأنا إلى طريقة المسح بالعينة، والعينة التي سنعتمدها في دراستنا هي العينة "الصدفية" نظرا لصعوبة اعتماد عينة من العينات الأخرى وسواء كانت عشوائية أو منتظمة أو عمدية.

الكلمات المفتاحية: مواقع التواصل الاجتماعي، فايسبوك، الوعي السياسي، الجزائريين.

ContributionsSocial mediaIn crystallizing the political awareness of Algerians - study of a sample of users Facebook in Algeria.

Dr.: Shuaib Abdel Rahmani
Tamangset University - Algeria

Abstract :
This study aimed to identify the level of political awareness among Algerians, in addition to identifying the most important source for the sample members to obtain political information. (100) people, and we have concluded that the level of political awareness among Algerians is high, and Facebook is an important source for Algerians to obtain political information, and there are not many individual differences between sample members in interacting with political information through Facebook.
Our study falls within the survey studies. Our study is a sample survey, due to the large size of the audience, which requires a partial study of vocabulary through the psoriatic sample, where we will try to show how the political awareness of Algerians is formed through social networking sites, and we have chosen Facebook as a model on which our questions are focused. For the study sample, and since we relied on the survey method in our study, the appropriate study tool for this approach is the questionnaire. At this site, we have resorted to the sample survey method, and the sample that we will adopt in our study is the "shell" sample due to the difficulty of adopting a sample from other samples, whether random,
Keywords: social networking sites, Facebook, Political awareness, Algerians.

مقدمة:

يعتبر الوعي صفة أساسية ملازمة للإنسان، فالذي يتميز به الإنسان عن الحيوان هو الوعي حيث يبدأ، حاجاته الأساسية التي تكفل له بقاءه ونموه، ثم يتطور هذا الوعي عبر التأمل والتأمل ليدرك المرء العلاقة بينه وبين محيطه. وكما أن هناك وعيا فرديا ذاتيا ينبثق من تصور كامل للمرء عن نفسه ومجتمعه ومكانته داخل هذا المجتمع ومركزه من الكون المحيط به، فهناك وعي جماعي أو اجتماعي يتشارك فيه كل أفراد المجتمع اتجاه تاريخ الجماعة وواقعها ومكانتها بين المجتمعات الأخرى.

ومن بين فروع الوعي الاجتماعي نجد الوعي السياسي، الذي يعد من أكثر أنواع الوعي الاجتماعي أهمية وتأثيرا في الفرد والجماعة، فالوعي السياسي هو الخبرة التي يحتاجها الأفراد من أجل تنظيم شؤون المجتمع المحلي المحيط بهم، والوعي السياسي هو طريق الفرد المعرفة حقوقه وواجباته في كل الأنظمة الديمقراطية أو الشمولية والمجتمعات التي تنوي التحول من النظام الديكتاتوري إلى النظام الديمقراطي حاجة إلى منظومة من المعارف السياسية، التي تتضمن قيم واتجاهات سياسية مختلفة يستطيع من خلالها الفرد التعرف على الظروف والمشاكل التي تحيط به محليا وعالميا، ويحدد مكانه وموقفه منها والمساهمة في تغييرها أو تطويرها، ولذلك يحتاج الفرد إلى رؤية سياسية واعية وشاملة بالظروف والأزمات التي تعتري المجتمع، ليكون مدركا لمسؤوليته وناقدا للسلوكيات الخاطئة التي تمارس من قبل السلطات الحكومية، المجتمع العربي شهد تطورات وتغييرات متسارعة في منظومة القيم بعد سقوط بعض الأنظمة الديكتاتورية البائدة، وتلك التطورات طالت مختلف مناحي الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية لتؤكد على ضرورة متابعة مجريات وتغيرات الحياة اليومية ومدى تأثيرها على المشهد السياسي بشكل خاص وما يتطلبه ذلك من مزيد من التعديل والتطوير في منظومة الفكر البشري وإعادة إنتاج الوعي السياسي.

ومن هذا المنظور فإن إعادة إنتاج الوعي السياسي يستلزم وسيلة أو أداة فعالة تمثل مصدر مهم لتنمية المعارف الفردية حول القضايا التي تشغل الرأي العام، وتملك القدرة الكبيرة على زيادة الوعي بعمليات صنع القرار وكذلك التأثير فيه، ورغم تعدد هذه الوسائل واختلافها فإننا نشهد في السنوات الأخيرة اهتماما منقطع النظير بمواقع التواصل الاجتماعي التي ساهمت بإبراز قدرة الفرد على التعبير عن ذاته وانشغالاته واحتياجاته من النظام السياسي، وكذا تمكينه من إبداء رأيه حول مختلف القضايا وانتقادها أو التعليق عليها أو مساندتها، وتقدم هذه المواقع خدمات عديدة مثل إرسال الرسائل الخاصة والفيديوهات والتدوين ومشاركة الملفات وغيرها من الخدمات، وهذا ما جعل من شبكات التواصل الاجتماعي موقع مهم في استيفاء المعلومات وتداولها، لهذا جاءت دراستنا كمحاولة لفهم كيفية تشكل الوعي السياسي من خلال هذه المواقع التي أحدثت قفزة نوعية في تعامل الأفراد مع المواضيع السياسية

لأنها تتيح لهم مساحات كبيرة للتعبير عن آرائهم بحرية ومن دون قيود عبر إجراء حوار جماهيري بشأن القضايا التي تمسهم.

1. مشكلة البحث:

إن إيجاد الوعي السياسي في الأفراد والأمة بصفة عامة يكون عن طريق التثقيف السياسي، من خلال تتبع الأحداث السياسية، اعتمادا على وسائل عديدة ومتنوعة على غرار وسائل الإعلام الصحف التلفزيون وحتى المواقع الالكترونية وحتى مواقع التواصل الاجتماعي التي تعتبر من أحدث منتجات تكنولوجيا الاتصالات وأكثرها شعبية، وبرز الدور الرئيسي لمواقع التواصل الاجتماعي في تشكيل الوعي السياسي والتأثير على الرأي العام، والمعروف عن الجزائريين على اختلاف أعمارهم ومستوياتهم اهتمامهم الكبير بالقضايا السياسية، ومتابعتهم المستمرة للأحداث، ومسايرتهم للشؤون والأخبار المحلية والعالمية، كما تعد مواقع التواصل الاجتماعي من أهم المصادر التي تلقى رواجا من قبلهم للحصول على المعلومات السياسية، ولعل أهم موقع والأكثر انتشارا بين الجزائريين هو "الفايسبوك" حيث وصل عدد مشتركيه في الجزائر سنة 2017 أكثر من 16 مليون مستخدم بنسبة 43 بالمئة من مجموع السكان، وهذا نظرا لسهولة استخدامه وأيضا يسمح بتبادل الآراء والأفكار والخبرات بين المشاركين حول مختلف القضايا والأحداث. وعليه فالإشكالية الجوهرية التي تثار هي: ما مدى مساهمة موقع التواصل الاجتماعي فايسبوك في تشكيل الوعي السياسي لدى الجزائريين؟

وتتفرع على السؤال الرئيسي مجموعة من التساؤلات:

- من هم الفئات الأكثر تعرضا للفاسبوك في الجزائر؟
- ما هو الدور الذي تلعبه مواقع التواصل الاجتماعي في التوعية بأهم القضايا التي تشغل الرأي العام؟
- هل يعتبر الفايسبوك مصدرا مهما لدى الجزائريين للحصول على المعلومة السياسية؟
- لماذا يعتمد أفراد العينة على مواقع التواصل الاجتماعي للحصول على المعلومة السياسية؟

2. أهمية البحث:

وتكمن أهمية دراستنا في إبراز الأثر البالغ الذي أحدثته شبكات التواصل الاجتماعي في العديد من القضايا وخاصة السياسية التي تستوجب البحث في خبايا هذا التأثير من جهة في تداول المعلومة المحلية منها والدولية على نطاق واسع، وكذلك للوقوف على الدور الذي يلعبه الفايسبوك في تشكيل الوعي السياسي لدى الجزائريين.

3. أهداف البحث:

وتسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

- التعرف على مستوى الوعي السياسي لدى الجزائريين.
- معرفة حجم تعرض الجزائريين لمواقع التواصل الاجتماعي.
- التعرف على العلاقة الموجودة بين تحسين الوعي السياسي ومقدار التعرض لمواقع التواصل الاجتماعي.
- معرفة كيفية تعامل أفراد العينة مع المعلومات السياسية التي يتلقونها من خلال الفايسبوك.

4. حدود البحث:

أ- **المجال الزماني:** تنطلق دراستنا من سنة 2006، والتي تعتبر بداية الانفتاح على التكنولوجيا الحديثة في الاعلام والاتصال خاصة الفيس بوك، وكان للحراك العربي وتداعياته على الجزائر بالغ الأثر في تزايد اهتمام الجزائريين منذ بداية 2011 بوسائل الاعلام الالكترونية وعلى رأسها " الفيس بوك" الذي أصبح يحتل الزيادة في استخدام الجزائريين له إلى غاية اليوم.

ب -**المجال المكاني :** انحصرت دراستنا في دولة الجزائر كونها ميدان البحث، ومستعملي الفايسبوك داخلها كمجتمع البحث.

5. فروض البحث:

- كلما زاد استعمال الجزائريين لموقع الفايسبوك، كلما زادت نسبة وعيهم السياسي.
- يرتبط الوعي السياسي لدى الجزائريين بتنمية قدراتهم بشكل يتماشى مع التطور الرقمي والتكنولوجي.

6. الدراسات السابقة:

- دراسة بعنوان دور الفضائيات العربية الإخبارية في تنمية الوعي السياسي لدى الطلبة والأساتذة الجامعيين الجزائريين وهي مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في علوم الإعلام والاتصال من إعداد الطالبة "فيروز لمطاعي" وتمحورت الدراسة حول: دور الفضائيات العربية الإخبارية من خلال فضائية الجزيرة الإخبارية في تنمية الوعي السياسي بقضايا الانتفاضات الثورية العربية لدى فئة الطلبة والأساتذة الجامعيين الجزائريين.

- دراسة سلام عبد سلام المهدي كريم الجبوري تحت عنوان دور قناتي الحرة والـ bbc الفضائيتين الناطقتين باللغة العربية في إثارة الوعي السياسي، وهي مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الإعلام بجامعة البتراء، وشملت الدراسة: مدى اعتماد الشباب الجامعي الأردني والإماراتي على قناتي الحرة للتزود بالثقافة والمهارات السياسية ومتابعة الأحداث العربية والدولية.

7. أدوات البحث:

بما إننا اعتمدنا على المنهج المسحي في دراستنا فان أداة الدراسة المناسبة لهذا المنهج هي استمارة (الاستبيان)، ومجتمع البحث الأصلي في دراستنا هم الأفراد المشتركين في موقع التواصل الاجتماعي "فيسبوك"، ونظرا لصعوبة الوصول إلى المجتمع الأصلي وحصر كل الأفراد المشتركين في هذا الموقع، فقد لجأنا إلى طريقة المسح بالعينة، والعينة التي سنعتمدها في دراستنا هي العينة "الصدفية" نظرا لصعوبة اعتماد عينة من العينات الأخرى وسواء كانت عشوائية أو منتظمة أو عمدية.

8. منهج البحث:

وتندرج دراستنا ضمن الدراسات المسحية فدراستنا عبارة عن مسح بالعينة، وعليه فالمنهج الأنسب لتحليل دراستنا هو المنهج المسحي، نظرا لحجم الجمهور الكبير، الذي يسلتزم الدراسة الجزئية للمفردات عن طريق العينة الصدفية، حيث سنحاول إظهار كيفية تشكل الوعي السياسي عند الجزائريين من خلال مواقع التواصل الاجتماعي وقد اخترنا موقع الفايسبوك كنموذج تتمحور عليه تساؤلاتنا الموجهة لعينة الدراسة.

المحور الأول: الإطار المفاهيمي لمتغيرات الدراسة:

سنحاول من خلال هذا المحور التعرف على متغير الوعي السياسي حيث تم التطرق إلى معلومات خاصة بالوعي السياسي كتعريفه، النشأة، وأبعاده، أما في الجزء الموالي فسنتطرق إلى موقع الفايسبوك كأحد أهم مواقع التواصل الاجتماعي.

1. الوعي السياسي

1.1 تعريف الوعي السياسي:

يشير مفهوم الوعي السياسي إلى معرفة المواطن لحقوقه السياسية وواجباته وما يجري حوله من احداث ووقائع سياسية ويتشكل من خلال إدراك الفرد لذاته و لذوات الآخرين من حوله، و يشير أيضا إلى مستوى أدراك الشباب للواقع السياسي والتاريخي لمجتمعهم ودورهم في العملية السياسية بما

تتضمنه من اتجاهاتهم السياسية وانتماءاتهم للأحزاب القائمة وسلوكهم الانتخابي، و هو مجموعة من القيم والاتجاهات و المبادئ السياسية التي تتيح للفرد أن يشارك مشاركة فعالة في أوضاع مجتمعه و مشكلاته و يحللها و يحكم عليها و يحدد موقفه منها ويدفعه إلى التحرك من أجل تطويرها و تغييرها، كما هو متابعة الفرد للأحداث و التطورات السياسية و إدراك أهمية الفوائد العائدة من الانخراط في السياسة والإلمام بالقضايا المرتبطة بالبلاد و تكوين فكر و رأي واضحين حول هذه الأمور(شدان خليل، 2015، صفحة 20).

2.1 نشأة الوعي السياسي:

ترتبط نشأة الوعي السياسي عند الإنسان بعملية الإنتاج الاجتماعي، ولهذا فهو ثمره من ثمار التطور الاجتماعي، ففي عملية الإنتاج بالذات وفي عملية إعداد أدوات الإنتاج، وأثناء التفاعل مع الطبيعة يستطيع الإنسان أن يعرف أن يكتشف خصائص الأشياء، ويفرق بين ما هو جوهري وما هو غير جوهري، أو أن يظهر الترابط الحتمي بين الظواهر والعلاقة بينه وبين وسط البيئة التي يعيشها الإنسان وتؤثر في توجهاته وأفكاره التي تعيش فيه(الماجد، 1995، صفحة 129).

وقد أشار الفلاسفة والمفكرين في العصر الإغريقي إلى أن أولى حالات الوعي السياسي جاءت نتيجة الحاجة الإنسانية للاجتماع، وتكوين السلطة عندما اضطر الإنسان في محاولة منه لتأمين الغذاء، والحماية إلى الانتظام في مجتمعات سياسية لها إطار سلطوي، عبر عنه بالقبيلة والقرية والمدينة والدولة واعتبروا الحاجة إلى التنظيم السياسي لإدارة المجتمع والدفاع عنه بداية لما عرف بالوعي السياسي لدى الأفراد، إلا أن مرحلة وضع الأسس الأولى للمجتمع السياسي وقيام الدولة، أفرز الحاجة إلى قيم أخرى غير الغذاء والأمن ألا وهي العدالة وتأمين الحريات الفردية، الأمر الذي دعا عددا من المفكرين إلى طرح مبادئ وقيم سياسية أطلق عليها المبادئ الديمقراطية، والتي كانت أساس الثورات والحروب والانتفاضات التي هزت المجتمعات الإنسانية عبر القرون السابقة، وأدت إلى ظهور أنظمة مختلفة، من بينها الأنظمة الديمقراطية والتي من أبرزها الوعي السياسي في المجتمع(آل طوبرش، 2012، صفحة 03).

ففي مجال الوعي السياسي نبدأ بالتاريخ الأوروبي، والظروف التي ساعدت على نمو الوعي لدى الفرد الأوروبي عبر الزمن وأولى التحليلات كانت بظهور عصر النهضة الأوروبية، وقد مثل هذا العصر ردفعل على الاستبداد الكنسي تلك الفترة، فالأوروبيون شعروا بحقوقهم الضائعة، والمحتكرة من قبل سلطة الكنيسة، وتصرفاتها غير الواقعية، ويعرف عصر النهضة على أنه يدل على حركة البعث الجديدة أو الإحياء، ومن ثم فهي تشير إلى تلك الروح النقدية التي ظهرت بالنسبة للفلسفة والأدب ولجميع المعارف والفنون الكلاسيكية، ومحاولة البحث والاستقصاء والاعتماد على النفس والاهتمام بالأمور الدينية(ابراهيم، د ت، صفحة 13).

والأمر الهام في أفكار المفكرين وخاصة مفكري هذا العصر (عصر النهضة) هو النهوض بالوعي السياسي وزيادة اهتمام الناس بالأمور السياسية وخاصة السلطة، وفلسفة الأنوار باعتبارها ظاهره ثقافية أوروبية واسعة المدى، وقد تشابكت عدة عناصر لتحدد حركة الأنوار، لكنها تطورت أساسا بوصفها نقدا للدين والسياسة، فقد نسفت النظام القديم في جذوره(جعيط، د ت، صفحة 135).

3.1 أبعاد الوعي السياسي:

للوعي السياسي أنواع مختلفة وأبعاد متعددة لابد من تحديدها حتى يمكن فهم وتحقيق الوعي المناسب مع الأشياء ومواجهة التحديات، ولعل من المناسب عند الحديث عن الوعي السياسي ومحاولة أن نفرق عمى سبيل المثال بين الوعي الذاتي والوعي الجماعي، وبين الوعي المجرد والوعي العملي، بمعنى لا بد من التفريق بين الوعي السياسي (النظري) الذي يكتفي بوصف الأحداث والوعي الممارس أو (التطبيقي) الذي أثبت نجاحه في الميدان، حيث لا بد من التفريق بين الوعي المضلل كما هو الحال اليوم في كل الأنظمة الديكتاتورية، وما بين الوعي السليم والمفيد.

وتتلخص أبعاد الوعي السياسي في:

البعد المعرفي: ويتعلق هذا البعد بالمعرفة والمعلومات السياسية، فالوعي السياسي

يتطلب من المواطن أن يمتلك رصيدا من المعارف والمعلومات عن المحيط السياسي وعن العمليات والبنية السياسية في مجتمعه، وأن يعرف حقوقه وواجباته السياسية، والأنماط المختلفة لسلوك الناخب، مسؤوليات الرئيس، وأسماء شاغلي المناصب والمؤسسات السياسية، والعلاقة بين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، والأحداث والمشكلات السياسية السائدة في مجتمعه(خلف، 2006، صفحة 53).

البعد الوجداني: هذا البعد يتعلق أكثر بالقيم، ويكون التركيز هنا على غرس وتنمية القيم المرغوبة اجتماعيا وسياسيا في نفوس الأفراد والجماهير، وتعتبر القيم من المفاهيم الجوهرية في جميع ميادين الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية كما تعتبر عنصر رئيسي في تشكيل ثقافة أي المجتمع، فالقيم هي المثاليات العليا للأفراد والمجتمع، كذلك تقوم القيم بدور حيوي في إدراك الأفراد للأمور من حولهم وتصورهم للعالم المحيط بهم(القطان، 2019، صفحة 142).

البعد السلوكي: ويقصد بالسلوك كل ما يصدر عن الفرد من استجابات جسدية ولفظية أو كل نشاط يصدر عن الفرد في تفاعله مع البيئة بمختلف صورها، ويؤكد كثير من الباحثين أن هذا البعد يركز على المشاركة السياسية بصورها المختلفة باعتبارها حقا من حقوقه السياسية، وهو ما يرتبط بمفهوم المشاركة السياسية ودرجاتها ومستوياتها وتصنيفاتها(القطان، 2019، صفحة 148).

2. مواقع التواصل الاجتماعي

1.2 تعريف مواقع التواصل الاجتماعي:

عرفها "وليد زكي" « على أنها شبكات عالمية تتيح الفرصة إلى التواصل بين الأفراد حول العالم من خلال الفضاء المعلوماتي تظم في رحابها ملايين البشر ويمكن من خلالها مشاركة الاهتمامات وتكوين الصداقات إقامة الصفقات وغيرها من أوجه التفاعل التي تتم في محيطها»(العريشي، 2015).

ويعرفها الباحثان: "بويد و أليسون": « على أنها صنف من المواقع التي تقدم خدمات تقوم على تكنولوجيا الويب تتيح الأفراد بناء ملامح متاح للعموم (Public Profil)، أو شبه المتاحة للعموم في إطار نظام محدد، كما تتيح هذه المواقع بناء شبكة من العلاقات الاطلاع على شبكة علاقة الأخرين»(حمامي، 2012، صفحة 19).

وتعرف موسوعة ويكيبيديا الشبكات الاجتماعية بأنها: «عبارة تستخدم لوصف أي موقع على الشبكة العنكبوتية، يتيح لمستخدميه وضع صفحة شخصية عامة معروضة، ويتيح إمكانية تكوين علاقات شخصية مع المستخدمين الآخرين الذين يقومون بالدخول على تلك الصفحة الشخصية مواقع الشبكات الاجتماعية يمكن أن تستخدم لوصف المواقع ذات الطابع الاجتماعي، مجموعات النقاش، غرفة الدردشة وغيرها»(شهرة و يزيد، 2014-2015، صفحة 35).

وتعرف مواقع الشبكات الاجتماعية على أنها تركيبة اجتماعية إلكترونية تصنع من قبل أفراد وجماعات وكذلك مؤسسات ويتم تسمية الجزء الرئيسي، والمكون الأساسي لها مثل الفرد الواحد باسم العقدة (mode)، بحيث تقوم هذه العقد بأنواع مختلفة من العلاقات كالانتماء إلى نادي رياضي، أو الانتماء المهني إلى الشركة ما، أو أيضا الانتماء أو الاشتراك في صفة المواطنة، لبلد ما في هذا العالم.

ومن خلال التعاريف السابقة نستنتج أن مواقع الشبكات الاجتماعية أتاحت الفرصة للأفراد في تكوين الصداقات في شتى المجالات وساعدت على الحصول على المعلومات من خلال المواقع المتاحة فيها. وحتى خلق فرص العمل من خلالها.

2.2 التطور التاريخي لمواقع التواصل الاجتماعي:

إن مفهوم التواصل الاجتماعي تعود إلى جون بارنر " سنة 1954 حيث كتب مقالا حول Class And Committees A Working في مجلة العلاقات العائلية القبائل جزيرة النرويج تدعى" برمنس"، ولاحظ أن هناك ثلاثة صيادين لدراسة تلك المواقع:

- إقليمي اجتماعي في الميدان المؤسساتي.
- صناعي في الميدان الاقتصادي.
- اجتماعي قائم بين السكان.

وأشار إلى أن الميدان الأخير يحتاج إلى الأخير دفتر به قائمة عناوين المقيمين في النرويج، ويرصد من خلاله تكرار لفائدتهم وعدد الزيارات المتكررة فيما بينهم في حينها قدم "برونز" عدة مفاهيم

أساس للتعريف، وفهم نموذج لشبكات الاجتماعية، من بينها: أن الشبكة الاجتماعية هي أداة تسمح لها بفهم طبيعة الجماعية الاجتماعية.

في حين نشأت مواقع التواصل الاجتماعي الالكتروني في أحضان الولاية المتحدة الأمريكية ويعود الفضل لذلك إلى شبكة الانترنت الذي وجه إلى أكبر فئة من عامة الناس، إذ في سنة 1995 تم إطلاق موقع كلاس مابت (Classmotes.Com) الذي كان الغرض منه الربط بين زملاء الدراسة؛ حيث ساهم هذا الموقع إلى تقسيم المجتمع الأمريكي إلى ولايات وكل ولاية إلى عدة جهات، وكان الهدف من هذا الموقع تكوين علاقات جديدة، وفي عام 1999 كانت معظم الشبكات الاجتماعية موجهة للشعب الآسيوي ولذوي البشرة السمراء، وفي الولايات المتحدة الأمريكية من أجل تدعيم تواصلهم الاجتماعي من خلال غرف الدردشة(قادري، 2016، صفحة 118).

والرسائل الإلكترونية التي كان يوفرها الويب، ومع بداية سنة 2000 ظهرت معظم مواقع التواصل الاجتماعي، رغم أنها لم تكن تعتمد على التقنيات الويب وفي سنة 2002 تم إطلاق موقع Friends. com The ليكون وسيلة للتعارف وتكوين الصداقات الالكترونية ولذلك لقي هذا الموقع رواجا كبيرا وإقبالا يفوق 5 ملايين مسجل بعد السنة الموالية انطلاقه، وخوفا ينتشر اتساعه دفع رواد الموقع مقابل اشتراكات تم توجيه معظمهم إلى "ماي سبيس" الذي ظهر سنه 2003 والذي نال أكثر شهرة على مستوى العالم باعتباره أول شبكة اجتماعية مفتوحة، وفي سنة 2004 ظهر موقع الفيسبوك وأصبح الموقع الأكثر رواجا من قبل رواد الانترنت بفضل تطبيقاته المتجددة. ومع بداية 2006 أطلقت شركة "أوديو" الأمريكية موقع تويتر مع ظهور المدونات الصغيرة Microblog، كما ظهرت مواقع التواصل الاجتماعي حسب الاختصاص والمهن محددة من: Edmodo، الموجه للمدرسين والطلبة، وفي سنة 2007 ظهر أول موقع اجتماعي مخصص للتربية الذي يسمح للمعلمين البقاء في تواصل مع المتعلمين خلال .Beebac

3.2 موقع التواصل الاجتماعي فايسبوك:

الفيسبوك: ويعرف الفيسبوك على أنه موقع موجود على مستوى شبكة الانترنت يعمل على تكوين علاقات صداقة ويساعد على تبادل المعلومات والصور الشخصية ومقاطع الفيديو والتعليق عليها ويقدم خدمة أساسية لرواده تتمثل في الرسائل التي يتم إتاحتها شكل سهل ومبسط للغاية(الشهري، صفحة 17).

مميزات وخصائص موقع الفيسبوك:

مميزات الفيسبوك: اهم مميزات الفيسبوك هي:

✓ الملف الشخصي (profile): عندما تشترك بالموقع عليك ان تنشأ ملفا شخصيا يحتوي على معلوماتك الشخصية صورك، الأمور المفضلة لك، وكلها معلومات مفيدة من اجل سهولة التواصل مع الآخرين، كذلك يوفر معلومات للشركات التي تريد أن تعلن لك سلعها بالتحديد.

✓ إضافة صديق (Add friend): وبها يستطيع المستخدم إضافة أي صديق ا وان يبحث عن أي فرد موجود على شبكة الفيسبوك بواسطة بريده الإلكتروني.

إنشاء مجموعة (groups): تستطيع من خلال خاصية إنشاء مجموعة إلكترونية على الانترنت ان تنشئ مجتمعا الكترونيا يجتمع حول قضية معينة، سياسية كانت ام اجتماعية ام رياضية.. الخ، وتستطيع جعل الاشتراك بهذه المجموعة حصريا للعائلة والأصدقاء، أو عامة يشترك بها من هو مهتم بموضوعها.

وهناك العديد من المميزات الأخرى كاللوحة الحائط النكزة، الصور، الهدايا، إنشاء صفحة خاصة...الخ(المقدادي، 2013، الصفحات 35-36).

خصائص الفيس بوك:

اولا: خاصية الصور حيث تثير للمشتري امكانية اعداد البوم من الصور الخاصة به.

ثانيا: توفر للمشترك امكانية تحميل الفيديوهات الخاصة به ومشاركته على الموقع بالإضافة إلى امكانية تسجيل لقطات الفيديو مباشرة وارساله.

ثالثا: خاصية الحلقات وهي خاصية تمكن المشتركين من اعداد مجموعات نقاش موضوع ما.

رابعا: خاصية الاحداث الهامة وهي امكانية الاعلان عن حدث ما جرى حدوثه واخبار الاصدقاء والاعضاء به.

خامسا: خاصية الاعلان عن اي منتج تود الاعلان عنه او البحث عن اي منتج ترغب في شرائه.

وبسبب كل هذه الخصائص استطاع الفيس بوك يتصدر قائمة المواقع الاجتماعية كافة متوفقا على تويتر، وجوجل وغيرها من المواقع(المطهر، 2022).

3. استخدامات الفيس بوك وآثارها على المجتمع الجزائري

1.3 خصوصية موقع الفيس بوك وجماهيريته في المجتمع الجزائري

1. خصوصية الموقع نظرا لتطبيقات المتاحة عبر الموقع:

التعليقات: خاصية التعليقات متاحة بين الاصدقاء والمجموعات والصفحات المنظمين لها وذلك يعتمد

ايضا على الصلاحيات الممنوحة يمكن للمستخدم ان يكتب تعليقا في مساحة التعليقات والضغط على الزر اضافة التعليق.

الاشارة "TAGES": متاحة في الصور والفيديو بحيث يمكنك ان تلفت انتباه اصدقائك عبر الاشارة لهم في صورة او مقطع فيديو وبالتالي سترسل لهم تنبيهات لأي تحديث جديد في الصورة.

الاعجاب: يعتمد على الصلاحيات الممنوحة حيث يمكن للمستخدم ان يقوم بعمل معجب (LIKE) لأي نص او صورة او فيديو لأصدقائك وتتميز هذه الخاصية بسهولة استخدامها وتطورها في الفيسبوك تم اضافتها في كل المواقع الاخرى(صادق، 2004، صفحة 112).

2. جماهرية وشعبية الموقع نظرا لإمكانية امتلاك العضوية لدى شرائح المجتمع:

تعتبر الجزائر من الدول التي شهدت هي كذلك انفتاحا على التكنولوجيا الحديثة في الاعلام والاتصال خاصة الفيس بوك منه يمكن اعتبار سنة 2006 البداية الفعلية للجزائريين بوسائل الاعلام الالكترونية في شقها، الخاص بالمدونات ومواقع التواصل الاجتماعي فبدايات استخدام موقع الفيس بوك في الجزائر كانت لأسباب واغراض سياسية نتيجة للحراك السياسي الذي حدث في المجتمع الجزائري والذي جسده الجدل والنقاش الحادث بين المعارضين والمؤيدين للعهدة الثالثة من قبل وسائل الاعلام التقليدية من اذاعة والتلفزيون وكان للحراك العربي او ما يعرف بالربيع العربي تداعياته على الجزائر حيث تزايد اهتمام الجزائريين منذ بداية 2011 بوسائل الاعلام الالكترونية وعلى راسها " الفيس بوك" و"التويتر" وأصبح الفيس بوك يحتل الزيادة في استخدام الجزائريين له (تفرقنيت، 02 -03 ديسمبر 2013، صفحة 10).

3. ترقب الجديد نظرا لعضوية أغلب الهيئات الرسمية في الجزائر:

تضمنت بعض الوزارات والهيئات الرسمية في الجزائر مواقع رسمية في الفيسبوك، وكثيرا من المجتمع المدني، ونذكر منها الصفحة الرسمية لوزارة التعليم العالي و البحث العلمي وزارة التربية والتعليم الموقع الرسمي لجامعة لونيسي علي البليدة -2- webmaste@.univ-blida2-dz وهذا الفضاء يسهل هذا الفضاء تداول المعلومة واقتناؤها خاصة لدى الطالب الجامعي حيث يعتمد الطلبة على موقع الوزارة والجامعة لتعرف على آخر المستجدات التي تهمهم. وفي بعض الأحيان تكون المعلومات المتداولة بدون رقابة أي أن الفرد يجد نفسه في بعض الأحيان أمام السبق الصحفي مثلا: إعطاء معلومات لم يصرح بها قبل من طرف بعض الهيئات، أو نشر فيديو مباشر لحادثة ما.

2.3 الآثار الإيجابية والسلبية لاستخدام الفيس بوك من منظور الدراسات الحديثة السوسيو-إعلامية في المجتمع الجزائري

يعرف الباحث نصير بوعلي الأثر بأنه ما يمكن أن يحدث من تغيير في المواقف أو السلوكيات والآراء والمعلومات من جراء انتقال الرسالة الإعلامية إلى المتلقي فالرسالة الإعلامية قد تلفت انتباه المتلقي فيدركها، وقد تضيف إلى معلوماته معلومات جديدة وقد تجعله يكون اتجاهات جديدة أو تجعله يعدل من اتجاهاته السابقة، وقد تجعله يتصرف بطريقة جديدة أو يعدل سلوكه السابق.

هناك عدت دراسات تناول موضع الآثار الإيجابية والسلبية لاستخدام الفيسبوك أو مواقع التواصل عموما، ومنها ما يلي:

دراسة الباحث: "بن طيفور مصطفى" الموسومة " أثر استخدام مواقع التواصل الاجتماعي على الهوية الثقافية للشباب الجامعي - دراسة ميدانية على عينة من مستخدمي الفيسبوك بجامعتي مستغانم ووهران(مصطفى، 2016-2017، صفحة 415).

ولخصت الدراسة مجموعة من نتائج أهمها:

موافقة المبحوثين في تضييعهم الوقت أثناء استخدامهم للموقع بنسبة (52.96%)، دون فروقات من حيث الجنس أو الجامعة مما يدل على أن الشباب أصبح يمضي ساعات طويلة أمام شاشات الحاسوب في الموقع.

كشف بيانات الدراسة الميدانية عن معارضة أغلبية المبحوثين في مساهمة موقع الفيس بوك في انتشار السب والقذفلديهم.

بينت نتائج الدراسة الميدانية عن معارضة أغلبية أفراد عينة الدراسة في مساهمة موقع الفيسبوك في زيادة معدل العنف لديهم بنسبة (42.59%)، مع تسجيل أعلى نسبة معارضة في جامعة وهران بنسبة (50%) مما قد يدل على وجود ثقافة التسامح داخل المجتمع الجزائري.

دراسة الباحث محمد الزبون وآخرون الموسومة بـ: درجة تأثير شبكات التواصل الاجتماعي الرقمية على المنظومة القيمية لطلبة كلية عجلون الجامعية(الزبون و آخرون، 2017، صفحة 331).

توصلت هذه الدراسة إلى عدة نتائج أهمها:

- ✓ درجة تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على المنظومة القيمية كانت متوسطة.
- ✓ أظهرت النتائج أن القيم الجمالية جاءت في المرتبة الأولى، تلتها في المرتبة الثانية القيم الاقتصادية، وفي المرتبة الثالثة جاءت القيم الاجتماعية، بينما جاءت القيم الأخلاقية في المرتبة الأخيرة.
- ✓ بينت الدراسة وجود فروق في منظومة القيم لمتغير التخصص ولصالح تخصص الخدمة الاجتماعية.

المحور الثاني: الوعي السياسي وموقع الفايسبوك: دراسة تطبيقية

1. مجتمع البحث وخصائصه:

لقد تألف مجتمع البحث من مشتركي مواقع التواصل الاجتماعي بين كافة الأوساط من مراهقين وشباب وكهول، وهو مجتمع دراسة كبير كون مواقع التواصل الاجتماعي تعرف رواجا كبيرا وإقبالا واسعا، وإدمان فئة كبيرة من الجزائريين على تتبع صفحات شبكات التواصل الاجتماعي المختلفة كـ"الفيسبوك" و"تويتر" الخ، لذلك تم اختيار موقع الفيسبوك كأنموذج من هذه المواقع للإجابة على إشكالية البحث المتمثلة في كيفية تشكيل الوعي السياسي من خلال مواقع التواصل الاجتماعي، ونظرا لصعوبة الوصول إلى المجتمع الأصلي وحصر كل الأفراد المشتركين في هذا الموقع، فقد لجأنا إلى طريقة المسح بالعينة،والعينة التي اعتمدناها في دراستنا هي العينة الصدفية، نظرا لصعوبة اعتماد عينة من العينات الأخربوسواء كانت عشوائية أو منتظمة أو عمدية...

من هذا السياق قمنا بتوزيع استمارة الكترونية على صفحاتنا الشخصية في الفيسبوك ومشاركتها في مجموعات مختلفة على نفس الموقع، حيث وضعناها في الفترة الممتدة ما بين 2023/06/15و2023/07/15إلى غاية وصولنا لـ 100 إجابة، وهو الذي اعتمدناه لتحليل نتائج الدراسة، ولم نتجاوز هذا العدد لأن كثير من الباحثين ينصحون بعدم تجاوز هذا الرقم. بعد حصولنا على كل مفردات العينة قمنا بتحليل نتائجها عن طريق برنامج التحليل الإحصائي.

جدول رقم (1) يوضح توزيع أفراد العينة حسب متغير

	التكرارات	النسبة المئوية
أنثى	33	33.0
ذكر	67	67.0
المجموع	100	100.0

يتضح من خلال الجدول بأن هناك تفاوت كبير بين نسبة الذكور والإناث، حيث بلغت نسبة الذكور 67%، أما نسبة الإناث فقد وصلت إلى 33، هذه النسبة تتوافق بالتقريب مع الإحصائيات التي نشرتها مؤسسة "ألسكا" للإحصائيات، حيث بينت أن نسبة الذكور المشتركين في موقع التواصل الاجتماعي66%، وأن نسبة الإناث هي 34%، كما أن هذه النسبة توضح لنا أن الذكور لديهم حرية أكبر في إنشاء حساب على الفيسبوك، عكس الإناث الذين لا يملكون كل الحرية في هذا نظرا لاعتبارات عديدة ومتعددة.

جدول رقم (2): يوضح توزيع أفراد العينة حسب متغير السن

	التكرارات	النسبة المئوية
أقل من 20 سنة	5	5.0
من 20 إلى 29 سنة	72	72.0
من 30 إلى 39 سنة	14	14.0
من 40 إلى 49 سنة	5	5.0
من 50 إلى 59 سنة	4	4.0

المجموع	100	100.0

من خلال هذا الجدول الذي يبين لنا توزيع أفراد العينة حسب متغير السن، يتضح أن نسبة الأشخاص الذين تتراوح أعمارهم ما بين 20 إلى 29 سنة، هم الفئة الغالبة بنسبة وصلت إلى 72% من المجموع الكلي لأفراد العينة، وفي المرتبة الثانية جاءت الفئة التي تتراوح أعمارهم من 30 إلى 39 سنة بنسبة بلغت 14%، ثم فئة الأقل من 20 سنة وفنه من 40 إلى 49 سنة بنسبة 5%، ونسبة 4% للفئة الأخيرة وهي فئة 50 سنة فما فوق، هذه النسب توضح لنا أن فئة الشباب هي الفئة الغالبة في هذه الدراسة بالأغلبية الساحقة، وهذا ما يثبت لنا أن الشباب هم الأكثر تعرضا لصفحات الفيسبوك، ثم فئة ما بين 30و 39 سنة التي تعتبرها أيضا من فئة الشباب، وتعتبر هذه النتائج منطقية في أغلب الدراسات، ثم الفئات الأخرى بنسب متقاربة فبالرغم من أن نسبتهم ضئيلة مقارنة مع نسبة الشباب إلا أنه يتضح لنا أن الفيسبوك قد مس جميع الفئات العمرية في المجتمع.

جدول رقم (3): يوضح توزيع أفراد العينة حسب متغير المستوى التعليمي.

	التكرارات	**النسبة المئوية**
ابتدائي/ متوسط	12	12
ثانوي	22	22
جامعي	66	66
المجموع	100	100.0

من خلال هذا الجدول يتبين لنا أن أصحاب المستوى الجامعي هم الفئة الغالبة بنسبة بلغت 66%، ثم تلتها فئة المستوى التعليمي الثانوي بنسبة 22، وفي الأخير فئة المستوى الابتدائي والمتوسط بنسبة فئة تراوحت في 12%، وهذا ما يبين لنا أن معظم مستخدمي موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك هم ذات مستوى تعليمي محترم، وأنه حقا يضم الفئات المسافة أكثر من الفئات الأخرى، نظرا للخصائص والمميزات التي يتميز بها فهو مصدر مهم للتوعية والتثقيف مثله مثل جميع المواقع الأخرى وحتى وسائل الاعلام التقليدية التي تسعى إلى نشر الأفكار والآراء المختلفة، مما جعله أكثر المواقع أهمية من بين مواقع التواصل الاجتماعي الموجودة على شبكة الانترنت.

جدول رقم (4): يوضح توزيع أفراد العينة حسب متغير الحالة الاجتماعية

	التكرارات	النسبة المئوية
أعزب	69	69
متزوج	29	29
مطلق	2	2
المجموع	100	100.0

تبين لنا من خلال نتائج الجدول أن نسبة المبحوثين الذين شملتهم الدراسة من العزاب بنسبة 69%،ونسبة 29% من المتزوجين، في المقابل بلغت نسبة المطلقين 2، وهذه النتائج تظهر لنا أن استخدام الفيسبوك له علاقة بالحالة الاجتماعية للأفراد، حيث أن أعلى نسبة كانت من نصيب العزاب الذين ليسلهم انشغالات كثيرة وارتباطات عائلية تغنيهم في أوقات فراغهم وتشغل تفكيرهم ما يجعلهم يستخدمون الفيسبوك للترفيه عن حالهم، ثم فئة المتزوجين الذين يستخدمون الفيسبوك لسهولة استخدامه، وكذا سرعةالحصول على المعلومات في هذا الموقع نظرا للمعلومات الغزيرة التي تتدفق من خلاله فهم يسعون قدر المستطاع في الحصول على المعلومات في وقت قياسي وهو ما يمنحها لهم الفيسبوك، أما فئة المطلقين قلة في هذا العالم الافتراضي (الفيسبوك) مثله مثل العالم الواقعي.

جدول رقم (5) يوضح توزيع أفراد العينة حسب متغير المهنة

	التكرارات	النسبة المئوية
اعمال حرة	20	20
بطال	10	10
طالب	47	47
موظف	23	23

المجموع	100	100.0

انطلاقا من هذا الجدول يتبين لنا أن الطلاب هم الأكثر استخداما لموقع الفيسبوك، فقد أصبح من النادر أن تجد طالب أو طالبة لا تملك حساب في الفيسبوك، حيث يعتمد عليه الطلاب في التواصل أصدقائهم الطلبة وحتى مع الأساتذة وكذا اعتمادهم عليه في نشر الإعلانات ورزنامة الامتحانات وكذا نتائج الامتحانات وغيرها من الأسباب الأخرى، وهذا ما يظهر لنا من خلال نسبة الطلبة المبحوثين في هذه الدراسة والتي بلغت 47، ثم نجد نسبة 23% الخاصة بالموظفين الذين يستخدمونه للحصول على معلومات بصورة مختصرة، بعدها نجد الأفراد أصحاب مهنة الأعمال الحرة بنسبة قدرت بـ20% وهذه النسبة تبين لنا أن الفيسبوك يساعد أيضا الفئات التي في غالب الأحيان لا يملكون أوقات فراغ كثيرة وهو ما يبين لنا سهولة استخدام هذا الموقع، وكذا الشعبية التي يحصى بها بين أفراد المجتمع، في الأخير نجد فئة البطالين بنسبة 10% وهو ما يثبت لنا أن استخدام الفيسبوك ليس مكلف وأنه يمكن حتى البطال أن يستخدمه، وهذا أمر يحسب لهذا الموقع.

2. محور خاص باستخدام موقع التواصل الاجتماعي "فيسبوك."

1.2 تحليل الجداول البسيطة:

جدول رقم (6): يمثل توزيع أفراد العينة حسب بداية إستخدام الفيسبوك.

	التكرارات	النسبة المئوية
أقل من سنتين	7	7
من سنتين إلى 5 سنوات	45	45
من 5 سنوات فما فوق	48	48
المجموع	100	100.0

يتبين لنا من خلال هذا الجدول أن نصف أفراد العينة يستخدمون الموقع منذ خمس سنوات فما فوق حيث بلغت نسبتهم 48، ثم بعدد قليل جدا تجد فئة من سنتين إلى خمس سنوات بنسبة قدرت بـ45%، ثم آخر فئة والتي لها أقل من سنتين بنسبة تراوحت في 7%، هذه النتائج تبين لنا أن التطور التكنولوجي ساعد كثيرا هذا الموقع، حيث أن ظهور الهواتف الذكية له أثر بالغ في استخدام الأفراد للفيسبوك، ففي

البداية كان غالبية الأشخاص يقصدون مقاهي الانترنت من أجل تصفح مواقع التواصل الاجتماعي، وكذا تعميم شبكة الانترنت على جميع خطوط الهواتف النقالة له أثر كبير أيضا في استخدام الأفراد للفيسبوك.

جدول رقم (7): يمثل توزيع أفراد العينة حسب الوقت الذي يقضونه في إستخدام الفيسبوك.

	التكرارات	النسبة المئوية
أقل من ساعتين	27	27
من ساعتين إلى4 ساعات	28	28
من 4 ساعات فما فوق	45	45
المجموع	100	100.0

يظهر لنا من خلال هذا الجدول أن أغلب أفراد العينة يقضون في تصفح هذا الموقع من أربع ساعات فما فوق بنسبة 45%، في حين يقضي 28% منهم من ساعتين إلى أربع ساعات، يليهم الأفراد الذين يقضون أقل من ساعتين بنسبة 27%، هذه النتائج تبين لنا الأوقات الرهيبة التي أصبح هذا الموقع يستهلكها، حيث أن نصف أفراد العينة تقريبا يقضون أكثر من أربع ساعات في اليوم وهو ما أدى إلى نوع من الانقسام في مجتمعنا، و حسب الدراسات السابقة فإن الفيسبوك هو السبب الرئيسي للتشتت العائلي في عصرنا الحالي، فالشخص أصبح يفضل الاتصال بالعالم الافتراضي على حساب حياته في أرض الواقع.

جدول رقم (8): يمثل توزيع أفراد العينة حسب فترة إستخدام الفيسبوك.

	التكرارات	النسبة المئوية
صباحا	5	5
ليس هناك وقت محدد	49	49
ليلا	37	37
مساء	9	9
المجموع	100	100.0

من خلال هذا الجدول يتبين لنا أن 49% من أفراد العينة ليس لهم وقت محدد يستخدمون فيه الفيسبوك، في حين أن 37% يستخدمونه ليلا، بينما 9% يستخدمون الفيسبوك في فترة المساء، أما

الأشخاص الذين يتصفحون الفيسبوك في الفترة الصباحية فقد بلغت نسبتهم 5% هذه النتائج تثبت لنا أن تعميم فضاء الانترنت في جميع الأماكن، وفي كل الأوقات قد أتى أكله وكذا زيادة سرعة تدفق الانترنت له دور أيضا، فالأفراد الذين لا يعينون الانترنت في هواتفهم هم قلة قليلة، كل هذا أدى بالأفراد إلى استخدام الفيسبوك دون تحديد وقت معين لذلك، في حين أن الأفراد الذين يستخدمون الفيسبوك ليلا لهم نسبة كبيرة أيضا وهذا يرجع لعدة أسباب أبرزها أنهم في وقت فراغ حيث أن أغلبهم يفضل الفيسبوك على وسائل ومواقع أخرى لقضاء وقت فراغه، وأغلب الأفراد يفضلون هذه الفترة للدردشة والتواصل مع عالم افتراضي ينسبهم تعب يومهم.

جدول رقم (9) يمثل توزيع أفراد العينة على حسب الهدف من إستخدام الفيسبوك في فترة معينة.

	التكرارات	النسبة المئوية
احيانا	58	58
نعم	20	20
لا	22	22
المجموع	100	100.0

يتضح لنا من خلال نتائج الجدول أن أكثر من نصف أفراد العينة لا يربطون فترة استخدامهم للفيسبوك بالهدف من استخدامهم له بصفة دائمة، بل أحيانا ما يستخدمونه في فترة محددة لغرض معين بلغت نسبتهم 58% من أفراد العينة، بينما 22% يستخدمون الفيسبوك في فترة معينة نظرا للهدف من استخدامهم له، أي أن الفترة التي يستخدمون فيها الفيسبوك لها علاقة بالهدف من استخدامهم له، فيحين أن 20% لا يربطون الفترة التي يستخدمون فيها الفيسبوك بالهدف من استخدامهم إياه، وهذه النتائج تبين لنا أن الفترة التي يتصفحون فيها أفراد العينة الفيسبوك ليست لها علاقة بالهدف من تصفحهم لهذا الموقع دائما.

جدول رقم (10): يمثل توزيع أفراد العينة على حسب الهدف من إستخدام الفيسبوك.

	التكرارات	النسبة المئوية
للاطلاع على احداث معينة.	22	22

للترفيه والتسلية.	25	25
للترفيه والتسلية، للاطلاع على احداث معينة.	14	14
للترفيه والتسلية، معرفة ومتابعة الاخبار المحلية والدولية.	6	6
للترفيه والتسلية، معرفة ومتابعة الاخبار المحلية والدولية، للاطلاع على احداث معينة.	2	2
معرفة ومتابعة الاخبار المحلية.	20	20
معرفة ومتابعة الاخبار المحلية والدولية، للاطلاع على احداث معينة.	11	11
المجموع	100	100.0

حسب ما يوضحه الجدول اعلاء فإن الهدف من استخدام الفيسبوك بالنسبة للمبحوثين بالدرجة الأولى هو الترفيه والتسلية، حيث أجاب 25% منهم هذه الإجابة، فيما 22% منهم أجابوا بأنهم يستخدمونه لغرض الاطلاع على أحداث معينة حسب ميولهم وما يفضلونه، و 20% يستخدمون الفيسبوك لغرض معرفة ومتابعة الأخبار المحلية والدولية وما يحصل من أحداث معينة في مجال معين، كما أن أفراد آخرين أجابوا إجابة مزدوجة، وهي ميزة وضعناها خصيصا في هذا السؤال للإجابة على أكثر من اقتراح،حيث أجاب 14% منهم على خانة الترفيه والتسلية مع الاطلاع على أحداث معينة، فيما 11% ربط بين معرفة ومتابعة الأخبار المحلية والدولية مع الاطلاع على أحداث معينة، فيما أجاب 6%.إجابة الترفيه والتسلية مع معرفة ومتابعة الأخبار المحلية والدولية، في حين أن 2% ربط الإجابات مع بعض، كما أضاف الأفراد المبحوثين اقتراحات أخرى غالبيتهم بعض أضافوا اقتراح مشاهدة الفيديوهات وقراءة المقالات ونشر الصور والتعليق على ما ينشر وما يجذب انتباههم.

جدول رقم (11): يمثل توزيع أفراد العينة على حسب الثقة في المعلومات التي يحصل عليها من خلال الفيسبوك.

	التكرارات	**النسبة المئوية**
نعم	54	54
لا	46	46
المجموع	100	100.0

من خلال هذا الجدول يتبين لنا أن 54% من أفراد العينة لا يثقون في المعلومات التي يحصلون عليها من خلال الفيسبوك، مبررين ذلك بإيجابيات مختلفة أبرزها أنهم قالوا أنها عديمة المصداقية نظرا لأنكل من هب ودب ينشر أفكار ومعتقدات وتوجهات مختلفة يخدم من خلالها مصالح أو مؤسسات معينة،وكذا عدم معرفتهم بالمصدر الأول لهذه المعلومة، وأسباب أخرى لذلك تجدهم لا يتقون فيها، أما ال46%الباقية فقد قالوا أنهم يثقون فيها، مبررين إجابتهم بكون هذه المعلومات تصدر من أطراف معينة، ومختلفة وذات توجهات مختلفة، وأن كل أو معظم الأفراد يلجئون إلى الفيسبوك للحصول على المعلومات حول قضايا معينة من اهتمامهم، وهناك من قال أنها المصدر الوحيد الذي يمنحك المعلومات بانية وسهولة والوقت الذي تحدده أنت.

2.2تحليل الجداول المركبة الخاصة باستخدام مواقع التواصل الاجتماعي.

جدول رقم (12): يمثل توزيع أفراد العينة على حسب متغير المستوى التعليمي.

			منذ متى تستخدم فيسبوك؟			المجموع
			أقل من سنتين	من 5 سنوات فما فوق	من سنتين إلى 5 سنوات	
المستوى التعليمي	ابتدائي/ متوسط	التكرار	3	2	7	12
		النسبة	25	16.7	58.3	100
	ثانوي	التكرار	2	8	12	22
		النسبة	9.1	36.4	54.5	100
	جامعي	التكرار	2	38	26	66
		النسبة	3	57.6	39.4	100
المجموع		التكرار	7	48	45	100
		النسبة	7	48	45	100

من خلال الجدول نلاحظ أن نسبة 57.60% الخاصة بأفراد المستوى الجامعي يستخدمون الفيسبوك عنهم أقل من خمس سنوات فما فوق، و39.40% من سنتين إلى خمس سنوات في حين أن 3%

فقطمن سنتين، أما أفراد المستوى الثانوي فنسبة 54.5% منهم ستخدمون الفيسبوك من سنتين إلى خمس سنوات، و36.4% منهم. منذ أكثر من خمس سنوات، في حين 9.1% فقط لهم أقل من سنتين، وفيما يخص أفراد المستوى الابتدائي والمتوسط فنسبة 58.3% منهم يستخدمون الفيسبوك منذ سنتين إلى خمس سنوات و25% أقل منهم من سنتين في حين أن 16.7% فقط من يستخدمون الفيسبوك منذ أكثر من خمس سنوات، هذه النتائج تبين لنا أن أفراد المستوى الجامعي غالبيتهم لهم فترة طويلة في استخدام موقع الفيسبوك تزيد عن خمس سنوات، في حين أن أفراد المستوى الثانوي فأكثر من نصفهم يستخدمون الفيسبوك منذ سنتين إلى خمس سنوات، كذلك بالنسبة لأفراد المستوى الابتدائي فهم يتصفحون الفيسبوك منذ سنتين إلى خمس سنوات، للإشارة فقط فإن هذه إحصائيات المستوى التعليمي ليس بالضرورة لا يزال في ذلك المستوى فمنهم من أكمل دراسته ومنهم من توقف قبل ذلك.

جدول رقم (13): يوضح الوقت الذي يقضيه أفراد العينة في إستخدام الفيسبوك على حسب متغير الحالة العائلية.

			ما هو الوقت الذي تقضيه يوميا في استخدام الفيسبوك؟			المجموع
			اقل من ساعتين	من 4 ساعات فما فوق	من ساعتين إلى 4 ساعات	
الحالة العائلية	اعزب	التكرار	18	34	17	69
		النسبة	26.1	49.3	24.6	100
	متزوج	التكرار	10	10	9	29
		النسبة	34.5	34.5	31	100
	مطلق	التكرار	0	1	1	2
		النسبة	0	50	50	100
المجموع		التكرار	28	45	27	100
		النسبة	28	45	27	100

تلاحظ من خلال الجدول أن العزاب يقضون من أربع ساعات فما فوق على صفحات الفيسبوك بنسبة بلغت 49.3% وهي: نسبة عالية جدا مقارنة بمن يقضون أقل من ساعتين في استخدام الفيسبوك والتي قدرت نسبتهم في أفراد العينة 26.1%، أما فيما يخص الأفراد المتزوجين فقد تباينت نتائج مدة استخدامهم للفيسبوك ما بين أقل ساعتين وسابين أكثر من خمس ساعات بنسبة قدرت بحوالي 34.5%، فيما يقضي 31% منهم من ساعتين إلى خمس ساعات في الفيسبوك، وتدل نتائج هذا الجدول على أن أكبر عدد من أفراد العينة يستخدمون الفيسبوك لأكثر من خمس ساعات في اليوم هم من فئة العزاب وهذا لأن لديهم وقت أكبر مقارنة بالبقية وليست لديهم التزامات عائلية خاصة.

جدول رقم (14): يوضح الفترة التي يستخدم فيها أفراد العينة الفيسبوك حسب متغير المهنة.

			ما هو الوقت الذي تقضيه يوميا في استخدام فيسبوك؟				المجموع
			صباحا	ليس هناك وقت محدد	ليلا	مساء	
الحالة العادية	اعمال حرة	التكرار	1	6	9	4	20
		النسبة	5	30	45	20	100
	بطال	التكرار	3	4	2	1	10
		النسبة	30	40	20	10	100
	طالب	التكرار	0	29	16	2	47
		النسبة	0	61.7	34	4.3	100
	موظف	التكرار	1	10	10	2	23
		النسبة	4.3	43.5	43.5	8.7	100
		التكرار	5	49	37	9	100

المجموع	النسبة	5	49	37	9	100

من خلال الجدول يتبين لنا أن أكبر نسبة من نصيب الطلاب الذين ليس لهم وقت محدد لاستخدام الفيسبوك بنسبة 61.70%، ونسبة 34% منهم يستخدمون الفيسبوك في فترة الليل، ثم تلتها نسبة الموظفين الذين يستخدمون الفيسبوك بنسبة 43.5% في فترة الليل و فترة عدم وجود وقت محدد لاستخدامه، والشيء الملاحظ في نتائج هذا الجدول هو الفترة المسائية التي تعتبر الفترة المناسبة لأصحاب الأعمال الحرة لاستخدام الفيسبوك، حيث لا توجد فئة تتصفح في هذه الفترة أكثر منهم بنسبة بلغت 20%، أما الفترة الأكثر ملائمة لفئة البطالين هي أنهم ليس لهم وقت محدد بنسبة قدرت بـ 40%، وهو ما يبين أن البطالين لهم كل الوقت لاستخدام الفيسبوك.

3. نتائج الجزء الخاص بالوعي السياسي:

السنوات الخمس الأخيرة شهدت تسجيل عدد قياسي من أفراد العينة في موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك.

- الوقت الذي يقضيه الأفراد المبحوثين في استخدام موقع الفيسبوك كبير جدا يفوق الأربع ساعات في اليوم الواحد، وهو عدد مسجل على ما يقارب نصف أفراد العينة التي أجرينا عليها دراستنا.
- نستنتج أيضا من خلال هذا الجزء أن أكثر من نصف أفراد العينة ليس لهم وقت محدد يقضونه على صفحات موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك وهو مؤشر عالي جدا، بينما هناك من يستخدمون هذا الموقع في فترة الليل أين يكون معظم الأفراد متفرعين لاستخدامه براحة أكبر، وهو الوقت المصل ل 37%من أفراد العينة.
- الفترة التي يتصفح فيها الأفراد المبحوثين ليست له علاقة من استخدام هؤلاء الأفراد لموقع التواصل الاجتماعي فيسبوك، وأن 58% منهم يربطون الهدف مع فترة استخدامهم لهذا الموقع بصفة "أحيانا."
- غالبية الأفراد المتصفحين لموقع الفيسبوك يستخدمونه لعرض الترفيه والتسلية، ثم لغرض الاطلاع على أحداث معينة، ومنهم من يستخدمه من أجل معرفة ومتابعة الأخبار المحلية والدولية، وهناك من يفضلونه لأغراض أخرى مثل قراءة المقالات ومشاهدة الفيديوهات والصور.
- أكثر من نصف أفراد العينة لا يثقون في المعلومات التي يتحصلون عليها من خلال موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك، مؤكدين أن أصحاب هذه المعلومات غير معروفة ولا يظهر مصدرها الأصلي وأن هذه المعلومات تكون وفق توجهات هؤلاء الأفراد ولا تمد للمصداقية بصلة، أما النصف

الآخر فهم يمنحون ثقتهم في المعلومات التي يحصلون عليها من خلال الفيسبوك، موضحين أن هذه المعلومات تكون مرفقة غالبا بفيديو أو صورة وهو ما يرفع من نسبة مصداقيتها على حد تعبيرهم.

- غالبية أفراد العينة العزاب يقضون من أربع ساعات فما فوق في استخدام الفيسبوك، ونتائج الأفراد المتزوجين ليست متباينة فيما بينها، فمنهم من يقضي من ساعتين إلى أربع ساعات ومنهم من يقضي أكثر من أربع ساعات في تصفح موقع الفيسبوك، ونتائج أفراد العينة المتزوجين تبين ذلك، أما الأفراد المطلقين فهم يتصفحون الفيسبوك من ساعتين فما أكثر في هذا الموقع.

- ليست هناك فترة محددة أو وقت معين يستخدم فيه الطلبة موقع الفيسبوك، وهو ما يظهر لنا الاستعمال الفوضوي لهذا الموقع، فعدم وضع وقت محدد في استخدام الفيسبوك يهدر من الوقت الكثير دون شعور منهم، نستنتج أن الفترة المفضلة لدى البعض منهم "الليل"، كذلك بالنسبة للموظفين فمنهم من ليس له وقت محدد يستخدم فيه الفيسبوك ومنهم من يفضل قضاء وقت في تصفح الفيسبوك ليلا"، أفراد العينة المطلقين فغالبيتهم لا يملكون وقت محدد يستخدمون فيه الفيسبوك، أما أصحاب المهن الحرة فالفترة المسائية هي المفضلة لديهم لزيارة موقع الفيسبوك.

- أفراد العينة من أصحاب المستوى الجامعي جلهم يستخدم الفيسبوك منذ أكثر من خمس سنوات، وأفراد المستوى التعليمي الثانوي من سنتين إلى خمس سنوات كذلك بالنسبة لأفراد المستوى التعليمي الابتدائي والمتوسط، من هذه النتائج نستنتج أنه قبل خمس سنوات كانت كلما كان المستوى التعليمي أكبر كلما كان الخراط الأشخاص في موقع الفيسبوك أكثر، أما في السنوات الأخيرة فنجد أن حتى أصحاب المستوى التعليمي الابتدائي والمتوسط يستخدمون الفيسبوك منذ أكثر من عامين، وهو مؤشر سلبي جدا لأفراد هذا المستوى.

4. تحليل نتائج الجزء الخاص بالوعي السياسي:

1.4تحليل الجداول البسيطة

جدول رقم (15) يمثل توزيع أفراد العينة على حسب متابعة الأحداث السياسية.

	التكرارات	النسبة المئوية
احيانا	46	46
دائما	32	32
نادرا	22	22
المجموع	100	100.0

نلاحظ من خلال هذا الجدول نسبة الذين قالوا أنهم يتابعون الأحداث السياسية بصفة أحيانا هم الأعلى نسبة والتي قدرت ب 46% من الحجم الكلي لأفراد العينة، وهذا الاهتمام يكون في فترة تكون فيه أحداث سياسية ذات تأثير على حياتهم، وهو ما يفسر متابعة للأحداث السياسية بصفة أحيانا وليس دائما، أما الذين يتابعون الأحداث السياسية بصفة دائمة فقد كانت نسبتهم 32، وهم الأشخاص الذين يهتمون بكل صغيرة وكبيرة في مجال السياسة ويحرصون على متبعة الأحداث السياسية المحلية وحتى في حين أن 22 لا يتابعون الأحداث السياسية إلا نادرا، تضم هذه الفئة الأفراد الذين يهتمون بمتابعة الأحداث السياسية إلا عند وجود حدث سياسي بارز.

جدول رقم (16) يمثل توزيع أفراد العينة على حسب الوسيلة التي تلبي وتزيد من معارفهم السياسية.

	التكرارات	النسبة المئوية
لا	7	7
نعم	34	34
نوعا ما	59	59
المجموع	100	100.0

فحص نتائج الجدول تبين لنا أن 59 يشككون في الوسيلة التي يعتمدون عليها في الحصول على المعلومات السياسية، حيث يرون أنها لا تلبي جميع متطلباتهم من المعلومات السياسية، و34% يرون أن الوسيلة التي يعتمدون عليها تلبي جميع متطلباتهم في الحصول على المعارف السياسية، في حين أن 7% لا يعتمدون على وسيلة واحدة لا تلبي رغباتهم في إشباع ذاتهم بالمعلومات، وهذه الفئة قد نقول أن الخلل يكمن فيهم وليس في الوسيلة، فمن جهة يعتمدون عليها للحصول على المعلومة ومن جهة أخرى لا يرون أنها تلبي رغباتهم المعرفية.

جدول رقم (17): يوضح كيفية رفع الوسيلة التي يعتمدونها من الوعي السياسي لديهم.

	التكرارات	النسبة المئوية
من خلال التعمق في الاحداث السياسية.	17	17
من خلال التعمق في الاحداث السياسية، من خلال تقديمها اراء مختلفة	8	8

حول حدث معين.		
من خلال إلمامها بأهم الأحداث سياسية.	21	21
من خلال إلمامها بأهم الأحداث سياسية، من خلال التعمق في الاحداث السياسية، من خلال تقديمها اراء مختلفة حول حدث معين، من خلال تقديمها آراء مختلفة حول حدث معين.	5	5
من خلال إلمامها بأهم الأحداث سياسية، من خلال تقديمها آراء مختلفة حول حدث معين.	1	1
من خلال إلمامها بأهم الأحداث سياسية، من خلال تقديمها آراء مختلفة حول حدث معين.	12	12
من خلال تقديمها آراء مختلفة حول حدث معين.	35	35
المجموع	100	100.0

من خلال هذا الجدول يتبين لنا أن 35% من أفراد العينة يرون أن الوسيلة التي يعتمدونها ترفع من وعيهم السياسي من خلال تقديمها آراء مختلفة حول حدث معين، بينما 21% يرون أنها ترفع من وعيهم السياسي من خلال إلمامها بأهم الأحداث السياسية في حين أن 17% يرون أنها ترفع من وعيهم السياسي من خلال إلمامها بأهم الأحداث السياسية، أي من خلال إظهار لهم أهم القضايا التي تحصل في لحظتها، هذا السؤال أيضا منحنا حرية الاختيار لأكثر من اقتراح واحد، حيث نلاحظ أن 12%ربطوا بين إلمامها بأهم الأحداث السياسية، و بين تقديمها آراء مختلفة حول حدث معين، وربطوا بين التعمق في معالجة الأحداث السياسية وتقديم آراء مختلفة حول حدث معين أما التعمق في معالجة الأحداث السياسية مع إلمامها بأهم الأحداث السياسية، فنسبة الذين أجابوا عليها هي 8% منهم 5%، حين أن 1% ربطوا الاقتراحات الثلاثة مع بعض، وهناك من أجاب إجابة مختلفة أضافها للاقتراحات أن هذه الوسيلة تضفي له الرصيد المعرفي في مجال السياسة من خلال تقديم أدلة مقنعة تثري حصيلتهم المعرفية بكل البراهين وهناك من يفضل السخرية من السياسيين واصحهم في إثراء معرفته بالأحداث السياسية.

جدول رقم (18): يوضح إن كانت هناك مواقف قد ساهمت في تغييرها.

	التكرارات	النسبة المئوية
نعم	25	25
لا	75	75
المجموع	100	100.0

من خلال الجدول اعلاء يتبين لنا أن 75% من أفراد العينة قد وافقوا على أن الوسيلة التي يعتمدونها قد ساهمت فعليا في تغيير مواقف معينة في حياتهم اتجاه قضية معينة أو فرد محدد أو أي شيء، فيحين أن 25% يؤكدون أن الوسيلة لم تغير أي موقف اتخذوه مسبقا.

2.4تحليل الجداول المركبة

جدول رقم (19) يوضح متابعة الأحداث السياسية حسب متغير الجنس هل تتابع الأحداث السياسية؟

			هل تتابع الأحداث السياسية؟			المجموع
			احيانا	دائما	نادرا	
الجنس	انثى	التكرار	13	10	10	33
		النسبة	39.4	30.3	30.3	100
	ذكر	التكرار	33	12	12	67
		النسبة	49.3	32.8	17.9	100
المجموع		التكرار	46	32	22	100
		النسبة	46	32	22	100

من خلال الجدول يقين لنا أن نسبة الإناث اللاتي يتابعن الأحداث السياسية أحيانا هم أعلى نسبة قدرت39.4%، بينما اللاتي يتابعن بصفة دائمة متساوية مع نسبة اللاتي لا يتابعن الأحداث السياسية إلا نادرا بنسبة قدرت بـ 30.3، وهذا واضح جليا من خلال واقعنا الذي معروف عنه أن الإناث لا يهتمون بالسياسة كثيرا، على عكس الذكور الذين تجدهم أكثر اهتماما مقارنة معم حيث تلاحظ من خلال الجدول أن 49.3% يتابعون الأحداث السياسية، أحيانا، والمهتمون بها بصفة دائمة بنسبة 32.8%، أما 12%لا

يتابعون الأحداث السياسية إلا نادرا، وهذا أمر أثبتته معظم الدراسات السابقة والتي بينت أن الذكور أكثر اهتماما بالأمور السياسية من الإناث.

جدول رقم (20) يبين إن كانت هناك مواقف معينة قد ساهمت هذه الوسيلة في تغييرها حسب متغير السن.

			هل هناك مواقف معينة ساهمت هذه الوسيلة في تغييرها؟		المجموع
			لا	نعم	
السن	اقل من 20 سنة	التكرار	1	4	5
		النسبة	20	80	100
	من 20 إلى 29 سنة	التكرار	16	56	72
		النسبة	22.3	77.7	100
	من 30 إلى 39 سنة	التكرار	5	9	14
		النسبة	35.7	64.3	100
	من 40 إلى 49 سنة	التكرار	2	3	5
		النسبة	40	60	100
	من 50 سنة فما فوق	التكرار	1	3	4
		النسبة	25	75	100
المجموع		التكرار	25	75	100
		النسبة	25	75	100

يبين لنا الجدول أن أعلى نسبة قالوا أن الوسيلة التي يعتمدونها تساهم تغيير موال مواقفهم هي نسبة الفئة التي تتراوح أعمارهم ما بين 20 و29 سنة والتي قدرت بـ 77.7% في. حين نسبة الذين أجابوا بأنها لا تساهم هي 22.3%، وهذا ما يفسر حقا أن أفراد هذه الفئة يعتمدون على تلك الوسيلة أكثر من أي وسيلة أخرى في الحصول على المعلومة السياسية، من اجل إثراء آرائهم وتمكينهم من اتخاذ موقف أما فئة الأقل

من 20 سنة ف 80% منهم وافقوا على أن الوسيلة التي يلجؤون إليها تساهم في تغيير مواقفهم في حين أن 20% منهم لا يرون أنها تساهم في تغيير آرائهم، وهذا ما يبين أن هذه أفراد هذه الفئة يتخذون مواقف معينة اعتمادا على ما يحصلون عليه من خلال هذه الوسيلة، كما نلاحظ أن نسبة 4 من فئة ال50 سنة فما فوق يؤكدون أنها تساهم في تغيير مواقفهم اتجاه قضايا أو أحداث معينة، في حين 25% يرون غير ذلك، حيث أنه ورغم أن أفراد هذه العينة لهم من الخبرة الكثير في اتخاذ المواقف إلا أنهم لا يزالون يعتمدون على هذه الوسيلة لأجل اتخاذ المواقف، في حين أن أفراد الفئة التي تتراوح اعمارهم ما بين 30 و39 سنة 64.3 أجابوا نعم و 35.7 قالوا لا أي لا تساهم في تغيير مواقفهم، وفئة ما بين 40 و 49 سنة كذلك إجاباتهم كانت متقاربة حيث بلغت إجابة الذين أجابوا بنعم 60%، و40% لم يوافقوا هذا الطرح، إذن ومن خلال نتائج هذا الجدول يتبين لنا أنه الوسيلة المعتمدة من قبل الأفراد في الحصول المعلومات السياسية بعض النظر عن اختلافها إلا أنها تساهم بشكل كبير اتخاذ الأفراد لمواقف معينة بغض النظر أيضا عن الفئات العمرية التي تعتمد على هذه الوسائل، حيث كل الفئات العمرية قد ساهمت الوسيلة التي يعتمدون عليها في الحصول على المعلومات السياسية من تغيير مواقعهم واتخاذ موقف معين على حساب تلك الوسيلة.

5. نتائج المحور الثاني:

- أحيانا " هو مؤشر غالبية أفراد العينة في متابعة الأحداث السياسية، وهي نسبة أكبر من نسبة الأفراد الذين يتابعون الأحداث السياسية بمؤشر دائم، في حين أن الأفراد الذين لا يتابعون الأحداث السياسية ويتابعونها بمؤشر نادر فهم أقل نسبة من المجموع الكلي لأفراد السيئة.

- المواقع الالكترونية هي الأكثر اعتمادا من طرف أفراد العينة لمتابعة الأحداث السياسية بعد موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك"، يليها التلفزيون مباشرة، ثم تأتي الصحف المكتوبة والجرائد، وفي الأخير نجد وسيلة الإذاعة.

- "نوعا ما" هو المؤشر الذي يعتقد أفراد العينة أن الوسيلة التي يعتمدونها تلبي رغباتهم وتزيد من معارفهم السياسية، وهذا يعود إلى قوة العلاقة بين الأفراد والوسيلة التي يعتمدونها في الحصول على المعلومات السياسية ومدى وفاء الأفراد لهذه الوسيلة ومدى قدرة الوسيلة في تلبية رغباتهم، بينما 34%من الأفراد المبحوثين يرون أن الوسيلة التي يعتمدونها تلبي رغباتهم في زيادة معارفهم السياسية

- تريد الوسيلة التي يعتمدها أفراد العينة من وعيهم السياسي من خلال تقديم آراء مختلفة حول حدث معين بالدرجة الأولى، ثم من خلال إلمامها بأهم الأحداث السياسية الحاصلة على مستوى الساحة السياسية المحلية والدولية، وأخيرا من خلال الغوص أكثر والتعمق في معالجة الأحداث السياسية المختلفة من خلال نتائج هذا المحور يتبين لنا "حقا" أن الوسيلة التي يعتمد عليها في الحصول على المعلومة السياسية تساهم في التغيير مواقعهم واتجاهاتهم اتجاه قضية معينة أو حدث سياسي معين.

- الغالبية من أفراد العينة الإناث يتابعون الأحداث السياسية بمؤشر "أحيانا"، وهذا ما أثبتته عدة دراسات،حيث أصبح معروف عن فئة الإناث أنهم لا يهتمون بالأحداث السياسية إلا أحينا عندما يكون هنا كموقف أو حدث سياسي يستحق أو يجذب الانتباه من خلال العاطفة، فالإناث يهتمون بالسياسة أحيانا بسبب عنصر العاطفة فيهم، بينما فئة الذكور وبالرغم من أن نسبة الذين يتابعون الأحداث السياسية بمؤشر أحيانا الفئة الغالبة من أفراد العينة، إلا أنها متقاربة مع فئة الذين يتابعون الأحداث السياسية بمؤشر "دائم "، وهو ما يثبت أن الذكور أكثر حرصا على متابعة الأحداث السياسية من الإناث.

- الوسيلة التي يعتمدها أفراد العينة تساهم بشكل كبير في تغيير مواقفهم وتؤثر على آرائهم بالرغم من فارق السن بينهم، حيث أنه فيما سبق كانت الوسيلة تؤثر على فئات عمرية معينة دون غيرها، على عكس ما نراه اليوم وما تثبته دراستنا وهو أنها أصبح لها تأثير على كل الفئات العمرية في المجتمع، ابتداء من المراهقين وصولا إلى الكهول والشيوخ مرورا بفئة الشباب.

المحور الثالث: الخاص بالوعي السياسي وعلاقته بموقع الفايسبوك.

1. تحليل الجداول البسيطة

جدول رقم (21): يوضح إبداء رأي أفراد العينة حول ما يطرح من قضايا سياسية عبر الفيسبوك.

	التكرارات	النسبة المئوية
احيانا	55	55
دائما	21	21
نادرا	24	24
المجموع	100	100.0

نلاحظ من خلال الجدول أن أفراد العينة الذين يبدون أرائهم اتجاه ما يطرح من قضايا سياسة عبر الفيسبوك بصفة أحيانا هم الأعلى نسبة والتي وصلت إلى 55% من المجموع الكلي لأفراد العينة، وهذا يفسر أنه عند وجود حدث أو قضية جد حساسة على موقع الفيسبوك فإن مستخدمي الفيسبوك يشاركون بآرائهم، أي أن نوع ما يطرح في الفيسبوك هو الذي يحدد مشاركة الأفراد من عدمه، في حين أن 24%منهم لا يبدون رأيهم إلا نادرا أ هذه الفئة لا يستخدمون الفيسبوك لغرض الحصول على المعلومات وإنما لأغراض أخرى وهذا ما يفسر مشاركتهم بأرائهم إلا نادرا، أما الأفراد الذين يشاركون بآرائهم وأفكارهم بصفة دائمة بلغت نسبتهم 21%، هذه فئة تحاول التعمق في الأحداث من خلال إبداء أرائها بشكل متواصل والحصول على آراء وأفكار أشخاص آخرين.

جدول رقم (22): يوضح مدى مساهمة الفيسبوك في تعزيز المعرفة السياسية أو الوعي السياسي.

	التكرارات	النسبة المئوية
احيانا	50	50
دائما	29	29
نادرا	21	21
المجموع	100	100.0

يتبين لنا من خلال الجدول اعلام أن 50% من أفراد العينة اختاروا صفة أحيانا للإجابة على سؤال إن كان الفيسبوك يساهم في تعزيز السعرية أو الوعي السياسي، وهذا يرجع إلى أنهم يعتمدون على أكثر من وسيلة واحدة لتعزيز معرفتهم السياسية، ولا يحصرون كل الوسائل المتاحة لهم في الفيسبوك فقط،أما الأفراد الذين وافقوا على أن الفيسبوك يعزز من المعرفة السياسية أو الوعي السياسي وأجابوا بإجابة دائما ابلغت نسبتهم 29 من إجمالي أفراد العينة، وهو ما يفسر أن هناك أشخاص كثيرون يعتمدون على الفيسبوك من أجل تحصيل وتعزيز المعرفة السياسية أو الوعي السياسي لديهم دون وسائل أخرى،في حين الأفراد الذين أجابوا بـ نادرا قدرت نسبتهم،21، هؤلاء الأشخاص لا يعتمدون على الفيسبوك من أجل الحصول أو تعزيز المعرفة السياسية لديهم إلا نادرا، فهم في الأساس يلجؤون إلى وسائل أخرى لإثراء وتعريز المعرفة السياسية أو الوعي السياسي.

جدول رقم (23): يوضح مدى رأي أفراد العينة إن كان الفيسبوك يزيد من قدرتهم على تحليل الأحداث السياسية.

	التكرارات	النسبة المئوية
احيانا	42	42
لا	20	20
نعم	38	38
المجموع	100	100.0

ما يوضحه الجدول يثبت أن الفيسبوك يساهم في قدرة أفراد العينة على تحليل الأحداث السياسية، حيث أن 42% منهم أجابوا على فئة أحيانا، وهو أنه عندما يكون الفيسبوك قد تناول الحدث من جوانب عديدة ترسخت في ذهنه فإن قدرته على تحليل الأحداث السياسية تزيد مقارنة بما كانت، وفئة الأفراد الذين أجابوا نعم يزيد الفيسبوك من القدرة على تحليل الأحداث السياسية بلغت نسبتهم بلغت نسبتهم 38%نسبة عالية تبين أن الفيسبوك له قدرة على إحاطة الأفراد بالأحداث السياسية وتبسيطها لهم إلى أن يصلوا إلى درجة قدرتهم على تحليل هذه الأحداث، بينما من أجاب على فئة لا يزيد الفيسبوك من قدرتهم على تحليل الأحداث السياسية قدرت نسبتهم وهي نسبة ضئيلة منهم لا يستطيع الفيسبوك أن يزيد وهي 20% من قدرتهم على تحليل الأحداث السياسية نظرا لاعتمادهم على وسيلة أخرى أو عدم متابعتهم نهائيا للأحداث السياسية أو عدم قدرتهم شخصيا في استيعاب الأحداث السياسية.

جدول رقم (24): يبين كيفية تأثر فترة إستخدام أفراد العينة للفيسبوك عند وجود حدث أو قضية سياسية معينة.

	التكرارات	النسبة المئوية
تزداد مدة استخدامك للفيسبوك	54	54
تقل مدة استخدامك للفيسبوك	5	5
لا تتأثر مدة استخدامك للفيسبوك	41	41
المجموع	100	100.0

نلاحظ من خلال الجدول أن 54% من أفراد العينة تزداد مدة استخدامهم للفيسبوك عند وجود قضية أوحدث سياسي معين، وهم ما يبين التأثير الكبير للفيسبوك على الأفراد حيث أصبح مركز الاهتمام كامل منصب عليه من أجل الحصول على المعلومات السياسية اتجاه القضايا السياسية، حيث أن الفيسبوك الفيديوهات والصور والمقالات حول حدث معين وتقديمها للرأي العام ما يجعل معظم الأفراد يزيدون من اهتمامهم ومدة استخدامهم لهذا الموقع لإثراء رصيدهم المعرفي حول الأحداث والقضايا السياسية، أما الذين لا تتأثر مدة استخدامهم للفيسبوك فقد بلغت نسبتهم 41%، وهذا لا يرجع إلى عدم اهتمامهم بالقضايا والأحداث السياسية التي تطرح على موقع الفيسبوك، وإنما غالبيتهم لا تتأثر مدة استخدامهم له لأنه في الأصل ليس له وقت محدد أو مدة معينة يقضيها في تصفح الفيسبوك، أو يكون سلم بكل ما ينشر فيه لهذا لا تتأثر مدة استخدامهم للفيسبوك، في حين أن 5% تقل مدة استخدامهم لموقع الفيسبوك عند وجود حدث أو قضية سياسية معينة هذا لأنهم لا يهتمون إطلاقا بالإحداث السياسية وتقل مدة استخدامهم للفيسبوك لأنهم

يدركون أن كل ما يوجد في الفيسبوك مهتم بذلك الحدث أو القضية السياسية لهذا يسعى إلى ذلك فيقلل من مدة تصفحه للفيسبوك كأقل تقدير.

جدول رقم (25) رأي الأفراد المبحوثين إن كان الفيسبوك قد زاد من وعيهم السياسي.

	التكرارات	النسبة المئوية
لا	21	21
نعم	27	27
نوعا ما	52	52
المجموع	100	100.0

يتبين لنا من خلال الجدول أن 52% كانت لهم إجابة نوعا ما، وهي نسبة عالية جدا حيث أنهم يرون أن الفيسبوك يزيد من وعيهم السياسي كل ما كانت هناك معالجة ملمة بالقضايا السياسية في المقابل تجاوب من قبل المتصفحين لهذا الموقع مع المشاركة بأفكاره لتلقي الردود أكثر، بينما 27% يؤكدون أن الفيسبوك زاد من وعيهم السياسي مما يؤكد أن الفيس بوك يرفع من نسبة الوعي السياسي للأفراد من خلال المميزات والخصائص التي يتمتع بها هذا الموقع مقارنة بالمواقع و الوسائل الأخرى، في حين أن21%لا يوافقون فكرة أن الفيسبوك زاد من وعيهم السياسي وهذا راجع إلى عدم اهتمامهم بالأمور السياسية أو عدم اعتمادهم على المعلومات التي يحصلون عليها ممن خلال هذا الموقع.

جدول رقم (26) رأي الأفراد المبحوثين حول إن كان الفيسبوك يلعب دورا في تحريك الوعي السياسي.

	التكرارات	النسبة المئوية
لا	22	22
نعم	78	78
المجموع	100	100.0

يظهر لنا من خلال الجدول أن الأغلبية يرون أن الفيسبوك يلعب دورا في تحريك الوعي السياسي بنسبة وصلت إلى 78%، هؤلاء الأفراد منهم من هو مؤيد لما ينشر من أحداث سياسية على هذا الموقع ومنهم لا إلا أنهم يتفقون على أن الفيسبوك يلعب دورا في تحريك الوعي السياسي، برروا إجاباتهم بعدة

آراءو اتجاهات حيث أن أغلبهم قال إنه من أهم المصادر التي يعتمدون عليها في الحصول على المعلومات السياسية ومنهم من برر جوابه بقوله إن الشهرة والمكانة التي يحتلها هذا الموقع في المجتمعات اليوم أثر على الوعي عند الأفراد حيث أصبح الكل يلجأ إليه لإثراء رصيده المعرفي في المجال الذي يفضله،أما " المتبقية فيرون عكس ذلك، فمن خلال سؤالهم لماذا برروا إجاباتهم بقولهم إن المصدر غير معروف أن نسبة مصداقية ما ينشر فيه ضئيلة، أيضا هناك من قال أن ما ينشر كله (خرطي) مصطلح عامّي جزائري يعني أأنه لا يمت للحقيقة بصلة.

جدول رقم (27): يبين رأي أفراد العينة في متابعة الصفحات الخاصة التي تطرح مختلف القضايا التي تهم الجزائريين.

	التكرارات	النسبة المئوية
لا	35	35
نعم	65	65
المجموع	100	100.0

تلاحظ من خلال الجدول أن 65% من أفراد العينة يتابعون الصفحات الخاصة التي تطرح مختلف القضايا التي تهم الجزائريين على الفيسبوك، وهذا ما يبين مدى أهمية هذه القضايا في أوساط المجتمع الجزائري وسعيهم الدائم لمتابعة آخر التطورات التي تحدث، في حين أن 5 لا يتابعون هذه الصفحات مفضلين وسائل أخرى لمعرفة آخر التطورات في القضايا السياسية الجزائرية، أو عدم اهتمامهم بهكذا قضايا أبدا.

جدول رقم (28): يوضح إن كان الفيسبوك يعزز من المعرفة السياسية أو الوعي السياسي لدى أفراد العينة حسب متغير المستوى التعليمي.

			الفيسبوك يساهم في تعزيز المعرفة السياسية أو الوعي السياسي لديك؟			المجموع
			احيانا	دائما	نادرا	
	ابتدائي/ متوسط	التكرار	4	5	3	12
		النسبة	33.3	41.7	25	100

المستوى التعليمي	ثانوي	التكرار	10	8	4	22
		النسبة	45.5	36.4	18.2	100
	جامعي	التكرار	36	16	14	66
		النسبة	54.5	24.2	21.2	100
المجموع		التكرار	50	29	21	100
		النسبة	50	29	21	100

يتبن لنا من خلال الجدول أن أفراد العينة الذين يملكون مستوى تعليمي ما بين الابتدائي والمتوسط غالبيتهم بنسبة 41.7% يساهم الفيسبوك في تعزيز المعرف السياسية لديهم و 33.3 يعزز المعرفة السياسية لديهم بصفة أحيانا، وهو ما يبين لنا أن هذا الموقع له تأثير كبير على توعية وترسيخ المعلومات لدى الأفراد الذين مستواهم يقل أمام المستويات التعليمية الأخرى، أما أصحاب المستوى التعليمي الثانوي ف 45.5% منهم يعزز الفيسبوك من وعليهم السياسي بصفة أحيانا، ونسبة 36.4% دائما ما يعزز الفيسبوك من المعرفة السياسية لديهم، وهي نسبة عالية تبين مدى أهمية هذا الموقع والمكانة التي يملكها والدور الكبير الذي يلعبه في تعزيز المعرفة السياسية، في حين أن أفراد المستوى الجامعي فغالبيتهم وافقوا على أن الفيسبوك يساهم في تعزيز المعرفة السياسية بصفة أحيانا وبنسبة 54.5%، وفئة الأفراد الجامعيين الذين أبدوا فكرة أن الفيسبوك يعزز من المعرفة السياسية لديهم وأجابوا على فئة دائما فنسبتهم 24.2%، ونسبة 21.2% هم من عارضوا هذا الطرح وأجابوا ب لا، وهذا ما يسفر أن مستخدمي الفيسبوك من المستوى الجامعي يدركون أن له دور فعال في إثراء المعرفة السياسية وتعزيز الوعي السياسي لديهم لهذا تجدهم يستعينون بهذا الموقع للحصول على المعلومات السياسية والمشاركة بأفكارهم وطرح توجهاتهم.

الخاتمة

إن مفهوم الوعي السياسي مفهوم واسع وليست له حدود معينة، لأنه يعد بمثابة روية عامة وشاملة لكافة الأحداث السياسية التي يمكن أن يشاهدها مجتمع ما، وبناء على الوعي يمكن للفرد أن يحدد مواقفه وقناعاته السياسية المختلفة والوعي نفسه يدفعه نحو المشاركة في الأنشطة السياسية المتعددة، وهنا كحقيقة خامة ينبغي استيعابها هنا، وهي أن الوعي السياسي لا يتوقف وإنما هو عملية تراكمية تستمر على فترة زمنية طويلة، وخلالها يمكن أن يتراجع الوعي، ويمكن أن يزداد طبقا لاهتمامات الشخص نفسه. وتشكيل الوعي السياسي تساهم فيه مجموعة من الأدوات مثل الخطاب الرسمي والغير رسمي كذلك المشاركة

السياسية أو من خلال وسائل الإعلام الرسمية أو عبر وسائل الإعلام الالكترونية، ففي هذه الوسائل يتلقى الشخص بشكل مستمر كما هائلا من المعلومات التي تتضمن مواقف وقناعات معينة، وبمرور الوقت فإنها تتراكم لديه وتكون بالنسبة له مخزون معرفي يمثل وعيه السياسي.

وعليه يمكن أن تكون هذه الدراسة عبارة عن نقطة بدء الدراسات تمس جوانب أخرى من الموضوع،فخير خاتمة لأي بحث علمي أن تكون فاتحة بحث جديد، ولعل من المواضيع التي تفرض نفسها دور المعلومات داخل المجتمعات الافتراضية وتداولها وكذا أثر ذلك على الواقع الطبيعي، وكذا دور المجتمعات والشبكات الاجتماعية خاصة الناشئة عبر الشبكة العالمية في. خلق رأي عام وجعلها كمجال للتعبئة الجماهيرية وتحريك الضمير الجماعي والقوى الجماهيرية اتجاه قضايا حساسة ومصيرية عامة،وخير دليل على ذلك ما حدث على الصعيد العربي، حيث كان للمعلومات والأخبار الدور الفعال والمصيري في تحريك الملايين وتعبئتهم اتجاه واقع معين لتغييره أو إعادة تشكيله.

نتائج البحث:

بعد تحليلنا لنتائج الدراسة عبر المحاور السابقة للإجابة على التساؤلات المطروحة في بداية دراستنا،كانت الاستنتاجات على النحو التالي:

- الفئات العمرية الأكثر تعرضا للفيسبوك في الجزائر هم فئة الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 20و 29 سنة وبدرجة أقل الفئات التي تتراوح أعمارهم بين 30 39 سنة.أفراد المستوى الجامعي هم الأكثر تعرضا للفيسبوك في الجزائر.
- عادات وأنماط استخدام أفراد عينة الدراسة لمواقع التواصل الاجتماعي : الوقت الذي يقضيه الأشخاص في تصفح الفيسبوك كبير جدا يفوق الأربع ساعات في اليوم.
- -هناك نسبة كبيرة من الأفراد الذين ليس لهم وقت محدد لاستخدام موقع الفيس بوك وإنما يستخدمونه بشكل فوضوي وفي كل الأوقات وعلى مدار الساعة.
- الفترة التي يتصفح فيها الأفراد موقع الفيسبوك ليست لها علاقة بالهدف من استخدامه عند الغالبية منهم.
- معظم مستخدمي الفيسبوك يستخدمونه لغاية الترفيه والتسلية وبدرجة أقل الاطلاع على أحداث معينة.
- غالبية مستخدمي موقع الفيسبوك يثقون في المعلومات التي يحصلون عليها من خلال هذا الموقع.
- تلعب مواقع التواصل الاجتماعي دور مهم في التوعية بأهم القضايا التي تشغل الرأي العام وهذا من خلال المامها بأهم الأحداث وآخر التطورات التي تشغل الرأي العام و تناولها من جميع جوانبها، كذلك التعمق في معالجتها، كما أنها تلعب دور المصدر الرئيسي للكثير من الأشخاص في الحصول على

المعلومات التي يحتاجونها و المتعلقة بالمواضيع التي تهمهم والتي تزيدهم وعيا بالقضايا التي تشغل الرأي العام.

- يعتبر الفيسبوك مصدر مهم لدى الجزائريين للحصول على المعلومات السياسية وهذا بدليل أنهم في كل الأوقات يستخدمونه أو يلجؤون إليه للحصول على تلك المعلومات، كما أصبح الكثير منهم يفضلونه على وسائل عديدة نظرا للخصائص والمميزات التي يتميز بها عن غيره من الوسائل الأخرى، ونظرا لكونه أصبح الشغل الشاغل لجميع أفراد المجتمع وجميع الفئات العمرية والمستويات العلمية، فالمكانة التي أصبح يحتلها بينهم جعلت منه مصدرا مهما للمعلومات السياسية.

- يتعامل مستخدمو الفيسبوك مع المعلومة السياسية التي يتلقونها من خلال هذا الموقع في إبداء رأيهم والتعبير عن أفكارهم بالتعليق على تلك المعلومات على صفحات الفيس بوك، ونشر الصور والفيديوهات الساخرة أو المؤيدة أو المعارضة لتلك المعلومات، كما أن هناك عدد كبير من مستخدمي هذا الموقع تزداد مدة استخدامهم لموقع الفيسبوك من أجل مسايرة وملاحقة آخر الأخبار والمستجدات التي تتعلق بتلك القضية، ومنهم من يضيف الصفحات الخاصة التي تعالج تلك القضية من كل جوانبها و تنشر آخر التطورات الحاصلة عنها.

- يعتمد أفراد العينة على مواقع التواصل الاجتماعي للحصول على المعلومات السياسية لأنها تزيد من قدرتهم على تحليل الأحداث السياسية، كما أن هذه المواقع أصبحت محل اهتمام جميع أفراد المجتمع ومسايرة الأحداث التي تطرح من خلال هذه المواقع هو مسايرة لآخر المستجدات والأحداث التي تشغل الرأي العام، كما أن نسبة كبيرة من أفراد العينة وافقوا على فكرة أو طرح أن الفيسبوك يلعب دورا في تحريك الوعي السياسي نظرا يشمل جميع فئات المجتمع من المراهقين والشباب و غيرهما...، كما أن مواقع التواصل الاجتماعي تزيد من الوعي السياسي للأفراد وهذا من خلال السهولة و البساطة التي يتلقى بها المعلومات السياسية.

- ليس هناك فروق فردية كثيرة بين أفراد العينة في التفاعل مع المعلومات السياسية عبر الفيسبوك، وهذا ما تبين لنا من خلال طرحنا لبعض القضايا السياسية التي شغلت الرأي لدى أفراد العينة، حيث أن معظم القضايا التي طرحناها كان لها نفس النتائج تبعا لمتغير الجنس والسن والمستوى التعليمي قمنا بتغيير المتغير النتائج تبقى على حالها ولا تتغير، فقط هناك بعض فئات المجتمع من الإناث قليلة الأحداث والمعلومات السياسية التي تطرح من خلال الفيسبوك، نظرا لقلة اهتمامهم بالمجال السياسي، وهو ما يبين لنا أن موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك عندما يطرح قضية معينة فهي تمس فئات المجتمع بغض النظر عن المتغيرات (الجنس والمستوى التعليمي)، ومنه فتشكيل التفاعل مع جميع الأفراد ليس له علاقة بهذه المتغيرات، فالقضايا والمعلومات السياسية التي تطرح في الفيسبوك هي التي تحدد حدود الوعي السياسي.

توصيات البحث:

1 ـ لا يجب ربط تشكل الوعي لدى الأفراد بوسائل التواصل الاجتماعي والمواقع الافتراضية المتاحة أمام الجميع خارج نطاق التخصص.

2 ـ على الجزائريين الأخذ بالحسبان بأن تشكيل الوعي السياسي لا يقترن بالمواقع الافتراضية فحسب، بل هو عملية متكاملة تساهم فيه مجموعة من الأدوات مثل الخطاب الرسمي والغير رسمي كذلك المشاركة السياسية أو من خلال وسائل الإعلام الرسمية أو عبر وسائل الإعلام الالكترونية، ففي هذه الوسائل يتلقى الشخص بشكل مستمر كما هائلا من المعلومات التي تتضمن مواقف وقناعات معينة.

3 ـ يجب على الجزائريين أخذ الحيطة والحذر من المندسين التابعين لمخابر وأجندات أجنبية ويتخذون من موقع الفايسبوك منبرا لتوجيه وتأجيج الرأي العام في اتجاه معين.

قائمة المراجع:

1. أحمد محمد الزبون، و آخرون. (2017). *درجة تأثير شبكات التواصل الاجتماعي الرقمية على المنظومة القيمية لطلبة كلية علجون. المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية*، مجلد 10(العدد3)، 331-357.
2. الصادق حمامي. (2012). *كيف نفكر في مواقع التواصل الاجتماعي*، ندوة الشبكات الاجتماعية الافتراضية والشباب الاماراتي، الواقع و التحديات، كلية الاتصال. الشارقة.
3. إمام شكري إبراهيم أحمد القطان. (2019). *الإعلام العربي والوعي السياسي للمراهقين*. الإسكندرية: مركز الإسكندرية للكتاب.
4. أمل خلف. (2006). *التنشئة السياسية لطفل ما قبل المدرسة*.القاهرة: عالم الكتب.
5. جريل بن حسن العريشي. (2015). *الشبكة الاجتماعية والقيم رؤية التحليلية*. الاردن.
6. حليمة قادري. (2016). *التواصل الاجتماعي*. الجزائر: جامعة وهران.
7. حنان بنت شعشوع الشهري. (بلا تاريخ). *أثر استخدام شبكة التواصل الإلكترونية على العلاقات الاجتماعية، رسالة ماجستير قسم الاجتماع والخدمات الاجتماعية*. جدة: جامعة الملك عبد العزيز.
8. خالد غسان يوسف المقدادي. (2013). *ثورة الشبكات الاجتماعية*. عمان: دار النفائس للنشر والتوزيع.

9. صارة شهرة، وقلاتي يزيد. (2014-2015). *دور شبكات التواصل الاجتماعي في نشر القيم الاجتماعية لدى الطالب: دراسة ميدانية على عينة من طلبة علوم الإعلام والاتصال بجامعة-أم البواقي–*، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستر في علوم الاعلام والاتصال تخصص صحافة واعلام الكتروني. جامعة العربي بن مهيدي -أم البواقي، كلية العلوم الانسانية.

10. طيفور، مصطفى. (2016-2017). *أثر استخدام مواقع التواصل الاجتماعي على الهوية الثقافية للشباب الجامعي*، مذكرة لنيل شهادة الدكتورة علوم الإعلام والاتصال. جامعة مستغانم.

11. عباس محمد صادق. (2004). *الإعلام الجديد*. عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.

12. عبد الكريم تفرقنيت. (02 -03 ديسمبر 2013). *العلاقات الاجتماعية في ضوء الاستخدام مواقع التواصل الاجتماعي "الفيس بوك"*، الملتقى الدولي الأول حول نظريات الإعلام المعاصر، د.ن .

13. عبد مسلم الماجد. (1995). *مذاهب ومفاهيم في الفلسفة والاجتماع* .بيروت: المكتبة العصرية.

14. محمد أحمد المطهر. (11 3, 2022).مدونة الدكتور محمد أحمد المطهر.*الارتقاء بالأساليب التواصل التعليم والتعليم لدى الطلاب*.تم الاسترداد بتاريخ 6 7, 2023 من الموقع الالكترونيhttps://cutt.us/vau

15. موسى ابراهيم. (د ت). *معالم الفكر السياسي الحديث والمعاصر*. بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر.

16. موسى محمد آل طوبرش. (2012). *الوعي السياسي كعنصر أساسي في بناء النظام السياسي الديموقراطي*،دراسة أكاديمية. بغداد: الجامعة المستنصرُة.

17. هشام جعيط. (د ت). *أزمة الثقافة الإسلامية*. بيروت: دار الطليعة.

18. يعقوب شدان خليل. (2015). *أثر مواقع التواصل الاجتماعي على الوعي السياسي بالقضية الفلسطينية*، طروحة للحصول على درجة ماجستير. جامعة النجاح الوطنية فلسطين.

ظاهرة تساقط الثلوج على مدينة بغداد باستخدام تقنية GIS& RS

أ.م.د. ميسون طه محمود السعدي
جامعة الكرخ للعلوم / كلية التحسس النائي والجيوفيزياء /قسم التحسس النائي
dr.maysoon2022@kus.edu.iq
009647700070829

الملخص:
تعرف ظاهرة تساقط الثلوج بأنها ترسيب صلب يحدث في مجموعة متنوعة من بلورات الجليد الدقيقة عند درجات حرارة أقل بكثير من 0 درجة مئوية، ولكن على شكل رقاقات ثلجية - أكبر عند درجات حرارة قريبة من صفر درجة مئوية، وتعد ظاهر تساقط الثلوج من الظاهرات النادرة التي شهدتها بعض المدن العراقية، حيث تساقطت الثلوج على مدينة بغداد وبعض المناطق القريبة خلال ثلاث فترات متباعدة أولها كانت عام 1950م واستمرت يومان على التوالي، والفترة الثانية عام 2008م، وامتدت ثلاثة أيام متتالية، تشابهت مع الفترة الأخيرة عام 2020م والتي امتدت ثلاثة أيام، وقد صاحب تساقط الثلوج - تساقط للأمطار، وأقد أثبتت تحليل خرائط الطقس تقدم أخدود المنخفض السوداني نحو مدينة بغداد هو الذي أدي لتكوين هذه الحالة الطقسية يدعمها في طبقات الجلو العليا أخدود بارد ضمن المستوى الضغطي 500 ملليبار وذلك خلال الثلاث فترات التي شهدت تساقطاً للثلوج، وقد أظهرت الدراسة أن للانحباس الحراري دور رئيس في حدوث تلك الظاهرة لما رافق عملية ارتفاع درجات الحرارة من ارتفاع معدلات التبخر، ومن ثم زيادة - بخار الماء وتكوين الغيوم ذات القمم المرتفعة والقواعد المنخفضة التي شجعت تساقط الثلوج منها بمعدلات مرتفعة، والتي تتراكم في العروض العليا والمعتدلة والتي تؤدي لزيادة الكتل الهوائية.

الكلمات المفتاحية:
تساقط الثلوج - مرحلة النضج - المنخفض السوداني - مرحلة التلاشي - المرتفع السيبيري

The phenomenon of snowfall in the city of Baghdad using GIS&RS technology

Dr. Maysoon Taha Mahmoud Al-Saadi
Al-Karkh University of Science / College of Remote Sensing and Geophysics / Department of Remote Sensing

Abstract
The phenomenon of snowfall is defined as solid deposition that occurs in a variety of fine ice crystals at temperatures well below 0 °C, but in the form of larger snowflakes at temperatures close to 0 °C. The phenomenon of snowfall is one of the rare phenomena witnessed by some Iraqi cities, where snow fell on the city of Baghdad and some nearby areas during three separate periods, the first of which was in 1950 AD and lasted for two days in a row, and the second period in 2008 AD, and extended for three consecutive days, similar to the last period in 2020 AD, which extended for three days, and it was accompanied by snowfall It is raining and analysis of weather maps has proven that the groove of the Sudanese depression towards the city of Baghdad is what led to the formation of this weather condition. It is supported in the upper layers of the crust by a cold groove within the pressure level of 500 millibars, during the three periods that witnessed snowfall. The study showed that global warming has a role It is mainly caused by the occurrence of this phenomenon when the process of high temperatures is accompanied by high rates of evaporation, and then the increase of water vapour and the formation of clouds with high peaks and low bases that encouraged snowfall from them at high rates, which accumulate in the upper and moderate latitudes, which lead to an increase in air masses.

Keywords: snowfall - maturity stage - Sudanese lowland - fading stage - Siberian highland

المقدمة :

يعد الثلج بلورات صغيرة من الماء المجمد التي تتشكل في الجزء العلوي من طبقة التروبوسفير عن طريق امتصاص قطرات الماء؛ عندما تتصادم قطرات الماء هذه ، فإنها تنضم إلى بعضها البعض لتشكيل رقاقات ثلجية. عندما يكون للرقائق وزن أكبر من مقاومة الهواء ، فإنها تسقط (شاهر جمال أغا، 1987، ص 23).

وعند توفُّر هذين العاملين تبدأ قطرات الماء بالتجمّع على العوالق التُرابية أو الجُسيمات الصلبة العالقة في الهواء؛ حيث تُشكِّل هذه الجسيمات نواة لتكاثف الماء حولها، ويعمل الهواء البارد على تجميدها لتتشكل البلّورات الثلجية التي تبدأ بالتساقط نحو الأرض بفعل الجاذبية، يعتمد شكل البلّورة الثلجية على درجة حرارة الجو أثناء سقوطها؛ فإذا كانت درجة الحرارة ما بين 0 إلى 4 درجات مئوية ما دون الصفر تتشكل بلورات ثلجية ذات أشكال سُداسية رقيقة،(أحمد جاسم محمد، 2020 ، ص 25) أما إذا بلغت درجة الحرارة من 4 إلى 6 درجات مئوية ما دون الصفر فتتشكَّل بلّورات إبرية، وتتكون بلورات على هيئة أعمدة مُجوّفة عندما تصل درجات الحرارة ما بين 6 إلى 10 درجات مئوية ما دون الصفر، وإذا بلغت درجات الحرارة من 10 إلى 12 درجة مئوية ما دون الصفر فإنه تتشكل بلورات على شكل زهرة تحتوي على ست بتلات، وتتكون البلورات ذات الستة أذرع المألوفة عندما تبلغ درجات الحرارة من 12 إلى 16 درجة مئوية ما دون الصفر، ويُمكن أن تتجمع بلورات الثلج معاً لتشكيل ندفة ثلج واحدة يبلغ متوسط قطرها 1.3 سم أو أقل، ويُمكن أن يبلغ قطر بعض ندفات الثلج الكبيرة 5 سنتيمترات (نعمان شحادة،1991 ، ص 90).

وتؤثر التغيّرات المناخية على مقدار وتوقيت تساقط الثلوج خلال فصل الشتاء؛ فخلال الفترة ما بين عامي 1966م و2010م قلّت كمية الثلوج التي تُغطي العديد من المناطق في نصف الكرة الشمالي بشكلٍ ملحوظٍ، ومن المتوقع أن يُغطي الثلج مساحات أقل من الأرض خلال المئة عامٍ القادمة نتيجة الاحتباس الحراري، الأمر الذي سيؤثر على إمدادات المياه التي يستخدمها الناس في الزراعة وتوليد الكهرباء، كما سيؤثر على المجال السياحي؛ مثل منتجعات التزلّج الموجودة في السلاسل الجبلية، وكذلك يؤدي تساقط الأمطار بدلاً من الثلوج إلى خطر التجمّد في فصل الشتاء الذي يؤثر على العديد من الحيوانات التي لن تستطيع أكل الأعشاب أسفل طبقة الجليد وبالتالي ستواجه خطر المجاعة (على حسن موسي، 2003، ص 123(

1- مشكلة الدراسة:

يتساقط الثلج في واقع الأمر في العروض المختلفة، ولكنه يتساقط في العروض العليا والقطبية عند مستوى سطح البحر، بينما يتساقط على مناسيب أعلى من سطح البحر بكثير في العروض الدنيا، فهو لا يسقط في العروض المدارية إلا على قمم الجبال الشاهقة حيث تنخفض درجة الحرارة إلى ما دون نقطة التجمد وتكمن مشكلة الدراسة هنا ما هي الاسباب التي طرأت في العراق وأدت لتساقط الثلوج لعدد كثير من الساعات؟ هل للتغيرات المناخية دور في تساقط الجليد، هل يمكن الاستفادة من هذه الظاهرة واستغلالها من أجل التنمية المستدامة؟

2- حدود منطقة الدراسة:

تحددت الدراسة بالأبعاد التي جرى البحث من خلالها وهي كالاتي:

-الحدود المكانية: تتمثل الحدود المكانية للبحث بالحدود الإدارية لمدينة بغداد سواء كان للبيانات المناخية أو للبيانات الإحصائية الخاصة بتساقط الأمطار والثلوج الخريطة (1) فضلاً عن البيانات الخاصة بالمحطات الضابطة لاحظ جدول (1) ، حيث تعد مدينة بغداد إحدى مدن محافظة بغداد التابعة لدولة العراق والتي تحتل مكانة مهمة وسط المدن العراقية، وتقع مدينة بغداد ما بين دائرتي عرض 5' 533 : 22' 534 شمالاً، وبين خطي طول من 42' 40 5 : 45' 44 شرقاً ، شكل (1) ، وتقع مدينة بغداد في المناطق الشمالية من العراق، وهي تقع على ارتفاع 41 متراً فوق مستوى سطح البحر وتقع على جانبي نهر دجلة والفرات، وتبعد حوالي 300 ميل عن الحدود الشمالية والجنوبية والغربية للبلاد، وتُعدّ مدينة بغداد أكبر مدينة في العراق، وهي من أكثر التجمعات الحضرية اكتظاظاً بالسكان في الشرق الأوسط، تأسست المدينة عام 762م لتكون عاصمةً للخلافة العباسية، وكانت على مدى 500 عام أهم مركز ثقافة للحضارة العربية والإسلامية، وكانت من أعظم مدن العالم، ولكنّ أهميتها تراجعت بعد احتلال المغول لها

عام 1258م، ولكنّها استعادت مكانتها وأهميتها حين أصبحت عاصمة العراق عام 1920م، حيث تطورت المدينة وازدهرت لتصبح عاصمةً حديثة.

-الحدود الزمانية: تعتمد الحدود الزمانية للبحث على ما هو متوافر من البيانات الإحصائية سواء كانت للعناصر المناخية، إذ تنحصر المدة الزمنية للعناصر المناخية المدروسة للمدة ما بين عامي 1950-2020م.

جدول (1) موقع المحطات المناخية المعتمدة في الدراسة حسب دوائر العرض وخطوط الطول والرقم الأنوائي وارتفاع المحطة.

المحطة	دائرة العرض	قوس الطول	الرقم الأنوائي	ارتفاع المحطة التضاريسي (متر)
الموصل	36 19-	43 59-	608	223
أربيل	36 09-	44 00-	616	420
كركوك	35 47-	44 40-	621	331
السليمانية	35 32-	44 27-	623	843
الخالص	33 50-	44 32-	638	44
بغداد	33 18-	44 24-	650	31,7
الرطبة	33 02-	40 18-	642	630
الحي	32 58-	46 52-	665	17
الحلة	32 27-	44 27-	657	27
الديوانية	31 57-	44 57-	672	20
النجف	31 57-	44 19-	670	53
العمارة	31 50-	47 10-	680	9,5
السماوة	31 16-	45 16-	674	11,4
الناصرية	31 01-	46 14-	676	5
البصرة	30 31-	47 47-	689	2

المصدر: من إعداد الباحث اعتماداً على بيانات الهيئة العامة الأنواء الجوية والمسح الزلزالي، قسم المناخ، بيانات غير منشورة، بغداد، 2020م.

الخريطة (1) الموقع الفلكي لمنطقة الدراسة والمحطات المناخية عام 2020م.

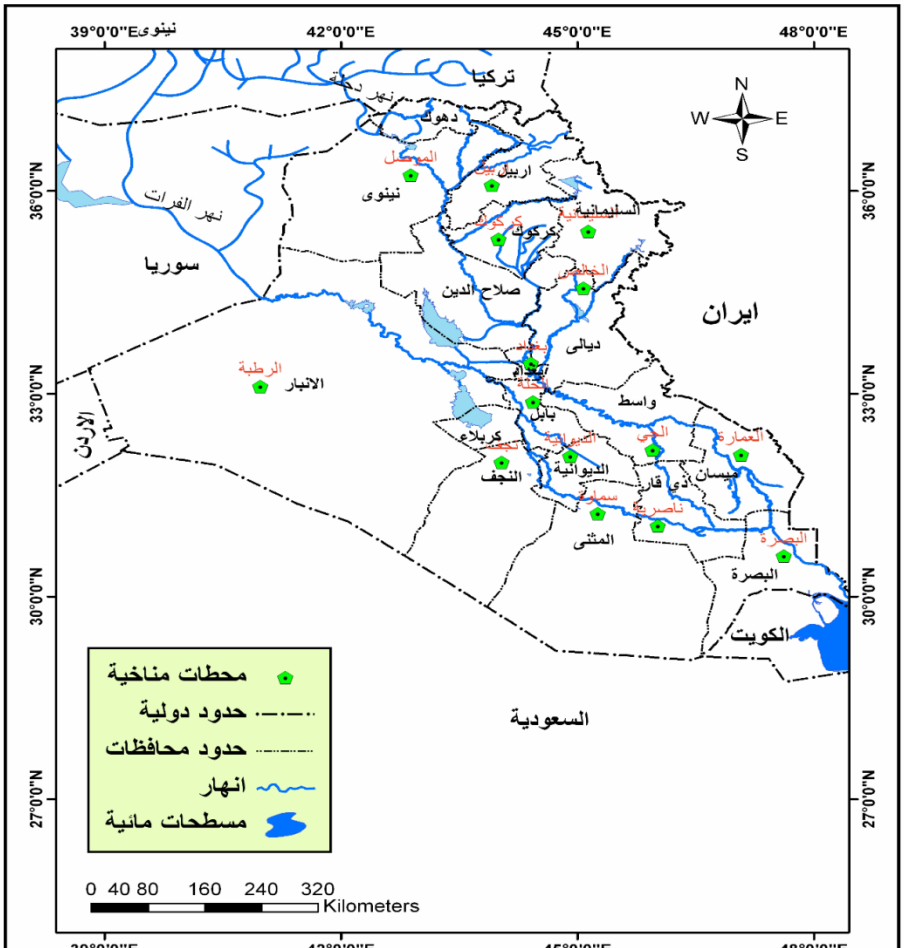

المصدر : من عمل الباحث اعتماداً على مخرجات برنامج Arc GIS و بيانات الهيئة العامة للمساحة, خريطة العراق الإدارية, مقياس 1/1000000, لسنة 2020م والهيئة العامة للأنواء الجوية والرصد الزلزالي, قسم المناخ, أطلس مناخ العراق, بيانات غير منشورة, ص3.

3- فرضيات الدراسة :

تشكلت فكرة الدراسة على مجموعة من التساؤلات لصياغة فرضية البحث التي تسهل عمله هل توجد علاقة بين التغيرات المناخية وظاهرة تساقط الثلوج عللا مدينة بغداد حيث تتعدد الاسباب التي أدت لظاهرة تساقط الثلوج على مدينة بغداد ومنها موقعها للمنخفضات الجوية، وتؤثر المنظومات الضغطية الجوية على مناخ العراق على مدار العام، حيث تعمل المرتفعات الجوية خلال فصل الشتاء على كمية تساقط الامطار وموجات البرد التي تعم البلاد ولفترات محدودة، وأكثر المنظومات تأثيراً بشكل مباشر على مناخ منطقة الدراسة هي المرتفع السيبيري الذي يؤثر خلال فصل الشتاء والمرتفع شبة المداري على مدار العام، وتأثر بعض المنظومات الضغطية على منطقة الدراسة خلال فصل الشتاء وبعض المنظومات خلال الصيف حيث تعمل بعضها خلال الشتاء على تساقط الأمطار وموجات البرودة وبعضها خلال فصل الصيف على ارتفاع درجات الحرارة وارتفاع التبخر.

4- أهداف الدراسة :

تكمن أهمية الدراسة في التعريف بالدور الذي تلعبه التغيرات المناخية في ظاهرة تساقط الثلوج على مدينة بغداد للمرة الثانية الاولي عام 1950م والثانية عام 2008م والأخيرة عام 2020م، بجانب التعرف على آثار ظاهرة تساقط على الثلوج على الانشطة المختلفة في المدينة، ودراسة ظاهرة نادرة الحدوث في تاريخ العراق والتعرف على كيفية الاستفادة من دراسة هذه الظاهرة والاهتمام بالدراسات المناخية الشمولية.

5- الدراسات السابقة:

تنوعت الدارسات التي تناولت منطقة الدراسة، ومنها دراسة سالار على خضير الزيي (2008) عن دور المنخفض السوداني في تساقط الثلوج على مدينة بغداد بتاريخ 2008/1/11 حيث تناولت الدراسة دور المنخفضات الجوية في تساقط الامطار على مدينة بغداد والعوامل الجغرافية المؤثرة في هذه الظاهرة، ودراسة نوال خلف غزال، مصطفي جمال شهباز (2017) عن الكشف عن الغطاء الثلجي باستخدام طرق الاختلاف المعياري لمؤشر الجليد واللون الكاذب، تناولت الدراسة كيفية تكون الغطاء الثلجي والعوامل الجغرافية المؤثرة في تكوينه وطرق الاستدلال عليه، ودراسة علي شاكر النعيمي وآخرون (1993) عن التغيرات في كمية الامطار المصاحبة للمنظومات الجوية المؤثرة على العراق، وتناولت الدراسة أثر المنظومات الجوية في تساقط الأمطار على العراق وأنواع الأمطار الساقطة على العراق، ودراسة على عبدالزهرة كاظم الوائلي، مالك ناصر عبود الكناني (2017) عن تكرار المنخفض الجوي المتوسطي وأثره في اتجاهات الرياح السطحية في العراق، حيث ركزت الدراسة على أسباب نشأة المنخفض الجوي المتوسطي وأثره على تساقط الأمطار، ودراسة على غليس ناهي السعيدي (2014) عن تغير نمط سيطرة الامتدادات الضغطية للمنظومات الشمولية السطحية المؤثرة في مناخ العراق خلال الفصل المطير، وقد تناولت الدراسة أهم الامتدادات الضغطية المسيطرة على مناخ العراق ودوره في تساقط كميات الامطار ، ودراسة عزيز كوطي حسين الحسيناوي (2010) عن تحليل تكرار الأمواج الهوائية المستقيمة فوق العراق، وقد اهتمت هذه الدراسة على أنواع الأمواج الهوائية والعلاقة بينها وبين التغيرات المناخية ودورها في تساقط الامطار على العراق.

6- منهجية وأساليب البحث:

اعتمدت الدراسة على مجموعة من المناهج ، ومنها المنهج التاريخي ويَهتم بدراسة التطور التاريخيّ لظاهرة تساقط الثلوج على مدينة بغداد، والمنهج الإقليمي ويَعتمد عَلَى مُعالجة موضُوع الدِراسة من خِلال ارتباطه بالظروف السَائدة فِي منطقة الدراسة حي والمنهج الموضوعي ويهتم بدراسة موضُوع الدِراسة من خِلال مُعالجة الأبْعاد المختلفة لظاهرة تساقط الثلوج، والعَوامل التي تؤثر فِيها ثم رَبط ذلك بالإقليم التابع له، والمنهج التحليلي ويُستخدم فِي عَرض الحقائَق الِعلمية مع تبسِيط الأرقَام والنسب بشكل سرديّ،

وتَعرض موضُوع الدِراسة لِلكثير من البيانات والأرقَام التيِ تَتَطلب الجدولة، واستخراج النِسب المئوية وتم هَذاَ باستخدام الحاسب الآليّ بمساعدة برامج التحليل الإحصائيّ أهمها(SPSS 16) ، بالإضافة إلى استخدام العديد من المعادلات الإحصائية في تحليل بعض الجداول والأشكال، ومنها المتوسط الحسابي ومعامل الاختلاف ومعامل التركز والانتشار والانحراف المعياري ومعدل النمو.

7- البرامج المعتمدة:

استخدمت مجموعة من البرامج في هذه الدراسة يكمل بعضها الأخر ولا يلغيه كي تخرج هذه الدراسة على الوجه المطلوب ومنها برنامج نظم المعلومات الجغرافية (ARCGIS-V.10) وهو من أهم برامج نظم المعلومات الجغرافية من إنتاج شركة (ESRI) الأمريكية التابع لمعهد أبحاث أنظمة البيئة، ويوفر البرنامج مجموعة كبيرة من الأدوات الفعالة التي تساعد على فهم البيانات وإجراء العمليات الحسابية والمنطقية وبناء قاعدة للبيانات الجغرافية والتي تهدف إليه هذه الدراسة برنامج الايرداس الإصدار التاسع : (Erdas V.9.1)وهو برنامج يحتوي على جميع الأدوات لمعالجة وتحليل المرئيات الفضائية وبعض تطبيقات نظم المعلومات الجغرافية.

وقد تضمنت الدراسة محورين وهما: أولاً – العلاقة بين الامتدادات الضغطية وظاهرة تساقط الثلوج على مدينة بغداد، وثانياً – مراحل تساقط الثلوج في منطقة الدراسة:

أولاً – العلاقة بين الامتدادات الضغطية وظاهرة تساقط الثلوج على مدينة بغداد:

تعد الثلوج هو نوع من أنواع الهطول على شكل بلورات دقيقة للجليد تحدث في الفصل البارد لكنها لا تحدث في العديد من المناطق، وتزداد غزارة الثلوج وكثافتها كلما اتجهنا قريباً من القطبين الجنوبي والشمالي تتم هذه الظاهرة عند التقاء تيارات هوائية رطبة ودافئة مع - تيارات باردة تكون درجة حرارتها 12.5 م5 تحت الصفر ويجب لتكون الثلج توفر نويات التكاثف التي يتكون عليها الثلج ، وهي جسيمات صلبة صغيرة جداً عالقة في الجو العلوي مثل ذرات الغبار أو الرماد وعند وجودها تتوفر الحالات الثلاث التي تمكن بخار الماء ليتحول من الحالة الغازية إلى الحالة الصلبة مكونا الثلج (شاهر جمال أغا، 1987، ص 20)، ويتم ذلك بتكاثف جزيئات الماء على النواة وعلى إثر التصاقها مع بعضها البعض يتم في العادة بناء بلورة الثلج وتكون في هذه المرحلة عبارة عن صفيحة رقيقة ذات ستة جوانب (علي شاكر النعيمي وآخرون، 1993، ص 200) .

تؤثر التغيّرات المناخية على مقدار وتوقيت تساقط الثلوج خلال فصل الشتاء؛ فخلال الفترة ما بين عامي 1966 -2010م قلّت كمية الثلوج التي تُغطي العديد من المناطق في نصف الكرة الشمالي بشكلٍ ملحوظٍ، ومن المتوقع أن يُغطي الثلج مساحات أقل من الأرض خلال المئة عامٍ القادمة نتيجة الاحتباس الحراري، الأمر الذي سيؤثر على إمدادات المياه التي يستخدمها الناس في الزراعة وتوليد الكهرباء، كما سيؤثر على المجال السياحي مثل منتجعات التزلّج الموجودة في - السلاسل الجبلية، وكذلك يؤدي تساقط الأمطار بدلاً من الثلوج إلى خطر التجمّد في فصل الشتاء الذي يؤثر على العديد من الحيوانات التي لن تستطيع أكل الأعشاب أسفل طبقة الجليد وبالتالي ستواجه خطر المجاعة (على عبدالزهرة كاظم الوائلي، مالك ناصر عبود الكناني، 2017، ص 210).

إن زيادة درجات الحرارة العالمية سيؤدي إلى ارتفاع منسوب سطح البحر، وتغير كمية ونمط هطولات الأمطار، من المحتمل أيضاً توسيع الصحاري المدارية. من المتوقع استمرار انحسار الأنهار الجليدية، والأراضي دائمة التجلد، والبحر المتجمد، مع تأثر منطقة القطب الشمالي بصورة خاصة. والآثار المحتملة الأخرى تشمل انكماش غابات الأمازون المطيرة، والغابات الشمالية، وزيادة حدة الأحداث المناخية المتطرفة، وانقراض الأنواع، والتغييرات في المحاصيل الزراعية.

كما يؤثر - الاحتباس الحراري- على المناخ بصورةٍ واضحة، ومن هذا التأثيرات تغيّر معدّلات هطول الأمطار: يؤدي ارتفاع متوسط درجات الحرارة في العالم لزيادة معدلات التبخر، مما يُعجّل من حدوث دورة المياه، إذ إنّ البخار المتصاعد في الجو سيؤدي لهطول كميّات أكبر من الأمطار، علماً بأنها لن تتوزع بالتساوي على جميع مناطق العالم (سالار على خضير الزيي، 2005، ص 89)، كما أنّ بعض المناطق سيكون فصل الشتاء فيها أكثر رطوبة، وأكثر جفافاً في فصل الصيف، ووفقاً للدراسات فإن معدّل هطول الأمطار العالميّ سيزداد تقريبا من 3٪ - 5٪، وذوبان الثلوج والجليد سيؤدي ارتفاع درجة حرارة

المناخ إلى ذوبان أشكال الجليد على سطح الأرض كالأنهار أو الصفائح الجليديّة والثلوج في فصل الصيف، لذا يتوقع - علماء الطقس- بأنّ كمية الجليد البحري العائمة في المحيطين الشمالي والجنوبي ستنخفض خلال القرن الحادي والعشرين دون تحديد كمية الذوبان بدقّة ارتفاع مستوى سطح البحر: أدّى ارتفاع درجات الحرارة إلى ارتفاع مستوى البحر ومنسوبه، وذلك بسبب ذوبان الصفائح والأنهار الجليديّة والماء المُتجمد في المحيطات، بالإضافة لزيادة حجم المياه بالمسطحات المائيّة بسبب تمددها الناتج عن ارتفاع الحرارة (علي شاكر النعيمي وآخرون، 1993، ص 213)، وما تجدّر الإشارة إليه أن مستوى سطح البحر ارتفع من (10- 20) سم خلال القرن العشرين ومن المتوقع ارتفاع مستوى سطح البحر حوالي (20 - 50) سم بحلول عام 2050م.

جعلت هذه العوامل للهواء ضغط يتناقص بالارتفاع عن سطح الأرض لأن الهواء متكون من طبقات فكل طبقة تضغط على الطبقة الاسفل منها مما يؤدي الى تقارب أكثر لجزيئات الهواء في تلك الطبقة فالطبقة العليا من الهواء ليس عليها ضغط بينما الطبقة السفلى منها يسلط عليها ضغط الطبقة الاعلى منها، والطبقة الثالثة يسلط عليها ضغط الطبقتين الأعلى منها وهكذا، حيث تتحمل طبقة الهواء القريبة من سطح الارض ضغط جميع الطبقات الهواء التي فوقها.

ثانياً - مراحل تساقط الثلوج في منطقة الدراسة:

يتميز مناخ مدينة بغداد بخصائص قارية لوقوعها بعيداً عن المحيطات والبحار وأهم ما يميزه ايضاً هو التطرف الكبير في درجات الحرارة بين الليل والنهار وبين الصيف والشتاء تتأثر موقع المدينة بالبحر المتوسط الذي لا يتصل للمدينة بل يعد ممراً ملائما لمرور المنخفضات الجوية التي تتجه نحو الشرق عبر سوريا ولبنان في فصل الشتاء والربيع والخريف (عزيز كوطي حسين الحسيناوي ، 2010، ص 34)، أما خلال فصل الصيف فإن الخليج يكون ممراً لهبوب الرياح الحارة الرطبة.

أ- مرحلة النمو:

لا يرتبط حدوث الظواهر الطقسية بيوم تكونها أو ساعة تكونها وأن هناك مقدمات تسبقها وتوفر الظروف المؤاتية لكي تصل الظاهرة إلي مرحلة النضج وعلى هذا الاساس؛ فقد امتدت مرحلة النمو للظاهرة الطقسية الأولي من يوم 7 / 1 /2008 إلي 10 / 1 / 2008م أما الظاهرة الطقسية الثانية فقد امتدت من 9 / 2/2020م إلي 11/ 2/ 2020م، في كلتا الحالتين سيطر - المرتفع السيبيري على مدينة بغداد مما أدي لدفع كتلة هوائية قطبية باردة باتجاه المدينة أدي لانخفاض شديد في درجات الحرارة الصغرى بلغت ما بين – 4.7 : - 5.4 م5 عام 2008م ولكنها انخفضت قليلا ما بين – 4.2 : -5.2 م5 وبعدها ارتفعت الحرارة قليلاً بسبب تعرض الكتلة السيبيرية للتعديل من خصائصها حيث استمرت الكتلة السيبيرية ثلاثة أيام فوق مدينة بغداد عام 2008م وثلاثة أيام أخرى عام 2020م (كاظم عبد الوهاب الاسدي، 1991، ص 56).

وقد بلغ معدل الرطوبة النسبية خلال المدة ما بين 7 / 1 – 10/1/ 2008م ما بين 46.0٪، 51.0٪ ، 54.0٪ على التوالي، أما خلال الفترة ما بين 9 /2 – 2020/2/11م فقط بلغت 45.0٪ ، 52.0٪ ، 55.0٪ ويرجع ارتفاع الرطوبة خلال عام 2008م ، وعام 2020م لارتفاع درجة الحرارة نسبياً، في حين مهد انخفاض درجة الحرارة تكوث الثلوج بعد ذلك (عزيز كوطي حسين الحسيناوي ، 2010، ص 42).

الخريطة (2) سيطرة المرتفع السيبيري على مدينة بغداد خلال الفترة من 7 / 1 – 10 / 1 / 2008م.

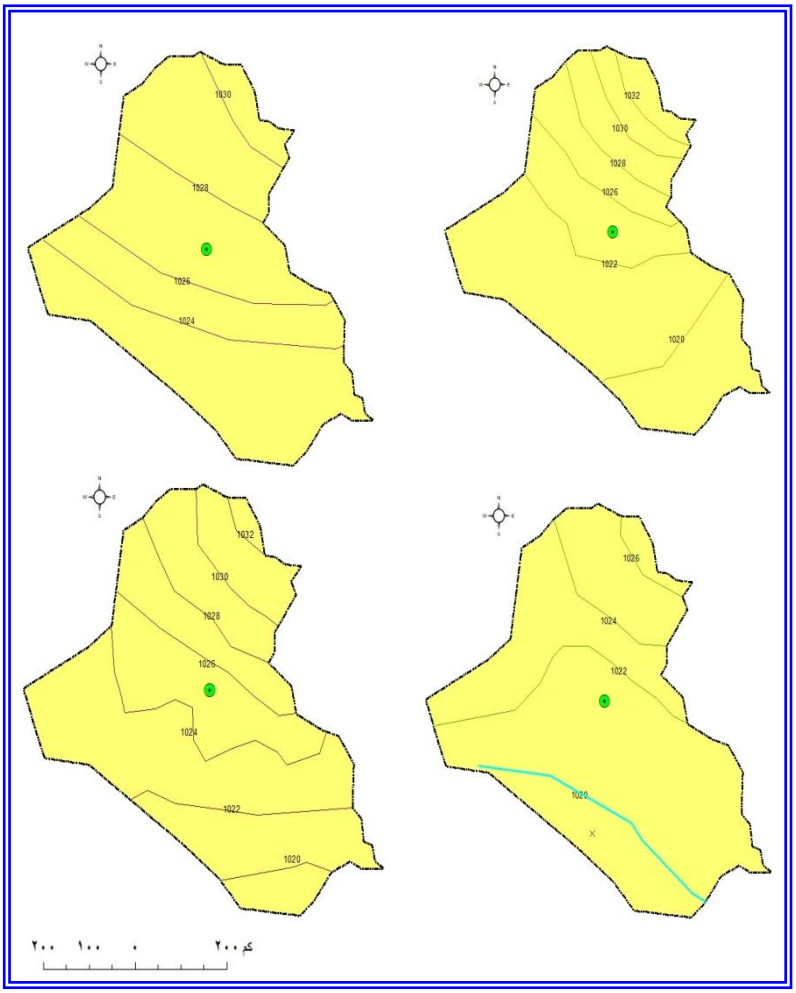

المصدر: من إعداد الباحث اعتماداً على تحليل خرائط الضغط الجوي لمستوى سطح البحر للرصدة (00) GMTوالموقع. http://www.vortex.plymouth.edu/

وابتداءً من يومي 7/1 إلى 9/1 / 2008م سيطر منخفض جوى على محطة بغداد ضمن المستوي الضغطي 850 ملليبار كما سيطر نفس - المنخفض الجوي على نفس المحطة من يوم 7/3 إلي 9/3/ 2019م حيث بلغ ارتفاعه خلال هذه الأيام 1490 متراً عام 2008م في مقابل سجل ارتفاع 1510 متراً عام 2019م مما يدل على أن المرتفع السيبيري السطحي كان ضحلاً بسبب المنخفض فوقه، وفي يوم 10 / 1 / 2008 ، ويم 1/1/ 2020م حيث لوحظ تكرار نفس الظاهرة واختفي المنخفض الجوي ضمن المستوي 850 ملليبار بصورة كلية وحل محله المرتفع الجوي السيبيري، ويظهر سبب تأخر ظهور المرتفع في هذا المستوي الضغطي يعود إلي أن الكتلة الهوائية المرافقة للمرتفع السطحي كانت شديدة البرودة في الأيام الأولي لذلك انكمشت على السطح ولكن بعد ذلك ارتفعت درجة حرارتها الصغرى وتمدد حجم الكتلة عمودياً لتصل بالنتيجة الي المستوي الضغطي 850 ملليبار، حيث بلغ ارتفاع المرتفع الجوي 1510 متراً (على غليس ناهي السعيدي، 2014، ص 230).

الخريطة (3) سيطرة المرتفع السيبيري على مدينة بغداد خلال الفترة من 9 / 2 – 1 / 2 / 2020م.

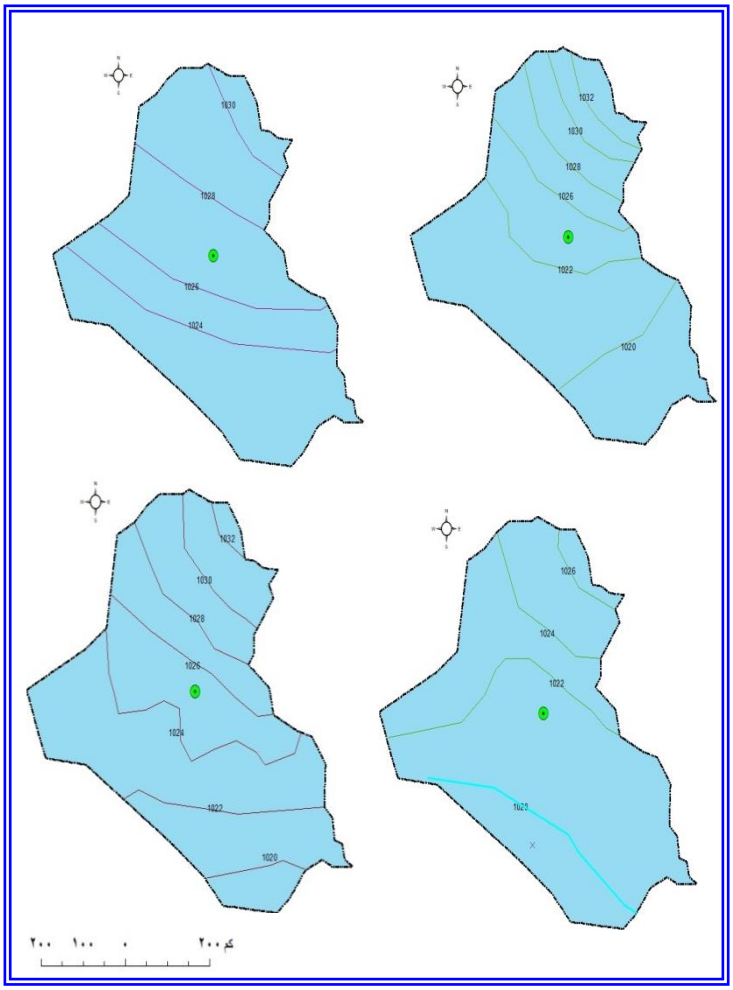

المصدر: من إعداد الباحث اعتماداً على تحليل خرائط الضغط الجوي لمستوى سطح البحر للرصدة (00) GMTوالموقع. /http://www.vortex.plymouth.edu

وأما على المستوي الضغطي 500 ملليبار سيطر خلال الفترة من 7 /1 إلي 10 / 1 / 2008م وبمقارنة بالفترة ما بين 8 / 1 إلي 15 /1 /2020م - أخدود سيبيري- بارد على محطة بغداد أدي إلي تدقق كتلة هوائية قطبية من ارتفاع يزيد عن 5000 متراً عام 2008م مقابل ارتفاع تراوح بين 5500 – 6000 متراً عام 2020م وذلك فوق مدينة بغداد وأهم ما يميز الاخدود البارد عام 2008م أنه انخفض من 5500 متراً في يوم 7 / 1 إلي 5480 متراً يوم 9 / 1 /2008م عاود الارتفاع ثانية إلي 5550 متراً يوم 10/ 2008/1م ، مقارنة بالأخدود البارد على نفس المحطة فقد ارتفع إلي 6000 متراً يوم 8 / 1 ثم انخفض إلي 5500 متراً يوم 10 / 1 ثم انخفض إلي 5325 متراً يوم 15 / 1/ 2020م، ويعزي ذلك لتعمق - المرتفع السطحي - وظهوره على المستوي 850 ملليبار وقد لعب هذا الخدود دوراً كبيراً في خفض درجات الحرارة لأن الكتلة القطبية السطحية توفرت لها الدعم من طبقات الجو العليا؛ مما زاد من خفض درجات الحرارة.

شكل (1) التغيرات اليومية فى ارتفاع المستوي الضغطي 850 ملليبار على محطة بغداد عامي 2008 ، 2020م.

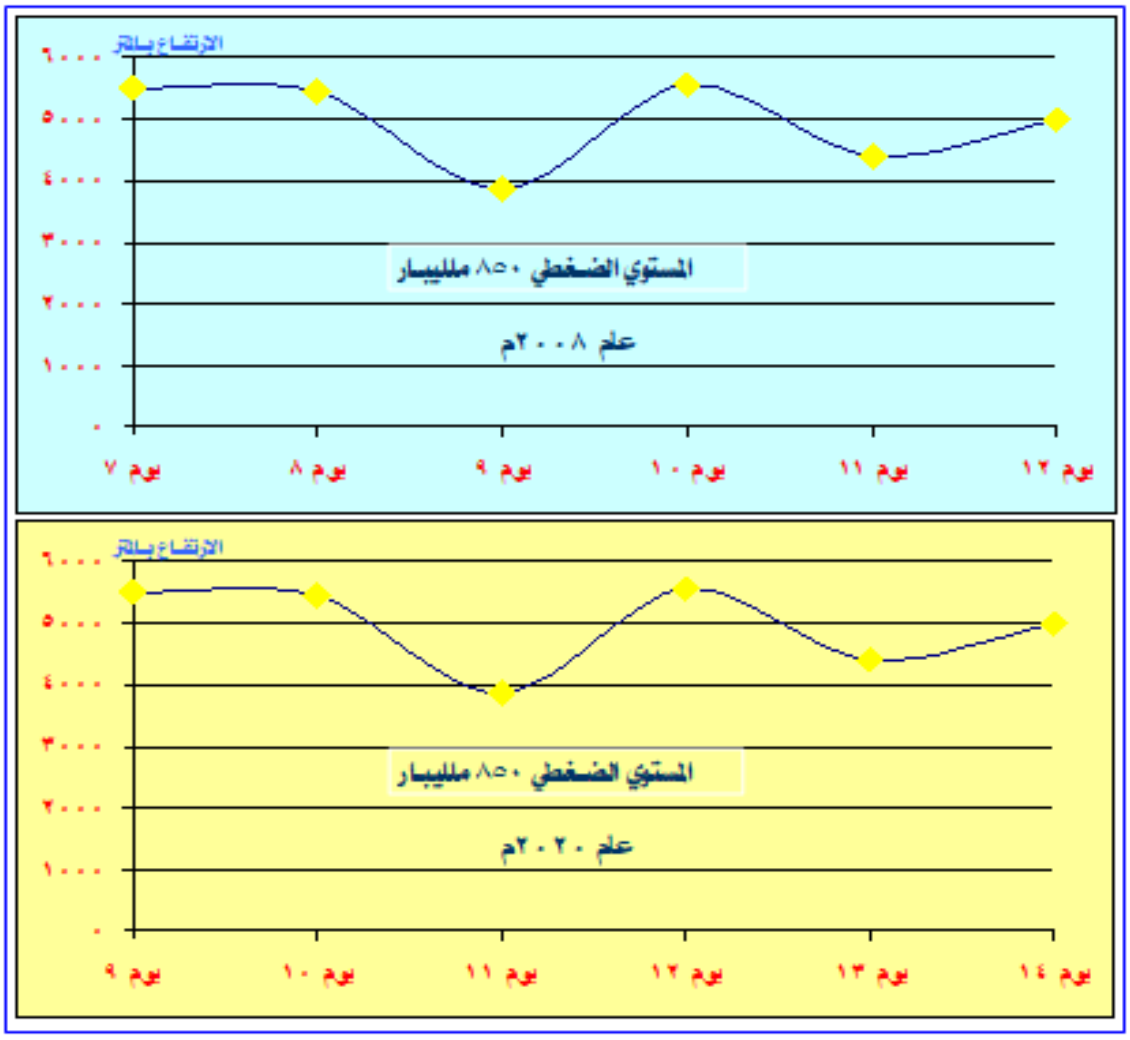

المصدر: من إعداد الباحث اعتماداً على تحليل خرائط الضغط الجوي لمستوى سطح البحر للرصدة (00) GMTوالموقع. http://www.vortex.plymouth.edu/

تعرضت مدينة بغداد إلي ظاهرة طقسية نادرة الحدوث تمثلت في تساقط الثلوج، خلال عامي 2008 ، 2020م، ولم تشهد الدينة قبل عام 2008م هذه الظاهرة لكنها - تكررت بقدوم عام 2020م حيث سجلت أول حالة لتساقط الثلوج في الدينة بتاريخ 27 / 1/ 1950م، وعليه فإن ظاهرة تساقط الثلوج على مدينة بغداد من الحالات النادرة جدا، بحكم عدة عوامل جغرافية ثابتة وعوامل ديناميكية مؤثرة على موقع هذه المدينة، حيث لا تؤثر العوامل الجغرافية على حدوث هذه الظاهرة الا نادراً فموقع مدينة بغداد على دائرة عرض 33 5 شمالاً يجعلها قريبة من الحد الجنوبي لتساقط الثلوج ضمن دائرة عرض 30 5 شمالاً ، وتقع مدينة بغداد ضمن السهل الرسوبي جعلها ذات مستوى منخفض لا يتجاوز 37.5 متراً فوق مستوي سطح البحر، وبالنسبة للعوامل الديناميكية فإن موقع مدينة بغداد البعيد عن مناطق نشوء الكتل الهوائية القطبية في سيبيريا وأوربا يلعب دوراً في تحوير خصائص هذه الكتل وجعلها أقل برودة بسبب المسافات الطويلة التي تقطعها أثناء انتقالها من مناطق نشوئها ووصولاً لمدينة بغداد(على عبدالزهرة كاظم الوائلي، مالك ناصر عبود الكناني، 2017، ص 230).

شكل (2) التغيرات اليومية فى ارتفاع المستوي الضغطي 500 ملليبار على محطة بغداد عامي 2008 ، 2020م.

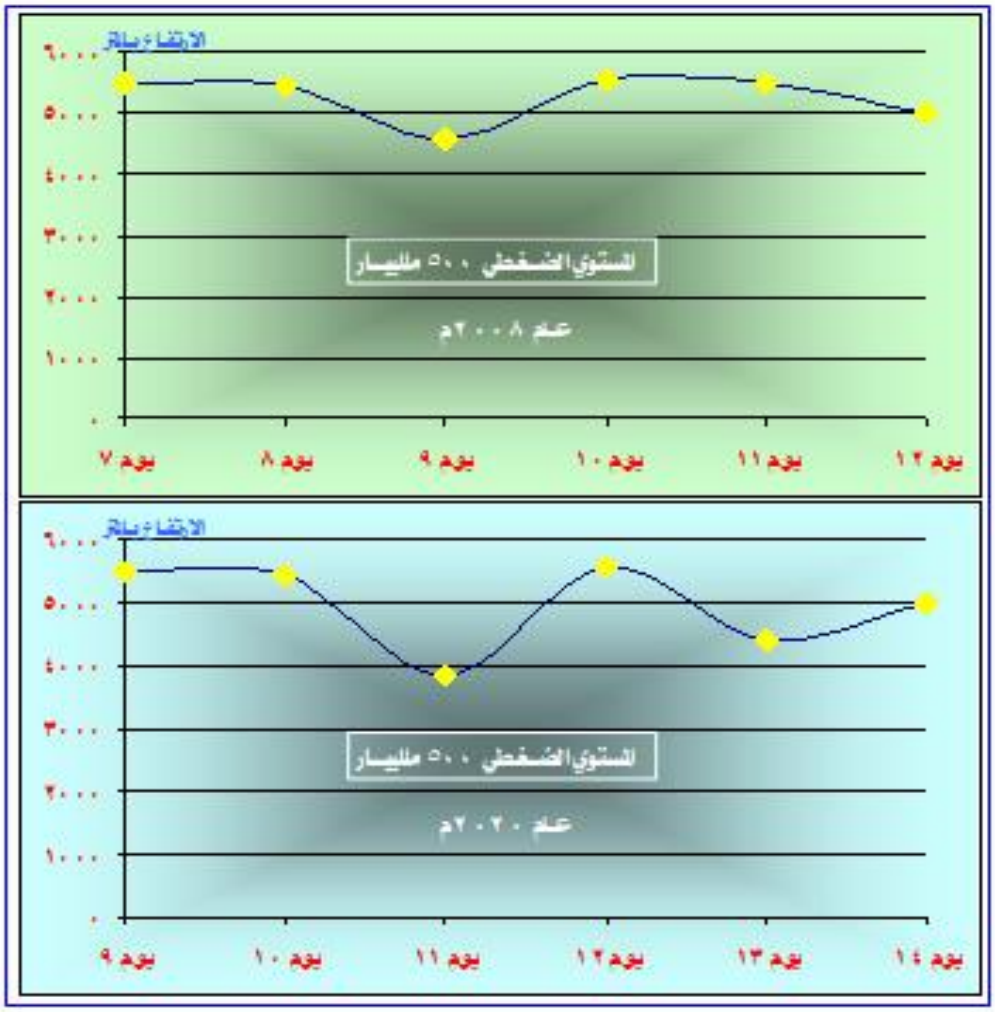

المصدر: من إعداد الباحث اعتماداً على تحليل خرائط الضغط الجوي لمستوى سطح البحر للرصدة (00) GMTوالموقع. /http://www.vortex.plymouth.edu

2- مرحلة النضج:

قد حدث تطور بعد أن المرتفع السيبيري هو المسيطر خلال الفترة ما بين يوم 1/7 – 10 /1/ 2008م وخلال الفترة ما بين يوم 9 / 2 – 11 / 2 / 2020م، تغيرت الحالة بالنسبة للفترتين مع ظهور أخدود مداري دافئ من المنخفض السوداني بدأ بتوغله نحو العراق حتي وصل بتاريخ 11 / 2008/1م ، وقد وصل أيضاً يوم 10 / 2 / 2020م ، ليحدث التقاء بين الكتلتين القطبية - المرتفعة للمرتفع السيبيري والمدارية الرطبة والدفيئة اختلفت نسبة سيطرة الكتلتين من محطة لأخرى ؛ فالمحطات الجنوبية سيطر عليها المنخفض السوداني مثل محطة البصرة والعمارة والحلة والسماوة وعلى المستوي 850 ملليبار، (حازم توفيق العاني وماجد السيد ولي محمد ، 1985، ص 113) وقد حدث التساقط على الاجزاء الجنوبية على شكل امطار أما المحطات الشمالية مثل محطات دهوك وأربيل والموصل لم يحدث فيها أي تساقط للأمطار، أما محطات وسط العراق وشماله الشرقي مثل بغداد والرطبة والرمادي وكركوك فقط سيطرت عليها الكتلتين الهوائيتين لم تتعرض الثلوج للذوبان وتساقطت على شكل ثلوج، اما في المحطات الغربية مثل محطات هيت والقائم فقد حدث فيها التساقط على شكل امطار، فالثلوج تتحول إلي أمطار إذا كان مستوي التجمد في الغيمة على ارتفاع أكثر من 300 متراً من سطح الأرض(علي شاكر النعيمي وآخرون، 1993، ص 213).

الخريطة (4) التقاء أخدود المنخفض السوداني مع المرتفع السيبيري على عامي 2008 ، 2020م.

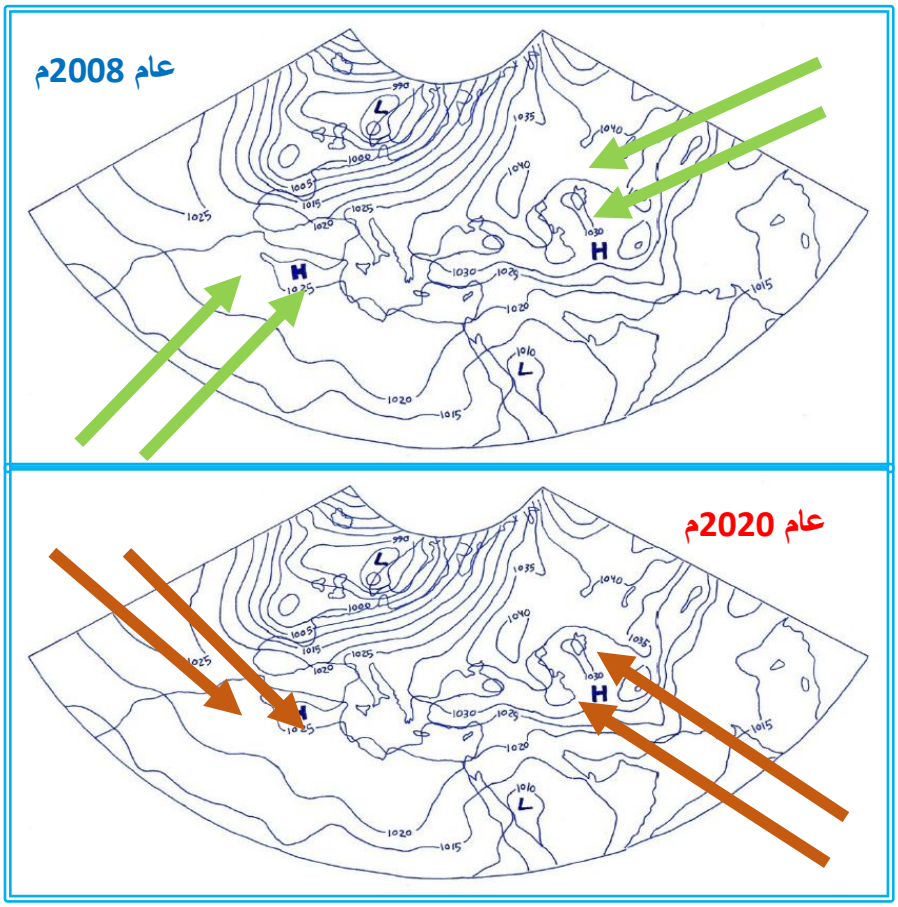

المصدر: من إعداد الباحث اعتماداً على تحليل خرائط الضغط الجوي لمستوى سطح البحر للرصدة (00 GMT) والموقع. http://www.vortex.plymouth.edu/

والدليل على سيطرة المرتفع السيبيري على محطة بغداد في السطح هو ان الضغط الجوي بلغ 1020.5 ملليبار عام 2008م، وبلغ 1010.8 ملليبار عام 2020م، حيث تشابهت جهة هبوب الرياح في العامين فكانت اتجاهها شمالية.

وعلى - المستوي الضغطي 500 ملليبار فقد سيطر أخدود بارد وصل إلى 5530 متراً عام 2008م، وبلغ 5740 متراً عام 2020م، ساعد ذلك على جعل الهواء البارد العلوي قريباً من السطح فساعد على حدوث التكاثف في المنخفض السوداني الواقع أسفله في المستوي الضغطي 850 ملليبار (تغريد احمد القاضي، 2006، ص 213).

الخريطة (5) نطاق تساقط الثلوج والأمطار على العراق عامي 2008 ، 2020م.

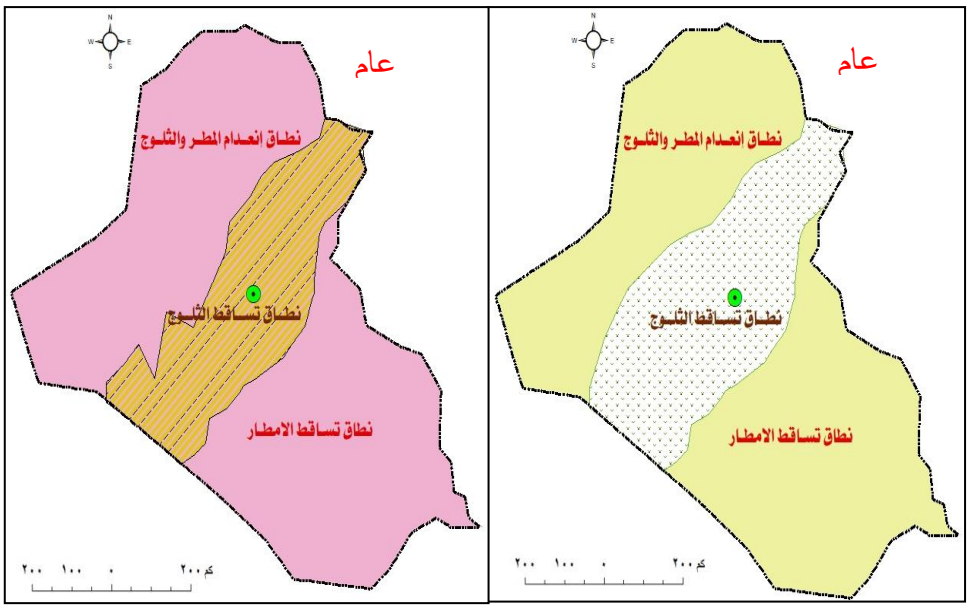

المصدر: من إعداد الباحث اعتماداً على تحليل خرائط الضغط الجوي لمستوى سطح البحر للرصدة (00 GMT) والموقع. http://www.vortex.plymouth.edu/

شكل (3) اختلاف ارتفاع غيوم الجبهة الباردة على بعض محطات العراق.

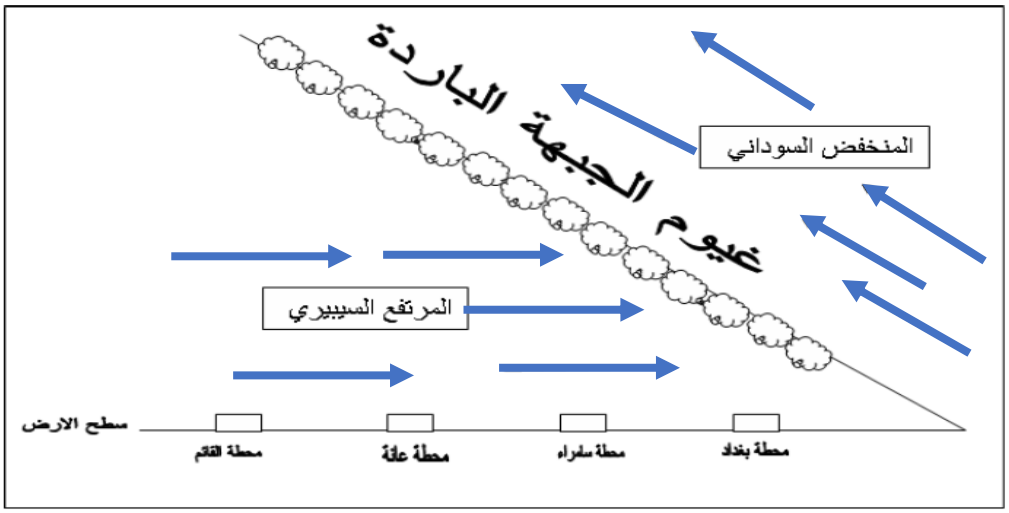

المصدر: من إعداد الباحث اعتماداً على تحليل خرائط الضغط الجوي لمستوى سطح البحر للرصدة (00 GMT) والموقع. http://www.vortex.plymouth.edu/

وقد تشابهت إلي حد ما ساعات تساقط الثلوج خلال أعوام 1950، 2008 ، 2020م حيث بدأت في الساعة 12 ليلاً ووصل لذروته الساعة 7 صباحاً عام 2008م ، في حين بدأ تساقط الثلوج من الساعة 59 12 ليلاً ووصلت ذروتها الساعة 45 6 صباحاً عام 2020م، (رحمن حسن على الموسري، 2019، ص 222) وفي عام 1950 بدأت خلال الساعة 1 ليلاً وبلغت الذروة الساعة 7.30 صباحاً ، وقد لوحظ تساقط بعض قطرات المياه مع تساقط الثلوج لان درجة الحرارة لم تكن منخفضة جدا بسبب تعديل الكتلة القطبية من خصائصها، حيث بلغ المعدل اليومي 2.0 م5 خلال عام 2008م وبلغ 2.8 م5 عام 2020م، حيث يشترط لتساقط الثلوج ألا تزيد درجة الحرارة عن 4.0 م5 وقد تحقق ذلك خلال تلك الأيام على مدينة بغداد حيث تميزت الثلوج بأنها من النوع الطبقي المزني خلال عامي 2008 ، 2020م.

جدول (2) درجات الحرارة الساعية على مدينة بغداد بتاريخ 1950 /1/27، 2008/1/11م، 2020/2/11م.

التوقيت (GMT)	بتاريخ 27 / 1/ 1950م درجة الحرارة (م5)	بتاريخ 11 / 1/ 2008م درجة الحرارة (م5)	بتاريخ 11 / 2/ 2020م درجة الحرارة (م5)
00 : 00	3.0	4.0	3.0
01 : 00	3.0	3.0	4.0
02 : 00	3.0	3.0	3.0
03 : 00	3.0	2.0	2.0
04 : 00	1.0	2.0	3.0
05 : 00	1.0	1.0	2.0
06 : 00	1.0	1.0	2.0
07 : 00	1.0	1.0	1.0
08 : 00	2.0	2.0	1.0
09 : 00	2.0	2.0	2.0
10 : 00	3.0	3.0	3.0
11 : 00	2.0	3.0	2.0
12 : 00	4.0	5.0	4.0
13 : 00	5.0	5.0	4.0

4.0	5.0	4.0	14 : 00
3.0	4.0	4.1	15 : 00
3.0	3.0	2.0	16 : 00
1.0	2.0	2.0	17 : 00
1.0	1.0	1.0	18 : 00
0	0	0	19 : 00
0	0	0	20 : 00
0.05 -	0.04 -	0.06 -	21 : 00
1.0 -	1.0 -	1.0 -	22 : 00
0.1	0.1	0.1	23 : 00
1.8	2.0	2.2	المعدل اليومي

المصدر: من إعداد الباحث اعتماداً على بيانات الهيئة العامة الأنواء الجوية والمسح الزلزالي، قسم المناخ، بيانات غير منشورة، بغداد، 2020م.

الخريطة (6) التقاء أخدود المنخفض السوداني مع المرتفع السيبيري باستثناء القسم الشمالي ضمن المستوي الضغطي 850 ملليبار عامي 2008 ، 2020م.

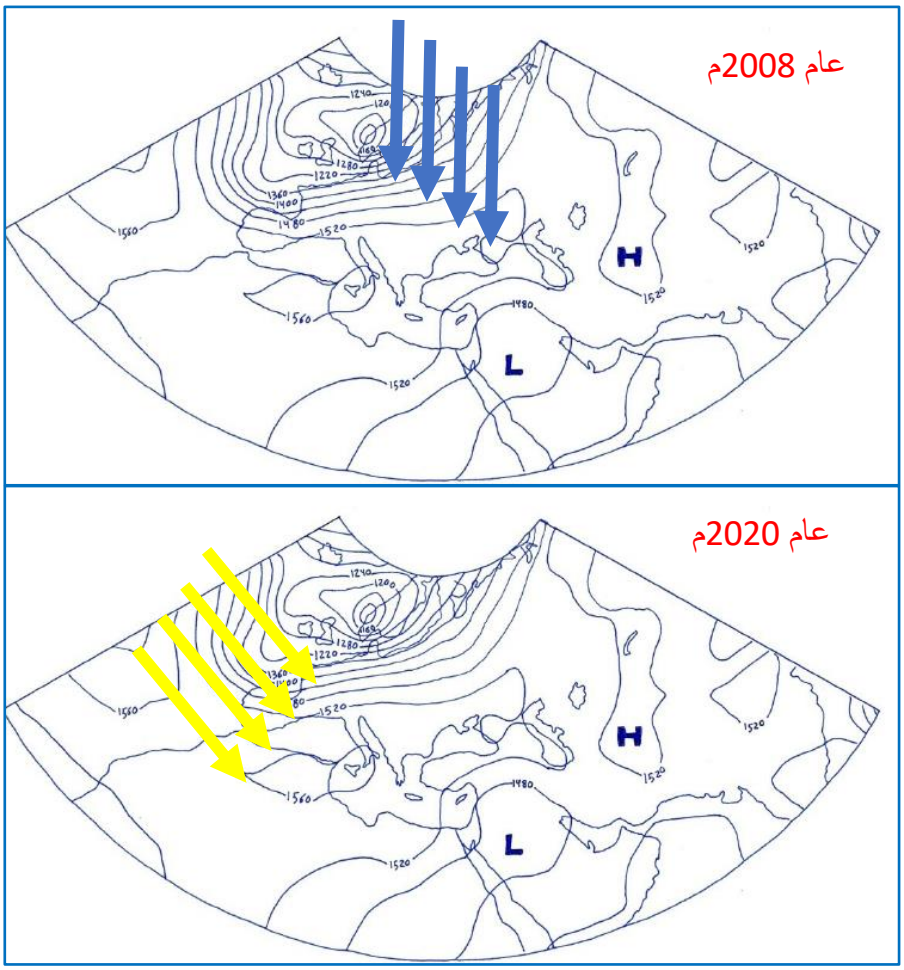

المصدر: من إعداد الباحث اعتماداً على تحليل خرائط الضغط الجوي لمستوى سطح البحر للرصدة (00) GMTوالموقع. http://www.vortex.plymouth.edu/

3- مرحلة التلاشي:

تراجع أخدود المنخفض السوداني في يوم 12 / 1/ 2008م وكذلك بدأ في التلاشي يوم 12 / 2 / 2020م وسيطر المرتفع السيبيري بصورة كلية على مدينة بغداد- إذ بلغ الضغط الجوي عام 2008م نحو 1023.6 ملليبار وبلغ 998.9 ملليبار عام 2020م وانخفضت درجة الحرارة الصغرى إلي – 1.5 م5 ووصلت الرطوبة النسبية 78.0٪ عام 2008م - وبلغت 81.0٪ عام 2020 ويعزي ارتفاع الرطوبة النسبية لتساقط كميات كبيرة من الامطار والثلوج وهبوب رياح غربية بسرعة 1.6 م/ثا عام 2008م وبسرعة 1.8 م/ ثا عام 2020م (سالار على خضير الزيي، 2005، ص 76).

وضمن الضغط المستوى الضغطي 850 ملليبار ظل المنخفض الجوي العلوي مسيطراً على أجواء المديمة ولم يحدث تساقط لتحوله لمنخفض جاف وضمن المستوي الضغطي 500 ملليبار سيطر منخفض الاخدود البارد على محطة بغداد وبلغ ارتفاعه 5480 متراً عام 2008م ونحو 5640 متراً عام 2020م.

الخريطة (7) سيطرة المرتفع السيبيري السطحي على محطة بغداد عامي 2008 ، 2020م.

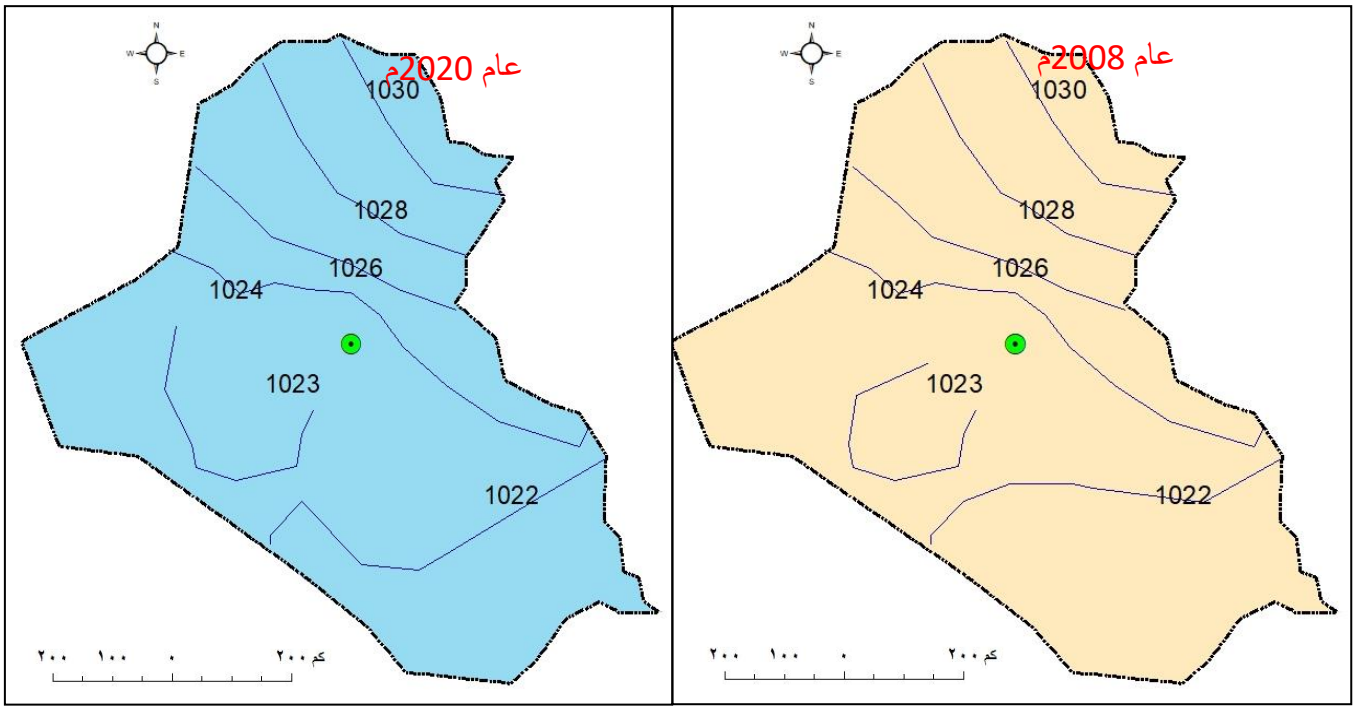

المصدر: من إعداد الباحث اعتماداً على تحليل خرائط الضغط الجوي لمستوى سطح البحر للرصدة (00) GMTوالموقع. http://www.vortex.plymouth.edu/

المصدر: من إعداد الباحث اعتماداً على تحليل خرائط الضغط الجوي لمستوى سطح البحر للرصدة (00) GMTوالموقع. http://www.vortex.plymouth.edu/

الخاتمة

من خلال العرض السابق لتساقط الثلوج على مدينة بغداد، اتضح أنه يتم تنمية منطقة الدراسة بطريقة صحيحة ومتوازنة تُراعىّ فيها الأولويات التي تفرضها الظُروف الجغرافية المُحيطة في محاولة للخروج من الضوائق الاقتصادية والاجتماعية التي يُعانىّ منها القطر العراقي، وفيما يليّ عرض لأهم استنتاجات هذه الدراسة:

-1تبين من الدراسة أن التغيّرات المناخية تؤثر على مقدار وتوقيت تساقط الثلوج خلال فصل الشتاء؛ فخلال الفترة ما بين عامي 1966م و2010م قلّت كمية الثلوج التي تُغطي العديد من المناطق في نصف الكرة الشمالي بشكلٍ ملحوظٍ.

-2اظهرت الدراسة أن مناخ مدينة بغداد يتميز بخصائص قارية لوقوعها بعيداً عن المحيطات والبحار وأهم ما يميزه ايضاً هو التطرف الكبير في درجات الحرارة بين الليل والنهار وبين الصيف والشتاء تتأثر موقع المدينة بالبحر المتوسط الذي لا يتصل للمدينة بل يعد ممراً ملائما لمرور المنخفضات الجوية.

-3أظهرت الدراسة أن حدوث الظواهر الطقسية لا يرتبط بيوم تكونها أو ساعة تكونها وأن هناك مقدمات تسبقها وتوفر الظروف المؤاتية لكي تصل الظاهرة إلي مرحلة النضج وعلى هذا الاساس؛ فقد امتدت مرحلة النمو للظاهرة الطقسية الأولي من يوم 7 / 1 /2008 إلي 10 / 1 / 2008م أما الظاهرة الطقسية الثانية فقد امتدت من 9 / 2/2020م إلي 11/ 2/ 2020م.

-4بينت الدراسة أنه بلغ معدل الرطوبة النسبية خلال المدة ما بين 7 / 1 – 1/10 /2008م ما بين 46.0٪، 51.0٪ ، 54.0٪ على التوالي، أما خلال الفترة ما بين 9 /2 – 2020/2/11م فقط بلغت 45.0٪ ، 52.0٪ ، 55.0٪ ويرجع ارتفاع الرطوبة خلال عام 2008م.

-5اتضحت من الدراسة أن مدينة بغداد تعرضت إلي ظاهرة طقسية نادرة الحدوث تمثلت في تساقط الثلوج، خلال عامي 2008، 2020م، ولم تشهد الدينة قبل عام 2008م هذه الظاهرة لكنها تكررت بقدوم عام 2020م حيث سجلت أول حالة لتساقط الثلوج في الدينة بتاريخ 27 / 1/ 1950م، وعليه فإن ظاهرة تساقط الثلوج على مدينة بغداد من الحالات النادرة جداً.

-6تبينت من الدراسة أن المرتفع السيبيري هو المسيطر خلال الفترة ما بين يوم 1/7 – 10 /1/ 2008م وخلال الفترة ما بين يوم 9 / 2 – 11 / 2 / 2020م، تغيرت الحالة بالنسبة للفترتين مع ظهور أخدود مداري دافئ من المنخفض السوداني بدأ بتوغله نحو العراق حتي وصل بتاريخ 11 / 2008/1م ، وقد وصل أيضاً يوم 10 / 2 / 2020م.

-7أوضحت الدراسة أنه تشابهت إلي حد ما ساعات تساقط الثلوج خلال أعوام 1950، 2008 ، 2020م حيث بدأت في الساعة 12 ليلاً ووصل لذروته الساعة 7 صباحاً عام 2008م ، في حين بدأ تساقط الثلوج من الساعة 59 12 ليلاً ووصلت ذروتها الساعة 45 6 صباحاً عام 2020م.

-8تبين من الدراسة تراجع أخدود المنخفض السوداني في يوم 12 / 1/ 2008م وكذلك بدأ في التلاشي يوم 12 / 2 / 2020م وسيطر المرتفع السيبيري بصورة كلية على مدينة بغداد إذ بلغ الضغط الجوي عام 2008م نحو 1023.6 ملليبار وبلغ 998.9 ملليبار عام 2020م.

المصادر والمراجع

1- أحمد جاسم محمد، تطبيق تقنيات نظم المعلومات الجغرافية في تقدير كميات الطاقة الشمسية في محافظة البصرة وإمكانات استخدامها في تحلية مياه البحر، مجلة دراسات البصرة، جامعة البصرة ، العدد 35، 2020.
2- حازم توفيق العاني وماجد السيد ولي محمد، خرائط الجو والتنبؤ الجوي، مطبعة جامعة البصرة، البصرة، 1985.
3- خديجة عبدالزهرة الناصر، تنبؤ محوسب لكميات الامطار المتساقطة في ايران للفترة 2004 – 2033، مجلة دراسات ايرانية ، العدد 11 ، 2009.
4- سالار على خضير الزيبي، دور المنخفض السوداني في تساقط الثلوج على مدينة بغداد بتاريخ 2008/1/11، مجلة كلية التربية للبنات، المجلد 19 ، العدد 2 ، 2008.
5- ـــــــــ ، دور المنخفض الجوي السوداني في تساقط الثلوج على مدينة بغداد، مجلة كلية التربية للبنات، المجلد، 19 ، العدد 2 ، 2008.
6- ـــــــــ، التنبؤ بالتساقط باستخدام بيانات الغطاء الغيمي في العراق، أطروحة دكتوراه ، غير منشورة، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 2005.
7- تغريد احمد القاضي، اثر المنخفضات الحرارية في طقس العراق ومناخه، أطروحة دكتوراه مقدمة الى مجلس كلية الآداب، غير منشورة، جامعة بغداد، 2006.
8- شاهر جمال أغا، علم المناخ والمياه، الجزء الأول، المطبعة الجديدة، دمشق، 1987.

9- علي شاكر النعيمي وآخرون ، التغيرات في كمية الامطار المصاحبة للمنظومات الجوية المؤثرة على العراق ، مجلة علوم المستنصرية، المجلد 4 ، العدد 1 ، 1993.
10- على عبدالزهرة كاظم الوائلي، مالك ناصر عبود الكناني، تكرار المنخفض الجوي المتوسطي وأثره في اتجاهات الرياح السطحية في العراق، مجلة كلية التربية، جامعة بغداد، العدد 2، 2017.
11- على غليس ناهي السعيدي، تغير نمط سيطرة الامتدادات الضغطية للمنظومات الشمولية السطحية المؤثرة في مناخ العراق خلال الفصل المطير، مجلة أبحاث ميسان، المجلد العاشر، العدد 20 ، 2014.
12- على حسن موسي، المناخ والارصاد الجوية، منشورات جامعة دمشق 2003.
13- عزيز كوطي حسين الحسيناوي ، تحليل تكرار الأمواج الهوائية المستقيمة فوق العراق ، مجلة آداب ذي قار ، العدد 2، المجلد 1 ، كانون الثاني /2010.
14- رحمن حسن على الموسري، واقع وافاق الطاقة المتجددة في العراق (وامكانية الاستفادة من التجربة البرازيلية)، مجلة الكويت للعلوم الاقتصادية، العدد 1 ، 2019.
15- كاظم عبد الوهاب الاسدي، تكرار المنخفضات الجوية وأثرها في طقس العراق ومناخه، رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية الآداب، غير منشورة ، جامعة البصرة، 1991.
16- نعمان شحادة، مناخ الأردن، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان ، 1991.
17- محمد مجيد أحمد ، ثائر كاظم جواد ، العلاقة بين تساقط الامطار ورطوبة التربة، مجلة ديالي للعلوم الصرفة، العدد 11 ، 2015.
18- نوال خلف غزال، مصطفي جمال شهباز، الكشف عن الغطاء الثلجي بأستخدام طرق الاختلاف المعياري لمؤشر الجليد واللون الكاذب ، المجلة اعراقية للعلوم ، المجلد 3 ، العدد 58، 2017.
19- Al-Naimi .Rasheed. H.S ،rain enhancement in iraq ،department of atmospheric sciences ،college of sciences ،Al-mustansiriyah university ، Baghdad ،world meteorological organization ،regional seminar on cloud physics and weather modification.
20- Barry .R. G.,and R.J. Choley, Atmosphere, Weather and climate, Second edition, Butler and Tanner Ltd, London,1972.
21- http://www.vortex.plymouth.edu/ I.R.of Iran Meteorologyical Org.
22- McGrew ،d. chapman ، ،charks ،B. Monroe ،Anintroductio to statistical problem solving in geography ،mc Grew-Hill ،USA ،1993 ،p172-175.
23- Daniel ،wayne w. ،Biostatistics; A foundation for analysis in the heath sciences ،second edition ،printed in the U.S.A. ،1978 ،P 215.
24- John E.Oliver ،Encyclopedia Of World Climatology ،Spring ، Netherland،2005،p.123.

أثر القياس المنطقي في خطاب المتكلمين:الاستعارة في كتاب البخلاء للجاحظ من منظور لساني معرفي

الباحث / عادل غرار
جامعة مولاي إسماعيل بكناس – المغرب
adilghrar@gmail.com
+ 212 619719222

أ.د.محمد ناجي، جامعة مولاي
جامعة مولاي إسماعيل بكناس – المغرب
naji.casablanca@gmail.com

الملخص:
يروم هذا المقال معالجة قضية مهمة في مجال البحث وتكامل المعارف بين العلوم كتابة وفهما وتأويلا؛ حيث سأشتغل على تجليات القياس المنطقي، وامتداداته في البناء الحجاجي في كتابات المتكلمين العرب ، وذلك من خلال التركيز على عمل من أعمال أحد أعلام البلاغة والأدب العربي: كتاب "البخلاء" للجاحظ.
وبناء على ذلك؛ فإنني سأعمل في هذا المقال على التعريف بمفهوم القياس من وجهة نظر منطقية صورية، مع التفريق بينه وبين القياس عند غير المناطقة، والانتقال إلى الكشف عن علاقة القياس عندهم بالقياس عند البلاغيين، مع بيان الكيفية التي استثمر بها الجاحظ القياس المنطقي في استدلالاته بكتابه الموسوم بـ"البخلاء."
ويكون الإشكال الرئيس الذي سأركز عليه في هذا المقال: هو ما تطرحه البنيات الحجاجية القائمة على القياس من منزلقات حال الاستدلال بها، وخاصة عندما تَلْبِسُ هذه الأقيسة ثيابا استعارية قائمة على نوع من المشابهة أو المناسبة المتخيلة.
ومن أجل مقاربة الإشكالية السابقة؛ فإنني سأنطلق من فرضية مفادها أن الاستعارات المعتمدة في كتاب "البخلاء" للجاحظ، قد تأثرت بالروافد التي غذت علم الجدل عند المتكلمين المعتزلة، ومن جملتها منطلقات علم المنطق الصوري التي مثلها القياس.
وأما بالنسبة للمنهج الذي سأعتمده في هذه الدراسة؛ فهو منهج استقرائي أنتقل فيه من الخاص إلى العام، ومن التفاصيل إلى الإجمال، وذلك عن طريق تتبع الصورة التي حضرت بها الاستعارة في باب أقسام الحجة عند المناطقة، ثم الانتقال بعد ذلك إلى الكشف عن تجلياتها في البناء الحجاجي بكتاب "البخلاء" للجاحظ، والدور الذي لعبته تلك الاستعارات في ترسيخ منهج المتكلمين في الاستدلال والحجاج القائم على القياس.
ويكون الموضوع الأساس من هذا البحث هو: الكشف عن الدور الذي لعبه المنطق في تطوير الآليات الحجاجية عند بعض البلاغيين، باستثمار الاستعارة في مجال الإبداع الأدبي، ومظاهر حضور النِّحَلِ العقائدية من خلال نموذج الجاحظ في الكتابة التراثية؛ حيث تتلخص أهداف هذه الورقة فيما يلي:
- الوقوف على علاقة الاستعارة بأقسام الحجة عند المناطقة؛
- إبراز العلاقة بين القياس المنطقي والبناء الحجاجي الاستعاري؛
- الكشف عن تجليات القياس في الممارسة الإبداعية عند الجاحظ؛

وحتى أحقق الأهداف السالفة الذكر، فإنني سأسعى للإجابة عن الأسئلة التالية:
- ما الصورة التي حضرت من خلالها الاستعارة عند المناطقة؟ وما علاقتها بأقسام الحجة عندهم؟
- وما الكيفية التي عمل من خلالها الجاحظ على استثمار القياس المنطقي بكتاب "البخلاء" ؟

الكلمات المفاتيح: القياس المنطقي - الاستعارة - علم المنطق – علم الكلام – الحجة – الاستدلال.

The effect of syllogisms in the discourse of the speakers: metaphor in al-Jahiz's book al-Bakhla' from a linguistic and epistemological perspective

Researcher/Adel Gharar
Prof. Dr. Mohamed Nagy
Moulay Ismail University, Knes, Morocco

Abstract:
This article aims to address an important issue in research and knowledge integration of science, writing, understanding and interpreting; As I will work on the manifestations of logical measurement, and its extensions in the argumentative structure in the writings of the Arab speakers, by focusing on one of the works of one of the notables of rhetoric and Arabic literature: the book "The Misers" by (Al-Jahed).
Accordingly, In this article, I will work on defining the concept of measurement from a logical, formal point of view, with the distinction between it and the measurement by non logicians, and the transition to the disclosure of the relationship of measurement according to the rhetoricians, with an explanation of how (Al-Jahed) invested the logical measurement in His inferences are in his book named, "The Misers".
The main problem that I will focus on in this article is what the argumentative structures pose based on the measurement when it is inferred, especially when these measures are dressed as metaphorical clothes based on a kind of similarity or an imaginary occasion.
As for the approach that I will adopt in this study; It is an inductive approach in which I move from the private to the general, and from the details to the general, by following the image in which the metaphor was present in the door of sections of argument at the logicians, and then the transition to the disclosure of its manifestations in the argumentative construction in the book “The Misers” by (Al-Jahid), And the role played by these metaphors in the fixation of the approach of the speakers in inference and the pilgrims based on the measurement.
The main topic of this research is: revealing the role that logic has played in the development of argumentative mechanisms for some rhetoricians, with the investment of metaphors in the field of literary creativity, and the manifestations of the presence of dogmatical believers through (Al-Jahed) model in heritage writing; The objectives of this paper are as follows:
 The standing on The relationship of metaphor with the divisions of the argument at the logicians.

- Highlight the relationship between the logical measurement and metaphor argumentative structure.
- Detection of measurement manifestations in the creative practice of (Al-Jahed).

To achieve the above-mentioned goals, I will seek to answer the following questions:

- What is the image in which the metaphor was attended by the logicians? And What is its relationship to the sections of the argument they have?
- And how did (Al-Jahed) invest the logical measurement in the book "The Misers"?

Keywords: Logical measurement - metaphor - logic - the science of speech - argument - inference.

تقديم:

لقد شكل علم الكلام والجدل في الثقافة العربية علامة بارزة دالة على ذلك التلاقح الثقافي بين الفكر الإسلامي من جهة، والفلسفة الغربية اليونانية من جهة أخرى، الشيء أسفر عن بروز حركات فكرية تستثمر مبادئ علم المنطق في عمليات الاحتجاج المنطقي، ولتصطبغ الصور البلاغية نفسها بهذا الطابع، وليَعْتَبِر أغلب الدارسين والباحثين في علوم البلاغة قديما وحديثة المعتزلة فرسانا لعلم الكلام. فكيف اجتمع في الواحد منهم علوم ظاهرها التباين كالبلاغة والجدل على غرار أبي عثمان الجاحظ؟

لقد شكل "أبو عثمان الجاحظ" أنموذجا بينا للأديب البليغ الذي استطاع بفصاحته وحذق صنعته من توظيف آليات حجاجية بصبغة أدبية بلاغية، وفي الوقت ذاته لم يُفْقد النصوص الأدبية التي أبدع فيها جماليتها التي تميزها عن نظيراتها من الأجناس الأدبية، وكذا باقي النصوص والخطابات ذات الطبيعة التقريرية، وهو ما جعل من الجاحظ أيقونة من أيقونات الأدب العربي، ومَحطَّ العديد من الدراسات العربية والغربية على مر العصور والأزمان، لكون شخصيته ومسيرته جمعت فنونا ودروبا من الإبداع التي شدَّت إليها الباحثين كل بحسب تخصصه ومجال اشتغاله.

وفي هذا المقال؛ سأعمل على مقاربة شخصية الجاحظ من خلال منطلقين متداخلين:

المدخل الأول: شكلته روافده الفكرية والعقدية في علاقتها بعلمي المنطق والجدل الذي تشربته شخصية المعتزلي؛ تبعا لأصول نحلته العقدية التي تقدم العقل على النقل حال التعارض؛

المدخل الثاني: مثلته شخصيته المبدعة في علوم البلاغة والأدب؛

وتبعا للمدخلين المشار إليهما أعلاه؛ فإنني سأعمل على العودة إلى المؤثرات التي ساهمت في تشكل بعض أنواع الصور البلاغية في كتابات "أبي عثمان الجاحظ"، ولكون هذه المؤثرات تتسم بالتعدد والتنوع، فإنني سأركز على القياس المنطقي في علاقته بمفهوم الاستعارة، بحسب التصور الذي سطره "أرسطو طاليس في "فن الخطابة" المتصلة بعلم الجدل أصالة، وما تمت الإشارة إليه في "فن الشعر" ارتباطا بالوظيفة الجمالية. مركزا في كل ذلك على البعد الحجاجي للاستعارة في علاقتها بأقسام الحجة عند المناطقة، والوظائف التي تؤديها حال الاستدلال.

وحتى لا أتيه في دهاليز علم المنطق وأبوابه المختلفة بوصفها مدخلا لفهم عقلية المعتزلي الأديب؛ سأحاول الانطلاق مما سطره المناطقة حول القياس المنطقي فيما يتعلق بالاستعارة والحجاج، وتتبع الشروط والقيود التي وضعت لها عندهم، ثم أنتقل إلى بعض مظاهر توظيف المتكلمين المعتزلة لذلك حال

الاستدلال لمعتقداتهم وأفكارهم، وخاصة في مجال الأسماء والصفات، وبعض امتدادات ذلك في علم الأدب.

ولكون محط الدراسة هو الجاحظ نفسه، فإن ما تقدم سيكون بمثابة أرضية نفهم من خلالها فكر المعتزلي على وجه العموم، والمعتزلي الأديب الذي يمثله على وجه الخصوص "أبو عثمان الجاحظ"، وذلك من خلال التركيز على أحد مؤلفاته البارزة في سماء الأدب العربي، ألا وهو كتاب "البخلاء"، الذي جمع بين جملة خصائص من شأنها الجمع بين متعتي الإقناع والإبداع في الوقت نفسه.

هكذا فإن صفحات هذا المقال ستحفل بالجاحظ بوصفه علما ترك بصمات بارزة في الأدب العربي القديم وعلوم البلاغة بمفهومها التقليدي؛ حيث افْتَرَع في كل منهما العديد من المفاهيم والتقنيات، وحاز بذلك قصب السبق في كليهما، كما أنه جسد ذلك الانفتاح على ثقافة الغير، بل وتعدى ذلك إلى استيعابها واستثمارها في أعماله الأدبية وحياته الفكرية والعقدية. وهو ما سنحاول الكشف عنه من خلال بيان الخيوط التي تربط بين القياس المنطقي والاستعارة من جهة، وبين حضور هذه الاستعارات ذات البعد المنطقي في كتاب "البخلاء" للجاحظ.

1 – القياس المنطقي والاستعارة عند المناطقة:

لعب مفهوم القياس دورا مهما في تطوير الكثير من العلوم والميادين الفكرية عند العرب، وقد كان للبلاغة والأدب العربيين نصيبهما وحظهما من ذلك، فلم يعد القياس ممارسة منطقية وفقهية فقط، بل تحول إلى أداة للإبداع والحجاج أيضا، وهو ما جسدته الحركة الكلامية المعتزلية في الأدب العربي؛ حيث كان نسقهم الفكري والإبداعي يتساوقان إلى حد التماهي، يعضض أحدهما الآخر، وهو ما سنحاول طرقه من خلال الكشف عن روابط القياس بمفهوم الاستعارة عند المناطقة، ثم الانتقال إلى تلمس ذلك من خلال إحدى كتابات "أبي عثمان الجاحظ" الموسوم بكتاب"البخلاء".

1 - 1) القياس المنطقي في التصور الأرسطي:

تمهيدا للدخول إلى موضوع الاستعارة وتحديد كيفية تشكل بنيتها، تطرق أرسطو إلى هذه القضية في علاقتها باللغة الشعرية، منطلقا في ذلك من الاسم والكلمة المفردة بوصفهما أساسا لبناء الاستعارات، مفرقا بين البلاغة من حيث كونها آلية تستهدف الإقناع موضوعها الخطابة متصلة بنظرية الحجاج والمنطق البرهاني، وبين كونها محاكاة للأفعال الإنسانية النبيلة في فن الشعر بهدف إحداث تطهير داخل النفوس البشرية.

من هنا؛ نجد الاستعارة حاضرة بقوة في كتابي أرسطو الشهيرين: كتاب "فن الشعر" وكتاب "الخطاب"، وتجلى ذلك بوضوح في انطلاق أرسطو للتأسيس لبناء الاستعارات من خلال تحديد طبيعة الأسماء ، والتي فصَّل في خطائصها من حيث الشيوع والذيوع، أو من حيث كونها أجنبية عن لغة القوم التي يستعملونها، وهو ما يحدث نتيجة الاقتراض من لغات أجنبية أخرى. دون أن يغفل أرسطو تناول الكلمات المجازية المستعملة نتيجة التحول، وهو ما عبرت عنه العرب فيما بعد بالنقل، بالإضافة إلى أنواع أخرى من الأسماء الخارجة عن موضوع بحثنا.

لكن بالتركيز على الاسم المجازي بحسب تصور أرسطو، فهو إعطاء اسم يدل على شيء إلى شيء آخر، معتمدا في ذلك على التحويل، وهذ التحويل قد يكون من جنس إلى نوع، أو من نوع إلى جنس، أو من نوع إلى نوع آخر، أو بالاعتماد على القياس.

وقد ضرب أرسطو لهذه الأنواع من التحويلات أمثلة:

التحويل من الجنس إلى النوع: كقولنا:" هنا تقف سفينتي"، لكون الرسو في الميناء هو ضرب معين من الوقوف.

التحويل من النوع إلى الجنس: كأن يُقال: "الا ريب أنّ أودسيوس قد قام بفعل عشرة ألف عمل نبيل"، لأن ((عشرة آلاف)) جنس من عدد ضخم، وقد استعمل للدلالة على عدد ضخم عموما.

التحويل من النوع إلى النوع: مثل قولنا : "فَلْيَسْتَلَّ حياته بسيف من البرنز وليقطعهُ بالسيف البرنزي الصارم"، فهنا استعملت كلمة ((يستل)) وكلمة ((يقطع)) متبادلتين، وكل منهما نوع لمعنى الانتزاع.

التحويل عن طريق القياس: وهو عندما تكون أربعة حدود "أ" و "ب" و"ج" و"د" بينها ترابط، وعلاقة الحد الثاني بالأول، كعلاقة الحد الرابع بالثالث، ونتيجة لهذه العلاقة يمكننا القياس ونقلها مكان بعضها على سبيل المجاز بصيغة " د + أ"، لأن "ب" بالنسبة لـ "أ"، كـ "د" بالنسبة لـ"ج"، فسهل علينا ربط علاقة بين الحد الرابع "د" والأول "أ".

ولتوضيح هذا التحويل المجازي القائم على استعارة ونقل صفة من مركب إلى آخر عن طريق القياس وفق ما تم تحديده سابقا؛ يعمل أرسطو على إعطاء مثال أكثر تجسيدا للعلاقات المجردة السابقة من خلال المثال التالي: العشية (ب) بالنسبة للنهار(أ)، هي كالشيخوخة (د) بالنسبة للحياة (ج)، وعلى ذلك يمكن تسمية العشية (ب) بشيخوخة النهـــــــــــار (د + أ)، وتسمى الشيخوخة (د) عشية الحياة (ب + ج)، وهو ما عبر عنه لمبدوكليس بـ:"مَغْربُ الحياةِ".(أرسطو طاليس، 1989، ص187).

وإذا كانت الاستعارة حسب أرسطو مندرجة ضمن آليات الحجاج التي تستفيد منها جل الخطابات البشرية، فإنها في الوقت ذاته تتضمن نوعا من المخاطرة حال اللجوء إليها، وقد ناقش أرسطو ذلك عند التطرق لبنية الاستعارة في علاقتها باللغة والأسلوب ، مؤكدا أن اللغة تصبح متميزة وبعيدة عن الركاكة عند استخدام الكلمات غير المُشَاعَةِ كالغريبة أو النادرة أو المجازية، لكن اللغة التي تتألف من مثل هذه الكلمات على سبيل الإطلاق، وتعتمد عليها بالكلية تكون مُلْغِزَةً أو مُبْهَمَةً، وهذا الإلغاز حسب أرسطو لا يمكن أن يتسرب للكلام من خلال المسميات الاعتيادية للأشياء، ولكنه يحدث نتيجة التركيز والإكثار من استعمال البدائل المجازية، لذا حصر مقصده باللغة الملغزة في الكلام المؤلف من المجازات والاستعارات، مفرقا بين الإلغاز والرطانة، في كون الرطانة ترتبط باستعمال الكلمات النادرة.

ومن خلال هذا التصور لبنية الاستعارة حسب أرسطو؛ نستنتج أن الاستعارة عنده تقتصر على الاسم فقط، ولا تتجاوزه إلى الجملة والخطاب، لكونها تحويل في الكلمات، وليست نتاج لبنيات مركبة. ليسيطر هذا التصور الأرسطي على البلاغة الغربية لعقود وقرون طويلة، بل وانحصرت مجهودات الكثيرين في تصنيف المحسنات البلاغية وفق هذا التوجه الأرسطي، وهو ما انعكس سلبا على البلاغة الغربية. كما يمكننا أن نستشف من النماذج المقدمة للتصور الأرسطي للاستعارة أنها تحدد بنيتها الدلالية مفاهيم قائمة على الحركة في المكان، فالاستعارة نقل لكلمة من مكانها الأصلي إلى مكان آخر بالتركيب، فهي تغيير بصفة عامة، بغض النظر عن طبيعة العلاقة التي يقوم عليها النقل.(عبد العزيز لحويدق، 2015، ص13).

وبالتركيز على صور بناء التعابير المجازية والاستعارية السابقة؛ لابد من التنبه إلى كون القياس المشار إليه بوصفه بنية استعارية يختلف عن القياس الاستنباطي العلمي، والذي نجد أنفسنا فيه أمام عبارات من قبيل:

إذا كان أ = ب

وكان ب = ج

فإن ج = أ

وهو قياس يقوم على الانطلاق من مقدمة كبرى، ثم تليه مقدمة صغرى، ثم نمر إلى الاستنتاج، والذي يمثل له عادة بالقياس المشهور:

كل إنسان فانٍ

سُقراط إنسان

إذن: سُقراط فانٍ

فيكون القياس السابق تعبيراً عما هو صادق ضرورة، لكن قد يلتحق بالتعبير السابق ما ليس صادقا بالضرورة، بل ما يكون مجرد احتمال أو مقبول ومسلم به عند عامة الناس كما هو في المثال التالي:

نَفَسُ سقراط قصير

إذن فهو محموم

فهنا يحدث إضمار في مستويين: في الأول نستنبط من كون (نَفَسُ سقراط قصير) أنه محموم، وهو مجرد احتمال. وفي المستوى الثاني نلاحظ إضمار أقولا لم يتم التصريح بها كالخروج بتعميم ربط قصر النفس عند عموم الناس بالحمة، وهو يستدعي منا استرجاع الأجزاء المحذوفة، فيحضر القياس في صورة المقدمات، وشكله التام رغم كونه مجرد احتمال:

كل إنسان محموم قصير النَّفَسِ

سقراط قصير النَّفَسِ

سقراط محموم

وهنا نلاحظ أن بنية القياس الذي يندرج ضمن البرهان المنطقي أو الاستنباط العلمي ينطلق من فكرة عامة ليست موضع نقاش لتبرير فكرة خاصة، لكننا في بنية الاستعارات نكون بصدد إدراج الشاهد والقيام بنوع من المقارنة، فنتجنب علاقة الجزء بالكل، وعلاقة الكل بالجزء، ، وكذا علاقة الكل بالكل، وإنما تنشأ البنية نتيجة لعلاقة جزء بجزء، وعلاقة شبيه بشبيه، لأننا نبني خطابنا على قضيتين أحدهما أشهر من الأخرى. وهو استشهاد يستحضر فيه أرسطو مظاهر التشابه بين القضايا والوقائع، كما في تأكيده أن "دِيونيسيو" إذا كان يسعى إلى اتخاذ حرس شخصي، فإنما يسعى بذلك للتسلط، لأنّ ذلك ما فعله قبله "بيسيستراتو" الذي كان يميل كثيرا للتسلط، وقد اتّخذ حرسا، والأمر نفسه حدث مع "تاجنيس". وهذا الاستشهاد من أرسطو يقوم على التركيز على مظاهر التشابه، ولكنه ليس قطعيا بالضرورة، فهو لا ينطلق من فكرة عامة مسلم بها عند عموم الناس، كما هو الشأن في القياس الاستنباطي، لكونه مجرد استقراء لوقائع بينها نوع من التشابه، فنستدل ببعضها على البعض الآخر. ليؤكد "محمد الولي" في هذا الصدد أن هذه النماذج الاستدلالية السالفة الذكر والتحديد للشواهد المشار إليها، هي نفسها ما يستند إليه أرسطو في تعبيره عن الاستعارة في الشعرية،(محمد الولي، 2022، ص 60) وبالتي فإن بنية الاستعارة عند أرسطو تتداخل معها بنية الشاهد والمقارنة عنده.

وعموما؛ فإن التصور الذي يقدمه لنا أرسطو حول كيفية بناء الاستعارات في المنطق يجعل منها عملية نقل مطلقا، لذا فهي كل أشكال النقل، وليست قائمة بالضرورة على التشابه، (H. Conrad, Mauris Lavergne, 1934, P 9)كما أنها ليست نوعا من القياس والتناسب بين شيئين فقط.

وهذا التوسع في الاستعارة وإداراج أنواع أخرى فيها؛ جعل التصور الذي قدمه أرسطو عن الاستعارة محل نقاش وانتقاد من قبل جملة من الفلاسفة والمناطقة والبلاغيين الغربيين وغيرهم، وهو ما جسده بشدة "جاك دريدا : Jaques DERRIDA "من الغربيين؛ - (Jaques DERRIDA, 1972, P 275 276) حيث تم وصف ما قدمه أرسطو بعدم الدق في التحديد، لكن ما يحسب له هو ذلك الربط بين الاستعارة والبناء المنطقي للخطاب من جهة، وما تؤديه من وظائف ارتباطا بالخطابة أو الشعر من جهة أخرى.

لكن ما يهمنا في هذا المقال هو بيان طبيعة العلاقة التي تربط بين القياس والاستعارة في باب الحجاج عند المتكلمين، لذا سأعمل على تناول الصورة التي حضرت من خلالها الاستعارة بوصفها قسما من أقسام الحجة عندهم، ثم أنتقل لسرد مواقف المتكلمين في القياس، قبل رصد مظاهره في مواطن من كتاب "البخلاء".

1 – 2) الاستعارة وأقسام الحجة عند المناطقة:

قبل الشروع في بيان أقسام الحجة عند علماء المنطق، ثم الانتقال إلى الكشف عن العلاقة التي تربطها بالاستعارة؛ ينبغي لنا معرفة المقصود بالحجة عند المناطقة بإيجاز، مع التفريق بينها وبين ما يقاربها في المعنى عندهم.

يُعَرِّف الغزالي الحجة في "معيار العلم" حال تطرقه لصور القياس بقوله: "والحجة: هي التي يؤتى بها في إثبات ما تمس الحاجة إلى إثباته من العلوم التصديقية؛ وهي ثلاثة أقسام: قياس واستقراء وتمثيل".(أبي حامد الغزالي، 1990، ص 111). ليكون الغزالي قد جمع في هذا السياق بين التعريف بالحد، والتعريف بالأقسام من أجل التوضيح، إلا أن ما ذكره من التقسيم للحجة ليس محل اتفاق بين المناطقة، لكون الحجة تختلف عن الاستدلال من حيث كونها أعمّ منه، ولكونه يندرج تحتها، على غرار الاستدلال بالكلي على الجزئي في القياس المنطقي:

النبيذ مسكر

كل مسكر خمر

الخمر حرام

بعد التعرف على المقصود بالحجة إجمالا من وجهة نظر المناطقة، نحتاج إلى معرفة موقع القياس والاستعارة منها، وبالتالي الكشف عن الخيط الرابط بينهما؛ حيث نجد المناطقة يقسمون الحجة عموما إلى قسمين كبيرين، وهما: الحجج النقلية في مقابل الحجج العقلية، ثم يفرعون عن الحجة العقلية خمسة أقسام، وهو ما يُجمله الأخضري بقوله في السلم المنورق: (عبد الرحمن الأخضري"، السلم، ص 117).

وَحُجَّةٌ نَقْلِيَّةٌ عَقْلِيّـــــــــــــــــــــــــه أَقْسَامُ هَذِي خَمْسَةٌ جَلِيّـــــــــــه

خَطَابَةٌ وَشِعْرٌ وَبُرْهَانٌ جَدَلْ وَخَامِسٌ سَفْسَطَةٌ نِلْـــــــــــــتَ الأَمَلْ

قاصدا بذلك أن الحجة بالنسبة للمناطقة لا تخرج عن النقل أو العقل، والحجة النقلية هي التي تتألف من مقدمات من الكتاب أو السنة أو الإجماع تصريحا أو استنباطا، أو كانت إحدى مقدماتها من ضمن ما سبق. في حين أن الحجة العقلية هي التي لم تستند في بنائها إلى شيء من ذلك.

والحجج العقلية كما سلف ذكره عند الأخضري؛ تنقسم إلى خمسة أقسام: الخطابة والشعر والبرهان والجدل والسفسطة؛ وإنما تنوعت الحجة العقلية إلى ذلك بالنظر إلى المراد منها، وطبيعة القضايا التي تتألف منها.(محمد محفوظ بن الشيخ فحف ، 2001، ص 197)

وفيما يلي تعريف بكل قسم من أقسام الحجة العقلية، ثم بيان ما يتصل منها بالاستعارة:

الخطابة: هي ما تألف عند المناطقة من مقدمات مقبولة، وهي قضايا نأخذها مِمّنْ يُعتقد فيهم الصدق، أو من مقدمات مظنونة: هذا يَتَجَوّل بالسلاح ليلا، وكل من يتجول بالسلاح ليلا فهو لص، فهذا لص. والغرض من الحجة الخطابية ترغيب المستمع فيما ينفعه وتنفيره مما يضر به.

الشعر: وهي حجة تتألف عند علماء المنطق من مقدمات متخيلة لترغيب السامع في شيء أو تنفيره منه مثل: الخمر ياقوتة سيالة، والعسل مرة مهوعة، والغرض من الشعر التأثير في النفس.

الجدل: وهو ما كان مؤلفا من مقدمات مشهورة عند المناطقة، وهي ما يعترف به الجمهور لأسباب مختلفة: المصلحة العامة؛ التعاطف؛ الحَمِيَّة والانتماء القبلي ومن أمثلته: هذا ظُلْم، وكل ظُلْم قبيح، فهذا قبيح، أو هذا اللباس يظهر عورة الشخص، وكل ما يكشف العورة مذموم، فهذا مذموم. والغرض من الجدل إما إقناع قاصر عن البرهان أو إلزام الخصم أو دَفْعه.

البرهان: وهو ما يفيد العلم اليقيني، لكونه مبني على مقدمات يقينية، وهي سبع أشياء: الأوليات (المسلمات)؛ المشاهدات؛ المجرَّبات؛ المتواترات؛ الحدسيات؛ المحسوسات.

السفسطة: وهي كل حجة عند المناطقة تألفت من مقدمات شبيهة بالحق، وتنطلق عند البعض من مغالطات، أو مقدمات مشهورة – المُشَاغَبَات - ، أو من مقدمات وهمية مثالها: تقول لفرس في صورة على الحائط: هذا فرس، وكل فرس صَهَّال، فهذا صَهَّال، أو نقول عن شخص يَخْبِطُ في العلم: هذا يُكَلِّم الناس بألفاظ العلماء، وكل من يُكَلِّم الناس بألفاظ العلماء فهو عالم، فهذا عالم، ومن أمثلة السفسطة كذلك: هذا ميت، وكل ميت جماد، فهذا جماد .(عبد الرحمن الأخضري"، السلم، ص 117 -118).

وبعد معرفة المقصود بأقسام الحجة عند المناطقة، والفرق بينها من خلال التعريف بها وبيان مادتها مع التمثيل؛ نلاحظ حضور نوعين من الحجج العقلية التي سبق لنا أن تناولناها عند أرسطو سابقا، وكانت محورا لكتابين يعكسان مشروعين من المشاريع الضخمة في تاريخ العلوم البشرية، وهما: "الخطابة" و"الشعر"، ليتضح لنا ارتباط فن الشعر وفن الخطابة بالمنطق والحجاج من جهة ، واتصال أقسام الحجة بالاستعارة من جهة أخر.

فمن خلال التفصيل السابق في أقسام الحجة؛ تبين لنا انقسام الحجة - على وجه العموم - إلى حجة نقلية تنحصر في القياس، وحجة عقلية اشتملت على جملة من الحجج من بينها الشعر والخطابة، وبالتالي فإن حضور الاستعارة في بناء هذا النوع من الحجج أصبح مشروعا وفي الوقت نفسه مبررا، وذلك لربط ها عند المناطقة في مؤلفاتهم في علم المنطق وفي غيرها كـ"الشعر" و"الخطابة" بوظائف محددة في كل منهما.

وتقدمت معنا – سلفا في هذه الورقة - كون أرسطو هو أول من حدد الاستعارة في الفكر البلاغي الغربي، وظل تصوره للاستعارة مسيطرا لقرون طويلة على المصنفات الغربية التي اختزلت الاستعارة والبلاغة في جزء منها فقط ؛ حيث انقسم اشتغاله عليها بين مجالين ظاهرهما الاختلاف:

البلاغة التي تتخذ من الخطابة موضوعا لها، وتجعل منه وسيلة تستهدف الإقناع، متضمنة بذلك نظرية الحجاج في اتصال مباشر بالمنطق، ونظرية العبارة، ونظرية تركيب الخطاب؛

الشعر الذي يستهدف محاكاة الأفعال الإنسانية النبيلة، والسبب في ذلك ما يسعى إليه الشعر من التطهير للنفوس البشرية؛(عبد العزيز لحويدق، 2015، ص 9 - 10).

إذن؛ على الرغم من كون أرسطو قد تناول الاستعارة في مجالين ظاهرهما الأدب والفن؛ إلا أن ذلك لم يمنع من وجود روابط وامتدادات في علم المنطق، وهو ما تجسده أقسام الحجج العقلية، والتي تقوم على ما يسمى بالمخيلات – بحسب ما سماه الغزالي - ، والتي تعمل على تشبيه الشيء بشيء مستقبح أو مستحسن، لمشاركته في وصف، ليس هو بالضرورة سبب القبح أو الحسن، وهو ما يجعل النفس تميل إلى قبوله أو رفضه. ليصرح الغزالي بذلك قائلا: "وهي المقدمات الشعرية التي ذكرناها، فلا ترى عاقلا ينفك

عن التأثر به، حتى إن المرأة التي يخطبها الرجل إذا ذُكِرَ أن اسمها اسم بعض الهنود، أو السودان المستقبحين، نفر الطبع عنها لقبح الاسم، فَيُقَاوِم هذا الخيال الجمال ويورث محبة ما".(أبو حامد، 1990، ص191).

وهذا التأثير الذي تقوم به الاستعارات في هذا النوع من الحجج الشعرية أو الخطابية، هو ما سماه الأستاذ "عادل مصطفى" في مصنفه "المغالطات المنطقية " بالألفاظ الملقمة؛ حيث تُضَمَّن الألفاظ في سياقات دلالات، فَتُحفز على استحضار معنى بعينه، ويقوم الذهن بالتعويض تلقائيا: " الحافلة أو الباص" عند التلاميذ يستدعى: المتعة، الرفقة والأصدقاء، الراحة والمرح، لكن اللفظ نفسه يستدعى عند الكبار: الرخص، الازدحام، الفقر، الضجيج ...وهكذا تصير اللغة المستحضرة استعارية بشكل منطقي بالنسبة للشخص نفسه، ولكنه في الوقت ذاته تحكمها المغالطات القائمة على تجربة شخصية وذوقية غير عامة.

وما ينبغي التنبه إليه كون اللغات المشحونة أو الملقمة بما هو شخصي ليست بالضرورة كلها مغالطات، وإلا لصارات الكثير من الدراسات، وكل من الأدب والشعر مغالطات. (عادل مصطفي ، 2007، ص 124).لأن المراد في النهاية تسخير الطاقات الانفعالية والخيالية للكلمات في خدمة الحقيقة، والدفع بالمستمع إلى الاقتناع في الخطابة، فنستعمل الاستعارة للحجاج المنطقي، ونستهدف بالشعر أن ينفعل إيجابا أوسلبا، وهي أغراض تقوم بها الاستعارات التي تتميز بالتخييلات المختلفة، وتدفع المرء إلى التفكير المنطقي من وجهة نظرنا. إلا أن ما قدمته الأعمال المؤسسة للمنطق التقليدي تجعل من الاستعارة حبيسة الحجج العقلية، وخاصة الشعر والخطابة، في حين أنها قد تحضر في صور أخرى غيرها، وهو ما قد يؤدي إلى مغالطات كثيرة، وهو ما وضحه بعض المناطقة.

ويصرح الغزالي بهذا الأمر في " معيار العلم في المنطق" عن طريق بيان ضرورة تجنب الاستعارات في البرهان، مع جوازها في غيره قائلا:" والمستعار ينبغي أن يتجنب في البراهين، دون المواعظ، والخطابيات، والشعر، بل هي أبلغ باستعماله فيها".(أبو حامد، 1990، ص 57). لأن الاستعارة في مجال الخطابة تساعدنا على بناء حجاجي منظم، وفي الشعر تحرك النفوس للتفاعل مع الصورة الشعرية، وفي المواعظ تستفيد من الخطابة والشعر معا، أما في القياس والبرهان، فستكون النتائج عكسية تماما، ونحصل على بناء فاسد بين المقدمات والنتائج.

وإذا كان أرسطو يرى بأننا لا نصل إلى نتيجة فاسدة من مقدمات صحيحة، ولكننا نصل إلى نتيجة صحيحة مطابقة للواقع من مقدمات فاسدة. فهذا التصور قد جعل "رينيه ديكارت" يشن هجوما على القياس بالصورة التي يقدمها أرسطو، موضحا ذلك من خلال مقدمات فاسدة تعطي نتائج صحيحة من قبيل ما يلي:

كل إنسان حصان (مقدمة صغرى)

كل حصان عاقل (مقدمة كبرى)

كل إنسان عاقل (نتيجة)

فالملاحظ أن "كل إنسان عاقل" نتيجة صحيحة من حيث الواقع وإن كان لهذه النتيجة استثناءات، لوجود بعض الناس المجانين، ولكننا قد نصل إلى نتيجة صحيحة وإن كانت المقدمتان فاسدتين، (محمد فتحي الشنيطي ، 1969) وهذا ما يؤكد قول الغزالي السابق في امتناع دخول الاستعارة في البرهان والأقيسة.

والشاهد عندنا في القياس السالف الذكر أن عبارة :" كل إنسان حصان" هي مقدمة صغرى مبنية في أصلها على تشبيه بليغ عند علماء البلاغة المتقدمين، وهي استعارة عند كثير من المحدثين والمعاصرين وبعض المتقدمين، والأمر نفسه يتكرر في المقدمة الكبرى: " كل حصان عاقل"، لكونها منتزعة من استعارة: " حصان عاقل"، لكون استعارة التعقل للحصان هو مجاز بنقل صفة إنسانية لحيوان غير عاقل هو الحصان، وهاتان المقدمتان أنتجتا نتيجة صحيحة: كل إنسان عاقل.

إذن؛ يتضح لنا مما تقدم أن الاستعارة في أبواب المنطق حضرت بصور متعددة، سواء تعلق الأمر بشروط المعرفات والحدود بوصفها مدخلا أساسا للتصورات، أو من خلال ما يتعلق بأقسام الحجة عند المناطقة ارتباطا بالتصديقات بوصفها الأساس من إحداث بقية أبواب المنطق، لكن الجامع بين كل ذلك هو حضور الاستعارة من بَوَّابَتَيْ الخطابة والشعر، باعتبار الاستعارة مادة أساسية في بنائهما، وتؤدي وظائف أساسية متباينة فيهما.

إلا أن هذا التصور التقليدي الأرسطي للاستعارة في علاقتها بالقياس؛ رغم كونه ظل صامدا لقرون طويلة، فإنه سيتم تجاوزه مع تقدم الدراسات المنطقية والنقدية واللغوية واللسانية، إلا أن ما يهمنا هنا هو الوقوف على أثر ذلك في الحجاج عند المتكلمين المبدعين على غرار "الجاحظ"، وهو ما سنحاول استكشافه فيما يلي.

2 – القياس والحجاج عند المتكلمين:

بعد التعرف على التصور الذي قدمه لنا المناطقة عن القياس في علاقته بالاستعارة، فإنني سأحاول تتبع بعض خصائص البناء الحجاجي عند المتكلمين في علاقته بالقياس عموما، والاستعارة التي تُبنى على القياس المنطقي على ما تم إيضاحه سلفا في الأسطر السابقة، تمهيدا للاشتغال على كتاب البخلاء من زاوية رصد بعض تجليات الفكر الاعتزالي في الكتاب من جهة، وأبعاد توظيف الاستعارات القائمة على القياس المنطقي من جهة ثانية.

2 – 1) حجية القياس عند المعتزلة:

إن تأثر المتكلمين بالأدوات والتقنيات المنطقية ومناهج اشتغال الفلاسفة لم يكن سطحيا، بل كان قائما على نوع من الوعي والإلمام بالأبواب المندرجة تحت كل فن من فنون الجدل والمناظرة والمنطق، فيتصل بصورة وطيدة بما تم نقله في كتب الفلسفة المترجمة عن اليونانية إلى العربية، ليتجاوز ذلك مسألة استعارة أدوات الاستدلال إلى جعلها محط نظر ونقاش، وهو ما تعرض له القياس في البيئة المعتزلية.

وبناء على ذلك؛ فالجدير بالذكر أن القياس على صورته المنطقية الصرفة لا يشكل نزاعا عند عموم المتكلمين المعتزلة،وذلك لعلو سقف الحرية الفكرية عندهم وتحرر العقل، إلا أن ذلك لم يمنع من تعدد مذاهبهم داخل المدرستين الكبيرتين ببغداد والبصرة، الشيء الذي أسفر عن تعدد في وجهات النظر في العديد من القضايا، رغم اتفاقهم في الأصول الخمسة المعروفة عندهم: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفي ظل هذا المناخ المتصف بحرية الفكر؛ تحول القياس إلى مضمار للصراع والجدل الكلامي، واختلفت الفرق المعتزلية في حجيته، ليعده بعضهم مصدرا من مصادر التشريع وأنكره بعضم الآخر. (محمد سيدي محمد أحمد ، 2020، ص 1358) ورغم الاختلاف بينهم حول القياس إلا أن هذه المواقف في مجملها كانت متأثرة بالأصول اليونانية للفكر الفلسفي، وما سطره أرسطو حول القياس.

وبالتركيز على النافين للقياس على غرار "إبراهيم النَّظام" و"جعفر بن حرب" و"جعفر بن مبشر" و"محمد بن عبدالله الإسكافي" وغيرهم؛ فإنهم يؤكدون على منع التعبد بالقياس عقلا وشرعا، ليعتقد "النَّظام" أن الأمة كلها يجوز عليها الخطأ، ويدخل عليها هذا الخطأ من جهة القياس والرأي. وهو رأي قائم بذاته على القياس، نوضحه كما يلي:

كل الأمة يجوز عليها الخطأ؛

الْعَالِمُ من الأمة؛

الْعَالِمُ يخطئ؛

فالنظام وفئة المعتزلة النافية للقياس؛ قد انطلق من قياس ضمني هو نفسه مُستبطنٌ عندهم، وحجة عقلية أخرى أساسها أن القياس لا ينسجم مع معطيات العقل، إذ العقل يقتضي التسوية بين المتماثلات في الأحكام، والتفريق بين المختلفات، لكن الشرع أباح النظر إلى شعر الأمة الحسناء، وحظر النظر إلى شعر الحرة الشوهاء، كما جمع بين المختلفات كجواز الطهارة بالماء والتراب، وهو أمر ينافي جوهر القياس القائم على إلحاق الفراع بالأصل لاجتماعهما في علة. لذا لا يمكن قبول القياس في الشرع لأنه يناقضه.

وفي مقابل هذا الموقف الذي تزعمه "النَّظام" وقلة من المعتزلة؛ فإن جمهور المعتزلة يعتبرونه حجة ومصدرا من مصادر الاستدلال والتشريع، حتى جعله "القاضي عبد الجبار" هو المقصود بطلب العلم، ورد على من ينكر القياس محتجا بكونه يجوز أن يكون من أدلة الدين، ولو كان من فعل المكلف. وهذا الاستدلال فيه عدة أمور، ما يهمنا منها كونه يرد على المنكرين معتمدا في كل ذلك على القياس:

العبادة من فعل المكلف

الاجتهاد في الدين عبادة

القياس من الاجتهاد

الاجتهاد عبادة

إذن القياس من الدين

هكذا ستمتد المؤثرات العقدية لملاحقة القياس في أبواب الفقه والأصول؛ حيث ظهرت الخلافات السابقة في حجية القياس وجواز الاستدلال به في عدة مسائل وأبواب في علم الأصول منها: (علي بن عبد العزيز المطرودي ، 2017، ص 1340).

- ✓ أثر الفرق في الاحتجاج بالقياس في صيغة الأمر؛
- ✓ أثر الفرق في الاحتجاج بالقياس في صيغة الأمر المطلق على الوجوب؛
- ✓ أثر الفرق في الاحتجاج بالقياس في صيغة الأمر المطلق على الفور؛
- ✓ أثر الفرق في الاحتجاج بالقياس في صيغة الأمر على التكرار؛
- ✓ أثر الفرق في الاحتجاج بالقياس في دلالة العموم على أفراده؛
- ✓ أثر الفرق في الاحتجاج بالقياس في دخول النساء في الخطاب الذي ظهرت فيه علامة التذكير؛
- ✓ أثر الفرق في الاحتجاج بالقياس في اقتضاء النهي المطلق للفور والتكرار؛

ومن هنا؛ لا يمكننا الفصل بين المؤثرات العقدية للمتكلم المعتزلي من جهة، وبين المؤثرات الفلسفية التي وصلت إلى حد التماهي مع بعضها البعض، لما بينهما من الانسجام الذي قد يصل إلى درجة التطابق أحيانا، وهو أمر يمكن تلمسه في تصورهم للقياس في علاقته ببنائهم الحجاجي في المعتقدات أصالة، وفي الأحكام الفرعية والمناظرات تبعا.

حتى إن القياس دخل في التأسيس للأصول الخمسة: (عبد الوهاب أحمد خليل ، 2018، ص 49 - 50).

- ✓ التوحيد نفي للصفات تجنبا للمشابهة بين الخالق والمخلوق؛

- ✓ العدل يقتضي عدم خلق الله لأفعال العباد تنزيها له عن الجور والظلم، لأنه تعالى يقوم بالأصلح لعباده، وكل أحكامه دائرة على التحسين والتقبيح؛
- ✓ الوعد والوعيد يقضي بوجوب فعل الله تعالى لما وعد به أو توعد عليه، وإلا لزم إخلاف الوعد والكذب، ليترتب عن ذلك قياسا كون مرتكب الكبير كافر مخلد في النار، وأنكروا الشفاعة؛
- ✓ المنزلة بين المنزلتين فالعاصي لا يستحق اسم الإيمان لما في ذلك من التشريف، كما لا يستحق أن يطلق عليه الكفر لعدم جريان أحكامها عليه؛
- ✓ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قائم على كون المنكر بابا واحدا يجب النهي عن جميعه لقبحه؛

وحضور القياس في صورته القائمة على المشابهة، أو الشبه المستبطن استعاريا؛ هو أمر كان حاضرا في أصول المتكلم المعتزلي العقدية، كما كان حاضرا في مواقفهم من القياس نفسه في أبواب الأصول والأحكام الفرعية الفقهية، وحضر عند المتكلمين في إبداعاتهم الأدبية المختلفة، وهو ما سنراه في الأسطر الموالية مع "أبي عثمان الجاحظ"، من خلال رصد بعض تجليات الاستعارة المبنية على الأقيسة في كتاب "البخلاء".

2 – 2) الاستعارة والبعد المنطقي للقياس في كتاب "البخلاء" للجاحظ:

إن الدارسين لكتاب البخلاء لا يختلفون في القيمة الفنية والأدبية لهذا المصنف، كما لا يختلف أحدهم حول الدور الذي لعبه الجاحظ في إرساء قواعد الكتابة الأدبية النثرية وتطويرها خلال الفترة العباسية، إلا أن تناولهم لشخصيته ومصنفاته عرفت اختلافا في زوايا النظر ومناهجها؛ حيث سنكتفي – نحن بدورنا - بتسلط الضوء عليه من خلال التقاطعات التي تجمع بين آثر معتقداته المتصلة بعلم الكلام، وبصماتها في إحدى إنتاجاته الأدبية بشكل موجز.

وأول ما نفتتح به هذا الأمر كون الجاحظ من خلال كتابه "البخلاء" قد اشتغل على عملية التنميط نظريا وتطبيقيا في الوقت ذاته، لكونه يسطر لنا السمات المميزة للبخيل، وفي المقابل يصور لنا مظاهر وعلامات الكرم عند العرب، فجمع في معجم الكتاب بين حقلين أساسيين، ومتناقضين في الوقت نفسه، وهو ما نستشفه من أول قصة في مصنفه، من خلال رسالة سهل بن هارون إلى بني عمه من آل زياد عند ذمهم إياه في البخل؛ حيث حضرت جملة من التعابير والمفردات الدالة على حقلي البخل في مقابل الكرم: (أبو عثمان الجاحظ ، البخلاء، ص 9).

ما يدل على البخل	ما يدل على الكرم
الموجود الرخيص _ الممتنع – التوفير – كيس	النعمة – أطيب لطعمه – فاكهة نفيسة – رُطبة

فارغ – ختم على لا شيء – الترقيع من الحزم – التفرق مع التضييع – رقاع – أحيا بالسم – أحيا بالغذاء – أغص بالماء – قتل بالدواء – ترقيع الثوب – أكل بيضة – حق مضيع ...	غريبة – ثمين الملبوس – أطعم كلبه الدجاج – أعلف حماره السمسم - طلحة الفياض – الإنفاق ...

ليستغل "سهل بن هارون" التضاد في الحقول المشكلة للمعجم لإجراء التقابلات والأقيسة وانتزاع الاستعارات، كما هو الحال في استعارته لقولة عمر رضي الله عنه، ليقيس حاله فيما رُمِي به من البخل على حال أبي حفص الخليفة الثاني حين قال لأهله:" املكوا العجين، فإنه أرْبع الطحينين"، لينفي عن نفسه التهمة حين قال لخادمه يوصيها بما يجب عليها الالتزام به عند العجين: "أجيدي عَجْنه خميراً كما أجدته فطيراً، ليكون أطيبَ لطعمه وأزيدَ في ريعه". (أبو عثمان الجاحظ ، البخلاء، ص 10).بل ستتكرر هذا الأقيسة والاستدلالات وفق صورة نمطية في رسالته بنماذج متعددة في رسالة"سهل بن هارون"، ليتحول الأمر من دفاع عن النفس ضد تهمة البخل من قبل العشيرة، إلى عملية بناء حجاجي قائم على استعارة نماذج لها قيمتها الدينية والتاريخية في نفوس المخاطبين، على ما يوضحه الجدول أسفله:

الواقعة الحقيقية	الشاهد المستعار والمقيس عليه
عبتم علي قولي: من يتعرف مواقع السرف في الموجود الرخيص، لم يعرف مواقع الاقتصاد في الممتنع الغالي	قال الحسن عند ذكر السرف: إنه ليكون في الماعونين: الماء والكلأ، فلم يرض بذلك في الماء، حتى أردفه بالكلأ.
وعبتموني حين قلت للغلام: إذا زدت في المرق فزد في الإنضاج، لتجمع بين التأدم باللحم والمرق.	وقد قال ﷺ: إذا طبختم لحما فزيدوا في الماء، فإن لم يصب أحدكم لحما أصاب مرقا.
وعبتموني ، بخصف النعال وبتصدير القميص، وحين زعمت أن المخصوف أبقى وأوطأ وأوقى، وأنفى للكبر وأشبه بالنسك وأن الترقيع من الحزم.	وقد كان النبي ﷺ يخصف نعله ويرقع ثوبه ويلطع إصبعه، ويقول: لو أتيت بذراع لأكلتها، ولو دعيت إلى كراع لأجبت.

ومسألة التنميط المشار إليها في كتاب "البخلاء"؛ لاتحضر فقط في أفراد القصص والمواقف، بل من خلال انتقاء رموز للكرم في بابه ضمنا في ثنايا القصص، واستحضار أخرى هي علامة على البخل لا نزاع أو ريب فيها، وهو ما تحيل عليه شخصيات في البخل من قبيل: سهل بن هارون / زبيدة بن حميد

الصيرافي / ليلى الناعطية / أحمد بن خلف اليزيدي / خالد بن يزيد مولى المهالبة / أبي جعفر الطرطوسي / أبو محمد الخزامي / الكندي / أسد بن جاني، وغيرهم كثير. حتى يمكننا الربط بين كل شخصية بسمة دالة على البخل والبخيل، كما هو موضح أسفله:

سهل بن هارون	←	الدفاع عن البخل بالحجج والأقيسة
زبيدة بن حميد	←	مطل الناس عند قضاء الدين
ليلى الناعطية	←	ترقيع الرقع
أحمد بن خلف	←	الفرار من استقبال الضيوف
خالد بن يزيد	←	البخل والتكدية في المال
أبي جعفر الطرطوسي	←	البخل على الذات
أبو محمد الخزامي	←	ذم لباس الجيد من الثياب
الكندي	←	ادعاء وحم الزوجة بغرض استجلاب الطعام
أسد بن جاني	←	التقشف في السرير

وهذه السمات أو الاستلزامات التي أصبحت لصيقة بتلك الشخصيات، تحيلنا على نمط عام محيل على البخل وما يدور في فلكه، حتى إنه يمكننا من خلال حضور سمات صغرى: / + الدفاع عن البخل / - / + مطل الناس / - /+ترقيع الرقع / - / + الفرار من استقبال الضيوف / - / + البخل على الذات / - / + ذم لباس الجيد من الثياب / -/ + استغلال الغير / - / + ترقيع الرقع / ، نستنتجة وجود سمة كبرى / + بخل/ في مقابل انتفاء سمة كبرى مقابلة / - بخل/، لتتم عملية إجراء للقياس بشكل تلقائي ذهنيا:

كل من يستغل وحم زوجته لاستجلاب الطعام فهو بخيل

هذا الرجل يستغل وحم زوجته لاستجلاب الطعام

إذن هذا الرجل بخيل

وكل السمات الصغرى يمكن القياس عليها بالطريقة نفسها، وهي في الوقت ذاته أصبحت تمثل نمطا عاما لصورة نموذجية عن شخصية البخيل من جهة، وفي الوقت نفسه هي مدخل طبيعي للاستعارات عند اللسانيين المعرفيين فيما بعد.

هكذا فقد اتخذ المدخل المعجمي لمفهوم البخل بعدا ذا حمولة سيميائية، انعكست كما رأينا من خلال المرادفات والأضداد المرتبطة بالكرم، ليجعل من النقيض دليلا على إثبات العكس لما يضاده من دلالة، (عبد الهادي بن ظافر الشهري ، 2007، ص 5). إضافة إلى البنية الحجاجية في رسائل البخلاء أنفسهم، مع إقحام الوسائل البلاغية في صيرورة الاستدلال باستدعاء تقابلات قائمة على سلمية وأقيسة، يستشهد بها المتصف بالبخل، قصد تبرير ما هو عليه من ذميم الفعل، وقبح الطوية والنية، مستحضرا في ذلك نماذج بشرية، وأدلة شرعية، إذا ما تأملها العاقل وجدها محمولة على غير مَنَاطِهَا.

كما لا يفوتنا في هذا المقام التنويه بجهد الجاحظ "في البخلاء"، وقدرته على استثمار ظاهرة اجتماعية بأسلوب تهكمي لبق، يُشِيدُ من خلالها بجود العرب وكرمهم، (جمل جبر ، الجاحظ حياته، ص 9) وهو في الوقت نفسه يرد – ضمنا – على بعض الحركات المنتشرة فكريا واجتماعيا في عصره كالشعوبية، والتي كان همها التطاول على القيم الاجتماعية والأخلاقية العربية، حتى تشبعت كتاباتهم بذلك شعرا ونثرا، فكان هذا النوع من الكتابات بمثابة حجاج يرد على شبهاتهم باستعمال نظائرها من الأدوات والمناهج المستحدثة في علم الكلام.

خاتمة:

وفي الختام؛ نخلص إلى كون حركات الفكر الكلامية قد كانت نتاجا لذلك الانفتاح الثقافي المعرفي الذي شهدته البلاد العربية إبان حركة الترجمة التي عرفتها الخلافة الإسلامية أواخر الفترة الأموية وبداية ترسيخ دعائم الخلافة العباسية في تلك المرحلة؛ حيث كان للفلسفة والمنطق والجدل حظها الأوفر من هذه الحركة الترجمية، فكانت هذه المكونات الثلاثة بمثابة الوقود الذي غدى المذاهب الكلامية عموما، والفكر المعتزلي على وجه الخصوص في كل ممارساته النظرية والتطبيقية، ليمتد سلطان الاعتزال إلى مجال الأدب، ويمثله أعلام تركوا بصمات لا يمكن محوها في تاريخ الأدب العربي على غرار "أبي عثمان الجاحظ".

وقد ركزنا خلال هذا المقال على جانب من جوانب حضور شخصية المتكلم المعتزلي التي جسدها الجاحظ في مجال الأدب من خلال كتاب "البخلاء"، بتسليطنا للضوء على آلية من آليات الحجاج التي كان لها وقعها في مجالات كثيرة كالفقه وعلم الأصول والتفسير، بالإضافة علوم اللغة والنحو والبلاغة، وهي آلية القياس التي لم تترك مجالا إلا غزته وغذته، لما لها من قوة حجاجية تُمكن مستعملها من إفحام الخصوم عن طريق جرهم إلى الاعتراف بالمناسبات والتقاطعات ومواطن الشبه، وهو ما حاولنا رصده في بعض صفحات المصنف محور الاشتغال آنفا.

هكذا لم يكن فكر الجاحظ الاعتزالي ومذهبه العقدي بمنءً عن عمله في مجالي البلاغة والإبداع الأدبي، وهو أمر واضح في جل مصنفاته. وقد جسدته تلك القياسات القائمة على التناسب في كتابه "البخلاء"، بوصفها استعارات بحسب التصور الأرسطي القديم، والتي تلقفها المتكلمون واعتمدوها في جل خطاباتهم ومواقفهم المختلفة، وما نقل عنهم في مصنفاتهم التي تركزا آثارهم بها.

وتكمن أهمية التنبه لمثل هذه الممارسات في الكشف عن درجة تشبع الأعلام بفكر المذهب الكلامي الذي يمثله، أو نقل عنه أنه يدافع وينافح عنه صراحة أو ضمنا، وهو ما كان حاضرا في حالة "أبي عثمان الجاحظ" الذي نقل فكره العقدي إلى ممارسة أدبية، لتكتسب الواجهات الأدبية المختلفة سمات المذهب الكلامي، ولتتحول إلى ميدان لتصارع الأفكار، و أداة في الوقت نفسه للحجاج والدفاع عن المعتقد.

وقد خلصنا في نهاية هذا البحث إلى جملة من النتائج نوجزها فيما يلي:

- ✓ الفكر المعتزلي هو من أكثر المذاهب الكلامية استبطانا لقوانين الجدل والمنطق والفلسفة؛
- ✓ الاستعارة القائمة على القياس المنطقي من جملة الأدوات التي ساهمت في تغدية الفكر المعتزلي؛
- ✓ استثمار الأدباء المعتزلة للقياس المنطقي في مصنفاتهم الأدبية على غرار الجاحظ في كتاب "البخلاء"؛
- ✓ استحالة الفصل بين حياة الأعلام الأدبية وفكره ومعتقده؛

حيث تجرنا هذه النتائج إلى اعتماد جملة من التوصيات أبرزها:

- ✓ ضرورة التعرف على ترجمة الأعلام بوصفها عتبات موازية تساعد على فهم ما سطروه في كتبهم؛
- ✓ التركيز على الجوانب الفكرية والعقدية والمذهبية للمصنفين؛ لما لها من أثر بالغ حال تحليل كتاباتهم؛
- ✓ تخصيص أعداد وورشات تكوينية من خلالها تتم عملية تمهير الباحثين على عملية تتبع ملامح وآثار المشارب الفكرية في مؤلفات الأدباء والنقاد؛

وعموما؛ لقد شكل "أبو عثمان الجاحظ" علامة بارزة وقمة شامخة في سماء البلاغة والأدب العربيين، سطر من خلالها مصنفات خلد من خلالها اسمه في التاريخ، ولكنه من حيث لا يدري مثل لنا ذلك المعتزلي الأديب الذي استطاع بحذقه وصنعته أن يستثمر مستجدات عصره في نصرة مذهبه الكلامي من جهة، وأن يطور من تقنياته الإبداعية من جهة أخرى.

المراجع والمصادر العربية:

- عبد الهادي بن ظافر الشهري، (2007).استراتيجيات الخطاب:مقاربة لغوية تداولية، ط1 لدار الكتاب الجديد المتحدة –بيروت.
- أرسطو، طاليس، (1989). الخطابة، حققه وعلق عليه عبد الرحمن بدوي، طبعة دار القلم بيروت – لبنان.
- محمد محفوظ بن الشيخ فحف، (2001). رفع الأعلام على سلم الأخضري وتوشيح عبد السلام في المنطق، ط 1 لدار المشرق بيروت.
- عبد الرحمن الأخضري، شرح السلم المنورق في علم المنطق، تح، وتقديم وتعليق:أبو بكر بلقاسم ضيف، طبعة دار ابن حزم.
- أرسطو، طاليس، (1989)" فن الشعر"، ترجمة وتقديم وتعليق د. إبراهيم حمادة، ط 1 القاهرة، مكتبة الأنجلو.
- محمد، الولي، (2020). الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، تقديم مصطفى رجوان،ط 1 لدار كنوز المعرفة.
- أبو عثمان الجاحظ، البخلاء، تحقيق وتعليق طه الحاجرى، ط 5 لدار المعارف – القاهرة.
- جميل جبر، (2008). الجاحظ في حياته وأدبه وفكره، طبعة دار الكتاب اللبناني.
- محمد سيدي محمد أحمد، (2020). القياس بين القبول والرفض عند المعتزلة، مجلة كلية الآداب للإنسانيات والعلوم الاجتماعية، مج 12، عدد 2 يوليو.
- عبد الوهاب أحمد خليل، (2018). القياس عند المعتزلة دراسة وتقويما، محاكم، عددالثاني: 1 يناير.
- عادل مصطفي، (2007). المغالطات المنطقية(طبيعتنا الثانية وخبزنا اليومي): فصول في المنطق الصوري "، ط 1 للمجلس الأعلى للثقافة.
- محمد فتحي الشنيطي ، (1969). "المنطق ومناهج البحث"، طبعة دار الطلبة العرب ببيروت.
- أبي حامد الغزالي، (1990). معيار العلم في المنطق ، شرحه أحمد شمس الدين، الطبعة الأولى لدار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان.
- عبد العزيز لحويدق،(2015).نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية: من أرسطو إلى لايكوف ومارك جونسون، ط1 لدار كنوز المعرفة.

المراجع الأجنبية:

- H. Conrad, (1934). Etude sur la Métaphore, Mauris Lavergne, paris.
- Jaques DERRIDA, (1972).La mythologie blanche, , in Marge de la philosophie, collection « critique » Edition de Minuit, paris.

دور القوى الدولية والإقليمية في عدم الاستقرار السياسي في افغانستان

د.وداد حماد مخلف الفهداوي
جامعة الانبار/كلية التربية للبنات
werty.2000@yahoo.com
009647836444882

الملخص :

تعرضت أفغانستان الى العديد من الحروب والاضطرابات السياسية والعسكرية الداخلية والخارجية، بحكم موقعها الجغرافي بين أسيا الوسطى وشبه القارة الهندية والشرق الاوسط، إذ تشهد منذ ثمانينيات القرن الماضي حروب مختلفة الابعاد والاتجاهات، سواء كانت حروب ذات أبعاد اقتصادية أو دينية أو حروب بالوكالة مثلما فعلت الولايات المتحدة الامريكية عندما زودت المقاتلين الافغان بالأسلحة والدعم الغير مشروط خلال حربهم ضد الاتحاد السوفيتي، والتي انتهت بانسحاب السوفييت من أفغانستان، وكانت هذه الضربة القاضية التي أدت الى تفكك الاتحاد السوفيتي الى عدة دول، وهذا ما سعت اليه الولايات المتحدة الامريكية من خلال دعمها للأفغان أبان أيام الحرب، لكن منذ ذلك الوقت وإلى يومنا هذا لم تنعم أفغانستان بالعيش الرغيد بدأً بوصول حركة طالبان إلى الحكم وخصوصاً في أواخر أيام حكمها، ومروراً بأحداث الحادي عشر من سبتمبر التي أُتهمت جهات تتخذ من أفغانستان مقراً لها، وانتهاءً بالغزو الامريكي عام (2001) وصولاً إلى الصراعات المتعددة اليوم حول هذه المنطقة الغنية بالرواسب المعدنية والموقع الجغرافي المميز.

الكلمات المفتاحية : القوى الدولية , القوى الإقليمية , أفغانستان , الاستقرار الأمني , الاستراتيجية .

The role of international powers in political instability in Afghanistan

PHD. Wedad Hammad Mukhlef
Anbar University/College of Education for Girls

Abstract:

Afghanistan has been subjected to many wars and political and military unrest, internal and external, because of its geographical location between Central Asia and the Indian subcontinent and the Middle East, where it has been experiencing wars of various dimensions and trends, whether wars of economic dimensions, religious or proxy wars as the United States did When it supplied the Taliban with weapons and unconditional support during their war against the Soviet Union, which ended with the withdrawal of the Soviets from Afghanistan, this was a fatal blow that led to the disintegration of the Soviet Union to several countries, and this is what sought to The United States through its support for the Afghans during the war, but since then to this day Afghanistan has not enjoyed a good living from the arrival of the Taliban, especially in the late days of its rule, and through the events of September 11, adopted by the parties based in Afghanistan, From the US invasion in 2001 to the many conflicts today over this region rich in mineral deposits and geographical location.

Keywords: international powers, regional powers, Afghanistan, security stability, strategy

المقدمة :

تاريخيًا، لعبت القوى الدولية دورًا هامًا في عدم الاستقرار السياسي في أفغانستان، وهذا يمكن تتبعه إلى فترة ما بعد الحرب الباردة والأحداث الهامة التي شهدتها البلاد. من المهم أن نلاحظ أن الوضع قد يكون تغير منذ تاريخ القطع في المعرفة في سبتمبر 2021. وهنا يمكن تلخيص اهم الامور الرئيسية التي اثرتفي عدم الاستقرار السياسي منها ان الاحتلال السوفيتي خلال الحرب الباردة، اجتاح أفغانستان عام 1979. حيث تشكلت مجموعات مقاومة، ، وتلقوا دعمًا من قبل الولايات المتحدة ودول أخرى، مما أدى إلى تصاعد الصراع وعدم الاستقرار.

كما ان دور باكستان والمخابرات الأمريكية لعبت دورًا مهمًا في تشكيل الأحداث في أفغانستان. اذ قدمت باكستان دعمًا للمقاتلين المجاهدين ومساعدتهم في مواجهة القوات السوفيتية. كانت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (CIA) معنية أيضًا بتقديم دعم لهؤلاء المقاتلين. كما ان انسحاب السوفييت والحكومة الشيوعية الأفغانية من أفغانستان في عام 1989 أدى هذا الانسحاب إلى انهيار الحكومة الشيوعية الأفغانية المدعومة من السوفيت الى جانب ان الحكم الطالباني استولى على الحكم في أفغانستان في منتصف التسعينات. وتلقى النظام الطالباني الدعم من جماعات دولية وإقليمية تسببت في نشوب نزاعات داخلية وانقسامات أفغانية, كما ان هجمات سبتمبر 11 والتدخل الدولي بعد هجمات 11 سبتمبر 2001، أدى بشكل مباشر الى عدم الاستقرار في البلاد.

يقوم هذا البحث على مبحثين، إذ يتضمن المبحث الاول الاهمية الإستراتيجية لأفغانستان أما المبحث الثاني فيتضمن الصراعات الداخلية والخارجية والاقليميةالتي سببت عدم الاستقرار في أفغانستان،والتي تمثلت بالتدخل العسكري لكل من الاتحاد السوفيتي، والولايات المتحدة الامريكية، فضلاً عن المشاكل الاقليمية والتي تمثلت في كل من باكستان، وايران، ومن ثم التطرق الى الصراع الداخلي بين حركة طالبان والقاعدة والحكومة الافغانية واختتم البحث ببعضالاستنتاجات والتوصيات والمصادر الخاصة بالبحث.

مشكلة البحث : تتمثل مشكلة البحث بالأسباب والدوافع التي اتخذتها الدول المختلفة لغزو أفغانستان عسكرياً باستخدام القوة الصلبة أو التمدد باستخدام القوة الناعمة عن طريق العلاقات السياسية والاقتصادية أو الايدولوجية الدينية التي سببت مشكلة عدم الاستقرار.

أهمية البحث : تبرز أهمية البحث في دراسة واحدة من المشكلات السياسية الكبيرة ذات العمق التاريخي البعيد والاستمرار الى الوقت الحاضر، فضلا عن أن البحث يدرس دولة تقع في وسط منطقة اقليمية ساخنة وذات أهمية دولية كبيرة.

هدف البحث : التعرف على الاسباب التي دفعت الدول المختلفة لاحتلال أفغانستان وإنفاق ميزانيات ضخمة وكبيرة تفوق قوة حجم المنافس التي هي عبارة عن دولة ضعيفة ومتخلفة وتفتقر إلى أبسط مقومات التطور.

حدود البحث : المكانية تمثلت بدولة أفغانستان التي تقع بين دوائر العرض (28,24 – 38,27) شمالاوبين خطي طول (60-74)شرقا

فرضية البحث :هناك العديد من الاسباب التي دفعت الدول المختلفة لغزو أفغانستان عسكرياً أو طمعاً بالثروات الاقتصادية أو لموقعها الجغرافي أو لأبعاد دينية.

منهجية البحث : تم استخدام المنهج الوصفي ومنهج تحليل النظم العالمي لاستخراج نتائج البحث

المحور الاول : الأهمية الإستراتيجيةلأفغانستان

لعب الموقع الجغرافي دوراً مهماً في تاريخ كثير من الامم، إذ كان العنصر الاساسي المحدد لمصير كثير من الدول، ومن هذه الدول أفغانستان التي كان لموقعها أثراً مهماً في تاريخها السياسي، ومن خلال موقعها تعاظمت أهميتها طوال مراحل مختلفة من التاريخ كونها تقع في قلب العالم القديم الذي تحدث عنه علماء الستراتيجية عبر العصور الماضية، ونتيجة لذلك فإن الصراع حول منطقة القلب على مدى سنوات بعيدة وحتى يومنا هذه والذي كانت أفغانستان أحد مكوناته أو على مقربه منه، إذ شغلت أفغانستان منذ ما يقارب (2500 سنة) مركزاً حضارياً لكثير من الامبراطوريات القديمة(Dabbazi, 2014, 33).

1 – الموقع الجغرافي وأهميته بالنسبة لأفغانستان

تقع أفغانستان في قلب قارة أسيا، تحيط بها اليابسة من جميع الجهات، وهي بعيدة عن البحر لذلك تقع ضمن تصنيف الدول الحبيسة التي لا تمتلك منفذ مائي، يحدها من الشمال الجمهوريات التابعة للاتحاد السوفياتي السابق، ومن الجنوب والشرق مناطق باكستان وبشتوستان، ويحدها من الغرب ايران، وتمتلك حدود مشتركة مع الصين وعاصمتها كابل، يبلغ طول حدودها (652221 كم) ويغلب على سطحها الطابع الجبلي ذو التضاريس المعقدة(Bader, 1998, 5). ينظر خريطة (1).

تمثل أفغانستان بوابة وسط أسيا لذلك كانت مطمعاً لكثير من الدول الاخرى لأنها منطقة الوصول الى وسط أسيا، فهي دولة تقع في العمق الغربي لقارة أسيا وهو ما ينعكس على استقلاليتها، فضلاً عن التحرك الداخلي والخارجي التي غالباً ما تتأثر بسياسات الدول المجاورة مثل ايران وباكستان والاتحاد السوفياتي، وان موقع أفغانستان أهلها لتحتل مكانة مهمة من الناحية التاريخية والجغرافية بالنسبة للدول المجاورة لها، فمن الناحية الجغرافية هي دولة حبيسة وإن أقرب منفذ مائي لها هو ميناء (كراتشي) الذي يبتعد عنها بمقدار(750 كم)، أما من الناحية التاريخية فإن الشعب الافغاني شعب صعب جداً ولا يمكن السيطرة عليه بسهولة؛ بسبب النظام القبلي الذي يرفض السلطة المركزية سواء كانت من الداخل أو الخارج (Abdel-Talib, 2009, 16) .

إن موقع أفغانستان وسط أسيا جعلها تتمتع بأهمية كبيرة، فعلى أرضها تتقاطع الاهداف والنوايا الكبرى، لذا أصبحت من المناطق الساخنة في العالم التي لم تذق طع الاستقرار منذ فترةٍ طويلة، فقد أحتلت بريطانيا أفغانستان بحجة حماية حدود الهند الشمالية الغربية من الغزو الروسي أبان القرن التاسع عشر، إذ كانت محور الصراع الستراتيجي بين بريطانيا الموجودة في الهند وروسيا القيصرية على مناطق النفوذ إذ شكلت منطقة حاجزة بين الانكليز والروس(Dabbazi, 2014, 35) .

خريطة (1) موقع أفغانستان بالنسبة للدول المجاورة لها

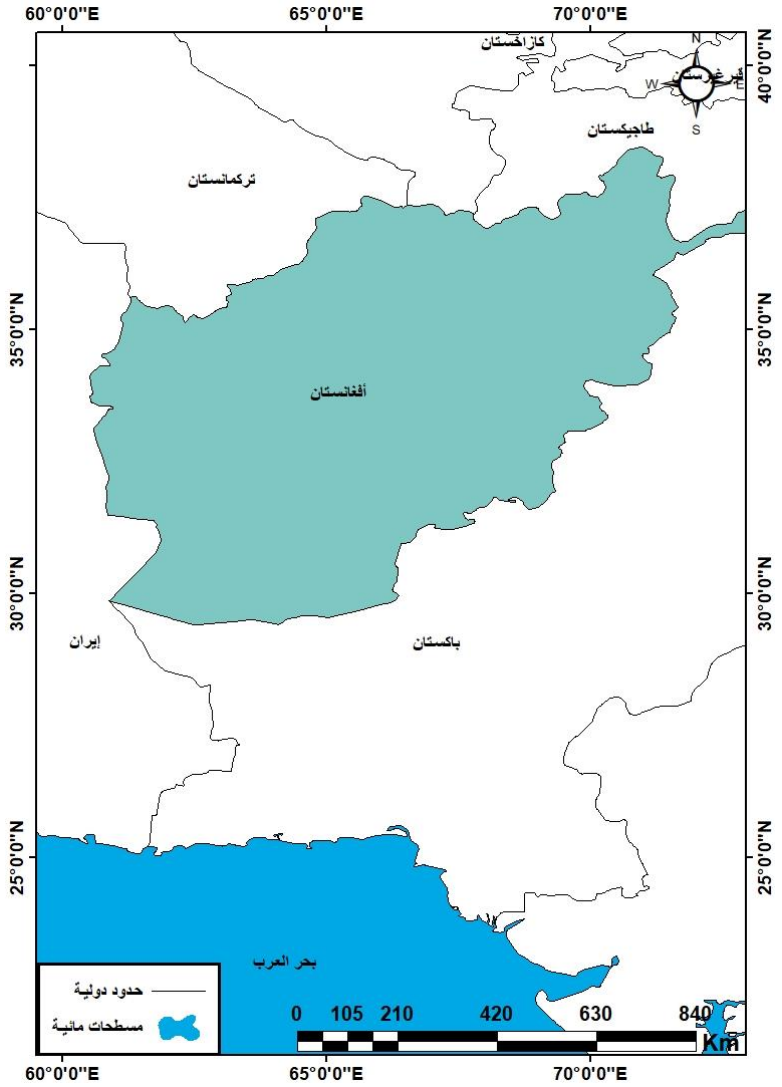

المصدر : ابراهيم عبد الطالب، الغزو الاجنبي لأفغانستان في القرون الثلاثة الاخيرة، ط1، دار غيداء، الاردن، 2009، ص7.

اصبح لموقع أفغانستان أهمية استراتيجية وسياسية كبيرة في الإقليم خاصة بعد عام 1979 حيث اثرت قيام الثورة الإيرانية على الديناميات الجيوبوليتيكية في المنطقة بطرق متعددة منها :

1. **تدفق اللاجئين:** بسبب الاضطرابات والتغييرات الجذرية التي شهدتها إيران بعد الثورة، هرب العديد من الإيرانيين والأفغان إلى أفغانستان والبلدان المجاورة كلاجئين. هذا التدفق البشري أثر على البنية السكانية والاقتصادية لأفغانستان.
2. **التأثير الديني والثقافي:** الثورة الإيرانية كان لها تأثير كبير على الدين والثقافة في المنطقة، وهذا التأثير انعكس على أفغانستان وأنحاء أخرى. تزايد التوجهات الدينية والمذهبية في المنطقة قد تسبب في تعقيد الوضع السياسي والأمني.

3. **العلاقات الثنائية:** تطورت العلاقات بين إيران وأفغانستان بشكل متقلب بعد الثورة. تأثرت هذه العلاقات بعوامل مثل الأيديولوجيا والتدخلات والتوترات الإقليمية. قد تشمل هذه العلاقات التعاون الاقتصادي والسياسي والأمني، وأحياناً التصاعد في التوترات والتصعيد.
4. **التنافس الإقليمي:** التأثير الإيراني في المنطقة بعد الثورة، وخاصةً في القضايا الدينية والسياسية، قد أدى إلى تصاعد التنافس الإقليمي بين إيران والدول الأخرى مثل السعودية والإمارات وباكستان والهند. أفغانستان كانت واحدة من المناطق التي تعكف هذه الدول على التأثير فيها بمختلف الطرق.
5. **النزاعات الإقليمية:** موقع أفغانستان كممر هام يربط بين إيران وجمهوريات آسيا الوسطى وجنوب آسيا. تلك المنطقة تشهد توترات وصراعات منذ عقود، وتأثرت أفغانستان بتلك النزاعات المعقدة.، إذ أصبحت أفغانستان ذاك البلد الهام في المنطقة أكثر ضعفاً من جميع البلاد المحيطة به(Rubin, 2016).

من خلال ما سبق نلاحظ أن لموقع أفغانستان الإستراتيجي أثراً كبيراً على عدم الاستقرار الداخلي وتحديد سياستها الاقليمية والدولية، إذ تعرضت العصور الزمنية السابقة والمعاصرة الى حملات هوجاء لا تزال تعاني من أثارها الى الان من قبل دول مختلفة طمعا بالسيطرة على موقعها والثروات التي تحويها.

2 – الثروات الطبيعية

كانت ولا زالت الثروات الطبيعية أحد أهم الاسباب التي اتخذتها الدول الاستعمارية للتوسع على حساب الدول الاخرى، خصوصاً بعد الثورة الصناعية التي حدثت في أوربا والتي دفعت أغلب بلدان أوربا للبحث عن مستعمرات خارجية في أسيا وأفريقيا لسد حاجتها من المواد الاولية واتخاذ هذه المستعمرات سوقا لتصريف منتجاتها.أفغانستان تمتلك مجموعة متنوعة من الثروات الطبيعية، بما في ذلك الموارد المعدنية والطاقة والموارد المائية. ومع ذلك، تم تعطيل استغلال هذه الثروات بشكل كبير بسبب النزاعات الداخلية والأمنية والتحديات الاقتصادية والسياسية

حيث تحتل موقعًا استراتيجيًا في منطقة تسمى "مثلث الغاز"، والذي يشمل أيضًا تركمانستان وإيران. هذه المنطقة تحتوي على احتياطيات ضخمة من الغاز الطبيعي. تمتلك أفغانستان حوالي 1.4 تريليون متر مكعب من الغاز الطبيعي وفقًا لتقديرات الأمم المتحدة, وتمتلك أفغانستان القدرة على تطوير واستغلال هذه الاحتياطيات من خلال مشروعات تطوير الغاز. مشروع "تورتكمانستان – أفغانستان – باكستان – الهند (TAPI) "يعتبر واحدًا من أبرز هذه المشروعات، حيث يهدف إلى بناء أنابيب لنقل الغاز من تركمانستان عبر أفغانستان وباكستان إلى الهند. هذا المشروع يهدف إلى توفير إمدادات طاقة مستدامة للدول المشاركة وتحقيق فوائد اقتصادية لأفغانستان. الا انها تواجه التحديات المتمثلةفيالنزاعات الداخلية والتوترات الإقليمية، بالإضافة إلى الأمن الهش في البلاد، أثرت على تقدم مشروعات التطوير واستغلال الغاز. الاستقرار السياسي والأمن الوطني ضروريان لضمان استمرارية هذه المشروعات. اذ يمكن لأفغانستان أن تحقق الاكتفاء الذاتي خلال عشر سنوات إذا ما تم استغلال مواردها بالشكل الصحيح إذ تقدر الثروات المعدنية الموجودة في أفغانستان بحدود (3) ترليون دولار (Dabbazi, 2014, 35) .

ومن المظاهر التي اتخذتها الدول لغرض الكشف والتحري عن الثروة المعدنية في أفغانستان هي التعذر ببناء مشافي ميدانية أبان الغزو السوفياتي، إذ يذكر الكاتب والصحفي المصري (أحمد منصور) في كتابه (تحت وابل النيران في أفغانستان) والذي كتبه بعد زيارته لأفغانستان عام (1992) عن اكتشاف أنفاق كبيرة تحت المشافي الميدانية تحتوي على كميات كبيرة من عروق الذهب والتي اكتشفها المقاتلين

الافغان بعد الانسحاب السوفياتي لكن جاءت الاوامر بردم هذه الانفاق خوفاً من الفتنة وشق صفوف المقاتلين.

إن الاهداف الخفية لغزو أفغانستان من قبل الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الامريكية هي بالأصل تعود الى الحاجة الى الثروات الهائلة الموجودة فيها والتي لم تستغل الى وقتنا الحاضر على الرغم من التذرع بحجة الارهاب وغيرها من الذرائع التي يتخذها المستعمر لاجتياح منطقة معينة.

المحور الثاني : الصراعات الخارجية والداخلية والمشكلات التي تعاني منها أفغانستان

تعاني أفغانستان من مشاكل كبيرة وكثيرة، إذ إن أهم ما يميز أفغانستان هي كثرة الدول المتداخلة في سياستها وسيادتها الداخلية والخارجية، فضلا عن اضطراب الوضع الداخلي؛ بسبب الاقتال بين حركة طالبان والحكومة الافغانية، واتخاذ تنظيم القاعدة المصنف تنظيماً ارهابياً أفغانستان مقراً له والذي اتخذته الولايات المتحدة الامريكية ذريعة للتدخل في أفغانستان بحجة محاربة الارهاب بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، كل ذلك واكثر أثر بشكل مباشر على الاستقرار السياسي الداخلي لأفغانستان. سنتطرق في هذا المبحث على أهم الصراعات والمشكلات التي واجهتها وما زالت تواجهها الى يومنا هذا :

أولاً – مشكلة التدخل السوفياتي في أفغانستان :

حتى يمكن التعرف على أبعاد القضية الافغانية بشموليتها، لابد من قراءة التاريخ لأفغانستان، ففي فترة حكم (حبيب الله) (1901 – 1919) وما بعدها وحتى الاحتلال السوفياتي لأفغانستان من عام (1979) أقاموا علاقات قوية مع الاتحاد، إذ نجد إن (أمان الله) الذي تولى الحكم في المدة ما بين عامي (1919 – 1929) والذي ادخل العديد من الاصلاحات التي تطلبت منه التوجه نحو الاتحاد السوفياتي في ذلك الوقتمن أجل تحقيق طموحاته ودعم مشرعاته لتحقيق استقلال افغانستان من سيطرة انكلترا، إذ انتهت الحرب بينه وبين انكلترا بالدخول في مفاوضات نتج عنها عقد معاهدة (روالبندي) عام (1919) التي نتج عنها تحرر أفغانستان من التبعية الانكليزية والتحول رسمياً الى وصاية الاتحاد السوفياتي(Abdel Aziz, 2016)

في عام (1926) وقع البلدان (الاتحاد السوفياتي، أفغانستان) معاهدة الصداقة وعدم الاعتداء، و التزما كلا البلدين بحظر أي نوع من التدخل المسلح، سيما وإن أفغانستان ركزت على استقلال المقاطعات الحدودية الاسلامية (خيوةوبخارى)، إلا إنه لم يمض وقت طويل حتى قامت روسيا باحتلالها، الامر الذي سبب (لأمان الله) سخطاً شعبياً بسبب موقفه السلبي تجاه الاحتلال السوفياتي لهذه المناطق الاسلامية، ويتضح أن من أهم أسباب انهيار حكم (أمان الله) سماحه للتعمق السوفياتي في أفغانستان على الرغم من إصلاحاته العديدة للشعب الافغاني(Talhi, 2014, 31). أما المدة (1933 – 1973) أي الفترة التي سبقت الاحتلال السوفياتي، تميزت هذه الفترة بطول مدة الحكم فيها من قبل الملك (محمد ظاهر شاه) الذي حاول بسط نفوذه وسيطرته من أجل بناء دولة قوية لديها طموح للعب دور أقليمي في منطقة أسيا الوسطى بعيدة عن التدخل السوفياتي، نتيجة لذلك فقد انظمت أفغانستان الى عصبة الامم المتحدة عام (1934)، تلاها توقيع ميثاق (سعد أباد) في عام (1937) مع (تركيا والعراق وايران)، وهو ميثاق تعاون وصداقة جمع أربع دول اسلامية كل واحدة منها تريد أن تكون لها مكانة إقليمية في أسيا الوسطى، (Talhi, 2014, 31).

أثار التدخل السوفياتي في أفغانستان عام 1979 ردود أفعال على المستوى الدولي والمتمثل بالولايات المتحدة الامريكية والمملكة العربية السعودية، فضلا عن المستوى الاقليمي ، وإن تقدير الموقف الذي اتخذته المؤسسة العسكرية السوفياتية في ذلك الوقت لم يكن دقيقاً بل جاء بناء على مطامع قديمة في المنطقة، اذ تطلب الخروج من أفغانستان عشر سنوات ترتب عليها فيما بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، إذ كانت القوات المسلحة السوفياتية والتي بلغ قوامها (120000) جندي بمعداتهم ، كان الهدف من دخول أفغانستان حسب المؤسسة العسكرية السوفياتية التي كان لها أثراً كبيراً في قرار التدخل في أفغانستان والتي أقنعت بها القيادة السياسية وهو ان هذا التدخل سوف يوفر لهم قواعد أفغانية متقدمة خاصة في الجنوب، وان تلك القواعد سوف تؤمن لهم الوصول الى المياه الدافئة في المحيط الهندي أي إن هذا الاقتراب له أهمية استراتيجية، وكان التقدير الإستراتيجي السوفياتي من الناحية الجيوسياسية هو التمكن من المجال الحيوي للمياه الدافئة التي يبحث عنها السوفيت منذ القدم، فضلاً عن الموارد الحيوية ذات البعد العالمي المتمثلة بالنفط والغاز الموجودة في افغانستان وبكميات كبيرة كما ذكرنا سابقاً (Al-Amiri, 1992, 83-84).

هناك العديد من الذرائع التي اتخذها الاتحاد السوفياتي للتدخل في أفغانستان مثل حجة حماية النظام الشيوعي، وكذلك حماية الحدود الغربية للاتحاد من الصين، فضلاً عن ذرائع اخرى كثيرة دفعته الى التدخل في افغانستان، لكن ما ذكر سابقاً والذي يتمثل بالحصول على الثروات الطبيعية والتقرب من المياه الدافئة هو أهم أسباب الغزو. حيث تم انسحاب قوات الاتحاد السوفييتي من أفغانستان في عام 1989 بعد حرب استمرت لسنوات طويلة بين القوات السوفيتية والمقاتلين المجاهدين الأفغان.. تم التوصل إلى اتفاقية في مدينة جنيف بسويسرا تعرف باسم "اتفاقيات جنيف"، والتي أنهت رسميًا الدعم السوفيتي للحكومة الأفغانية وضمنت انسحاب القوات السوفيتية من أفغانستان. وبالوساطة مع دول عدة .(Robin ,1-2).

يعد التدخل السوفياتي في أفغانستان وانسحابه بداية مشكلة عدم الاستقرار في تلك المنطقة وما ترتب عليه من أثار سلبية على الشعب الافغاني التي لايزال يعاني منها الى وقتنا الحاضر سواء من ناحية البطالة والفقر والعوز فضلاً عن انتشار العديد من الاوبئة والامراض؛ بسبب النقص الكبير في الكادر الطبي والمستلزمات الطبية نتيجة هجرة أغلب الكفاءات الى الخارج بسبب عدم استقرار الوضع الداخلي، كذلك نتج عن الغزو السوفياتي ظهور العديد من الجماعات المسلحة، والتي اتخذتها الولايات المتحدة الامريكية فيما بعد ذريعة للتدخل في افغانستان بحجة مقاتلة الارهاب.

ثانياً – مشكلة التدخل الامريكي في أفغانستان :

كانت أحداث الحادي عشر من سبتمبر من عام (2001) أحد المنعطفات التاريخية السياسة الخارجية* الامريكية، والتي انعكست هذه الاحداث على سلوكها السياسي الخارجي باتجاه المجتمع الدول بشكلٍ عام ومنطقة الشرق الاوسط بشكلٍ خاص، إذ دفعها ذلك إلى تبني استراتيجيات دفاعية ووقائية وانتهاج سياسة التدخل في العديد من دول العالم تحت ذريعة مكافحة الارهاب، وكان المدخل إلى ذلك هو نشر مفاهيم الديمقراطية وحقوق الانسان والحريات العامة فضلاً عن وضع قائمة سوداء للدول التي تدعي أنها حاضنة للإرهاب لتحشيد الرأي العالمي للتدخل المباشر في كل من الاعراق وأفغانستان(Al-Najjar 2012, 2)

إن الجديد بالسياسة الخارجية الامريكية بحروب القرن الحالي اتجاه العالم برمته هو أن معيار النصر الامريكي على الارهاب محدد على أساس أن العدو يتمثل بالأصولية الاسلامية، وهذا يعني أن الدول الاسلامية برمتها معرضة للخطر، ويلاحظ على السياسة الامريكية خلال هذا القرن هو طغيان الحسابات

الامنية والاستخباراتية والتدخل المباشر على الحسابات الدبلوماسية في العلاقات الدولية، وتضح ذلك جلياً في العلاقات الامريكية الافغانية، إذ كانت جمهورية أفغانستان من أول الدول التي وضعتها الولايات المتحدة الامريكية على قائمة الارهاب للقضاء على حركة طالبان وتنظيم القاعدة، وهي بذلك ابتعدت كثيراً عن الصيغ الدبلوماسية لحل المشكلات أو المنازعات الدولية باستخدامها ميزان القوة على حساب الحوار، وكان نتيجة ذلك هو قيام حرب غير متكافئة بين الطرفين راح ضحيتها ألاف المدنيين دون الوصول الى الهدف المنشود وهو القضاء على حركة طالبان وتنظيم القاعدة (Fadli, 2009, 35).

تجمعت عوامل كثيرة ومتفاعلة في السياسة الامريكية تجاه أفغانستان، إذ إن أفغانستان بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية مصدراً لتكاثر الارهاب والمتطرفين، ويجب القضاء عليها، كذلك يضاف اليها أن للمنطقة أهمية جيوبولتيكية كبيرة بالنسبة للوبي النفطي في الادارة الامريكية، وتنحصر مكونات الصراع بين أفغانستان والولايات المتحدة الامريكية في حقيقيتين أساسيتين هما(Fadli, 2009, 36):

1 – الصمود القوي للأفغان تاريخياً في مواجهة الاتحاد السوفياتي.

2 – الاكتشافات النفطية التي حفزت الولايات المتحدة الامريكية للاهتمام بأفغانستان والمنطقة برمتها.

يتضح مما سبق إن التدخل في أفغانستان بحجة محاربة الارهاب لم تكن سوى ذريعة للولايات المتحدة الامريكية بحربها على أفغانستان التي راح ضحيتها الكثير من الابرياء (ينظر جدول 1)، فضلاً عن عدم استقرار الوضع الداخلي إلى يومنا هذا بحجة القضاء على القاعدة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر المبهمة، إذ إن هناك الكثير من علامات التعجب على هذه الاحداث فهل يعقل أن دولة مثل الولايات المتحدة الامريكية تغيب طائراتها التي ارتطمت ببرجي التجارة العالمية عن أجوائها الداخلية لأكثر من نصف ساعة على الرغم من امتلاكها الاقمار الصناعية للتصوير الفضائي التي يمكنها من اكتشاف هذه الطائرات في أقل من لحظة، فضلاً عن أدلة اخرى كثيرة تدل على إن الولايات المتحدة الامريكية افتعلت هذه الضربة لتكون عذراً للمجتمع الدولي للتوسع الخارجي.

جدول رقم (1) الضحايا المدنيين في أفغانستان جراء الاحتلال الامريكي لأفغانستان (2007 – 2015)

العام	عدد المصابين	عدد القتلى	المجموع
2007	-	-	1523
2008	-	-	2118
2009	3556	2412	5968
2010	4368	2792	7160
2011	4709	3133	7842
2012	4821	2769	7590
2013	5669	2969	8638
2014	6833	3701	10،534
2015	7457	3545	11،002

المصدر : تقرير منظمة يونامي حول خسائر المدنيين في أفغانستان (2007 – 2015).

ثالثاً ـ مشكلة التدخل الايراني في أفغانستان :

تتذرع ايران لتدخلها في أفغانستان بعدة ذرائع وحجج ضماناً لمصالحها وحماية أمنها القومي، ومن هذه الذرائع هو التدخل بحجة حماية حدودها الغربية، فضلاً عن الحفاظ على تدفق المياه من الجانب الافغاني، مكافحة المخدرات، والتعامل مع العدد الكبير من اللاجئين الافغان المتواجدين على الاراضي الايرانية، أما أهم سبب اتخذتهإيرانللتوسع الجيوبولتيكي وتحقيق أهدافها في أفغانستان هو عن طريق الروابط الايدلوجية المتمثلة بالايدلوجية الدينية وهو وجود بعض الشيعة الافغان المرتبطون بإيران مباشرةً المعروفين باسم عشيرة الهزارة التي تعد أكبر تجمع للشيعة الافغان على الرغم من وجود قبائل اخرى مثل قيزلباش و فرسيوان فضلاً عن قبيلة السيدز(Stewart, 2014, 5).

بدأت إيران تلعب دورًا متزايد الأهمية في المنطقة لاسيما بعد الثورة الإسلامية 1979، من خلال دعم جماعات أفغانية، خاصةً الجماعات التي تشارك في الصراع ضد الحكومة الأفغانية المدعومة من الاتحاد السوفيتي.اذ كان بسبب الحروف السوفيتية قد فر العديد من السكان الأفغان الى ايران اذ كانت ملاذا للعديد من المعارضين الأفغان سواء من المجاهدين او المعارضين للحكومة وقدمت الدعم المادي الى جانب التأثير الذي مارسته على الجماعات المعارضة مما كان لإيران الدور الكبير في رسم الأوضاع السياسية والنهوض بالمعارضة الى تسعينات القرن الماضي (Ahmadian, 2020)انشات ايران حزبًا شيعيًا في أفغانستان يُعرف باسم "حزب الله أفغانستان" تأسس هذا الحزب بعد الثورة الإسلامية في إيران عام 1979، وكان يهدف إلى تنظيم ودعم الشيعة في أفغانستان. وكان لدى الحزب الله الأفغانستاني ارتباطًا قويًا بالنظام الإيراني، حيث قدمت إيران الدعم المادي والعسكري والتدريب لأعضائه. تم التركيز على تنظيم الشيعة الأفغان في مناطق معينة في أفغانستان، وتوجيه جهودهم نحو مقاومة القوات السوفيتية والحكومة الأفغانية المدعومة من السوفييت.(Ahmadian, 2020).

ان عدم الاستقرار في أفغانستان يعني زيادة حدة التوتر في المنطقة، ويؤدي إلى زيادة المشاكل التي تتعرض لها سياسياً وعسكريا، لذلك أصبحت أفغانستان ذات أهمية كبيرة بالنسبة للدبلوماسية الايرانية، إذ أنه بعد انتهاء الحرب بين إيران والعراق تم تأمين الجزء الشرقي من إيران من النواحي الديموغرافية، وأصبح الشمال الشرقي المهم الاستراتيجية الجديدة لإيران، فضلاً عن زيادة التوسع الايراني في منطقة أسيا الوسطى، لكن بعد الحرب العراقية الايرانية أصبحت أفغانستان مصدراً لمشاكل مستمرة لإيران ومصدراً للكثير من القضايا السياسية والاقتصادية (Baydoun, 2014, 69).

رابعاً – مشكلة التدخل الباكستاني في أفغانستان :

بعد أستقلال باكستان عام (1947) من السيطرة البريطانية وانهاء الحكم البريطاني في شبه القارة الهندية دخلت العلاقات الباكستانية الخارجية مرحة جديدة، أذ طالبت الحكومة الافغانية من باكستان اعادة ترسيم الحدود وفق خط (دوراند) الذي أقيم من أجل تقسيم شعب البشتون إلى قسمين، إلا إن باكستان رفضت هذا الامر، وإن هذا الرفض أدى بدوره إلى قيام الحكومة الافغانية بتحريض البشتون ضد الحكومة الباكستانية للمطالبة باستقلال اقليم (بشتونستان)، الامر الذي أدى إلى حدوث فوضى كبيرة في الاقليم؛ بسبب المظاهرات التي خرجت تطالب بالانضمام إلى أفغانستان (Al-Taher, 2018, 11).

إن طول الحدود بين باكستان وأفغانستان هي المسبب الرئيسي في مشكلة عدم الاستقرار بين البلدين، ومنها قضية إقليم (بشتونستان)، إذ يمثل هذا الاقليم وحسب رأي أفغانستان جزءاً منها خسرته تدريجياً لصالح قوى خارجية، بينما تدعي باكستان إن خط (دوراند) يشكل خطاً دولياً معترف به بينها وبين

أفغانستان، وإن باكستان التزمت بحدودها وفق هذا الخط بعد انسحاب بريطانيا من الهند، وتتمسك بفكرة أن هذا الخط ليس خطاً اعتباطياً وإنما يتبع حدوداً قبلية، أما أفغانستان فإنها ترى أن الاقليم يتشكل فقط من البشتون، وإن البشتون الذين يعيشون في أفغانستان سينفصلون عن إخوتهم في المناطق الاخرى، لكن باكستان لا تقبل بهذه الفكرة وتضرب أمثلة في مثل هذه المشكلة الحدودية في كثير من بلدان العالم، إذ إن هناك أفراد يتحدثون نفس اللغة لكنهم في أكثر من دولة، وهذا يعني إن أي محاولة لإعادة ترسيم الحدود بين البلدين على أساس امتداد المناطق القبلية سيؤدي إلى قيام فوضى عارمة، أما عن أعادة ترسيم الحدود على أساس اللغة فإن هذا سيؤدي إلى تفتيت أفغانستان؛ وذلك لان الشعب الافغاني يتكلم أكثر من لغة واحدة (Al-Taher, 2018, 13).

تعد مشكلة ترسيم الحدود بين أفغانستان وباكستان من أهم المشاكل التي تعاني منها أفغانستان، إذ إن الحدود رسمت من قبل الاستعمار البريطاني على شكل قنابل موقوتة حالها حال بقية الحدود بين أغلب الدول العربية والافريقية، على الرغم من إن الشعب الافغاني والباكستاني يتبعان نفس الدين إلا إن الاستعمار وضع مشكلة تسبب عدم الاستقرار بين البلدين لضمان عدم الاتفاق على المدى البعيد رغم وجود أواصر مشتركة بين الشعبين، ونتيجة لذلك فهناك مناوشات دائمة بين البلدين سواء سياسية كانت أو تدخلات عسكرية أحياناً, بسبب توتر العلاقات بين البلدين، لذلك يجب على الحكومتين الافغانية والباكستانية حل مشكلة ترسيم الحدود بينهما على الرغم من أنه أمر صعب المنال لان الاستعمار وضع هذا الخط ليسبب النزاع وعدم الاستقرار بين البلدين.

خامساً – مشكلة الصراع الداخلي بين الحكومة الافغانية وطالبان :

حركة طالبان نشأت في أوائل العقد التسعينخلال الفترة المضطربة بعد انسحاب الاتحاد السوفيتي من أفغانستان وانهيار الحكومة المدعومة منه. تأسست هذه الحركة بمشاركة عدد من العناصر الدينية والمقاتلين الذين شاركوا في الجهاد ضد القوات السوفيتية وحكومة كابول.ومن أسباب ظهور الحركة الإسلامية هو الفراغ السياسي والأمني و الفساد الإداري من قبل الحكومة الأفغانية الى جانب التأثيرالايدولوجي والديني والدعم الإقليمي الذي تلقته من دول إسلامية (Talhi, 2014, 63). وصلت حركة طالبان إلى السلطة عام (1994) بعد انسحاب الاتحاد السوفياتي من أفغانستان عام (1989)، إذ سيطرت على المدن والمحافظات الرئيسية حتى أُسقط النظام عام (2001) بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وإن الاعتقاد السائد لتولي طالبان السلطة يعود إلى سببين هما (Sarafraz, 2010, 12-13) :

1 – يتمثل السبب الاول في نشوء طالبان بالعوامل الداخلية، إذ أنه وبعد سقوط الحكومة الشيوعية في أفغانستان، وتولي الفصائل المسلحة السلطة، أخفقت في إقامة حكومة وطنية شاملة، وإن هذا الامر أدى إلى دخول في فوضى سياسية كبيرة، أدت الى الحرب الاهلية ومن ثم إنعدام الامن والاستقرار؛ بسبب عدم توحد الكلمة وسيطرة كل فصيل على محافظة من المحافظات الافغانية، وفي هذه الاثناء ظهرت طالبان لوضع حد للفساد وإعادة الامن والاستقرار إلى البلاد.

2 – العامل الخارجي، والذي عده الخبراء العامل الاساسي في ظهور طالبان، إذ يعتقد هؤلاء أن طالبان نشأت حصيلة لسياسات مشتركة بين جهاز الاستخبارات العسكرية الباكستاني (آي اس آي)، والمملكة العربية السعودية، فضلاً عن بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية، إذ إن قادة جهاز (آي اس آي) في باكستان هم من البشتون القومية الاساسية التي ينتمي إليها حركة طالبان، إذ إن هذه الدول أرادت إغتنام

هزيمة الاتحاد السوفياتي في أفغانستان لتوسيع نفوذهم في المنطقة، ولتعزيز عمق باكستان الستراتيجي في مواجهة عدوها التقليدي (الهند)، ليصبحا شريكين لنقل السلع والبضائع من منطقة آسيا الوسطى إلى المياه الدافئة في الجنوب للحصول على أرباح كبيرة.

تمثل حركة طالبان من أهم مشاكل عدم الاستقرار في أفغانستان، إذ إنه وبعد شهرين من الهجوم على برجي التجارة العالمي في نيويورك بدأ الهجوم العسكري الامريكي البريطاني على أفغانستان، بعد ادعاء الولايات المتحدة الامريكية أن تنظيم القاعدة الذي يقوده (بن لادن) وينضوي تحت حماية طالبان كان وراء أحداث الحادي عشر من سبتمبر، إذ طالبت الحكومة الامريكية طالبان بتسليم (بن لادن) لكن بدورها طالبت الحركة الولايات المتحدة الامريكية بتقديم دلائل تثبت تورط (بن لادن) في هذه الاحداث، وعلى الرغم من عدم تقديم الولايات المتحدة الامريكية دلائل ووثائق تثبت هذا الفعل إلا أنها شنت هجومها العسكري الواسع النطاق على أفغانستان (Sarafraz, 2010, 195).

كانت طالبان أحد اهم الاسباب الداخلية التي أدت إلى مشكلة عدم الاستقرار السياسي منذ التدخل الامريكي وإلى الوقت الحاضر، إذ أنها اليوم في صراع مستمر مع الحكومة الافغانية، وإن هذا الصراع راح ضحيته عدد كبير من أفراد المجتمع الافغاني، فضلاً عن تدهور الحياة الاقتصادية والاجتماعية وضيق سبل العيش وارتفاع مستوى البطالة وإنخفاض مستوى التعليم؛ بسبب انخراط كثير من الشباب في صفوف هذه الحركة.

سادساً ـ تنظيم القاعدة :

يرى بعض الباحثين أن اصل كلمة القاعدة يعود إلى تأسيس (أبو عبيدة البنشيري) لمعسكرات تدريب الفصائل الجهادية لمقاومة الاحتلال الروسي لأفغانستان، إذ أُطلق على هذه المعسكرات اسم القاعدة، ويرى البعض الاخرى أن القاعدة تشكلت عام (1988) في اجتماع عدد من قادة تنظيم الجهاد الاسلامي المصري مع (أُسامة بن لادن)، ويشير آخرون إلى أنه في عام (2002) أصبح اسم التنظيم (قاعدة الجهاد) والذي أعلن الجهاد عام (1996) لطرد القوات والمصالح الاجنبية من الاراضي الاسلامية، إذ أصدر (بن لادن) و (أيمن الظواهري) وعدد من قيادات الجماعات الاسلامية فتوى بإعلان الحرب على الولايات المتحدة الامريكية وحلفائها تحت عنوان الجبهة الاسلامية العالمية لقتال اليهود والصليبين (Talhi, 2014, 77).

استغلت الولايات المتحدة الامريكية هجمات الحادي عشر من سبتمبر والتي اتخذتها ذريعة للتدخل في أفغانستان لصالحها، إذ إن واقع هذه الهجمات لم يكن على أمريكا فقط، بل تجاوزت حدود أمريكا وطالت أرجاء المعمورة بصورةٍ عامة والدول الاوربية بصورةٍ خاصة، وإن الولايات المتحدة رأت أن هذه الهجمات تهديد صريح لأمنها خارج وداخل حدودها، وانها سببت خسائر جسيمة في أهم المواقع الستراتيجية والعسكرية والاقتصادية بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية، وهذا ما استغلته الولايات المتحدة الامريكية لصالحها من خلال كسب التأييد والدعم الدولي بحربها ضد الارهاب حسب زعمها، إذ جاء في الرؤية التي قدمها الرئيس الامريكي (بوش)أمام اعضاء مجلس الامن القومي في اليوم التالي عندما وصف الهجمات بأنها ليست أعمال ارهابية بل هي أعمال حرب وسنعمل على حشد جهود العالم لدحر العدو المسؤول عنها الذي لم يعتدي على الشعب الامريكي فقط بل على جميع شعوب العالم الحر، وكان الهدف من هذا التصريح هو جذب أكبر عدد من دول العالم للمشاركة في الحرب ضد الارهاب، وهذا ما أكد عليه وزير الخارجية الامريكي (كولن باول) في اليوم الثالث للهجمات والذي قال نأمل من المجتمع

الدولي المشاركة في حربنا ضد الارهاب، وفي نفس التصريح أشار الى ضلوع (أُسامة بن لادن) وتنظيمه في هذه الهجمات دون تقديم أدلة واضحة (Debazi, 2014, 160).

بعد مرور شهرين على هجمات الحادي عشر من سبتمبر دخلت الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا عسكرياً في أفغانستان بعد رفض حكومة طالبان تسليم (بن لادن) الذي عدته الولايات المتحدة الامريكية الشخص الاول المسؤول عن تلك الهجمات، وإن هذه العلة لم تكن سوى ذريعة للولايات المتحدة الامريكية للسيطرة على الموارد والثروات الطبيعية الموجودة في أفغانستان، وإن الغزو الامريكي تسبب في الكثير من المشاكل للشعب الافغاني التي لا يزال يعاني منها إلى الوقت الحاضر، والتي تمثلت بتنامي الجماعات المسلحة، فضلا عن عدم استقرار الاوضاع السياسية الداخلية، وتدهور المستوى المعيشي للسكان، وازهاق العديد من الارواح التي لا دخل لها بالحرب، وهجرة الكثير من السكان إلى خارج أفغانستان.

ومن خلال ما تقدم نلاحظ أن هناك العديد من الدول العالمية الاقليمية التي لها أطماع في أفغانستان، تسببت في ظهور العديد من مشاكل عدم الاستقرار التي يعاني منها الشعب الافغاني منذ القدموالى الوقت الحاضر، فضلاً عن تعدد الجماعات المسلحة والتي تتخذ من أفغانستان مقراً لها، وتتخذها الدول الاخرى ذريعة للتدخل في الامن الداخلي لأفغانستان.

الاستنتاجات :

1 – إن موقع أفغانستان الستراتيجي والذي يمثل جزء من قلب العالم القديم، فضلاً عن الموارد الطبيعية الغير مستثمرة الى الان كانت أهم الاسباب للتدخل العسكري للدول الطامعة وعدم استقرار الوضع السياسي.

2 – إن تدخل الاتحاد السوفياتي بحجة حماية النظام الشيوعي، والتدخل الامريكي بحجة محاربة الارهاب لم تكن سوى ذرائع لنهب ثروات وخيرات افغانستان.

3 – استفادت الولايات المتحدة الامريكية من المشاكل بين كل من الهند وباكستان، وإيران وطالبان، فضلاً عن الاتحاد السوفياتي وبعض الدول العربية والتي حولت أفغانستان ساحة لتصفية هذه الصراعات لتحقيق مصالحها.

التوصيات :

1 – توحيد كلمة الصف بين الحكومة الافغانية والجماعات المسلحة عن طريق التوصل إلى خارطة طريق تفضي بإنهاء معاناة الشعب الافغاني.

2 –العمل على استثمار الموارد الطبيعية الموجودة في أفغانستان سواء عن طريق الشركات الاجنبية أو المحلية للنهوض بالواقع الاقتصادي والمعيشي نحو الافضل.

3 – على الحكومة الافغانية الاسراع في حل المشكلات القائمة بين دول الجوار وخاصةً مشكلة الحدود بينها وبين باكستان، والعمل على حل مشاكلها بينها وبين ايران لضمان أمنها القومي.

Sources

1- -Debazi, Amna, American intervention in Afghanistan and the geopolitical stakes (2014-2014), Master's degree (unpublished), Department of Political Science and International Relations, University of Algiers, 2014.

2- Badr, Farouk Hamid, History of Afghanistan from the Islamic Conquest to the Present Time, 1st Edition, Al-Mubta'ah Al-Numtakhaziah, Cairo.

3- Ibrahim, Abdul Talib, The Foreign Invasion of Afghanistan in the Last Three Centuries, 1st Edition, Dar Ghaida, Jordan, 2009.

4- Rubin, Bernat, The Soviet Invasion of Afghanistan and the Emergence of Terrorism (Lessons and Lessons): Translating the New Syrian, an article published on the Internet, 2016.

5- Bin Abdulaziz, Khalid Bin Sultan, The Afghan Crisis (Historically - Politically - Military) Encyclopedia of a Fighter from the Desert.

6- Talhi, Enas, Al-Qaeda Organization and Geopolitical Stakes in Afghanistan, Master Thesis (unpublished), Faculty of Political Science and International Relations, University of Algiers, 2014.

7- Al-Amiri, Salah Abboud, History of Afghanistan and its Political Development, 1st Edition, Al-Arabi for Publishing and Distribution, Beirut, 1992.

8- Al-Najjar, Weam Mahmoud Suleiman, The Political Employment of Terrorism in American Foreign Policy after the events of September 11 (2001-2008), Master Thesis (unpublished), Faculty of Economics and Administrative Sciences (Political Science Programs), Al-Azhar University (Gaza), 2012.

9- Fadli, Nadia Fadel Abbas, American Foreign Policy towards Afghanistan, Center for International Studies, University of Baghdad, Issue (45), 2009.

10- Stewart, Robert and others, Iranian influence in Afghanistan and the implications of the US withdrawal, Center for International Security and Defense Policy, RAND Corporation, 2014.

11- Ahmadian, Hassan, Afghanistan in Iran's National Security Strategy and its Vision for the Role of the Taliban and the Foreign Presence, Al Jazeera Center for Studies, research published online, February 23, 2020.

12- Beydoun, Fatina Muhammad Khalil, Iranian Political Positions Towards Northeastern Countries (1991-2001), Master Thesis

(unpublished), Graduate School, Ibrahim Abu-Lughod Institute, Bir Zeit University, Palestine, 2014.

13- Al-Taher, Iman MahbasMadlol, The Pakistani position on the Soviet invasion of Afghanistan 1979-1989, Master Thesis (unpublished), College of Education for Human Sciences, Al-Muthanna University, 2018.

14- Sarafraz, Muhammad, The Taliban Movement from Emergence to Fall, 1st Edition, Dar Al-Mizan, Beirut, Lebanon, 2010.

جهود جون ديوي الفلسفية والتربوية

أ.أحمد محمد العامري
التربية والتعليم والتربية الخاصة -وزارة التربية والتعليم
جمهورية العراق
ahmedalamry82@gmail.com
96897779204

الملخص:

جون ديوي فيلسوف إمريكي ولد في مدينة برنجلتون في عام 1859 وهو ابن لأسرة ميسورة الحال، تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في المدينة نفسها، وأكمل تعليمه الجامعي في جامعة فرمونت ودرس ديوي العديد من اللغات منها اليونانية واللاتينية ودرس أيضا الفلسفة الإغريقية والهندسة التحليلية، بعدها عمل في التدريس فترة من الزمن، ثم واصل دراسته العليا في الفلسفة والتربية وحصل على الدكتوراه من جامعة جون هوبكنز وذلك عام 1884م، وبعدها درس في جامعتي مينسوتا وميتشجن.

ديوي من رواد الفلسفة البراجماتية ومن مؤسسيها وله اسهامات كبير في استمرار الفلسفة البراجماتية إلى هذا الوقت، وكان لا يحب الخضوع للنظام الواقع والتقاليد الموروثة حتى ولو كانت عريقة فليست هي الأساس، وأفاض بالحديث عن ربط النظريات بالواقع الذي نعيشة؛ لأن بهذا الحال تتم الفايدة للمتلقي. ألف ديوي كتب عديدة في الفلسفة وكتب الكثير من المقالات في هذا المجال. وديوي هو الحامل للواء الفلسفة الإمريكية والناطق بلسانها.

أنشأ ديوي في عام 1896 المدرسة النموذجية في مدينة شيكاغو في إمريكا وتسمى هذه المدرسة عدة أسماء، منها: مدرسة المخبر والمعمل ومدرسة التطبيقات، واتخدها حقلا يتم فيه تجربة نظرياته وآرائه التقدمية في المجال التربوي، وأقام مبادئ هذه المدرسة وإدارتها وفق الفلسفة البراجماتية.

في نظر ديوي أن التربية هي الحياة وليست مجرد الإعداد لها، واهتم ديوي كثيرا بعامل الخبرة وآمن أن التربية السليمة والصحيحة تتحقق عن طريق الخبرة، والخبرة لها شروط خاصة حيث يجب أن تتصف بالاستمرار وأن تكون مرتبطة بالخبرات السابقة وممهدة للخبرات اللاحقة. وتحدث بإسهاب عن طريقة المشروع، والمنهج التربوي الذي يجب أن يتبع عند وقوع أي مشكلة.

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي وأداة التحليل الوثائقي لمناسبتها لهذا البحث.

تتلخص مشكلة البحث بأن لجون ديوي جهود كبيرة في المجال الفلسفي والتربوي ولكن قل من سلط الضوء عليها فسعى الباحث لتقصيها؛ لأنه رأى لها أفكار نيّرة ويجب أن توظف في السلك التربوي.

الكلمات المفتاحية: جون ديوي، الفلسفة، التربية.

John Dewey's philosophical and educational efforts

Mr. Ahmed Mohammed Al-Amiri
Education and Special Education - Ministry of Education
The Republic of Iraq

Abstract:

John Dewey, an American philosopher, was born in the city of Burlington in 1859. He came from a modest background and received his primary and secondary education in the same city. Dewey pursued his higher education at Fremont University, where he studied various languages including Greek and Latin. He also delved into Greek philosophy and analytical engineering. After a period of teaching, he continued his studies in philosophy and education, earning his doctorate from Johns Hopkins University in 1884. He later taught at the University of Minnesota and the University of Michigan.

Dewey is a pioneer of pragmatist philosophy and one of its founders. He made significant contributions to the continuation of pragmatist philosophy up to the present time. He was averse to conforming to existing systems and inherited traditions, emphasizing the importance of linking theories to the reality we live in for the benefit of the recipient. Dewey authored numerous books and articles in the field of philosophy.

In 1896, Dewey established the Laboratory School in Chicago, which has been referred to by various names, including the Experimental School and the Application School. He used this school as a platform to experiment with his progressive theories and educational ideas, establishing its principles and administration based on pragmatist philosophy.

According to Dewey, education is life itself, not just preparation for it. He placed a strong emphasis on experiential learning, believing that proper and effective education is achieved through experience. Experience, in Dewey's view, must meet specific conditions, including continuity, connection with previous experiences, and paving the way for future experiences. He elaborated on the method of the project and the educational approach that should be followed when addressing any issue.

The researcher utilized the descriptive-analytical method and documentary analysis tool that suited this research.

The research problem boils down to the fact that John Dewey made significant contributions to the philosophical and educational fields, but these have been insufficiently highlighted. The researcher sought to uncover these contributions, as they contain valuable ideas that should be applied in the educational sphere.

Keywords: John Dewey, philosophy, education

المقدمة:

كتابات ديوي جاءت ضربة قوية حطمت الأسلوب التقليدي الذي كان له السيادة التامة في التربية على مدار قرون طويلة، جاء المذهب البراغماتي حتى يؤكد على دور الأسرة في البدء ثم المدرسة والمجتمع في تنمية النشء حتى يعيش فردا منتجا حرا له رأي وفكر يؤمن به ويسعى في رفعة مجتمعه ، ويعد ديوي التربية هي حياة الفرد الحاضرة الممتدة إلى المستقبل بمعنى تهتم بمتطلبات الفرد حاليا في البدء وأيضا بمستقبله.

ذهب بيرس أن البرغماتية ليست فكرة إمريكية كما يرى البعض فمصطلح براغماتيك يعود إلى كانط ويعرف بأنه قواعد الفن والصنعة التي تعتمد التجربة وتقبل بها.(الأهواني،1998.(

يذهب ديوي إلى أن أسلوب المحاضرة أسلوب قاصر ومنافعه محدود جدا؛ لأسباب عديدة ومنها تحرم المتعلم فرصة اكتشاف الواقع، وجمع البيانات أو المعلومات وتحرمه أيضا أن يقيس الأمور وفرصة البحث عن الحلول لتلك القضية. ولهذه الأسباب فإن طريقة حل المشكلات طريقة عصرية؛ لأنها غير قائمة على الدروس التقليدية ويكون فيها المتعلم إيجابي يبحث ويستكشف وفي المنتهى يقيم ويختار، ويحارب ديوي الطرق التقليدية ومنها طريقة هربرت في عرض الدرس لأنه الطالب تأتي إليه المعلومة ولا ينجذب لها، لهذا كان ديوي يثور على الطرق المبنية على التلقين.

(بن سلامة،2016) قضى جون ديوي حياته يبني سقفا تربويا عظيما-ما زال قائما إلى يومنا هذا- وهذا الأمر أتى من إيمانه بالذكاء البشري الذي يستطيع أن يصلح المجتمع وتعظيمه للعمل وعامل الخبرة الذي يعد كمصدر أساس للمعرفة ، وعنده اليقين التام أن التربية الأداة التي تضمن إعداد مجتمع عصري متطور، لأنها لا تقوم على التأمل والتخيل، بل لأنها قائمة على فهم هذا العالم وتعمل على إعداد المبادئ التي تحكمه.

فرق ديوي بين العادة والمعرفة فالعادة دون المعرفة لا تسمح لصاحبها بالتغير ولا التجدد بل تجبره على أن يسير في عملة على خطأ سير الماضي.

الفلسفة والتربية وجهين لعملة واحدة لا يمكن الفصل بينهما فالفلسفة تقدم لنا التصورات والمنهج النظري وتعمل التربية على تطبيق ذاك المنهج النظري، فيرى ديوي أن التعليم الناجح هو الذي يغرس المهارات التي تفيد الفرد في التعامل مع واقعه المعيش دون التشبث بالماضي، وأن التعليم الناجح ليس ذاك التعليم الذي يكدس معلومات لا طائل منها .

المشكلة:

تتلخص مشكلة البحث في الأسئلة الآتية:

(1ما الفلسفة التي نادى بها جون ديوي؟

(2ما المدرسة النموذجية التي أسسها ديوي؟

(3ما مدى أهمية عامل الخبرة في التدريس؟

(4ما المنهج التربوي الذي اتبعه جون ديوي؟

(5هل طريقة المشروع لها دور فاعل في التدريس؟

أهداف البحث:

(1التعرف على فلسفة جون ديوي.

(2التعرف على المدرسة النموذجية التي أسسها جون ديوي وعامل الخبرة.

(3معرفة المنهج التربوي لدى ديوي.

(4أهمية طريقة المشروع في التدريس عند ديوي.

أهمية البحث:

(1 تكمن أهمية هذا البحث في توضيح منهجية وفلسفة جون ديوي للاستفادة منها في التدريس.

(2تبرز الأهمية البحثية في التعرف على نظام وأسس المدرسة النموذجية عند ديوي وعامل الخبرة.

(3يسهم البحث في عرض أهمية مهارة حل المشكلات.
(4توضيح مدى إسهام طريقة المشروع في التدريس.
هيكل البحث:
*عرض ومناقشة مبادئ الفلسفة البرجماتية.
*التعرف على المدرسة النموذجية وعامل الخبرة.
*عرض تفاصيل مهارة حل المشكلات،وطريقة المشروع.

تحديد المصطلحات:
الفلسفة:الفلسفة في اللُّغة: كلمة فلسفة في اللغة اليونانية تتكون من كلمتين الأولى فيلو وتعني حب والكلمة الثانية صوفيا والتي تحمل معنى الحكمة، وهنا نرى أن الفلسفة تحمل معنى حب الحكمة.(دبوس، تبسيط الفلسفة.)
الفلسفة في الاصطلاح بمعناها المُبسَّط كما عرفها ولسون: عبارة عن المشكلات والمحاولات التي تمت لحلها، وهذه المشكلات تدور حول العلم والإدراك وما إلى ذلك.(ولسون، الفلسفة ببساطة.)
التربية:عرفها جون ديوي بالحياة، وعرفها الباحث إجرائيا: هي مجموعة من الأخلاق والقيم والعادات التي تم استخلاصها من الدين الحنيف والعرف السائد في المجتمع وتعمل على تنظيم حياة الفرد داخل المجتمع ومعرفة حقوقه وواجباته .
جون ديوي: جون ديوي تربوي وهو من أحد رواد الفلسفة البراجماتية ومؤسسيها وصاحب فضل في استمرار الفلسفة البراجماتية إلى وقتنا الحاضر.
منهجية البحث:
عمد الباحث في بحثه لاستخدام المنهج الوصفي التحليلي وهو ذاك المنهج الذي يتبع الطريقة العلمية لدراسة المشكلات أو الظواهر العلمية زمن وقوعها ثم الوصول إلى أدلة واضحة بينة تساعد الباحث في وضع الإطار العام للمشكلة.
أداة البحث:
استخدم الباحث أداة التحليل الوثائقي لمناسبتها لهذا البحث وتعرف بأنها:" الفحص والتفكيك والتعرف والدراسة التي يتم تطبيقها على الوثائق مع مراعاة عناصرها الموضوعية".(مجلة العلوم الإنسانية،2020،م7،ع2).
الدراسات السابقة:
(الحسن،2022)تحدث الباحث عن موضوع البراغماتية عند ديوي ويعد ديوي من أعلام هذا المنهج مع جيمس بيرس، ويقول أن اعتنق ديوي الفلسفة البراجماتية ولكن ما زالت أفكار هيكل تظهر أمامه من الحين إلى الآخر ولكن سعى ديوي في بلورة مبادئ البراجماتية وهو سبب في وصولها لنا. وذكر أن البراجماتية لا ترفع قدر العمل لذاته وليس تسعى لتحقيق مصالح شخصية بحته والعمل فيها دور وسيط وليس غاية كما ذكر الباحث ذلك. ويقول الباحث أن البراغماتية عند جيمس هي امتداد للمنهج الذي مع بيرس ولكن جيمس ضيق هذا المنهج من جانب ولكن سعى في توسيعه من جانب آخر فضيقه من حيث تحديد المبدأ العام للبراغماتية، ووسعه عندما نادى بإمكانية تطبيقه على النتائج التي تخص المستقبل. واطلقعلى الفلسفة البراغماتية مصطلح الأداتية.
ومن أحد محاور الباحث هو المدرسة والمجتمع وذكر العلاقة القائمة بينهما وذكر ديوي ذلك في كتابه "عقيدتي التربوية" والقارئ المتمعن يجد ديوي فلسفته ترجمه في أرض الواقع لتجاربه في الحياة، وذكر الباحث أن ديوي سعى لوضع فكر تربوي متطور للحياة وبعد ذهب إلى الفلسفة في الخبرة وانتهى بفلسفة القيم.
سعى الباحث للإجابة على عدة أسئلة منها هل يبدأ الإصلاح الأخلاقي بالفرد أم بالمؤسسات الاجتماعية وناقش هذا السؤال من جوانب عدة وقولنا بأن عندما يبدأ الاصلاح بالفرد فهنا نفترض أن النفس البشرية كاملة وهذا القول يجب الوقوف معه ومناقشته للوصول إلى حقيقة لا تحتمل الشك. وهنا الفرد لا يعيش بمفرده حرا بل تحكمه قوانين ثقافية واجتماعية واقتصادية معينة.

ومن المحاور التي ذكرها الباحث مفهوم المدرسة في فكر ديوي وأسهب في ذكر المدرسة وكيف تكون وهل هي بين المعلم والطالب أو تكون بين المعلم والوالدين.وأن من أهداف المدرسة أن تحقق النمو الجسدي والمعرفي للنشء. وذكر مفردات التربية ومنها المادة الدراسية وطرائق التدريس.وأن يجب هدم أسوار المدرسة وتنفتح المدرسة على المجتمع ولا تكون بمعزل عنه وهنا يشير إلى أهمية إعطاء الطالب خبرات تمكنه من التعايش مع متطلبات المجتمع وأن المدرسة تعد الطالب للظروف التي سوف يعيشها وتملكه الخبرات والأدوات ليوفر لنفسه سبل العيش الكريم ولا تكن معلومات تلقينيه لا فائدة منها.وذكر الباحث في المحور الأخير الطفل بين المدرسة والحياة وناقش هذا الموضوع.

)عبد الحفيظ،2009)قدم الباحث رسالة ماجستير في الفلسفة وكان عنوان المذكرة فلسفة التربية عند جون ديوي، وقسم الباحث بحثه إلى ثلاثة فصول في الفصل الأول تناول عدة مواضيع منها الفلسفة والتربية بين المفهوم والعلاقة وذكر فلسفة ديوي وهي الفلسفة البراجماتية وذكر أهم سمات هذه الفلسفة ومنها عامل الخبرة الذي كان يصر وينادي به ديوي وذكر الباحث موقف ديوي من مجالات الفلسفة وموقف من سبقه في هذه الفلسفة وهما بيرس وجيمس، وذكر نظرة ديوي للعالم والمعرفة، وللقيم. ويقول ديوي أن إذا كان للمعرفة النظرية أهمية في التربية والتدريس فإن الحاجة للقيم الخلقية أساس الممارسات التربوية. ونظرة ديوي الخلقية نجدها بوضوح في كتابه الذي يحمل عنوان "كيف نفكر" . وذكر الباحث تطور مفهوم التربية عبر التاريخ من العصر اليوناني مرورا بالعصر الوسيط إلى العصر الحديث . وذكر فلسفة التربية عند ديوي.وفي الفصل الأول أيضا ذكر مبحث أسس التجديد التربوي ومنها القواعد الفلسفية والأسس المنطقية التي تهتم بالخبرة وللخبرة معيارين الاستمرار أي تواصل الخبرة والمعيار الآخر التفاعل أي المحاولة والتجربة.وذكر الباحث في نفس المبحث المنهج الأداتي ودوره في بناء فلسفة التربية التقدمية.وذكر الباحث موقف ديوي من النظريات التربوية.

وفي الفصل الثاني ذكر الباحث المنظور البراغماتي لفلسفة التربية وتناول في المبحث الأول النزعة التقدمية والتربية وذكر التربية التقدمية والطبيعة الإنسانية وهنا بحث الباحث في عدة أسئلة:

*كيف نظر ديوي للإنسان؟

*وما التصور البراغماتي الذي وضعه وفق نظرته للإنسان؟

*وبما يتميز هذا التصور عن غيره؟

وناقش الباحث فكرة الطبيعة الإنسانية بين الوراثة والبيئة.وأن الإنسان كائن بيولوجي يتميز بخصائص وراثية تتفاعل مع المحيط الذي يعيش فيه. وأيضا ناقش فكرة الفردية والاجتماعية في الطبيعة الإنسانية.ومن الأمور التي ذكرها الباحث فلسفة الأهداف في التربية الجديدة . ومن المباحث واقع المدرسة وآفاقها، والمنهج التربوي في المدرسة التقدمية.

وفي الفصل الثالث ذكر الباحث إستراتيجيات فلسفة التربية الديوية وآثارها ، وذكر هنا مفهوم طريقة المشروع وكيفية تطبيق هذه الطريقة في التدريس والخطوات التي يجب اتباعها ومميزات هذه الطريقة.

بحث الباحث في امتدادات فلسفة التربية عند جون ديوي وذكر امتداداتها في العالم الغربي وأثر التربية التقدمية في العالم العربي.

)حسين،2020)تحدث الباحث في موضوع القيم التربوية عند ديوي وفي البدء عرف بجون ديوي على الصعيد الفلسفي والتربوي وأنه من مؤسسي المنهج البراجماتي الذي أتى ردا على الفلسفة المثالية الأوروبية.

قسم الباحث بحثه إلى ثلاثة مباحث تحدث في المبحث الأول عن أهم آراء ديوي التربوية وموقفه من القيم واهتم ديوي كثيرا بمجال التربية حتى أنه عرف الفلسفة بأنها النظرية العامة للتربية ويقول كما ذكرنا فيما سبق أن التربية الحياة نفسها. ورأى أن التربية يجب أن تنقل الطفل من تجربة ناضجة إلى تجربة انضج. ويرى أن النمو العقلي السليم لطفل يعتمد على استخدام العضلات والحواس استخداما صحيحا.وناقش الباحث خمس آراء في هذا البحث.

بعدها ذكر الباحث موقف ديوي من القيم ورأى أن القيم في الفلسفة البراجماتية أمر نسبي تتوقف على عدة أمور منها منها الظروف والأفراد والخبرة التي يمرون بها. وعارض ديوي فكرة أن القيم أزلية ويرى أن

القيم خاضعة للتعديل باستمرار. وذكر الباحث أهمية البحث العلمي عند ديوي وهنا نذكر المنهج التربوي المتبع عند ديوي في حل المشكلات وهي خطوات عدة توصلك إلى الرأي القريب من الصواب.
وفي المبحث الثاني ذكر الباحث دور الفكرة والعمل في تكوين القيم التربوية وهذا الأساس الذي كان يبني عليه ديوي فلسفته وهو الربط بين الفكرة والعمل أي النظرية والتطبيق ومن هنا جاءت فكرة المعمل في المدرسة وأن القيم التربوية هي من صنع المجتمع وحاجات الأفراد .
وفي المبحث الأخير تحدث الباحث عن القيم بوصفها منفعة خبرة وهنا يقصد ديوي بالخبرة هو تفاعل الفرد مع مجتمعه حتى تتكون تلك الخبرة. ووضع ديوي علاقة قوية بين الخبرة والتربية ويصعب الفصل بينهما في العملية التربوية

(بن سلامة،2016)تحدث الباحث في هذا البحث عن الخبرة والتجربة وأكد أنهما مصدران للمعرفة ورجح أن التربية أداة لخلق مجتمع متطور؛ لأن التربية لا تقوم على التخيلات والأوهام بل قائمة على مبدأ الفهم.
وسعى الباحث في الإجابة على الأسئلة الآتية:
(1ما هي أصول التربية عند جون ديوي؟
(2ماهي نظرته للفلسفة ومفهومه للتربية ؟
(3ما هو المنهج القويم لهذه التربية؟
(4وكيف طبقت هذه الأفكار وما السبيل لتقييمها؟
قسم الباحث بحثه للعديد من الفصول فكان الفصل الأول تحت عنوان جون ديوي العوامل المؤثرة في نشأته، والفصل الثاني بعنوان أسس فلسفة التربية عند جون ديوي والفصل الأخير تطبيقات التربية عند ديوي وتقييم لفلسفته التربوية.واستخدم الباحث المنهج التحليلي، حيث كان المنهج المناسب لبحثه.
أولا:جون ديوي والفلسفة البراجماتية:
تأثر جون ديوي بأفكار بيرس وجيمس اللذان كان لهما فضل السبق في بلورة المنهج البراجماتي أو الفلسفة البراجماتية في الولاية المتحدة الإمريكية.(الرشدان،2002).وكان جون ديوي في البدء مثاليا وانتهى به المطاف إلى البرغماتية ولكن لم يستطع الإفلات من شبح هيجل الذي ظل يرخي بظلاله عليه، وقد شاعت فلسفة ديوي البرجماتية باسم الفلسفة الأداتية.(الحسن،2022).

المذهب البراجماتي أغلب فلاسفته من الأمريكيين وبعدها انتشر هذا المذهب وأفكاره إلى خارج إمريكا إلى بقية أنحاء العالم، وأصبح له امتداد وناس كثر في خارج إمريكا، والذي قام بتأسيس هذا المذهب في البدء بيرس وهو الذي وضع الأفكار الأولى لهذا المذهب وأكد على أمرين هما العمل والمنفعة على أنهما مقياس صحة الفكرة، وبيرس هو من قال بكلمة البراجماتية في الفلسة الحديثة وكان ذلك في عام 1878م عندما كتب مقال موسوم ب "كيف نوضح تفكيرنا" وهنا وضع حجر الأساس في الفلسفة البرجماتية بوضعه المبادئ والأفكار الأولى لهذه الفلسفة. وأكد عن أن كل فكرة تكون تمهيدا لعمل ما، وبعده جاء جميس الذي أقام المذهب وأكد أن العمل والمنفعة وهذا انتهج بنفس نهج بيرس لأنه رأى المنفعة والفكرة أساس هذه الفلسفة. وبعدها جاء جون ديوي الذي ذكر الفكرة والمنفعة التي تتمثل في النظرية الأداتية وزعم أن العقل أداة للتطوير وليس أداة للمعرفة فحسب.(الخطيب وآخرون،2009).

ونرى أفضل مفهوم قدم للبرجماتية والذي أتى به جون ديوي وقال أنها النظرية التي تهتم بالجانب العملي والهدف من المادة العملية هو العمل والتطبيق على أرض الواقع للاستفادة وليس مقصورا على النظر والاعتبارات الفكرية المجردة فقط". والبناء الأساس هو أن الفكرة لا قيمة لها إلا في حالة لها نتائج عملية مرضية في حل المشكلات؛ لأن ذاك الأمر الأساس. (العاني 2003 م ، ص: 50 – 51).
ويعد ديوي من بين المؤسسين الأوائل مع بيرس وجيمس في تشكيل المذهب البراجماتي وهو من أكثر البراجماتيين نشاطا وإنتاجا حتى وصل إلينا هذا المنهج. وتشكل فكر جون ديوي عندما اعتنق فلسفة هيكل في البدء ولكن بعد ذلك رأى أنها مجرد تجريبية لا تسمو للكشف عن دور الفكر البشري.(مصطفى،1999،ص127).
وإذا اشتهر ديوي بكتبه وأعماله التربوية كمدرب فقد كان علم في رأسه نار في عالم الفلسفة فقد انبرى للكاتبة عنها وقضى جل حياته في تدريسها وكان يدَعي أنه حامل لواء الفلسفة الإمريكية والناطق بلسانها.

ذهب ديوي إلى أن هناك اتهامان ينسبان خطأ إلى بيرس، الأول أن شاع عن البرغماتية تجعل العمل غاية للحياة، والخطأ الثاني هو القول بأن البرغماتية تخضع الفكر والنشاط العقلي لغايات ومصالح(الحسن،2022)، وندحض القول الأول بأن دور العمل هو دور متوسط وليس غاية لأن نظرية بيرس تفترض في أساسها علاقة معينة بالعمل والسلوك الإنساني. أما القول الثاني فالبرغماتية على الضد من فكرة إخضاع الفكر لخدمة أي منفعة مادية أو مصلحة محددة.

وعند ديوي مبدأ عام وضعه للفلسفة البراجماتية ويقول أن الفلسفة ليس لها قيمة إلا من خلال النتائج العملية التي نجدها في حل المشكلات.(الأهواني،1998) .

ذهب ديوي أن البراغماتية عند جيمس تشكل امتدادا للبراغماتية عند بيرس لكن جيمس ضيق المنهج البراغماتي من جهة تحديد المبدأ العام للبرغماتية، ووسعه من حيث إمكانية تطبيقه على النتائج الخاصة في المستقبل.(زكريا، 1968).

يرى ديوي أن التفكير لا يتم في انعزال عن شئون الحياة ولكنه يتم في بيئة اجتماعية وثقافية ملئية بمثيراتها ودوافعها التي تحمل الفرد على التفكير ليتغلب على مشاكل الحياة التي يواجهها.

*مبادئ الفلسفة البراجماتية. (ناصر، 2004، ص337):

نجد كل فلسفة تمتاز عن غيرها بمجموعة من الأمور أو المميزات التي تجعل للمذهب الفلسفي كيانه الخاص، ونجد للبراجماتية عدة مبادئ، منها:

1) يصعب على الإنسان أن يصل إلى حقائق ثابتة في العالم الذي نعيش فيه فالعالم متغير باستمرار.
2) العمل أو الطريقة العملية هي من الطرق الناجحة في اختبار الأفكار التي ينتجها الإنسان.
3) الخبرة مبدأ أساس بين الفكر والعمل وهي وسيلة في معرفة العامل الخارجي الذي نعيش فيه وبعدها ندرك كيف نتعامل معه.
4) أن الديمقراطية هي أسلوب حياة وهي طريقة عمل، وفي الوقت نفسه تخضع للعقل.
5) الذات تعد رمز سلوكي تنتج تلك الذات من موقف اجتماعي.
6) من أسس البرجماتية المنفعة أي أنها قائمة على المنفعة.

ثانيا:المدرسة النموذجية وعامل الخبرة لدى ديوي:

أنشأ ديوي في سنة 1896 في شيكاغو المدرسة النموذجية ولها عدة أسماء منها مدرسة التطبيقات والمعمل والمختبر، وأنشأ هذه المدرسة حتى تكون حقلا لتجربة نظرياته التربوية وآرائه التقدمية في التربية وطبق فيها المبادئ المنهج البراجماتي الذي ينتمي إليه.

يعد ديوي الخبرة الصحيحية هي التي تجمع بين النزاعات الداخلية والظروف الخارجية،وتأتي النزاعات الداخلية حتى تكون متناسقة مع الظروف الخارجية.(الأهواني،1998). ويولي ديوي أهمية قصوى لعامل الخبرة ويؤمن أن التربية السليمة هي عندما تتحقق عن طريق الخبرة.

المدرسة النموذجية هي أحد أعمال الفيلسوف الإمريكي جون ديوي وأهمها؛ لأن في تلك الفينة صعبت على المدارس مواكبة التطور الذي أحدثته الثورة الصناعية. وبعدها تم ضم هذه المدرسة إلى الجامعة شيكاغو -كلية التربية- لتكون مدرسة تطبيقية تجريبية تابعة لهذه الجامعة.أقام ديوي برامج المدرسة حسب ما تنص به الفلسفة البراجماتية، ومن أهم الأسس.(الشيباني,1987م,ص:334-335):

*يجب مراعاة الفروق الفردية بين الطلبة.
*التركيز على مبدأ التعاون وليس التنافس.
*ويجب أن تكون هناك علاقة وثيقة بين المدرسة والبيت.
*ويجب أن يوظف المتعلم الخبرات التي يكتسبها داخل المدرسة في مجتمعه والاستفادة منها.
*احترام ميول الطلبة وحريتهم في التعبير عن أنفسهم.
*من الأهمية بمكان أن يتعلم الطالب عن طريق خبرتهم ونشاطهم الذاتي.

كانت هذه المدرسة ممهدة للتربية التقدمية التي عمت إمريكا في النصف الأول من القرن العشرين. وكان لهادور فاعل في إقناع الأباء بأهمية المبادئ التربوية التقدمية، وإمكانية تطبيقها.

لم يتجاهل ديوي الفلسفة الكلاسيكية بل تعلمها ثم رسم مدرسته على أسس اجتماعية ونفسية مختلفة، فأخذ من سقراط الجلادة والصبر، وأخذ من أفلاطون التأمل، ومن أرسطو الواقعية وبعدها قدم لنا الفلسفة البراجماتية التي ارتبطت بالتربية وربط بعدها التربية بالحياة العملية التي نعيشها بسكونها وحركتها وبكافة تحدياتها.

حارب ديوي الفكرة السائدة في القرن التاسع عشر التي تقول أن الطفل كائن سلبي ومهمة التربية فرض المعارف في ذهنه.

أيضا أكد ديوي على أن وظيفة المدرسة هي غرس القيم داخل الطفل، ويقول في هذا الصدد:" يلزم أن نجعل في كل مدرسة من مدارسنا حياة اجتماعية مصغرة بأنواع مهنها تعكس حياة مجتمع أكبر".(حسين، 2020).

*ونذكر هنا المراحل التعليمية وفق الفلسفة التي آمن بها ديوي:

تنقسم المراحل التعليمية إلى ثلاث مراحل، هي:

4_8(1سنوات:فترة المرح أو اللعب.

8-12(2سنة:فترة اهتمام.

12(3سنة فأعلى فترة انعكاس الاهتمام.

*أيضا نذكر هنا الطرق التي ذكرها ديوي في التدريس والتي تتمحور حول ثلاث عمليات، هي:

1. المتابعة وهنا نخص المتابعة النفسية حسب المناهج المدرسية.
2. اتباع الطريقة التي اهتم بها ديوي كثيرا وهي طريقة المشروع.
3. والطريقة الأخيرة تنص على زيادة الفرص الاجتماعية.

ويرى ديوي كما ذكرنا سابقا أن الفلسفة والتربية وجهين لعملة واحدة لا يمكن الفصل بينهما. فالفلسفة تقدم لنا التصورات والمنهج النظري وتعمل التربية على تطبيق ذاك المنهج النظري، فيرى ديوي أن التعليم الناجح هو الذي يغرس المهارات التي تفيد الفرد في التعامل مع واقعه المعيش دون التشبث بالماضي، وأن التعليم الناجح ليس ذاك التعليم الذي يكدس معلومات فقط .

يميل الطفل لاستخدام القلم والورق فالأطفال جميعا يرغبون في التعبير عن أنفسهم باللون والشكل.(المدرسة والمجتمع،ص:51).

نريد الطفل أن يأتي إلى المدرسة بجسمه وعقلة ويغادر تلك المدرسة بعقل أغنى وجسم أصح.

وحتى تكون الخبرة تتصف بالاستمرار يجب أن تكون متصلة بالخبرات التي سبقتها وممهدة للخبرات التي سوف يتلقاها في المستقبل.

ذكر جون ديوي في كتابه الديمقراطية والتربية ثلاثة موازين للأهداف التربوية الحسنة:

(1الهدف يكون نابع من ذات التلميذ.

(2تترجم الأهداف إلى أعمال وخبرات تعتمد على نشاط التلميذ.

(3ويجب أن تكون الأهداف أمور تقريبية وليست نهائية والربط بين الأهداف ووسائلها.

ونرى أن هذه الموازين مهمة؛ لأن عندما يكون الهدف نابع من التلميذ ذاته يبذل فيه جهد أكثر. وأيضا كلما مارس التلميذ الأعمال في تحقيق الهداف كان لهذا دور بارز في ثبات المعلومة.

يقول ديوي يجب أن تكون هناك علاقة بين خبرات التلميذ داخل المدرسة وخارجها والربط بين المعرفة النظرية والعمل.(المدرسة والمجتمع،1978).مما لا شك فيه أن يجب أن يكون هناك علاقة بين خبرات التلميذ داخل المدرسة وخارجها ويجب أن تكون المدرسة متصلة بالمجتمع ونادى بأن لا تكون للمدرسة أسوار حتى يكون اتصالها تام بالمجتمع.(الحسن،2022). والمبدأ الثاني الربط بين المعرفة النظرية والعمل فالنظر دون عمل في رأي ديوي لا تصلح؛ فالمعرفة عند ديوي قوة فأين تكمن القوة إذا كانت المعارف لا تفيدنا في الواقع ولا نسد بها حوائجنا بل تكون مجرد معارف ومعلومات متراكمة ليس لها خانة ولا نستفيد منها في حياتنا اليومية.وحتى لا يكون التلميذ في معزل عن متطلبات الحياة اليومية. ويعد ديوي مثالا لصحة النظرية التي ترى بأن الإنسان ثمرة البيئة التي يعيش فيها.

ذكر ديوي صفات الخبرة التي يجب أن تزود بها المدرسة الطلبة، وهي:(حسين،2020):

*يجب أن تسهم في زيادة قدرة الفرد التنفيذية.

*تزود الفرد بما تجعله اجتماعيا أي راغبا في صحبة الآخرين.
*تهيئة الذوق الفني أي قابلية تذوق الفنون الجميلة.
*يدرب على أسلوب التفكير.
*تذكي فيه الحساسية لحقوق الآخرين ومطالبهم.
ثالثا: المنهج التربوي لدى ديوي:
ذكر جون ديوي في كتابه خمس طرق في حل المشكلات.
(1الشعور بالمشكلة، إذا وقع أي شخص في مأزق يجب أو الخطوات أن يدرك الامر الذي وقع فيه.
(2معرفة موضوع المشكلة وتحديدها، يجب على صاحب المشكلة بعد الشعور بها أن يحدد نطاق هذه المشكلة.
(3فرض الفروض أو الحلول لهذه المشكلة، وكلما كانت الحلول أكثر كان الأمر مفيد ويمكن أن يوصلك إلى الحل السليم.
(4اختبار الفروض والحلول المناسبة لحل هذه المشكلة ويجب أن تختبر بعناية على نهج الطريقة العلمية.
(5وفي المنتهى يتم تطبيق الحلول.
كان ديوي يؤمن بأهمية البحث والاستقصاء وأن الأسلوب العلمي هو الأنجع في عملية البحث. وكان يردد أن الأسلوب الذي يقوم على الاستقصاء والبحث لحل المشكلات هو أكثر إيجابية إن كان قائما على الحرية الذاتية للتلميذ وهو خير من الدروس التقليدية التي تقوم على المعلم وأساسها التلقين. وتختلف طريقة هربارت في حل المشكلات مع طريقة ديوي؛ لأن طريقة هربارت تركز على المُدرس أما طريقة ديوي تركز على التلميذ.

يرى ديوي أن التفكير لا يحدث نتيجة التأمل البحت كما كان يعتقد أفلاطون وغيره من الفلاسفة المثاليين، ولكنه يحدث نتيجة نشاط الفرد وتفاعله من بيئته ونتيجة لوجود مشكلة يواجهها يريد إيجاد حل مرضي لها ليحقق لنفسه التكيف والسرور.
رابعا: طريقة المشروع عند ديوي:
الطريقة التي يوصي بها ديوي في التدريس هي طريقة المشروع وكان يرى أن لها أثر بالغ في التدريس. وفي نظره الذي أشاطره الرأي فيه أن الطريقة التي تدرس بها المادة أهم من محتويات المادة ذاتها. والطريقة كما يعرفها ديوي أسلوب نافذ لاستعمال المادة في سبيل الوصول إلى غرض من الأغراض.(جون ديوي، 1946،ص174).
يمكن لأي تلميذ من خلال المشروع المدرسي أن يكسب الكثير من الحقائق والمهارات والخبرات أيضا والتي نجدها تنتمي لمواد دراسية عدة.(الشيباني، 2011،355). وكان ديوي رافض فكرة تقسيم المواد التي تقوم على تقسيم المنهج إلى مواد منفصله وكان يرأها طريقة تقليدية.وأكد ديوي على أن طريقة المشروع تجمع بين النشاط العقلي والحركي أي الجسمي والاجتماعي وتساعدة على التعلم بيسر.
ومن أفكار جون ديوي التي ينادي بها هي أن التربية هي الحياة وليس مجرد تهيئة للحياة بل الحياة نفسها.
والفهم عند ديوي يعني أنه إدراك العلاقات بين الأشياء، والتفكير عملية بحث وتحقيق وفحص الأشياء لا مجرد حفظ معلومات عن طريق التلقين، والتلقين يعد من الطرق التقليدية التي يرفضها ديوي.
والعقل عند ديوي ليس أداة المعرفة فحسب وإنما هو أداة لتطوير الحياة.
وكان يركز كثيرا على مرعاة الفروق الفردية بين الطلبة والاهتمام بميولهم ودوافعهم الطبيعية.(الشيباني،2011،36) وكان يرى أن من الأهمية بمكان التركيز على الثقافة العامة والتخصص يكون في الجامعة وليس المدرسة.
والكبت والاستعباد يؤديان إلى الفساد والانحراف والعلة في ذلك أن القوة الباطنة حين تكبت تعمل في غير رقابة أو ضبط.(الأهواني،1998). نعم يجب أن يكون التلميذ فعال والمعلم موجه فالتلميذ يعمل ويطبق ويبدي رأيه ويشعر بمكانته وأهميته داخل الفصل حتى لا يمل ويكره التعليم وينحرف عن درب الرشاد .

وأكد جون ديوي على الخبرة والتجربة كمصادر للمعرفة. وأكد أن المعرفة أداة للعمل ووسيلة للتجربة. والأفكار لا أهمية لها إذا لم تسخر لحل مشاكلنا اليومية. بمعنى أنه يجب أن تكون هناك علاقة بين التعليم النظري والتعليم العملي.
والمعايير التي تحدد الأهداف الصالحة هي وجوب أن يكون الهدف وليد الظروف الحالية ومبنيا على الأمور التي نعيشها بالفعل، ويجب أن يكون الهدف مرنا قابل للتغير حسب الظروف التي نعيشها، وأن يكون الهدف نابع من ذات المتعلم، وليس من الخارج.(أمينة،2021.(
ويتضح هنا للمتلقي أن طريقة المشروع جل اعتمادها على نشاط حر يقوم به التلميذ وينطلق هذا النشاط من مشكلة شدة انتباه المتعلم وبعدها يقومون بتوظيف قواهم العقلية لإجاد الحلول المناسبة لها.(عبد الحفيظ،2009).

الخاتمة
سعى الباحث مع عدد من سبقه بالاهتمام بفلسفة ديوي وإخراجها إلى النور بعدما مكثت سنينا في سراديب الظلمات، وعرف الباحث في البدء بالفيلسوف الإمريكي جون ديوي الذي يعد الناطق بلسان الفلسفة الإمريكية والحامل للوائها. والذي تحدث عن أهمية ربط المواد النظرية بالتطبيق في أرض الواقع دون الخضوع لأي نظام تقليدي موروث مهما كان عريق.
بعدها تطرق الباحث إلى الحديث عن الفلسفة البراجماتية عند ديوي وتفاصيلها والمبادئ الستة التي تقوم عليها فلسفة ديوي:
(1 يصعب على الإنسان أن يصل إلى حقائق ثابتة في العالم الذي نعيش فيه فالعالم متغير باستمرار.
(2 العمل أو الطريقة العملية هي من الطرق الناجحة في اختبار الأفكار التي ينتجها الإنسان.
(3 الخبرة مبدأ أساس بين الفكر والعمل وهي وسيلة في معرفة العامل الخارجي الذي نعيش فيه وبعدها ندرك كيف نتعامل معه.
(4 أن الديمقراطية هي أسلوب حياة وهي طريقة عمل، وفي الوقت نفسه تخضع للعقل.
(5 الذات تعد رمز سلوكي تنتج تلك الذات من موقف اجتماعي.
(6 من أسس البرجماتية المنفعة أي أنها قائمة على المنفعة.
بعدها ذكر الباحث المدرسة النموذجية أو المعمل عند ديوي والتي جعلها حقلا لتطبيق نظرياته التي تبناها في الفلسفة البراجماتية آنفة الذكر والتي اختار مكانها في شيكاغو. وأولى الفيلسوف ديوي أهمية كبيرة إلى الخبرة في العملية التربوية ويؤكد على أن الخبرة هي الجسر المؤدي إلى التربية السليمة الصحيحة.
وفي المحور الثالث تناول ديوي المنهج التربوي في حل المشكلات وجاءت كالآتي:
(1الشعور بالمشكلة.
(2معرفة موضوع المشكلة وتحديدها
(3فرض الفروض أو الحلول لهذه المشكلة.
(4اختبار الفروض والحلول المناسبة لحل هذه المشكلة.
وفي المنتهى يتم تطبيق الحلول.
وفي المحور الأخير ذكر ديوي طريقة المشروع وأكد أن طريقة المشروع من الطرق الناجحة في التدريس ويجب أن تتبناها المدارس حتى تحقق أهدافها.وكان يرى أن لها أثر بالغ في رفع المستوى التحصيلي للطلبة.

التوصيات والاقتراحات:
التوصيات
1- تعزيز الفلسفة البراجماتية(الأداتية) وينصح بتشجيع المعلمين على تبني نموذج تعليمي يسهم في تفاعل الطلبة.

2- الحرص على تطبيق المنهج التربوي في التدريس بطريقة منهجية لما له من منافع عائدة لمصلحة الطلبة.
3- التنبيه على أهمية طريقة المشروع ومدى فاعليتها في التدريس،والحرص على تعلم النشء من خبراتهم ونشاطهم الذاتي، والحرص على مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ.

الاقتراحات:

-1إعداد بحث حول الدول التي تتبنى الفلسفة البراجماتية في التدريس.
-2عمل بحوث تجريبية على المدراس التي تتبنى الفلسفة البراجماتية ومعرفة مدى فاعلية هذه الفلسفة في التدريس.

المراجع:

*الأهواني ، أحمد فؤاد (1968). جون ديوي.القاهرة: دار المعارف.
*إبراهيم، مصطفى ابراهيم. (1999م). نقد المذاهب المعاصرة. الاسكندرية، دار الوفاء.
*الحسن، علي موسى. (2022). إعادة بناء العلاقة بين المدرسة والمجتمع في فلسفة جونديوي. مجلة جامعة دمشق للآداب و العلوم الإنسانية. 38(1,(
*الخطيب، إبراهيم، والكسواني، مصطفى خليل، وابو حويج، مروان. (2009م). مدخل الى التربية. عمّان: دار قنديل.
*الرشدان،عبدالله زاهي.(2002م).تاريخ التربية.عمان.دار وائل للنشر والتوزيع.
*الشيباني، عمر محمد التومي.(1987م). تطور النظريات والأفكار التربوية. ليبيا: الدار العربية للكتاب.
*العاني، وجيهة. (2003م). الفكر التربوي المقارن. عمّان: دار عمّار للنشر والتوزيع.
*برندان، ولسون.ترجمة: آصف ناصر (2010)، الفلسفة ببساطة (الطبعة الثانية)، بيروت: دار الساقي، صفحة: 9.
*بن سلامة، أحلام.(2016). أصول فلسفة التربية عند جون ديوي[رسالة ماجستير غير منشورة].جامعة محمد بوضياف المسيلة.
*جون، يوي.(1987).المدرسة والمجتمع(أحمد حسن). دار مكتبة الحياة.
*حسين،نسرين خليل.(2021،حزيران). القيم التربوية عند جون ديوي. مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية،(60)،401-418.
*رجب بو دبوس (1425هـ)، تبسيط الفلسفة (الطبعة الأولى)، ليبيا- بنغازي: الدّار الجماهيريّة للنشر والتوزيع والإعلان، صفحة: 13-14.
*عبد الحفيظ، البار. (2009). فلسفة التربية عند جون ديوي[رسالة ماجستير غير منشورة].جامعة منتوري قسنطينة.
*ناصر، إبراهيم،(2004)، فلسفات التربية، ط2، عمّان: دار وائل.

القيادة الاستراتيجية وانعكاسها على الأداء الوظيفي
دراسة استطلاعية لآراء عينة من موظفي تربية الكوفة في محافظة النجف

الباحثة- م. م يصغ رحيم رشيد الماضي
قسم إدارة الأعمال - كلية الإدارة والاقتصاد - جامعة الكوفة
yasagur.almadhee@uokufa.edu.iq
00964816032206

الملخص
يهدف هذا البحث الى دراسة دور القيادة الاستراتيجية بأبعادها (الرؤية، التركيز، التنفيذ) وانعكاسها على الأداء الوظيفي بأبعاده (أداء المهمة، الأداء السياقي، المشاركة). وحددت مشكلة البحث عن طريق تشخيص مستوى الاهتمام بمتغيراتها على ارض الواقع. حيث ان اغلب المنظمات تعاني من ضعف في اداءها التي أصبحت عبئا عليها. وتكمن أهمية البحث في الحاجة الى الاعتماد على كفاءة قيادتها وعلى ما تمتلكه من مهارات. ففي حالة توظيف هكذا نوع من القيادة سيجعلها أكثر تهيؤا في العمل والنجاح في تحقيق أداء وظيفي عالي. تبنت الباحثة نهج تحليلي وصفي لعرض وتحليل وتفسير المعلومات البحثية. وذلك من خلال دراسة الارتباط والتأثير بين المتغيرين المذكورين وابعادهما الفرعية اذ طبق البحث على عينة بلغت (50) من موظفي تربية الكوفة في النجف الاشرف، وقد تم استخدام الاستبانة كأداة لجمع البيانات، وتم توزيع (40) استمارة يدويا وتم ارسال نموذج الاستبانة اليكتروني عبر رابط مشاركة باستخدام برنامجgoogle drive للموظفين في مديرية تربية الكوفة. وكانت عدد الاستبانات الصالحة للاختبار (34) استبانة. تم اختبارها من خلال ثلاث فرضيات كانت الأولى لعلاقة الارتباط والثانية للتأثير والثالثة للفروق. باستخدام البرنامج الاحصائي SPSS V.24. وتوصل البحث الى مجموعة من الاستنتاجات أهمها ان للقيادة الاستراتيجية تأثير ايجابي على الأداء الوظيفي ولها دور كبير في تحسينه. وان التأثير الاكثر هو لبعد التركيز ثم تليه الرؤية ويأتي اخيرا تأثير بعد التنفيذ وهذا يؤشر ان الاعتماد على تأثير الابعاد ضمن انموذج واحد ممكن ان تتأثر الابعاد فيما بينها وتختلف قيم تأثيراتها في الاداء الوظيفي.
وفي ضوء النتائج التي تم التوصل اليها توصي الباحثة على أهمية الرؤية والتنفيذ والتركيز في القيادة الاستراتيجية لتحقيق أفضل النتائج. ضرورة الاهتمام بتحسين الرؤية للقيادة الاستراتيجية وتوظيفها توظيفا صحيحا لخدمة المؤسسة المبحوثة.

الكلمات المفتاحية: القيادة الاستراتيجية: الرؤية، التركيز، التنفيذ، الأداء الوظيفي

Strategic leadership and its reflection on job performance / an exploratory study of the opinions of a sample of Kufa education employees in Najaf governorate

A. Lecture Yasasgh Raheem Rasheed al-madhee
Business Administration Department - College of Administration and Economics - University of Kufa

Abstract

This research aims to study the role of strategic leadership in its dimensions (vision, focus, implementation) and its reflection on job performance in its dimensions (mission performance, contextual performance, participation). The research problem was identified by diagnosing the level of interest in its variables on the ground. Most organizations suffer from poor performance, which has become a burden on them. The importance of the research lies in the need to rely on the efficiency of its leadership and the skills it possesses. In the case of Employing this type of leadership, will make it more prepared to work and succeed in achieving high job performance. The researcher adopted a descriptive-analytical approach to display, analyze and interpret research information. This is done by studying the correlation and influence between the two aforementioned variables and their sub-dimensions, as the research was applied to a sample of (50) employees of Kufa education in Najaf, and the questionnaire was used as a tool for data collection, and (40) forms were distributed manually, and the questionnaire form was sent electronically via a link Participation using Google Drive for employees in the Kufa Education Directorate. The number of valid questionnaires for testing was (34). It was tested through three hypotheses, the first was for correlation, the second for effect, and the third for differences. Using SPSS V.24 statistical software. The research reached a set of conclusions, the most important of which is that strategic leadership has a positive impact on job performance and has a major role in improving it. And that The most effect is the dimension of focus, then vision, and finally comes the effect of implementation, and this indicates that depending on the effect of dimensions within one model, it is possible that the dimensions are affected among themselves, and the values of their effects differ in job performance.

In light of the findings, the researcher recommends the importance of vision, implementation and focus in strategic leadership to achieve the best results. The a need to pay attention to improving the vision of the strategic leadership and employing it properly to serve the researched institution.

Keywords: strategic leadership: vision, focus, implementation, job performance

مقدمة

ان التغيرات في البيئة السريعة دعت للحاجة الى وجود قيادات استراتيجية تملك رؤية استراتيجية مستقبلية. لتواكب التغيرات البيئية المتسارعة وتتأقلم معها. حتى لا تكون اعمالها في المستقبل غير مدروسة، لذلك الاتجاه السائد في العصر الحاضر هو تزويد المنظمات بقادة يمتلكون مهارات استراتيجية للاستفادة منهم في بناء فرق العمل والتأثير بالتابعين وتحفيزهم وتنمية مهاراتهم، وتشجيعهم على الابتكار والابداع لزيادة قدرة المنظمة على التكيف والنمو في ظل هذه التغيرات المتسارعة. ونرى اليوم ان العديد من المنظمات لديها ضعف في الأداء الوظيفي وتكون عادة غير قادرة على تقديم الأفضل للمنظمة، قد يكون سبب ذلك هو نوع القيادة الموجودة والتي لها التأثير الأكبر على الأداء الوظيفي. والتي سوف نلقي الضوء عليها في بحثنا هذا.

لذلك لابد من التعرف على مهارات القيادة الاستراتيجية ومدى إسهاماتها المعنوية في تحقيق الأداء الوظيفي المطلوب بوصفها مداخل حديثة في الوقت الحالي وتعبر بشكل دقيق عن نجاح المنظمات وفشلها.

اشتمل البحث على أربع مباحث رئيسة، اختص المبحث الأول بمنهجية البحث والمبحث الثاني اهتم بالإطار النظري، وبيان الجانب العملي في المبحث الثالث، اما المبحث الرابع تمخض عن اهم الاستنتاجات والتوصيات التي توصل اليها البحث.

المبحث الاول- منهجية البحث

اولاً-مشكلة البحث:

مما لا شك فيه ان اغلب المنظمات تعاني من ضعف في اداءها التي أصبحت عبئا عليها، وان هناك العديد من المشاكل الإدارية التي تحكم بيئة العمل، حيث لها تكاليفها الباهظة جدا ولها تداعيات خطيرة على تحقيق الاهداف. ومن الضروري معرفتها وتشخيص سبب الضعف بالأداء، كما أن تكاليف آثارها لا تنحصر على فرد أو فئة معينة بل تشمل جميع الفئات الموجودة، ولو قمنا بتشخيص في الأداء الوظيفي لوجدنا سببًا رئيسيًا في نجاح المنظمات يعتمد على كفاءة قيادتها وعلى ما تمتلكه من مهارات تجعل المنظمة تحقق مستويات عالية في الأداء الوظيفي، فعدم تبني هذا النوع من القادة لهذه المنظمات سيضعف تهيئوهم لتحقيق هذه المستويات واهداف المنظمة وبالعكس في حالة توظيف هذه النوع ستكون القيادة أكثر تهيؤا في النجاح وتحقيق أداء وظيفي عالي. ويعد هذا جوهر مشكلة البحث، وعموما فانه يمكن تجسيد مشكلة البحث من خلال التساؤلات الأتية:

1. ما مدى توفر أنماط القيادة الاستراتيجية في العينة المبحوثة.
2. ماهية العلاقة بين القيادة الاستراتيجية الأداء الوظيفي.
3. ما هو تأثير القيادة الاستراتيجية في الاداء الوظيفي.

ثانيا-أهداف البحث:

يسعى البحث الى تحقيق الأهداف الأتية:

1. الوقوف على طبيعة مهارات القيادة الاستراتيجية القائمة لعينة البحث وتوضيح مكوناتها وانماطها.
2. توضيح ماهية مفهوم الأداء الوظيفي والكشف عن مستواه في المنظمة المبحوثة.
3. بناء وإثراء الإطار النظري لمتغيري البحث، وكذلك فيما يتعلق بالتفاعلات والتأثيرات التي توضح العلاقة بين كل من القيادة الاستراتيجية والاداء الوظيفي.
4. التعرف على اختلاف انعكاس القيادة الاستراتيجية في الأداء الوظيفي وفقاً لخصائص عينة البحث (سنوات الخدمة، المؤهل العلمي).

ثالثا- أهمية البحث:

1. تنطلق أهمية البحث من أهمية المنظمات المبحوثة التي طبق فيها البحث ودورها الاساسي في السعي لتخلص من ضعف الأداء الوظيفي التي أصبحت تنتشر بشكل واسع وتحد من قدرتها في تحقيق الأهداف التي تسعى اليها. والتي تتطلب اشخاص مناسبين لتولي زمام الأمور فيها، أي ما سعى اليه هذا البحث، وهم القادة الاستراتيجيون اللذين يمتلكون مهارات قيادة متميزة.
2. من أهمية المتغيرين، اذ ركزت أغلب الدراسات والبحوث على أنماط ومهارات القادة وعلى الأداء الوظيفي ومعالجاتها بالجوانب العسكرية. وعلى حد علم الباحثة لم تجد دراسات جمعت بين المتغيرين

بالجانب الأكاديمي وفي المنظمة المبحوثة. لذلك يمثل هذا البحث محاولة متواضعة للتوليف بين هذين المتغيرين.

رابعا- فرضيات البحث:

يتضمن البحث ثلاثة فرضيات رئيسة. تتفرع منها عدة فرضيات فرعية هي: -

الفرضية الرئيسة الأولى: ترتبط مهارات القيادة الاستراتيجية ارتباطا معنويا بأبعاد الأداء الوظيفي وتتفرع منها الفرضيات الفرعية الاتية:

1_ ترتبط الرؤية ارتباطا معنويا بأبعاد الأداء الوظيفي منفردة ومجتمعة.

2- يرتبط التركيز ارتباطا معنويا بأبعاد الأداء الوظيفي منفردة ومجتمعة.

3- - يرتبط التنفيذ ارتباطا معنويا بأبعاد الأداء الوظيفي منفردة ومجتمعة.

الفرضية الرئيسة الثانية: تؤثر مهارات القيادة الاستراتيجية تأثيرا معنويا بأبعاد الأداء الوظيفي وتتفرع منها الفرضيات الفرعية الاتية:

1_ تؤثر الرؤية تأثيرا معنويا بأبعاد الأداء الوظيفي منفردة ومجتمعة.

2- يؤثر التركيز تأثيرا معنويا بأبعاد الأداء الوظيفي منفردة ومجتمعة.

3- يؤثر التنفيذ تأثيرا معنويا بأبعاد الأداء الوظيفي منفردة ومجتمعة.

الفرضية الرئيسة الثالثة: توجد فروق معنوية لانعكاس القيادة الاستراتيجية في مواجهة الأداء الوظيفي وفقا لمتغيرات الشخصية (عدد سنوات الخدمة، المؤهل العلمي).

خامسا: نموذج البحث الفرضي

1) **المتغير المستقل: القيادة الاستراتيجية** ويتمثل بثلاثة ابعاد هي (الرؤية، التركيز، التنفيذ).
2) **المتغير المعتمد: الأداء الوظيفي** ويتمثل بثلاثة ابعاد هي (أداء المهمة، الأداء السياقي، المشاركة).

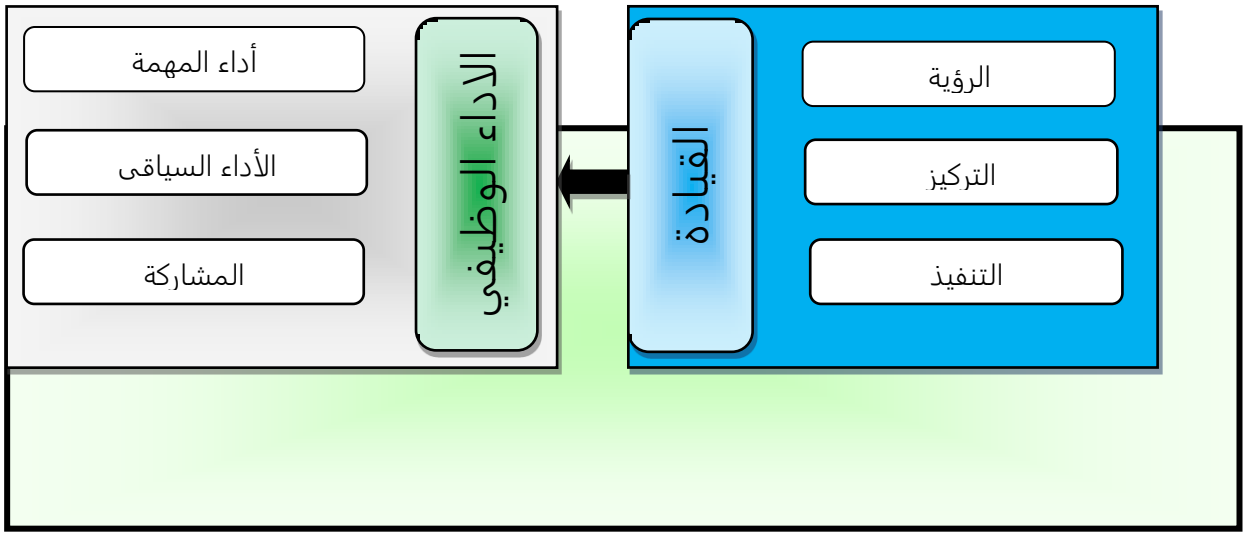

سادسا مجتمع البحث وعينته: -

تم إجراء الدراسة في مديرية تربية الكوفة وقد تم إستهداف موظفين المديرية في هذه الدراسة وتم اختيار عينة قصدية من بينهم تضم (50) وتم توزيع إستمارة الاستبيان يدويا عليهم. وكذلك تم ارسال الاستمارة اليكترونيا برابط عبر برنامج google drive وكان مجتمع البحث يبلغ (143) موظف.

سابعا: حدود الدراسة: -

1. الحدود الزمانية للدراسة: -

تنحصر الحدود الزمانية للدراسة منذ انطلاق الباحثة إتجاه الجهد النظري والعملي للدراسة وتوزيع الاستبانات على عينة الدراسة والمتمثلة بـ موظفين مديرية تربية الكوفة في مجتمع الدراسة والحصول على البيانات التي تحتاجها إجراءات الدراسة في الجانب العملي منها لإستخراج النتائج، ويمتد ذلك خلال المدة بين (2023/3/15 الى 2023/5/1).

2. الحدود المكانية للدراسة: -

تمت دراسة الموضوع على مستوى موظفين مديرية تربية الكوفة في محافظة النجف الاشرف

ثامنا: طرق جمع البيانات والمعلومات: -

اعتمدت الباحثة مجموعة من الطرق والأساليب لجمع البيانات والمعلومات التي تحتاجها الدراسة وكالآتي:

أ- الجانب النظري:

تضمن الاستعانة بمختلف المصادر العلمية، الأجنبية والعربية (الكتب، الدراسات، البحوث، الاطاريح، الرسائل)، ذات الصلة بمتغيرات الدراسة، فضلاً عن الاستعانة بالأنترنيت وذلك بهدف التوصل الى إطار علمي واضح لمتغيرات الدراسة.

ب- الجانب العملي:

تضمن إستمارة الاستبيان التي تم تصميمها لتغطية المحورين المتغير المستقل والمتغير التابع، وتم توزيعها يدويا واليكترونيا.

المبحث الثاني- الإطار النظري للبحث

اولا: القيادة الاستراتيجية: -Strategic leadership

1- مفهوم وتعريف القيادة الاستراتيجية: -

ظهر هذا المفهوم للأول مرة على يد (Mintzberg,وkotter,1982) اشارة الى رئيس الشركة او المدير التنفيذي، كما أشار كل من (Nachman& Shrivastava,1989) الى ان بروز مفهوم القيادة الاستراتيجية تلا مفهوم الإدارة الاستراتيجية بعدة سنوات (جميل،126:2011) ويتفق (Vera & Crossan,2004:22) و(Zoogah,2009:203) إلى ان هناك فرق بين القيادة والقيادة الاستراتيجية، أذ تتمثل الأولى بأي مستوى في المنظمة بينما الثانية تتمثل بمستوى القمة في المنظمة. وان القيادة تركز على العلاقة بين القادة والمرؤوسين بعكس القيادة الاستراتيجية حيث تركز على العمل التنفيذي ليس كنشاط علائقي وانما كنشاط استراتيجي.

على مدى العقود القليلة الماضية، ازدهر الاهتمام الأكاديمي بالقيادة الاستراتيجية. على سبيل المثال، مجموعة الاهتمام بالقيادة الاستراتيجية والحوكمة لجمعية الإدارة الاستراتيجية مزدهرة، وتقريبًا كل عدد من كل مجلة عليا في الإدارة تحتوي على مقال واحد أو أكثر حول بعض جوانب القيادة الاستراتيجية. ضمن هذا النطاق الواسع، يكرس الباحثون اهتمامهم للرؤساء التنفيذيين (CEOs)وفرق الإدارة العليا (TMTs)ورؤساء الأقسام ورجال الأعمال ومجالس الإدارة. بعيدًا عن تمجيد هذه الشخصيات، يبني باحثو القيادة الاستراتيجية نظرياتهم ودراساتهم على فرضية أن قادة الأعمال هم بشر تمامًا، ومليؤون بغموض الشخصية، والتحيزات، والغيرة، والتعب، والقيود الأخرى، بينما في بعض الحالات يمتلكون أيضًا درجات ملحوظة من الإبداع والجرأة. من أجل الخير أو الشر، تشكل جميع هذه العوامل الإجراءات التنفيذية،wangrow) (Schepker:2015، & Barker، ومع ذلك، فإن تحديد القيادة يمثل تحديًا. "تم التأكيد على صعوبة الوصول إلى تعريف بسيط للقيادة الاستراتيجية في الأدبيات حول هذا الموضوع" (Andrews 1971: 107) وكما بين كل من (Beatty and Quinn, 2010, p.3) ان حصر القيادة يختلف من حالة إلى أخرى. تقوم القيادة الاستراتيجية بتصفية المعلومات العملية، مما يخلق بيئة يمكن فيها تطوير التعلم. والقيادة الاستراتيجية هي نتيجة مسؤولية القائد والمنظمة. تقدم القيادة تحديات تؤدي إلى الأفضل في الأشخاص وتجمعهم معًا حول شعور مشترك بالهدف(Göran,2006:337) نتفق مع تعريف (Ireland & Hitt,2005:36) للقيادة الاستراتيجية على أنها "قدرة الشخص على التوقع

والتخيل والحفاظ على المرونة والتفكير الاستراتيجي والعمل مع الآخرين لبدء التغييرات التي ستخلق مستقبلًا قابلاً للتطبيق في المؤسسة" في نموذج القيم المتنافسة ، يجادل (Quinn ,1988) بأن المديرين التنفيذيين يجب أن يلعبوا ثمانية أدوار قيادية متنافسة في وقت واحد: مبتكر ، وسيط ، وميسر ، ومعلم ، ومنسق ، ومراقب ، ومنتج ، ومدير. يصف (House & Aditya 1997:445) المهام الرئيسية للقيادة الاستراتيجية على النحو التالي: القيادة الاستراتيجية تشمل: اتخاذ القرارات الاستراتيجية المتعلقة بمنتجات وخدمات المنظمات والأسواق. اختيار المديرين التنفيذيين الرئيسيين؛ وتخصيص الموارد للمكونات التنظيمية الرئيسية؛ صياغة الأهداف والاستراتيجية التنظيمية؛ توفير التوجيه للمنظمة فيما يتعلق بمجال المنظمة؛ وضع تصور وتركيب التصاميم التنظيمية والبنى التحتية الرئيسية، مثل أنظمة التعويض والمعلومات والتحكم؛ تمثيل المنظمة لدوائر مهمة مثل ممثلي المؤسسات المالية والوكالات الحكومية والعملاء(Crossan& Nanjad2008:571) تختلف القيادة الاستراتيجية عن أسلوبي القيادة الشائعين الآخرين، وهما القيادة الإدارية والرؤية. ينغمس القادة الإداريون بشكل أساسي في الأنشطة اليومية للمؤسسة ويفتقرون إلى رؤية مناسبة طويلة الأجل للنمو والتغيير. على الرغم من فوائد القيادة الاستراتيجية، لا تزال العديد من المنظمات تنفذ الهياكل أو الإجراءات الروتينية التي تقيد وتثبط القيادة الاستراتيجية. إذا كانت القيادة الاستراتيجية ستظهر، يجب على المنظمة أن تقدم لقادتها الاستقلالية والحماية. يجب أن يكونوا أحرارًا في تصور المستقبل كما يرونه وتنفيذ استراتيجيات النمو دون تدخل. هذا التدخل هو الأكثر وضوحا في المنظمات المتنوعة الكبيرة. (Lear,2012:34)

2-أهمية القيادة الاستراتيجية: -

تم وصف البيئات بشكل متزايد بأنها سريعة التغير ومزعجة، وتتطلب مناهج جديدة للاستراتيجية التي تنطوي على قدر أقل من التخطيط والتحكم، ومزيد من المرونة والتعلم والارتجال في المقابل، تتطور أشكال جديدة من التنظيم والفجوة الثانية هي أنه على الرغم من تسمية "القيادة الاستراتيجية"، فإن تركيز الباحثين كان على الخصائص الديموغرافية، والسمات، وسلوكيات كبار المديرين، وليس على المسؤوليات الرئيسية للقادة الاستراتيجيين. تتوافق هذه الملاحظة مع دعوة House & Aditya (1997) لتحديد وظائف القيادة العامة التي تشمل السلوكيات على المستوى الجزئي التي تمت دراستها بشكل متكرر في الأدبيات، لا يمكن المبالغة في التأكيد على أهمية القيادة المختصة للتخطيط والتنفيذ حيث هناك جهد كبير لتغيير المنظمة. بإلقاء نظرة على بيئة الأعمال العالمية اليوم، سيجد المرء أن المنافسة معقدة وصعبة ومليئة بالتهديدات والفرص التنافسية للشركات. وإن المنظمات التي لديها ممارسات قيادية فعالة فقط، كما أكد Ireland & Hitt (2002)، هي التي يمكن أن تساعد في تعزيز الأداء حيث أنها ستكون قادرة على إحداث تغيير في بيئة الأعمال المضطربة. علاوة على ذلك، فإن المنظمات هي انعكاس لقادتها رفيعي المستوى. نظرًا لأن الطريقة التي يؤثر بها المستوى الأعلى (التنفيذيون) على الأداء التنظيمي من خلال قيادتهم قد تم التأكيد عليها في مجال القيادة الاستراتيجية، فإن هذا العمل يعتمد نموذج القيادة الاستراتيجية من أجل عدم التركيز على الخصائص للعلاقة بين القادة وأتباعهم المباشرين، ولكن بدلاً من ذلك، حول كيفية تأثير الرؤساء التنفيذيين للشركة على العملية الاستراتيجية للتطوير التنظيمي. حددت القيادة الاستراتيجية بأنها القدرة على التوقع والتصور والحفاظ على المرونة وتمكين الآخرين لإحداث تغيير استراتيجي حسب الضرورة. يعتقد Ireland and Hitt (1999) أن القيادة الاستراتيجية قد تثبت أنها واحدة من أهم القضايا التي تواجه المنظمات. كما يؤكدون أنه بدون القيادة الاستراتيجية، فإن احتمالية أن تحقق المنظمة أداء متفوقًا أو حتى مرضيًا عند مواجهة التحديات سوف تقل بشكل كبير. تستلزم القيادة الاستراتيجية خلق بيئة تدعم تحقيق الأهداف التنظيمية ودور مراقبة البيئة الخارجية للاستفادة من الفرص والدفاع ضد التهديدات، وإنه ينطوي على اتخاذ قرارات بشأن منتجات المنظمة وخدماتها وأسواقها، واختيار المديرين التنفيذيين، وتخصيص الموارد لأساسية (Oladele et. al,55) تنص نظرية القيادة الاستراتيجية على أن الشركات هي انعكاسات لكبار مديريها ، وعلى وجه الخصوص ، الرؤساء التنفيذيين ، وأن ". . . تنعكس المعرفة والخبرة والقيم والتفضيلات المحددة لكبار المديرين ليس فقط في قراراتهم ، ولكن في تقييماتهم لمواقف القرار "

3-أنماط القيادة الاستراتيجية: -

يعرف النمط القيادي "بانه شكل من اشكال التوافق السلوكي الموقفي ويشير الى الطريقة التي يتفاعل فيها المدير مع المرؤوسين "(Fertman & Liden,1999:3) كما يعرف بانه الطريقة التي يستخدمها القائد في التصرف في الصلاحيات المتاحة له لقيادة الاخرين (إسماعيل,2010: 1) وقد تطرقت الى هذه الأنماط العديد من الدراسات والبحوث اما النمط القيادي الاستراتيجي فقد ظهر هذا المصطلح عام (1984) من قبل(Hambrick,Miller& Friesen) ويلاحظ بانه هنالك قلة في المصادر التي تطرقت الى هذا المفهوم بالشرح والتفصيل, اما (Sharivastava & Nachman,1989:5) فقد عرفها بانها الخصائص والسمات التي تميز قائد استراتيجي عن اخر.وهناك اربع نماذج أساسية لأنماط القيادة الاستراتيجية يوضحها الجدول (2).

جدول (2) نماذج أنماط القيادة الاستراتيجية

Hambrick et.al & Shrivastava تصنيف	**1984 1989**	**1. النمط السياسي 2. النمط المهني 3. النمط البيروقراطي 4. النط الريادي**
Wright et al تصنيف	**1989**	**1. نمط القيادة التبادلية 2. نمط القيادة التحويلية**
Neumann and Neumann تصنيف	**1999**	**1. النط المتكامل 2. النط المتقولب 3. المركز على الرؤية 4. المركز على التنفيذ 5. المشخص للأوليات 6. الحالم 7. المنفذ 8. المحافظ**
تصنيف المربع	**2008**	**1. النمط التشاركي 2. النمط التحويلي 3. النمط الاجرائي**

المصدر: جميل، احمد نزار، تشكيلة الأنماط المعرفية وأنماط القيادة الاستراتيجية المحددة لفاعلية فريق الإدارة العليا، رسالة دكتوراه، بغداد,2010:140.

سيتم اعتماد تصنيف(Neumann and Neumann,1999) في هذا البحث وتوضيحه بشيء من الايجاز اذ يتكون النموذج من ثلاث ابعاد فرعية تعد المهارات الرئيسة للقادة الاستراتيجيين حيث يتفق الباحثين على ثلاث مهارات للقيادة الاستراتيجية وهي (الرؤية، التركيز، التنفيذ)، (Neumann and Neumann,1999)، (رحيمة,253-254)، (جميل,2010, 145-147) وعلى النحو الاتي:

أ- تشكيل الرؤية (التحليل والصياغة): - والتي تعرف على انها قدرة القائد الاستراتيجي على رؤية مستقبل المنظمة بشكل واضح ومتكامل، وتتمثل هذه المهارة أو القدرة في وجود الرغبة في تغيير الوضع الراهن، والرغبة في تبني اهداف جديدة، والقدرة على تحديد الفرص المتاحة في البيئة التي تعمل فيها المنظمة. والقدرة على رسم استراتيجيات بعيدة الأمد لاستغلال تلك الفرص.

ب- التركيز: - ويعرف على انه قدرة القائد على تحريك المنظمة من وضعها الحالي الى تبني رؤى جديدة، وتتضمن هذه القدرة، إمكانية القائد على اقناع افراد المنظمة برؤيته، والقدرة على وضع الارشادات اللازمة لتحقيقها، والقدرة على تحديد أوليات جديدة، والقدرة على تشكيل الفرق القادرة على التنفيذ وتحفيز العاملين.

ت- التنفيذ: - هي قدرة القائد على وضع الأهداف والخطط الاستراتيجية موضع التنفيذ والمتضمنة للقدرة على تشجيع إفراد المنظمة على المشاركة الفاعلة في تنفيذ الخطط، والقدرة على الهام وتحفيز إفراد المنظمة على تحقيق الأداء العالي، القدرة على تسهيل عملية إدراك الأهداف الجديدة ضمن وقت قصير عبر إزالة العوائق التي تقع أمام عملية التنفيذ، فضلاً عن القدرة على تقديم التغذية العكسية في الوقت المناسب، للأفراد والفرق والوحدات للعمل بما ينسجم مع الرؤية الموضوعة, ووضع أساس الرقابة الفاعلة على تنفيذ الخطط الاستراتيجية وتحقيق الأهداف. ولغرض تحديد نمط القيادة الاستراتيجية يتم إعطاء او تحديد درجة(عالي) أو (واطئ) لكل مهارة من المهارات الثلاثة، إذ تكون النتيجة ثمانية أنماط للقيادة الاستراتيجية، في حين أعطيت كل مهارة من المهارات رمزاً مختلفاً إذ أن مهارة تشكيل الرؤية يرمز لها بالحرف(ر) ومهارة التركيز(ت) ومهارة التنفيذ(ن)، وبتركيب العناصر الثلاثة معاً، تظهر لدينا الأنماط الاتية، والموضحة في الجدول رقم (3):

جدول رقم(3) مصفوفة أنماط القيادة الاستراتيجية

المستوى الاول		**ر1 ت1 ن1 النمط المتكامل**	
المستوى الثاني	**ر1 ت2 ن1 النمط المتقولب**	**ر1 ت1 ن2 النمط المركز على الرؤية**	**ر2 ت1 ن1 النمط المركز على التنفيذ**
المستوى الثالث	**ر2 ت2 ن1 النمط المنفذ**	**ر1 ت2 ن2 النمط الحالم**	**ر2 ت1 ن2 النمط المشخص للأوليات**
المستوى الرابع		**ر2 ت2 ن2 النمط المحافظ**	

المصدر: جميل، احمد نزار، تشكيلة الأنماط المعرفية وأنماط القيادة الاستراتيجية المحددة لفاعلية فريق الإدارة العليا، رسالة دكتوراه، بغداد,140:2010.

ثانيا: الأداء الوظيفي Job Performance

أولا: مفهوم الأداء الوظيفي

في مجال علم النفس التنظيمي، يعد الأداء الوظيفي الفردي مفهومًا مركزيًا على الرغم من موقعها أهمية أساسية في معظم القرارات المتعلقة بالموارد البشرية، لا يوجد حتى الآن شامل نظرية الأداء الوظيفي. في منتصف السبعينيات، بدأ الباحثون مهمة توضيح وتوسيع نطاق مفهوم الأداء الوظيفي، وركزت التطورات بشكل رئيسي على مواصفات تنبئ والعمليات المرتبطة بالفرد. وعرف (Ramawickrama et al.,2017,67) الأداء الوظيفي للموظف هو بانه المدى الذي تكون عليه الواجبات والمسؤوليات قد نفذت. وهناك معياران رئيسيان لقياس الأداء الوظيفي هما كمية العمل وجودة العمل وحسب (Fogaça et al.,2018,231) يمكن **تعريف الأداء الوظيفي** حيث أن جميع السلوكيات التي ينخرط فيها الموظفون أثناء العمل الفردي والأداء الوظيفي هو مقياس نتيجة ذات صلة دراسات في البيئة المهنية؛ يشير إلى كيف يؤدي حسنًا شخص ما في عمله أو عملها. وجوه مثل الكفاءة الوظيفية للمهام المحددة والسلوك المرتبط إلى المهام الأساسية للوظيفة، ومستوى الالتزام بها أصبحت المهام الأساسية وسلوك العمل العام عوامل مهمة تتعلق بالأداء الوظيفي. ل فهم التطورات في أدبيات الأداء الوظيفة، التي تمتلكها. وأشار (Jackson& Frame,2018,3 بأن الأداء الوظيفي هو السلوك الذي ينخرط فيه الموظف في الوظيفة. في أبسط مستويات الأداء الوظيفي يتعلق بما يفعله الموظف وما لا يفعله في الوظيفة. واكد (Aung et al.,2023,2) على الاداء الوظيفي وان الأداء هو مجمل الإجراءات التنظيمية للمجموعة والتي يساهم فيها الأعضاء، بشكل مباشر وغير مباشر، في أهداف المنظمة. لذلك، فإن أداء العمل هو نتيجة وليس نشاطًا. إنها حصيلة إجراءات مرتبطة بالعمل. هذه الإجراءات، في النهاية، تؤدي إلى أداء

وظيفي. بناءً على خصائصه الرئيسية، يمكن تقسيم الأداء الوظيفي إلى بعدين، أي أداء المهمة والأداء السياقي.

ثانيا: أهمية الأداء الوظيفي

يمكن القول إن الأداء في الوظيفة هو الجانب الأكثر أهمية لمسؤوليات الموظف تجاه صاحب العمل. ال مجال علم النفس الصناعي والتنظيمي (I / O)يهتم بالعديد من جوانب الموظف الحياة التنظيمية (على سبيل المثال، توظيف واختيار المتقدمين للوظائف، وتدريب الموظفين، والهيكلة وإعادة الهيكلة المنظمات، وما إلى ذلك)، ولكن في نهاية اليوم، تحتاج المنظمات إلى أعضائها (موظفيها) للانخراط في سلوكيات تزيد أو تحقق أهداف المنظمة (أي المهمة، والرؤية، والأهداف). في البحث، الأداء الوظيفي هو غالبًا ما يكون المقياس المعياري المستخدم لفحص الضغط في مكان العمل. ومع ذلك، قد يكون الأداء الوظيفي أيضًا السوابق في البحث الذي يدرس عوامل مثل إدمان العمل، والصراع بين العمل والحياة، وخيارات نمط الحياة غير الصحية. (Jackson& Frame,2018,1)

ثالثا: ابعاد الأداء الوظيفي:

أداء الموظف نتيجة مالية أو غير مالية مميزة للموظف والتي ترتبط مباشرة بأداء الإدارة وتحقيقها. ذكرت العديد من الدراسات السابقة طريقة مهمة لزيادة أداء الموظف والمشاركة في العمل. يوصي Christian et al., (2011) بأن يؤدي واقع المستويات العالية من المشاركة في العمل إلى تحسين JP و TPوسلوك إقامة المنظمة والإنتاجية والجهد الاختياري والتزام الاستمرارية وخدمات المستهلكين والالتزام العاطفي. هناك نوعان من الأداء الوظيفي (JP)؛ أداء المهام (TP)والأداء السياقي

1. **أداء المهمة:** يتم تعريف أداء المهمة بشكل كبير على أنه أداء داخل الدور. تعرض (TP) الميزات الميكانيكية لوظيفة العامل. يقوم بالتنفيذ المتميز للمهام الضرورية في الوظيفة. عادة سلوكيات المهام تتمثل بتحويل المواد الخام إلى سلع أو خدمات نهائية. وصف Paine (1999) TP &Organ "جزء وقسم من سير العمل الذي يحول الموارد والمعلومات وجهود الطاقة إلى عمليات إنتاج في شكل سلع واماكن للسكان في الهواء الطلق." غالبًا ما تختلف إجراءات المهام من وظيفة إلى أخرى، لكن إجراءات الخلفية مستمرة في العديد من الوظائف.

2. **الأداء السياقي**. مصطلح الأداء السياقي كسلوكيات عاملة ليست مفيدة بشكل مباشر لمهام أو مسؤوليات محددة ولكنها مفيدة بشكل غير مباشر في الناتج. ويربط CP البيئة التنظيمية والاجتماعية والنفسية، وليس النواة العملية للمؤسسة (أي الأنشطة المرتبطة بالسلع / الخدمات التي تنتجها المجموعة). على الرغم من أنها أهم قضية في النجاح الإداري لأنها بشكل أساسي تطوعية وتعتمد على ضبط النفس. (Zia-ud-Din et al,2017.11-12)

3. **المشاركة:** المشاركة في العمل تُعرَّف المشاركة في العمل بأنها حالة ذهنية مهنية إيجابية ومجزية والتي عادت في أفكار النشاط والالتزام والاهتمام تخلق المشاركة في العمل اهتماما بين كل من الاستشاريين والباحثين حيث تشير الإشارة إلى وجود علاقة إيجابية بين مشاركة العمل ونتائج الشركة ذا ت الصلة المتكررة. على سبيل المثال، التحليل التلوي بواسطةHarter et al. وجد أن المشاركة كانت مرتبطة تماماً برضا المستهلكين والإخلاص والفعالية ودوران الموظفين والإنتاجية .علاوة على ذلك، تفترض الكتابات المتعلقة بالممارس أهمية مشاركة العمل في النجاح بالمحصلة النهائية. توصي بعض دراساتPerrin Towers الموظفين "المشاركين "بأداء جيد في الوظيفة ويؤثرون بالتأكيد على جودة منتجات الشركة وزبائنها. إذا أخذنا في الاعتبار معا، فإنه ليس من المفاجئ أن يثق كل من الاستشاريين والباحثين في أن العمال "المشاركين "يمثلون حجر الزاوية في المنفعة. Zia-ud-Din et al,2017.11-12).

وان النوعان من الأداء الوظيفي؛(JP) أداء المهمة(TP) والسياق ترتبط الدراسات المختلفة بالمشاركة في العمل والمتغيرات مثل الوعد الوظيفي للموظف ومرونة الموظف وبيئة الخدمة والتقارب مع الزبائن.

المبحث الثالث
الجانب التحليلي

اولا / الاختبارات التمهيدية

1) اختبار ثبات المقياس

من اجل قياس الاتساق الداخلي (الثبات) لمقياس البحث تم الاعتماد على معامل كرونباخ الفا (Cronbach Alpha) حيث تشير اغلب الدراسات بانه يشترط بها ان تكون أكبر من (0.70) (Choi et al.,2017 :10)، والجدول (4) يبين نتائج الاختبار.

الجدول (4)
نتائج اختبار مقياس الدراسة

المتغير	المتغير	Cronbach Alpha
الرؤية	X1	0.784
التركيز	X2	0.941
التنفيذ	X3	0.814
القيادة الاستراتيجية	X	0.874
أداء المهمة	Y1	0.767
الأداء السياقي	Y2	0.755
المشاركة	Y3	0.791
الاداء الوظيفي	Y	0.803
جميع المحاور		0.863

يتضح من نتائج الجدول (4) ان مقياس الدراسة يتسم بالثبات العالي إي جميع فقرات المقياس تتسم بالتناسق الداخلي وهذا المؤشر يؤهل أداة الدراسة للاختبارات اللاحقة.

ثانيا / تحديد البيانات المفقودة او الشاذة:

ان تحديد البيانات المفقودة والشاذة يهدف إلى معرفة فيما إذا كانت الإستبانات المسترجعة تحتوي على بيانات كاملة من عدمه او ان البيانات فيها تطرف او تحيز. وللتعرف على ذلك إستخدمت الباحثة برنامج SPSS V.24 لتحليل الإستبانات والبالغ عددها (34) واجراء اختبار البيانات الشاذة (OUTLIER) والذي يؤشره الشكل (2) حيث تستبعد البيانات التي تقع خارج بلوك الانتشار المتمركز والتي تعني ان انتشارها عشوائي فهي متحيزة او متطرفة، ويتضح وجود (2) من البيانات الشاذة والمتطرفة، وبذلك تم استبعادها من البيانات ليكون حجم العينة النهائي (32).

الشكل (2)
اختبار (Outlier) للبيانات الشاذة والمتطرفة

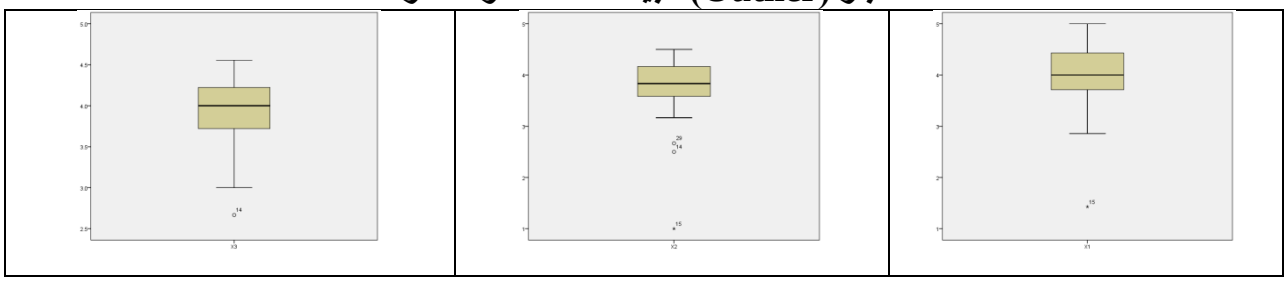

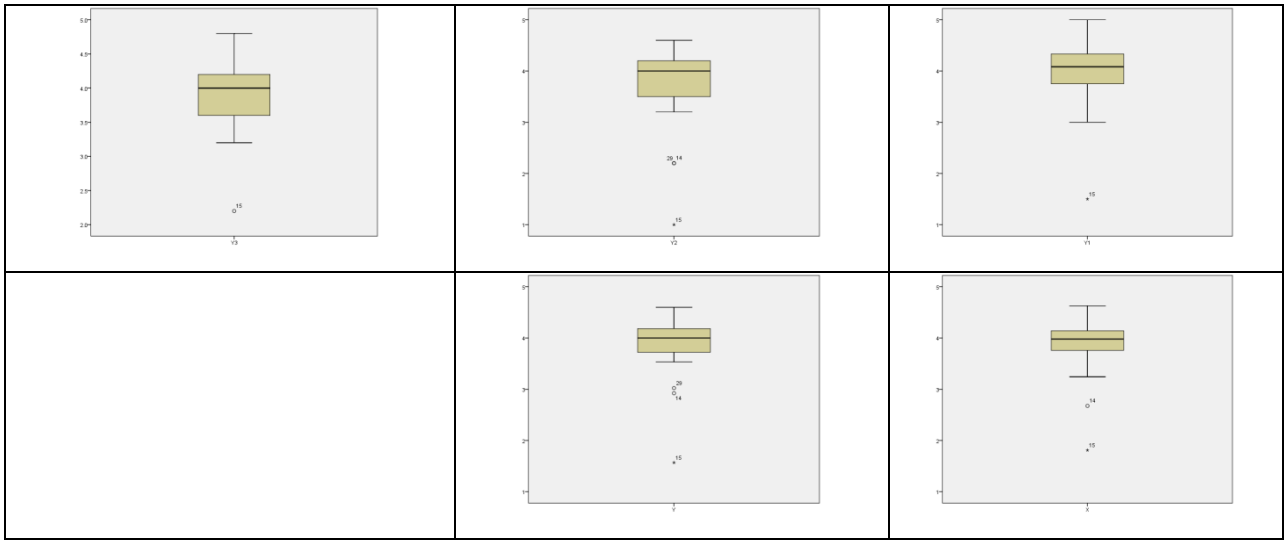

ثانيا / اختبار علاقات الارتباط

تم اجراء تحليل الارتباط لبيانات البحث وذلك من اجل الوقوف على قيمة الارتباطات البينية بين المتغيرات قبل المضي في اجراء تحليل التأثير بينها، وكلما اقتربت درجة الارتباط من الواحد الصحيح فانه يعني ان درجة الارتباط قوية، وإذا ابتعدت عن الواحد الصحيح واقتربت من الصفر فان ذلك يشير الى ضعف العلاقة بين المتغيرات وكانت النتائج كما في الجدول (5) وكالاتي:

1. **الفرضيـــة الفرعية الاولـــى:** ترتبط الرؤية ارتباطا معنويا بأبعاد الأداء الوظيفي منفردة ومجتمعة.

تشير نتائج الجدول الى ان هنالك علاقـة ارتباط معنويـــه بين المتغيـــرين بلـغا (** 0.889)، وان هذا الارتباط هو ارتباط معنـــوي فقد بلغت قيمة (*P*)المحسوبة التي جائت ضمن القيمة المقبولة والتي تشترط ان تكون قيمتها أصغر من (P<0.05). كما ان الارتباط على مستوى الابعاد كان معنويا ايضا حيث ان قيمة (*P*) التي جائت ضمن القيمة المقبولة والتي تشترط ان تكون قيمتها أصغر من (P<0.05). وهذا يؤشر قبول الفرضية.

2. **الفرضيـــة الفرعية الثانية:** يرتبط التركيز ارتباطا معنويا بأبعاد الأداء الوظيفي منفردة ومجتمعة.

تشير نتائج الجدول الى ان هنالك علاقـة ارتباط معنويـــه بين المتغيـــرين بلـغا (** 0.958)، وان هذا الارتباط هو ارتباط معنـــوي فقد بلغت قيمة (*P*)المحسوبة التي جائت ضمن القيمة المقبولة والتي تشترط ان تكون قيمتها أصغر من (P<0.05). كما ان الارتباط على مستوى الابعاد كان معنويا ايضا حيث ان قيمة (*P*) التي جائت ضمن القيمة المقبولة والتي تشترط ان تكون قيمتها أصغر من (P<0.05). وهذا يؤشر قبول الفرضية.

3. **الفرضيـــة الفرعية الثالثة:** يرتبط التنفيذ ارتباطا معنويا بأبعاد الأداء الوظيفي منفردة ومجتمعة.

تشير نتائج الجدول الى ان هنالك علاقـة ارتباط معنويـــه بين المتغيـــرين بلـغا (** 0.671)، وان هذا الارتباط هو ارتباط معنـــوي فقد بلغت قيمة (*P*)المحسوبة التي جائت ضمن القيمة المقبولة والتي تشترط ان تكون قيمتها أصغر من (P<0.05). كما ان الارتباط على مستوى الابعاد كان معنويا ايضا حيث ان قيمة (*P*) التي جائت ضمن القيمة المقبولة والتي تشترط ان تكون قيمتها أصغر من (P<0.05). وهذا يؤشر قبول الفرضية.

4 / **الفرضيـــة الرئيســـة الاولـــى**: ترتبط مهارات القيادة الاستراتيجية ارتباطا معنويا بأبعاد الأداء الوظيفي

للتعرف على العلاقة الارتباطية بين المتغيرات سيتم الاعتماد على معامل الارتبـاط وتؤشر نتائج الجدول الى ان هناك علاقـة ارتباط معنويـــه بين المتغيـــرين بلـغا (** 0.963)، وان هذا الارتباط هو ارتباط معنـــوي فقد بلغت قيمة (*P*)المحسوبة التي جائت ضمن القيمة المقبولة والتي تشترط ان تكون قيمتها أصغر من (P<0.05). كما ان الارتباط على مستوى الابعاد كان معنويا ايضا حيث ان قيمة (*P*) التي

جائت ضمن القيمة المقبولة والتي تشترط ان تكون قيمتها أصغر من (P<0.05). وهذا يؤشر قبول الفرضية.

الجدول (5)

مصفوفة علاقات الارتباط بين القيادة الاستراتيجية والأداء الوظيفي

		Y1	Y2	Y3	Y
X1	r	.948**	.836**	.538**	.889**
	Sig. (2-tailed)	.000	.000	.002	.000
	N	32	32	32	32
X2	r	.742**	.950**	.833**	.958**
	Sig. (2-tailed)	.000	.000	.000	.000
	N	32	32	32	32
X3	r	.585**	.677**	.491**	.671**
	Sig. (2-tailed)	.000	.000	.004	.000
	N	32	32	32	32
X	r	.873**	.939**	.713**	.963**
	Sig. (2-tailed)	.000	.000	.000	.000
	N	32	32	32	32

ثالثا: اختبار علاقات التأثير بين المتغيرات

من اجل التعرف على علاقات التأثير بين المتغيرات والذي افترضته الفرضية الثانية والتي تنص على ان هنالك علاقة تأثير معنوية بين القيادة الاستراتيجية والأداء الوظيفي، يتم اللجوء الى اسلوب تحليل الانحدار والتي تعكسها نتائج الجدول (6) وكالاتي:

1. **الفرضيــة الفرعية الاولــى تؤثر** الرؤية تأثيرا معنويا بأبعاد الأداء الوظيفي منفردة ومجتمعة.

ان النتائج التحليلية ضمن الجدول تثبت وجود علاقة تأثير معنوية بين القيادة الاستراتيجية والأداء الوظيفي، حيث بلغت قيمة الثابت للانحدار (α=0.923) وقيمة معامل ميل الانحدار (β=0.741)، وان النموذج قادر على تفسير (79.1%) بالاعتماد على قيمة معامل التفسير (R2)، وان النموذج هو نموذج معنوي فقد سجلت احصاءة f قراءة أكبر من الجدولية المقابلة لمستوى المعنوية ودرجة الحرية للدراسة، ويدعمها قيمة (P) التي جائت ضمن القيمة المقبولة والتي تشترط ان تكون قيمتها أصغر من (P<0.05). وهذا يؤشر قبول الفرضية.

2. **الفرضيــة الفرعية الثانية يؤثر** التركيز تأثيرا معنويا بأبعاد الأداء الوظيفي منفردة ومجتمعة.

ان النتائج التحليلية ضمن الجدول تثبت وجود علاقة تأثير معنوية بين القيادة الاستراتيجية والأداء الوظيفي، حيث بلغت قيمة الثابت للانحدار (α=0.917) وقيمة معامل ميل الانحدار (β=0.792)، وان

النموذج قادر على تفسير (91.9%) بالاعتماد على قيمة معامل التفسير (R2)، وان النموذج هو نموذج معنوي فقد سجلت احصاءة f قراءة أكبر من الجدولية المقابلة لمستوى المعنوية ودرجة الحرية للدراسة، ويدعمها قيمة (P) التي جائت ضمن القيمة المقبولة والتي تشترط ان تكون قيمتها أصغر من (P<0.05). وهذا يؤشر قبول الفرضية.

3. **الفرضيــة الفرعية الثالثة يؤثر** التنفيذ تأثيرا معنويا بأبعاد الأداء الوظيفي منفردة ومجتمعة.

ان النتائج التحليلية ضمن الجدول تثبت وجود علاقة تأثير معنوية بين القيادة الاستراتيجية والأداء الوظيفي، حيث بلغت قيمة الثابت للانحدار (α=0.527) وقيمة معامل ميل الانحدار (β=0.862)، وان النموذج قادر على تفسير (45%) بالاعتماد على قيمة معامل التفسير (R2)، وان النموذج هو نموذج معنوي فقد سجلت احصاءة f قراءة أكبر من الجدولية المقابلة لمستوى المعنوية ودرجة الحرية للدراسة، ويدعمها قيمة (P) التي جائت ضمن القيمة المقبولة والتي تشترط ان تكون قيمتها أصغر من (P<0.05). وهذا يؤشر قبول الفرضية.

4. **الفرضية الرئيسة الثانية**: تؤثر مهارات القيادة الاستراتيجية تأثيرا معنويا بأبعاد الأداء الوظيفي

ان النتائج التحليلية ضمن الجدول تثبت وجود علاقة تأثير معنوية بين القيادة الاستراتيجية والأداء الوظيفي، حيث بلغت قيمة الثابت للانحدار (α=0.048) وقيمة معامل ميل الانحدار (β=0.993)، وان النموذج قادر على تفسير (92.8%) بالاعتماد على قيمة معامل التفسير (R2)، وان النموذج هو نموذج معنوي فقد سجلت احصاءة f قراءة أكبر من الجدولية المقابلة لمستوى المعنوية ودرجة الحرية للدراسة، ويدعمها قيمة (P) التي جائت ضمن القيمة المقبولة والتي تشترط ان تكون قيمتها أصغر من (P<0.05). وهذا يؤشر قبول الفرضية.

الجدول (6)

نتائج علاقات التأثير بين القيادة الاستراتيجية والأداء الوظيفي

المتغير	المؤشرات	القيمة المسجلة	المتغير	المؤشرات	القيمة المسجلة
الرؤية	*F-Cal*	*113.214*	التركيز	*F-Cal*	*339.14*
	P-Value	*0.000*		*P-Value*	*0.000*
	R2	*0.791*		*R2*	*0.919*
	α	*0.923*		*α*	*0.917*
	β	*0.741*		*β*	*0.792*
التنفيذ	*F-Cal*	*24.514*	القيادة الاستراتيجية	*F-Cal*	*386.11*
	P-Value	*0.000*		*P-Value*	*0.000*
	R2	*0.450*		*R2*	*0.928*
	α	*0.527*		*α*	*0.048*
	β	*0.862*		*β*	*0.993*

F (0.01) = 6.63 F (0.05) =3.84

كما ان علاقة الانحدار بين المتغيرات تتصف بالخطية كما هو واضح من الشكل (3).

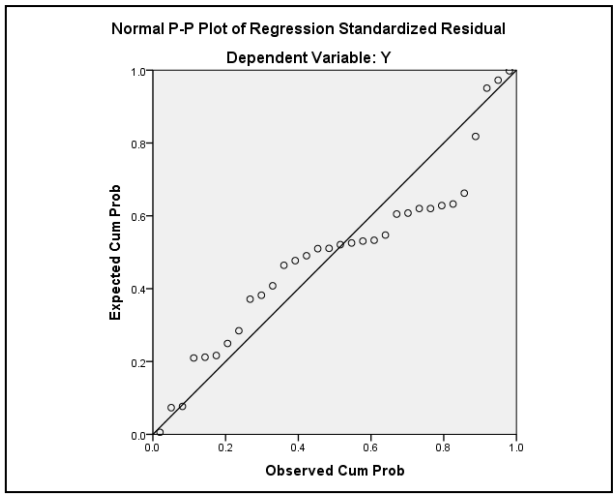

الشكل (3) خطية العلاقة بين القيادة الاستراتيجية والأداء الوظيفي

وفي اطار اختبار علاقة التأثير المتعدد لاجتماع الابعاد مجتمعة ضمن الانموذج العاملي تشير نتائج الانموذج في الشكل (4) الى ان هنالك تأثير معنوي للبعد الرؤية في الأداء الوظيفي بلغت (0.20) وهي علاقة معنوية طبقا لمستوى الدلالة الذي كان اصغر من (0.05) كذلك هنالك تأثير معنوي للبعد التركيز في الأداء الوظيفي بلغت (0.74) وهي علاقة معنوية طبقا لمستوى الدلالة الذي كان اصغر من (0.05) واخيرا هنالك تأثير معنوي للبعد التنفيذ في الأداء الوظيفي بلغت (0.09) وهي علاقة معنوية طبقا لمستوى الدلالة الذي كان اصغر من (0.05) وكانت العلاقات معنوية ، وان القدرة التفسيرية للنموذج بلغت (0.93).

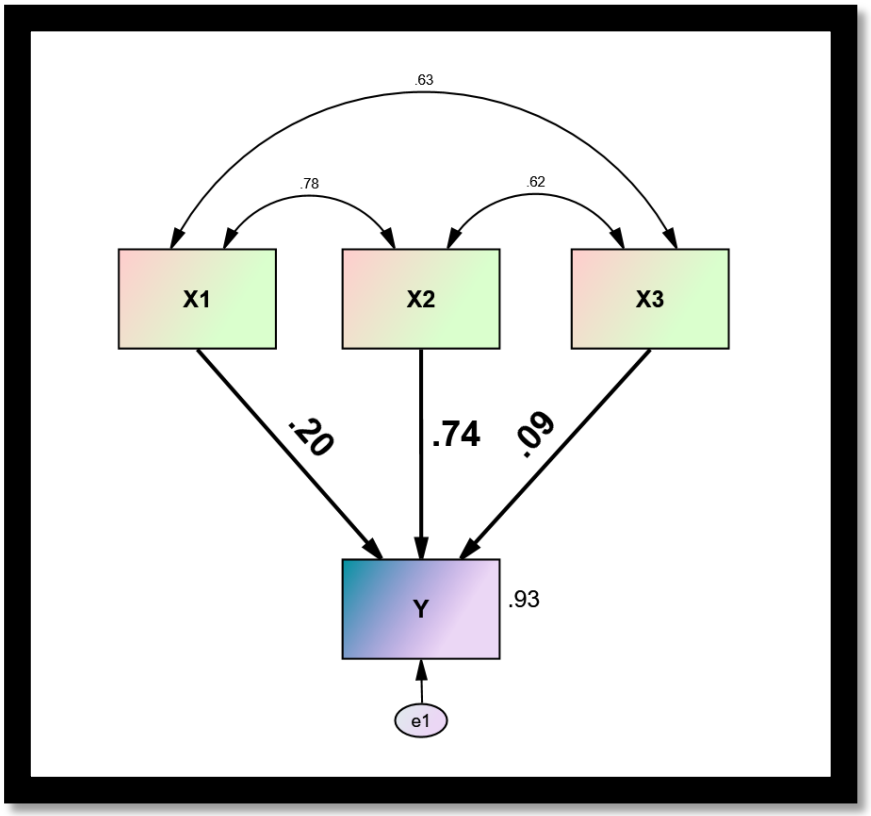

الشكل (4)

انموذج علاقات التأثير المتعدد بين القيادة الاستراتيجية والأداء الوظيفي

رابعا: تحليل التباين وفقا للمتغيرات الشخصية

الفرضيـة الرئـيسة الثالثة: توجد فروق معنوية لانعكاس القيادة الاستراتيجية في مواجهة الأداء الوظيفي وفقا لمتغيرات الشخصية (المؤهل العلمي، عدد سنوات الخدمة).

تشير نتائج الجدول (7) الى ان قيمة مستوى الدلالة المعنوية بلغت قيمة أكبر من القيمة المعنوية (0.05)، بالإضافة الى ان قيمة اختبار (F) هي أصغر من قيمتها الجدولية وهذا يشير الى رفض الفرضية اي انه لا توجد فروق معنوية لانعكاس القيادة الاستراتيجية في مواجهة الأداء الوظيفي تعزى لمتغيرات الشخصية (سنوات الخدمة)، اي ان سنوات الخدمة لم تنعكس على طبيعة اجابات العينة حول المتغيرات والابعاد الخاصة بالدراسة.

الجدول (7)
نتائج اختبار الفروق وفقا لمتغير سنوات الخدمة

	سنوات الخدمة	القيادة الاستراتيجية	الأداء الوظيفي	F	Sig.	
1-5	Mean	3.9848	4.2167	.387	.763	
	N	4	4			
	Std. Deviation	.42859	.45835			
6-10	Mean	3.8118	3.7718			
	N	13	13			
	Std. Deviation	.75874	.75533			
11-15	Mean	3.9747	3.9707			
	N	11	11			
	Std. Deviation	.24275	.25441			
16-20	Mean	3.6819	3.6500			
	N	4	4			
	Std. Deviation	.44497	.55173			
Total	Mean	3.8732	3.8806			
	N	32	32			
	Std. Deviation	.53885	.56639			

الفرضيـة الرئـيسة الرابعة: توجد فروق معنوية لانعكاس القيادة الاستراتيجية في مواجهة الأداء الوظيفي وفقا لمتغيرات الشخصية (المؤهل العلمي).

تشير نتائج الجدول (8) الى ان قيمة مستوى الدلالة المعنوية بلغت قيمة أصغر من القيمة المعنوية (0.05)، بالإضافة الى ان قيمة اختبار (F) هي أكبر من قيمتها الجدولية وهذا يشير الى قبول الفرضية اي

انه توجد فروق معنوية لانعكاس القيادة الاستراتيجية في مواجهة الأداء الوظيفي تعزى لمتغيرات الشخصية (المؤهل العلمي)، اي ان المؤهل العلمي كان مؤثرا في طريقة الاجابة على متغيرات وابعاد الدراسة، وقد سجلت الفروق الاعلى بالنسبة للدراسات العليا والبكالوريوس في طريقة تعاملهم مع متغيرات الدراسة.

الجدول (8)

نتائج اختبار الفروق وفقا لمتغير التعليم

	المؤهل العلمي	القيادة الاستراتيجية	الأداء الوظيفي	F	Sig.
دراسات عليا	Mean	4.5848	4.6167	3.354	.043
	N	4	4		
	Std. Deviation	.42859	.45835		
بكالوريوس	Mean	3.7866	3.7370		
	N	12	12		
	Std. Deviation	.78679	.77798		
دبلوم عالي	Mean	4.3532	4.3944		
	N	2	2		
	Std. Deviation	.33859	.29070		
دبلوم	Mean	3.8810	3.8556		
	N	4	4		
	Std. Deviation	.11037	.13608		
اعدادية	Mean	3.8082	3.7889		
	N	8	8		
	Std. Deviation	.28715	.35689		
غيرها	Mean	3.9339	3.9722		
	N	2	2		
	Std. Deviation	.52004	.55783		
Total	Mean	3.8732	3.8806		
	N	32	32		
	Std. Deviation	.53885	.56639		

المبحث الرابع
الاستنتاجات والتوصيات

اولا: الاستنتاجات

1. يؤدي فشل التنفيذ الاستراتيجي إلى تدهور الأداء الوظيفي وتراجع النتائج فعندما لا يتم تحقيق الأهداف والمؤشرات المحددة في الخطة الاستراتيجية فإن ذلك يؤثر بشكل سلبي على الأداء العام للمؤسسة ويعرضها لخطر التخلف عن منافسيها.
2. تشير الدراسات إلى أن التركيز الاستراتيجي يمثل عاملاً مهماً لتحسين الأداء الوظيفي حيث يؤدي إلى تحقيق أهداف المؤسسة بشكل أكثر فعالية وكفاءة فهو يساعد في تعزيز التواصل والتعاون بين الموظفين وذلك عن طريق تحديد الأهداف المشتركة وتوفير بيئة عمل مناسبة لتحفيزهم على العمل بكفاءة.
3. ان الرؤية الاستراتيجية الواضحة والمحددة بشكل جيد تساهم في تحسين الأداء الوظيفي من خلال توضيح التوجه العام للمؤسسة وتحديد الأهداف المحددة التي يجب تحقيقها فإذا كانت الرؤية واضحة للجميع يصبح من السهل على الموظفين والعاملين في المؤسسة تحديد أولويات العمل واتخاذ القرارات المناسبة للوصول إلى تلك الأهداف.
4. اتضح من النتائج التحليلية ان هنالك أدراك بمستوى مقبول من موظفي التربية متغيرات لدراسة المتعلقة بالقيادة الاستراتيجية وابعادها والاداء الوظيفي وابعاده.
5. لمست الباحثة ان هنالك توجه ايجابي لدى افراد العينة لتحسين الاداء الوظيفي لديهم.
6. اشارت نتائج التحليل ان هنالك علاقة ارتباط بين القيادة الاستراتيجية وابعادها مع الاداء الوظيفي وان هذه العلاقة هي علاقة ايجابية.
7. تظهر النتائج أن التركيز الاستراتيجي يساعد في تحديد المؤشرات الرئيسية للأداء والتركيز على الأهداف الهامة لتحسين الأداء الوظيفي.
8. تشير الدراسة إلى أهمية القيادة الاستراتيجية في تحقيق الأهداف المرجوة وتحسين الأداء الوظيفي.
9. اتضح من خلال النتائج ان هنالك أدراك مرتفع وأفضل لدى افراد العينة ذوي الشهادات العليا.
10. تبين من التحليل هنالك علاقة تأثير ايجابي للقيادة الاستراتيجية وابعادها في الاداء الوظيفي.
11. اتضح عند تحليل الابعاد منفردة بان أكثر الابعاد تأثيرا في الاداء الوظيفي هو بعد التنفيذ ثم يليه بعد التركيز ويأتي اخيرا تأثير الرؤية.
12. فيما يخص التحليل المجتمع ضمن انموذج تأثيري واحد يشير الى ان التأثير الاكثر هو لبعد التركيز ثم تليه الرؤية ويأتي اخيرا تأثير بعد التنفيذ وهذا يؤشر ان الاعتماد على تأثير الابعاد ضمن انموذج واحد ممكن ان تتأثر الابعاد فيما بينها وتختلف قيم تأثيراتها في الاداء الوظيفي.
13. من خلال التحليل اتضح بان انموذج التأثير الإجمالي هو انموذج كافي لتقدير العلاقة بين القيادة الاستراتيجية والاداء الوظيفي وبالتالي يمكن تطبيقه في تحسين اداء العينة المبحوثة او في عينة ذات بيئة مشابهة.

ثانيا: التوصيات

1) يؤكد البحث على أهمية الرؤية والتنفيذ والتركيز في القيادة الاستراتيجية لتحقيق أفضل النتائج.
2) ضرورة الاهتمام بتحسين الرؤية للقيادة الاستراتيجية وتوظيفها توظيفا صحيحا لخدمة المؤسسة المبحوثة.
3) تحديد الرؤية والأهداف الاستراتيجية بشكل واضح ومحدد والتأكد من ان تكون هذه الرؤية والأهداف متوافقة مع الرسالة والقيم الأساسية للمؤسسة.
4) يجب تخصيص الموارد اللازمة لتنفيذ الاستراتيجية وذلك من خلال تحديد ميزانية تتوافق مع الأهداف المتوخاة وتوزيع الموارد بشكل مناسب.
5) تحديد وتطبيق أفضل الممارسات في تنفيذ الخطط والأنشطة الاستراتيجية وتحديد مقاييس الأداء ومتابعتها بانتظام لتحسين الأداء الوظيفي.

6) على القيادة تحديد المجالات الأكثر أهمية للتركيز الاستراتيجي وتخصيص الموارد اللازمة لتحقيق التحسين المنشود في هذه المجالات.
7) الحفاظ على التركيز الاستراتيجي بتحديث الإستراتيجيات والموارد بشكل دوري وذلك لتلبية التحديات المتغيرة وضمان بقاء المؤسسة في مكانة متقدمة.
8) تحديد مؤشرات الأداء الوظيفي المهمة وتقييم الأداء بشكل دوري لضمان تحقيق الأهداف المرسومة.
9) تشجيع التركيز الاستراتيجي في المؤسسة من خلال تشكيل فرق العمل المناسبة وتقديم التدريبات والورش العملية اللازمة للموظفين.
10) توسيع نشر الثقافة القيادية وتحسين الاداء الوظيفي وخصوصا لدى الافراد ذوي المستوى الدراسي الادنى.
11) توفير بيئة عمل تعزز الإبداع والابتكار وتحفيز الموظفين على العمل بكفاءة وفاعلية وذلك من خلال تقديم المكافآت والحوافز المناسبة.
12) توظيف قيادة استراتيجية قوية ومؤهلة لتحقيق الأهداف المرسومة وذلك من خلال تطوير مهارات القيادة وتنمية الخبرات اللازمة للمديرين والمشرفين.

الملاحق:The appendices

ملحق رقم (1) الاستبانة

وزارة

جامعة الكوفة
كلية الإدارة والاقتصاد
قسم إدارة الأعمال/الدراسات العليا

الأخ/الأخت الكريمة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بالنظر لما نعهده بكم من علم ومعرفة وخبرة، اضع بين ايديكم استبانة اعدت لإكمال نشر بحث كجزء من متطلبات مادة السلوك التنظيمي ضمن برنامج الدكتوراه في إدارة الاعمال والموسومة ب (**القيادة الاستراتيجية وانعكاسها على الأداء الوظيفي):** دراسة استطلاعية لآراء عينة من موظفي تربية الكوفة في النجف الاشرف)، أود أن أدعوكم للمشاركة، بما انكم المعنيون بالأمر ولأنكم الأقدر من غيركم نرجو منكم الإجابة على فقراتها بكل دقة وموضوعية ومصداقية. إذ من المؤمل أن يكون لنتائج هذه الدراسة مساهمة فاعلة في معالجة العقبات التي تواجه المنظمات.

****مع خالص التقدير والامتنان ****

الباحثة

م.م يصغ رحيم رشيد

أولا: المعلومات الشخصية

التفاصيل	يرجى وضع علامة (✓) في المكان المناسب							
01النوع الاجتماعي	ذكر		انثى					
02الحالة الاجتماعية	أعزب		متزوج		غير ذلك			
03الفئة العمرية	29-20		39 - 30		49 -40		50 فاكثر	
04سنوات الخبرة	**5-1**		**10-6**		**15-11**		**20-16**	
05 المؤهل العلمي	**دراسات عليا**		**بكالوريوس**		**دبلوم عالي**		**دبلوم**	
	اعدادي							

ثانيا: فقرات المقياس

ملاحظة: يرجى وضع علامة (√) في الحقل المناسب التي تعتقد انها تعبر عن رأيك بصدق.

المتغير الأول – القيادة الاستراتيجية: - على أنها "قدرة الشخص على التوقع والتخيل والحفاظ على المرونة والتفكير الاستراتيجي والعمل مع الآخرين لبدء التغييرات التي ستخلق مستقبلًا قابلاً للتطبيق في المؤسسة" في نموذج القيم المتنافسة.(Ireland & Hitt,2005:36)

البعد الأول- الرؤية (التحليل والصياغة) تعرف على انها قدرة القائد الاستراتيجي على رؤية مستقبل المنظمة بشكل واضح ومتكامل، وتتمثل هذه المهارة أو القدرة في وجود الرغبة في تغيير الوضع الراهن، والرغبة في تبني اهداف جديدة، والقدرة على تحديد الفرص المتاحة في البيئة التي تعمل فيها المنظمة. والقدرة على رسم استراتيجيات بعيدة الأمد لاستغلال تلك الفرص.

ت	الفقرات مسؤولي في العمل	لا اتفق اطلاقا	لا أتفق	غير متأكد	أتفق	أتفق تماماً
1	يضع على الدوام مستقبل التربية أمامه كغاية يسعى للوصول اليها.					
2	يرغب باستمرار في تغيير وضع التربية الحالي.					
3	يحاول جاهدا إن يرى مستقبل التربية وكيف ستكون عليه.					
4	يسعى لتحديد الفرص المتاحة في البيئة الخارجية لتطوير التربية وتحسين رؤيتها للمجتمع.					
5	لا يهتم بوضع رسالة أو رؤية بعيدة الأمد للمحافظة.					

الوسط العام

البعد الثاني: التركيز- ويعرف على انه قدرة القائد على تحريك المنظمة من وضعها الحالي الى تبني رؤى جديدة، وتتضمن هذه القدرة، إمكانية القائد على اقناع افراد المنظمة برؤيته، والقدرة على وضع الارشادات اللازمة لتحقيقها، والقدرة على تحديد أوليات جديدة، والقدرة على تشكيل الفرق القادرة على التنفيذ وتحفيز العاملين.

ت	الفقرات مسؤولي في العمل	لا اتفق اطلاقا	لا أتفق	غير متأكد	أتفق	أتفق تماماً
6	يسعى بكل قدراته لجعل المرؤوسين يؤمنوا بذات القيم والمعتقدات التي أومن بها والتي تصب في صالح التربية.					
7	يفكر دائما في حث المرؤوسين على العمل الجماعي المشترك والمتماسك.					
8	يعيد تنظيم العمل ويرتب أولوياته. سعياً مني لتحقيق أهداف التربية.					
9	يحقق نجاحات متواصلة في بناء فرق العمل المناسبة لتنفيذ خطط التربية وبرامجها.					
10	يعتقد إن النهج الفردي الذي أنتهجه في العمل أفضل بكثير مما لو توجه نحو العمل الجماعي.					

البعد الثالث: التنفيذ-هي قدرة القائد على وضع الأهداف والخطط الاستراتيجية موضع التنفيذ والمتضمنة للقدرة على تشجيع إفراد المنظمة على المشاركة الفاعلة في تنفيذ الخطط، والقدرة على الهام وتحفيز إفراد المنظمة على تحقيق الأداء العالي، القدرة على تسهيل عملية إدراك الأهداف الجديدة ضمن وقت قصير عبر إزالة العوائق التي تقع أمام عملية التنفيذ.

ت	الفقرات مسؤولي في العمل	لا اتفق اطلاقا	لا أتفق	غير متأكد	أتفق	أتفق تماماً
11	يمتلك قدرة على تشجيع زملائه والعاملين معه على وضع خطط العمل موضع التنفيذ.					
12	يستشير العاملين معه في عملية التنفيذ عند ربط أهدافهم بأهداف التربية.					
13	يبذل كل ما بوسعه لإزالة معوقات عملية التنفيذ حتى لو تطلب الامر تخويل صلاحياته للغير.					
14	يقدم ما يطلب منه من معلومات وآراء لزملائه في العمل عنده مواجهة المشكلات ومعالجة الارتباكات في العمل.					
15	يواجه عقبات في عملية التنفيذ لأسباب متعددة.					

المتغير الثاني: الأداء الوظيفي:

1. **البعد الاول: أداء المهمة:** يتم تعريف أداء المهمة بشكل كبير على أنه أداء داخل الدور. تعرض (TP) الميزات الميكانيكية لوظيفة العامل. يقوم بالتنفيذ المتميز للمهام الضرورية في الوظيفة. عادة سلوكيات المهام تتمثل بتحويل المواد الخام إلى سلع أو خدمات نهائية.(Zia-ud-Din et al,2017.11-12)

ت		موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة
16	**أساهـــم في تقديم اقتراحات تزيد من حجم الأداء**					
17	**أقوم بأعمال إضافية عن الأعمال المطلوبة مني**					
18	**أقدم بدائل وأساليب جديدة تساعد في حل المشكلات**					
19	**أحاول دائما تحسين أدائي للأفضل وتطور**					
20	**أقوم بعملي حسب المعايير المطلوبة**					
21	**أقدم اقتراحات للرفع من الجودة في العمل**					
22	**أساهم غالبا في زيادة دقة الأعمال المنجزة**					

البعد الثاني: الأداء السياقي: مصطلح الأداء السياقي كسلوكيات عاملة ليست مفيدة بشكل مباشر لمهام أو مسؤوليات محددة ولكنها مفيدة بشكل غير مباشر في الناتج. يربط الأداء السياقي (CP) البيئة التنظيمية والاجتماعية والنفسية، (أي تتمثل بالأنشطة المرتبطة بالسلع والخدمات التي تنتجها المجموعة). على الرغم من أنها أهم قضية في النجاح الإداري لأنها بشكل أساسي تطوعية وتعتمد على ضبط النفس. (Zia-ud-Din et al,2017.11-12)

ت	الفقرات	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة
23	**أتجنب ارتكاب أخطاء في عملي تسبب مشاكل في أدائي للعمل**					

24	هناك شفافية ووضوح في العمل داخل المؤسسة					
25	ساهم في تقليل وقت انجاز العمل					
26	الوقت المخصص لإتمام العمل غير كافي لإنجازه					
27	أتجنب الأخطاء قدر المستطاع في عملي كي أنجزه في وقته					
28	أحاول أداء عملي بأقل تكلفة ممكنة					
29	يتم توضيح جميع التعليمات والإجراءات اللازمة لإنجاز المهام بكفاءة					

البعد الثالث: المشاركة: تُعرَّف المشاركة في العمل بأنها حالة ذهنية مهنية إيجابية ومجزية وهي أفكار النشاط والالتزام والاهتمام. وتخلق المشاركة في العمل اهتماما بين كل من الاستشاريين والباحثين حيث تشير إلى وجود علاقة إيجابية بين مشاركة العمل ونتائج الشركة ذا ت الصلة المتكررة. (Zia-ud-Din et al,2017.11-12)

ت	الفقرات	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة
30	تحاول المؤسسة دائما الاحتفاظ بالموظفين الأكثر كفأ					
31	الوظيفة الموكلة إلي مناسبة لقدراتي					
32	أساهم في علاج مشاكل العمل وتحقيق الأهداف الوظيفية بشكل جيد					
33	يحدث تبادل للمعلومات والبيانات بين الأقسام المختلفة في المؤسسة					
34	أحاول دائما تبسيط إجراءات العمل في المؤسسة					
35	هناك مساهمة من الإدارة العليا في تقليص الروتين في العمل والتكرار غير المناسب له					
36	أساهم في تعزيز مشاركة وتعاون العاملين فيما بينهم داخل المؤسسة					

ملحق رقم (2)
قائمة بأسماء الأساتذة الخبراء المحكمين للإستبانة

ت	أسم الخبير واللقب العلمي	مكان العمل	الإختصاص
1	أ.د. عادل هادي البغدادي	جامعة الكوفة/كلية الإدارة والاقتصاد	نظرية منظمة
2	أ.د. هاشم فوزي العبادي	جامعة الكوفة/كلية الإدارة والاقتصاد	إدارة إستراتيجية

3	أ.د. رافد حميد الحدراوي	جامعة الكوفة/كلية الإدارة والإقتصاد	سلوك تنظيمي
4	أ.د. فاضل راضي الغزالي	جامعة الكوفة/كلية الإدارة والإقتصاد	إدارة إستراتيجية

المراجع والمصادر

أولا: المراجع العربية

1. جميل، احمد، نزار، (2010) تشكيلة الانماط المعرفية وانماط القيادة الاستراتيجية المحددة لفاعلية فريق الادارة العليا، دراسة اختبارية لعينة من قيادات مكاتب المفتشين العموميين، اطروحة دكتوراه، قسم ادارة الاعمال، كلية الادارة والاقتصاد، جامعة بغداد، العراق.
2. رحيمة، سلمى حتيتة، (دور مهارات القيادة الاستراتيجية في التهيؤ لضغوط العمل: دراسة تحليلية لآراء عينة من القادة العسكريين، كلية الادارة والاقتصاد، مجلة جامعة الانبار للعلوم الاقتصادية والادارية، المجلد 4، جامعة بغداد العدد 1.

2 -The References:

3. Aung, Z. M., San Santoso, D., & Dodanwala, T. C. (2023). Effects of demotivational managerial practices on job satisfaction and job performance: Empirical evidence from Myanmar's construction industry. *Journal of Engineering and Technology Management*, *67*, 101730.
4. Andrews KR. 1971. The Concept of Corporate Strategy. Dow Jones- Irwin: Homewood, IL. Boeker W, Goodstein J. 1993. Performance and successor choice: the moderating effects of governance and ownership. Academy of Management Journal 36(1): 172– 186.
5. Göran Svensson, Greg Wood, (2006) "Sustainable components of leadership effectiveness in organizational performance", Journal of Management Development, Vol. 25 Iss: 6, pp.522 – 534.
6. Crossan, M., Vera, D., & Nanjad, L. (2008). Transcendent leadership: Strategic leadership in dynamic environments. *The leadership quarterly*, *19*(5), 569-581.
7. Oladele, O. P., Akeke, N. I., Adebisi, O. S., & Adeusi, S. O. (2013). Effects of strategic leadership styles on organisational development in small and medium enterprises (SMEs) in Lagos, Nigeria. *Net Journal of Social Sciences*, *1*(2), 54-60.
8. Ireland, R. D., & Hitt, M. A. (1999). Achieving and maintaining strategic competitiveness in the 21st century: The role of strategic leadership. *Academy of Management Perspectives*, *13*(1), 43-57.
9. Sosik, J.J., Jung, D.I., Berson, Y., Dionne, S.D. & Jaussi, K.S. 2005. The strategic leadership of top executives in high-tech organisations. Organisational Dynamics, 34(1): 47–61.

10. Lear, L. W. (2012). *The relationship between strategic leadership and strategic alignment in high-performance companies in South Africa* (Doctoral dissertation).

11. *Richard Arvid Johnson (1976). Management, systems, and society : an introduction. Pacific Palisades, Calif.: Goodyear.*

12. Ramawickrama, J., Opatha, H. H. D. N. P., & PushpaKumari, M. D. (2017). A synthesis towards the construct of job performance. *International Business Research*, *10*(10), 66-81.

13. Hubbard, P. (2003) 'Fear and loathing at the multiplex: everyday anxiety in the post-industrial city', Capital & Class, no.80.

14. Frank Furedi, (2006), "Politics of Fear: Beyond Left and Right ", Economic Affairs 26(3):86- 87 · September 2006.

15. Fogaça, N., Rego, M. C. B., Melo, M. C. C., Armond, L. P., & Coelho Jr, F. A. (2018). Job performance analysis: scientific studies in the main journals of management and psychology from 2006 to 2015. *Performance Improvement Quarterly*, *30*(4), 231-247.

16. Jackson, A. T., & Frame, M. C. (2018). Stress, health, and job performance: What do we know? *Journal of Applied Biobehavioral Research*, *23*(4), e12147.

17. Zia-ud-Din, M., Shabbir, M. A., Asif, S. B., Bilal, M., & Raza, M. (2017). Impact of strategic leadership on employee performance. *International Journal of Academic Research in Business and Social Sciences*, *7*(6), 8-22.

أهمية البحث الابستمولوجي في تنمية بعض المهارات الأكاديمية لدى الطالب الجامعي في كليات العلوم الإنسانية والاجتماعية

الباحثة: شيطر عيشوش
جامعة محمد لمين دباغين ــ سطيف2 ـ الهضاب، الجزائر
ai.chite@univ-setif2.dz
002133559955197

الملخص:
الطالب الجامعي في كليات العلوم الإنسانية والاجتماعية، يشكل أحد المخرجات النهائية لمنظومة التعليم العالي. مما يشير إلى رأسمال معرفي كانت ولازالت الجامعة أحد أوعيته الهامة، ومخبرا يتفاعل فيه ذلك الكم الهائل من المعرفة بما توفره من برامج تدريبية معاصرة تتمحور حول فاعل رئيسي وهو الطالب. الذي تزداد أهميته وقيمته العلمية والمعرفية كلما تدرج في المراحل التعليمية، وتقدم أكثر نحو اكتساب المهارات الأساسية واللازمة تؤهله لمعالجة المعارف والتفاعل معها يطورها ويعيد إنتاجها، ويتمكن في ضوئها من تقديم خدمات ينهض بها مجتمعه على شكل حلول لمجمل المشكلات التي يعاني منها تتنوع بحسب مجالاتها (اجتماعيه نفسية تربوية اقتصادية .....). وفي غمرة التطور السريع للمعارف، والتوسع المذهل لها بالإضافة إلى أن ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية، أضحى يبحث عن باحثين يتمتعون بالحكمة والتعقل والتدبر. مما وضع الجميع في تحد مركب، وهنا تتجلى الحاجة ومن وجهة نظر الباحثة إلى تطبيق نهج البحث الابستمولوجي، كمدخل هام يكشف لنا أن أهمية وقيمة أي معرفة تكمن في استيعاب مصادرها وطرق وأساليب البحث عنها والوصول إليها، مما يساهم في اكساب الطالب قيم كالاستقلالية والحرية في التفكير والمتعة والالتزام والصدق، ومن دون هذه القيم لن يستطيع أن يقدم للعالم صورة عن الجامعة المستوعبة للمعرفة منتجة ومتحكمة في اليات البحث عنها، ولن يستطيع تحمل أعباء هذه المسؤولية ولن يكون أيضا في مستوى توقع المجتمع.

الكلمات المفتاحية:الطالب الجامعي، البحث الابستمولوجي، البحث العلمي، العلوم الإنسانية والاجتماعية، مهارات اكاديمية، مخرجات التعليم العالي، المعرفة

The importance of epistemological research in developing some academic skills among university students in the colleges of humanities and social sciences

Researcher: CHITER AICHOUCHE
University of Mohamed Lamine Debaghin - Setif 2 - Al Hadab, Algeria

Abstract:

The undergraduate student in the faculties of humanities and social sciences is one of the outcomes of the higher education system. This indicates a cognitive capital that the University has been and continues to be one of its essential vessels, and an informant in which that enormous amount of knowledge interacts with its contemporary training programs centred on a significant actor, the student. which increases its relevance and scientific and cognitive value as it is included in the educational stages, and advances further towards the acquisition of the basic skills necessary, to qualify it for the treatment of knowledge and interaction in the light of which it can provide services, promoted by its community in the form of solutions to the whole range of problems, it suffers varying according to its fields (social, psychological, educational and economic....). Amid the rapid development of knowledge, the spectacular expansion of knowledge, as well as the field of humanities and social sciences, the search for researchers with wisdom, reasonableness and reflection. This puts everyone in a complex challenge and here is the need , from the researcher's point of view, to apply the epistemological approach, as an important input that reveals to us the importance and value of any Knowledge of its sources, methods of seeking and accessing them contributes to the student's achievement of values such as autonomy and freedom of thought, pleasure, commitment and honesty, Without these values, he will not be able to present to the world a picture of the knowledge-absorbing university produced and

controlled in the search for its expectations ", and would not be able to shoulder the burden of this responsibility, nor would it be at the level of society's expectation.

Keywords: undergraduate student, epidemiological research, humanities and social sciences, values, outputs

مقدمة

تشكل العلوم الإنسانية والاجتماعية، ميدانا واسعا تتلاقى فيه وتتلاقح مجالات عديدة ومواضيع متنوعة من المعارف والعلوم، وكل ما يتعلق بها من طرق للبحث ومنهجيات تعتمد أساليب في التفكير على اختلافها العلمية والفلسفية. وكونها علوما فهذا لا يعني بالضرورة خضوعها لمنهج العلوم الطبيعية والعلوم الرياضية وفقط ، وإنما "تخضع لمنهج خاص يتوافق مع طابعها النفسي والوجداني، لأنها تتصل بالروح والنفس والعقل، وهي لا تخضع للقوانين التي أمكن استخلاصها من دراسة الحيوان لأن الانسان حيوان زيادة (جاد الحق، 1989، ص.33) فمفهومها لا ينحصر في ذلك المفهوم الضيق للعلم،والذي يشير إلى أنه نشاط بشري يهدف الإنسان من خلاله إلى التحكم والسيطرة على الطبيعة وإخضاعها له،بل يتعدى هذا المفهوم الضيق إلى مفهوم واسع ويقصد به المعرفة الإنسانية بشكلها الواسع بحيث يصبح العلم جزء أو نوعا من المعرفة الإنسانية. والتي تشمل المعرفة العامة والمتمثلة فيما هو شائع وناتجة عن المعايشة اليومية لأحداث ومواقف الحياة، والتي تتدخل بالتأكيد في صقل شخصية الأفراد، وتساهم في تحديد توجهاتهم ومعتقداتهم في جميع مراحل حياتهم. ثم المعرفة الناتجة عن استخدام أساليب التفكير الفلسفي كالحدس والتأمل والتدبر والتفكير المنطقي المقصود،وأساليب الاستقراء والاستنباط. بحيث تمدنا بالحقائق والمبادئ الكلية والعامة والنظريات عن ظواهر الكون والحياة، وقضايا الجمال والأخلاق والوجود. والمعرفة الخاصة وهي معرفة علمية دقيقة مصدرها هو البحث العلمي الذي يعتمد على المنهج الوصفي والتجريبي والتاريخي ... والخ. ومعرفة كهذه تتطلب طرق وأساليب في البحث تحترم قيمة الإنسان وتؤمن بقدراته ومواهبه المواكبة لكل تطور وتغير في الحياة، ومن طبيعتها أنها دائما في حالة استنفار مستمر ومتواصل عبر العصور والأزمنة التاريخية، مما نتج عنه تراكم معرفي وتداخل لا يمكن أن يكون الفضل فيه لمنهج بعينه أو لعلم من العلوم. أو لأمة من الأمم أو لحضارة من الحضارات ذلك " أن تعاقب الأجيال وقيام حضارات واندثار أخرى، ليجعلنا نؤكد أن الأفكار يجب ألا تورث مع الأرض وإنما هي مهمة كل جيل أن يبصر لنفسه" (محمد سنمر، 1409، ص.117).وتعتبر مراكز التعليم العالي مسرحا هاما تتشكل فيه أنواع المعارف والعلوم، ولم تعد هذه المؤسسات حسب ما يشير(James, 2000) " مصادر ساكنة أو ثابتة للمعرفة وإنما صارت شبكات معقدة للمعلومات. فالمجتمع الحديث صار بحاجة إلى عمال معرفة (Knowledge workers) تتحدد مصداقيتهم بقدر ما يمتلكون من معرفة متجددة ومتغيرة بتغير ظروف العصر "(نصار، 2005، ص. 85).إذ تقوم بتسويغها وتقديمها مستهدفة بذلك بناء العقول وتطوير البحث فيها، كدليل على رأسمال معرفي كانت ولازالت الجامعة أحد أوعيته الهامة، ومخبرا يتفاعل فيه ذلك الكم الهائل من المعرفة بما توفره من برامج تدريبية معاصرة تتمحور حول فاعل رئيسي وهو الطالب. الذي يشكل أحد المخرجات النهائية لمنظومة التعليم العالي.وفي ذات الوقت وعلى حد تعبير (بن

هني، 2018) يأتي وفق مخطط هرمي لهيكلة الجامعة من منظور تربوي في قاعدة الهرم بعد الأستاذ. ويتحدد عمله اليومي من خلال " التوجه إلى الجامعة لغرض الدراسة والمقصود من ذلك تحصيل أكبر قدر من المعارف والأنشطة ولن يجني كبير فائدة حتى يعلم أي غاية أو هدف يمكن بلوغه بعد مساره الدراسي " (بن هني، ص. 537).ومن خلال هذا المسار تزداد أهميته وقيمته العلمية والمعرفية كلما تدرج في المراحل التعليمية، وتقدم أكثر نحو اكتساب المهارات الأساسية واللازمة تؤهله لمعالجة المعارف والتفاعل معها، يطورها ويعيد إنتاجها، ويتمكن في ضوئها من تقديم خدمات ينهض بها مجتمعه على شكل حلول لمجمل المشكلات التي يعاني منها تتنوع بحسب مجالاتها (اجتماعيه نفسية تربوية اقتصادية سياسية.....). وأشار (James 2000)أيضا أن " تعليم الطلاب لأداء أدوار محددة في المجتمع لم يعد هو الهدف، بل أصبح من أجل إعدادهم كمتعلمين مدى الحياة لأداء مجموعة متباينة من الأدوار والمسؤوليات، وأيضا من أجل إعدادهم كمفكرين يتميزون بالنظرة النسبية متعددة الأبعاد والجوانب وكمواطنين يتحملون المسؤولية الأخلاقية " (نصار، 2005، ص.85).ولكي تصل الجامعات إلى هذا المستوى يجب أن تحقق قفزة ليس على مستوى الشكلي فحسب من مباني وأدوات، بل يجب أن تقوي أركان التعليم فيها والتي "تشمل عضو هيئة التدريس والطالب والبحث العلمي، وما يتصل بهذه الأركان من عوامل مساعدة" ــ من مقدمة المترجم، ناصر الحجيلان ــ (كول جونتان،2016، ص.124)، والتي من ضمنها تطوير المناهج.يقول مجدي عزيز إبراهيم: "من المسلم به أن مناهج التعليم الجامعي تسهم في تحديد مكانة المجتمع العلمية والتقنية وفي إعداد الأفراد ذوي العقول القوية. لذا يكون من المهم إخضاع مناهج التعليم الجامعي للتطوير المستمر والمتواصل"(بنهني، 2018، ص. 537 ــ 538).هذا المطلب يتزامن مع تطبيق نظام L M Dفي بعض الدول كالجزائر والذي يتخذ نهجا متسارعا في تكوين الطالب، بالإضافة إلى كون هذا الأخير ـ الطالب ــ لم يعد يخشى على تغيبه عن المحاضرات نظرا لما توفره له المطبوعات التي يعدها أساتذة المقاييس، وكذلك التكنولوجيا كوسيلة بحث.فقد يأخذ ما يحتاج إليه من دروس ومعارف جاهزة عن طريق اتصاله الالكتروني بموقع أستاذه أو موقع رفيقه في القسم.أضف إلى ذلك الاستخدام المفرط لمواقع التواصل الاجتماعي العالمية،والتواصل والتحاور مع أشخاص لا يعرف عنهم شيئا، والاطلاع على مضامين ومحتويات رقمية تتعارض في أحيان كثيرة مع خلفياته الفكرية وهويته.اين يجد الفرد نفسه غير قادر "على التحكم والاستدلال في مجتمع تسيطر عليه وسائل الإعلام على كل شيء" (بير تراند، 2001، ص.202)، وعلى حد تعبير هذا الأخير إن هذه الوسائل ــ وسائل الاعلام عموما ــ " أصبحت تغذي اتكالية تزداد رسوخا في أعماق الفرد". (مرجع سابق). لذلك من غير الصائب تركه هكذا دون سلاح، لابد من التفكير في مداخل بحثية وأطر منهجية، تمكن الطالب في كليات العلوم الإنسانية والاجتماعية من اتخاذ منحى آخر نحو المعرفة،والتأسيس لواقع من الممارسات يعتمد على الاستيعاب والتأمل والتدبر فيما يدرسه ويتدرب عليه.

أولا. مشكلة البحث

إن الملاحظة الميدانية للواقع، تشير إلى أن كليات العلوم الإنسانية والاجتماعية تقتصر في تكوين الطالب على منهجية في البحث تعتمد على خطوات البحث الكمي في أغلب الأحيان، كتحديد الإشكالية وتطبيق أداة الاستبيان، والأساليب الإحصائية وقراءة الأرقام وتفسيرها، والخروج بالنتائج. بحيث أخذ شكل العمل الروتيني الذي تقوقع فيه الطالب، وأصبح لا يتقن من مناهج البحث إلا هذه الإجراءات المتكررة في كل البحوث التي يعدها الطلبة في الليسانس والماستر وحتى في مرحلة الدكتوراه. وهذا الوضع طبعا نجده منتشرا في غمرة التطور السريع للمعارف، والتوسع المذهل لها. بالإضافة إلى أن ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية، وما تتطلبه طبيعة المعارف المتعلقة به، وفي عصر أضحى يبحث عن طلاب علم ومن ثم باحثين يتمتعون بالحكمة والتعقل والتدبر. مما وضع الجميع في تحد مركب، وهنا تتجلى الحاجة ومن وجهة نظر الباحثة إلى تطبيق نهج البحث الابستمولوجي، كمدخل هام يكشف لنا أن أهمية وقيمة أي معرفة تكمن في استيعاب مصادرها وطرق وأساليب البحث عنها والوصول إليها، مما يساهم في إكساب الطالب قيم كالاستقلالية والحرية في التفكير والمتعة والالتزام والصدق، ومن دون هذه القيم لن يستطيع أن يقدم للعالم صورة عن الجامعة المستوعبة للمعرفة منتجة ومتحكمة في آليات البحث عنها، ولن يستطيع تحمل أعباء هذه المسؤولية ولن يكون أيضا في مستوى توقع المجتمع. وتنطلق الباحثة في تحليل مشكلة الدراسة بإثارة السؤالين التاليين:

ما هي مبررات الحاجة لمقياس منهجية البحث الابستمولوجي في كليات العلوم الإنسانية والاجتماعية؟ وما أهميته في تنمية بعض المهارات الأكاديمية لدى الطالب الجامعي في هذه الكليات؟

ثانيا. مبررات الدراسة

إن اللجوء إلى إثارة هذا الموضوع له ما يبرره طبعا من وجهة نظر الباحثة تتمثل فيما يلي:

1. الصعوبة التي يجدها الطالب في إعداد أي بحث من حيث اختيار الموضوع وتحديد المشكلة، وإن تمكن فهي مشكلات مجترة متكررة لا تدل على استيعابه وفهمه العميق للمعرفة التي درسها.

2. منطقة الراحة التي ركن إليها وأصبح لا يبارح مكانه عندما استسلم لإجراءات بحث كمي روتيني،مما أعطى صورة نمطية عن نوعية المشكلات ومدى خطورتها، وعلى نوعية الأسس والمناهج المتبعة بمعالجة تلك البحوث، وعلى النتائج البحثية والتوصيات التي خرجت بها البحوث من أجل المعالجة الفعلية والواقعية.

3. إن شكل وطبيعة المعارف التي يتلقاها الطالب، تشكل مكتسبات قاعدية يلج من خلالها ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية تمهيدا لمراحل لاحقة في الدراسات العليا، مما يتطلب الاستعانة بطرق وأساليب للبحث توسع من مداركه حولها.

ثالثا. أهداف الدراسة

وتتجه الدراسة بهذه الأسئلة نحو تحقيق هدفين رئيسيين وهما:

- الكشف عن مبررات الحاجة لمقياس منهجية البحث الابستمولوجي في كليات العلوم الإنسانية والاجتماعية.
- التعرف على بعض المهارات يساهم البحث الابستمولوجي في تنميتها لدى الطالب الجامعي ومن ثم تبرز أهميته والحاجة اليه.

رابعا. أهمية الدراسة

الباحثة وإن سعت إلى تحقيق هذا الهدف فهو نابع من قناعتها المبدئية بالحاجة إليه وأهميته وأن هذا النمط من البحث يعزز سبل البحث والتقصي عن المعرفة كنهج يومي وهدف مستمر، يساعد الطالب الجامعي في كليات العلوم الإنسانية والاجتماعية، على الفهم السليم للتراث العلمي والمعرفي الذي يتلقاه،وإعادة قراءته مما يكون لديه مجموعة من القيم وأخلاقيات البحث كمهارات تغذي انغماسه في هذه المعرفة، وتنمي فيه روح النقد والتفكير والالتزام والشعور بالمسؤولية تجاه هذا التراث.

خامسا. أدوات البحث

استخدمت الباحثة أداة الملاحظة المباشرة أو ما يعرف ب (الملاحظة بالمشاركة).وذلك من خلال المعايشة الميدانية للمشكلة، عندما أسندت للباحثة تدريس حصة تطبيقية في مقياس ابستمولوجيا التربية مستوى سنة ثانية تخصص علوم التربية. وشعرت بوجود فجوة بين مستوى الإمكانيات الأكاديمية للطالب وبين مجموعة المعارف التي يتضمنها هذا المقياس ومقاييس متعلقة بالتخصص عامة.والأداة المستخدمة طبعا من أدوات البحث وهو" من الأساليب الكيفية في البحث الاجتماعي، الذي يقوم على المعايشة مع الجماعات الصغيرة لمدة طويلة موظفا أدوات مثل المقابلة بأنواعها والملاحظة بالمشاركة" (نصار، 2005، ص.32).

سادسا. منهج البحث

العمل بمثابة قراءة استكشافية حول دور البحث الابستمولوجي في إكساب الطالب الجامعي بعض المهارات الأكاديمية بشكل نظري وعليه فإن مناقشة الموضوع تكون وصفية تحليلية.

سابعا. تدريس العلوم الإنسانية والاجتماعية في ضوء منهجية البحث العلمي

تنطلق الإجابة على أسئلة الإشكال المطروح أولا من ملاحظة الواقع، والذي يفرض علينا أن نتساءل مرة أخرى: ما طبيعة المعرفة التي يتلقاها الطالب الجامعي في كليات العلوم الإنسانية والاجتماعية؟وهل يملك من الأدوات ما يكفي أو ما يلبي احتياجاته المعرفية في هذه المرحلة؟ مبدئيا نقول إن العلوم الإنسانية والاجتماعية ميدان واسع من المعارف والعلوم والتخصصات،وتضم معرفة هي في أصلها مبنية على أساس التداخل والتكامل. كما يمكن تصنيفها وفق ما يتلقاها الطالب في الكلية وعبر مراحل ومستويات معينة إلى معرفة مدخليه معرفة متفرعة عن الأولى أو متخصصة ومعرفة تطبيقية أو شبه (تجريبية).

1. تعريفات ومفاهيم

1.1. مفهوم العلوم الإنسانية والاجتماعية

- **مفهوم العلم:** يشير هذا المصطلح إلى الدراسة العلمية للظاهرة الإنسانية، واخضاعها بواسطة توظيف مناهج وأدوات علوم الطبيعة مثل: الملاحظة التجربة والقياس في تحليل هذه الظواهر" ويتجسد ذلك في استخدام علم الإحصاء وقوانين الفيزياء، ومفاهيم علم البيولوجيا وعلم الجغرافيا في تحليل وتفسير الظواهر الاجتماعية. ومن هذا المنظور يوظف المنهج الوصفي الذي يعتمد على التطبيق الإحصائي الواسع في التحليل والمعالجة، والمنهج التجريبي الذي يعتمد على استخدام التجربة والتحكم الصارم في المتغيرات وعزلها"(مصباح،2010، ص.51).
- **مفهوم العلوم الإنسانية والاجتماعية:**إن العلم يعرف بموضوعه، وبالنسبة لهذه العلوم فإن موضوعها يتحدد في مختلف السلوكات التي تصدر عن الإنسان من حياة وكلام وإدراك وتصور ـــ السلوك الإنساني في دلالته الشاملة ـــ فهو بهذا يحس ويشعر ويفكر، يعيش في وسط جماعة يؤثر ويتأثر لأنه يخضع لها، وقد يخضعها له في بعض الأحيان في إطار علاقات تحددها القوانين والعادات، الأعراف والثقافات التي تحكم كل مجتمع. ومنه فما يسمى بالعلوم الإنسانية والاجتماعية " موضوعها الإنسان وتختلف المدارس والأديان والحضارات فيها فلكل مذهب أو حضارة أو ثقافة أو دين فكرته الكلية عن الكون والحياة والإنسان، لأن الأمر متعلق أو مرتبط بالصورة أو الفكرة الكلية غاية وجودا طبيعة واخلاقا ونظما وعلاقات (العلواني، 2003، ص.82). كما يطلق مصطلح العلوم الإنسانية على العلوم المسماة بالعلوم المعنوية، وهي تتخذ من أحوال الناس وسلوكاتهم موضوع بحث بطريقة منهجية

منظمة. فهي "تتناول الواقع الإنساني سواء تعلق هذا الواقع بالإنسان منفردا أو مرتبطا بغيره ...فهمه وتحديد ثوابته. وعلى هذا تكون العلوم الإنسانية علوما تتناول فعاليات الإنسان المختلفة الجوانب، وساعية إلى ضبط طبيعتها وتحديد عناصرها ... دلالاتها ومقاصدها (بن عبد السلام واخرون،2012، ص.276).

2.1. تعريف البحث العلمي

للبحث العلمي عدة تعريفات من بينها:

البحث العلمي نشاط إنساني يشير إلى الجهود المبذولة لاكتشاف معرفة جديدة،أو لتطوير عمليات أو منتجات جديدة. مهمته التحقق من موضوع معين بصورة منتظمة وبمنهجية دقيقة مضبوطة عن طريق الملاحظة الدقيقة، وجمع البيانات وتحليلها بالطرق والأدوات المناسبة"(صحراوي، 2016، 7).

وحسب تعريف (Polansky)هو استقصاء منظم يهدف إلى اكتشاف معارف والتأكد من صحتها عن طريق الإختبار العلمي (مرجع سابق، ص.7).

"البحث العلمي اصطلاحا هو مجموعة من الإجراءات النظامية التي يتبعها الباحث في الدراسة من أجل التعرف على جميع الجوانب المتعلقة بموضوع أو إشكالية علمية والهدف النهائي هو حل تلك المشكلة"(جلوب، علاء إسماعيل، 2023، 27/ 7). آفاق البحث العلمي/تم استرجاعها 25/ 8 /.ويضيف الباحث أيضا في ذات المرجع،أن البحث لا يسمى بحثا علميا إذا لم ينطلق من مشكلة معينة تجسد أرقا ومصدر قلق للمجتمع الاجتماعي أو الأكاديمي بحيث يجب دراستها للتوصل إلى حلول لها.

أما Whitney فيعرفه بأنه "العمل الفعلي الدقيق الذي يؤدي إلى اكتشاف حقائق وقواعد عامة يمكن التأكد من صحتها (صحراوي، 2016، 8).

هو "عبارة عن ورقة بحثية مكتوبة وفقا لأسس علمية معينة، تعالج مشكلة ما أو ظاهرة ما يسهم حلها لفائدة كبيرة لمجتمع الدراسة.

محاولة دقيقة ناقدة للتوصل إلى حلول للمشكلات التي تؤرق البشرية وتحيرها" (القصراوي، 2012، 17).

- **منهجية البحث العلمي**

يشار في اللغة الإنجليزية لكلمة منهج إلى طرق البحث واجراءاته، والمنهجية إلى العلم الذي يدرس هذه الطرق والإجراءات فحسب (اشتى، فارس1991) " يتحدد معنى المنهج Method بطرق البحث واجراءاته في مجال معرفي، بينما يتحدد معنى المنهجية Methodology بالعلم الذي يدرس هذه الطرق والإجراءات، ويتولى تحديد الصفات والخصائص التي تتميز بها طرق البحث كالقصد

والوضوح والاستقامة "(حسن ملكاوي، 2011، 71). ولهذا يمكن القول بأن منهج البحث هي الخطوات الإجرائية التي يتبعها الباحث في إعداد بحثه في أي مجال معرفي،وإلى الطريقة والأسلوب. وبمعنى آخر، هو ما يقوم به الباحث للحصول على نتائج لدراسته وهو عملية منظمة غرضية بإجراءات مستخدمة يتم التخطيط لها بعناية. بينما المنهجية تشير إلى العلم الذي يتناول هذا المنهج المتبع ويحاول أن يضع لها مبادئ وأسس وأهداف وشروط إلى غير ذلك

3. أنواع البحث العلمي

لهذا الاختلاف في المنهج والمنهجية وبتنوع الطرق والأساليب ظهرت أنواع للبحث تعتبر هي الشائعة في استخداماتها ويصنفها (صحراوي 2016) كالتالي:

- **البحث الكمي:** هو البحث الذي يهدف إلى إثبات نظرية ما أو تأكيد حقيقة أو صحة واقع ما، ويتمتع هذا النوع من البحوث بمجموعة من المواصفات لعل أهمها،أنه يعتمد على جمع معطيات عددية والتي تتطلب أساليب إحصائية لمعالجتها ويحلل نتائجها ويفسرها تفسيرا وصفيا،ويستخدم في قياس المتغيرات وتقدير أثرها على مخرجات محددة، فحص النظريات تعميم النتائج على مجموعة معينة.
- **البحث النوعي:** هو نوع من البحوث العلمية يعتمد على معلومات هي حصيلة انطباع الباحث حول ظاهرة أو موضوع معين،وهو النوع الأكثر ارتباطا بالعلوم الإنسانية. وظهر بسبب النقد الموجه للبحث الكمي بأنه يبعد الباحث عن الأشخاص الخاضعين للبحث، وأنه يصف السلوك البشري بصورة تعميمية وبشكل نسب ومعادلات.
- **البحوث النظرية:**يطلق على هذا النوع من البحوث اسم البحوث الأساسية (Basic research) أو البحوث المجردة

(Pure research) ، وتهدف إلى إضافة علمية ومعرفية ،و التوصل إلى الحقيقة وتطوير المفاهيم النظرية كما تهتم بالإجابة على تساؤلات نظرية ما، وقد يتم تطبيق نتائجها علميا أو لا يتم.

- **تصنيفات مختلفة لمناهج البحث العلمي**

صنف ماركيز (Marguis) مناهج البحث العلمي في ستة أنواع:

المنهج الأنثروبولوجي، المنهج الفلسفي، منهج دراسة الحالة، المنهج التاريخي، منهج الدراسات المسحية والمنهج التجريبي.

أما (Whitney) فقد ميز بين سبعة مناهج للبحث العلمي كما يلي:

المنهج الوصفي ويشمل (المسح دراسة الحالة تحليل الوظائف وتتبع النمو والتطور البحث المكتبي)

المنهج التاريخي

المنهج التجريبي المنهج الفلسفي المنهج التنبؤي المنهج الاجتماعي المنهج الابداعي (صحراوي، 2016، 8)

4. واقع منهجية البحث العلمي في كليات العلوم الإنسانية والاجتماعية

درج تكوين الطالب في كليات العلوم الإنسانية والاجتماعية، على مجموعة من المعارف يتلقاها منظمة وبالتدريج على شكل مقاييس ومقررات دراسية، تضم معارف مدخليه تعتبر معارف قاعدية يكتسبها للولوج إلى ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية، معرفة متخصصة وتشمل معارف متفرعة عن المعرفة المدخلية التي درسها أو مكملة لها، ومعرفة تطبيقية وتشمل الإحصاء والقياس. ومن ضمن هذه المقررات مقرر يعرف بمنهجية البحث العلمي. وفي إطار هذا المقياس الذي يتناوله على شقين الأول نظري يعرف تحت مسمى منهجية البحث العلمي أي La Methodology ويقصد به العلم الذي يدرس هذه الطرق والإجراءات، ويتولى تحديد الصفات والخصائص التي تتميز بها طرق البحث من حيث مبادئها وخصائصها وشروطها، وأنواع المناهج كالمنهج التاريخي والوصفي والمسحي والشبه التجريبي وإلى غير ذلك. والشق الثاني تطبيقي، حيث يحاول الطالب تطبيق الخطوات اللازمة والأساسية لإعداد أي دراسة أو بحث. وهي عبارة عن عروض أو بحوث قصيرة المدى، يطلبها الأستاذ من الطلاب في أحد المساقات لتحفيزهم على الاستزادة والتعمق في الموضوع. وعادة لا يتوقع من الطالب أن يتوصل إلى شيء جديد في مثل هذه البحوث، وإنما الهدف الرئيسي هو تطوير الاعتماد على النفس لدى الطالب في البحث والاطلاع وتطوير مفاهيم الطالب وقدراته التحليلية. وحسب (الهواري، 1980) "يعتبر القيام بالبحوث القصيرة بمثابة تدريب للطالب على القيام ببحوث أكثر عمقا مثل رسائل الماجستير والدكتوراه، ولا سيما وأن الإجراءات النمطية للبحث القصير لا تختلف كثيرا عن إجراءات القيام ببحوث الماجستير أو الدكتوراه" (صحراوي، 2016، 42). هو في الحقيقة قد لا يطلب من الطالب إضافة أو التوصل إلى جديد لكن الواقع يفرض نفسه دائما ذلك أن طريقة إعداد هذه العروض لا تساهم بالقدر الكافي في تكوين مهارات أكاديمية يحتاجها الطالب وهذا يعود إلى أن:

- انتقاء المواضيع من مهمة الأستاذ عضو هيئة التدريس.
- لا يكلف الطلبة بقراءة موسعة حول محتوى المقياس وتكوين فكرة عن المحتوى، بهدف اعطائهم فرصة انتقاء المواضيع. ورغم أن هناك فرصة للطالب للاطلاع عن طريق المحاضرة، إلا أن عامل التغيب عنها وعدم حضورها يقلل من قيمة الاستفادة منها.
- يكتفي الطلبة في أغلب الأحيان بالنسخ من الكتب ومن الانترنيت.
- تقديمها عن طريق الاملاء والقراءة وفي معظمها غير تفاعلية، وان وجد التفاعل فهو من طرف واحد وهو الاستاذ.

وفي دراسة عن رواد البحث النفسي التربوي في الجزائر من خلال عينة من الأساتذة، كشفت أيضا عن بعض العوامل من خلال النتائج التي أسفرت عنها:

- أن مستوى الطلبة هو أقل من المتوسط في الأغلب، ومع ذلك نسبة النجاح والتفوق في مختلف المراحل جيدة دليل على خلل عملية التقييم. وحتى عملية التقييم تختلف من جامعة لأخرى فنجد الصرامة في بعض الجامعات والعكس تضخيم النقاط في جامعات أخرى، وهذا ينعكس سلبا على حقيقة الأداء .(بوثلجة، 2022، 30)، أداء تتحكم فيه طريقة قائمة على مطالبة الطالب "باجترار ما أخذه من الأستاذ وتتجلى في وضع أسئلة مباشرة تساعد الطالب على استرجاع آلي للمعلومات وليس التفكير فيها لاستنباط فكرة أو استنباط موقف"(بلعلى، 2011، 31).
- الأساتذة لا يوجهون للتدريس في تخصصاتهم أحيانا مما يؤثر على العملية البيداغوجية ويعيق تحقيق أهدافها.
- عدم وجود نظام يضبط الدروس من حيث التنسيق بين المحاضرة والتطبيق والتكامل بينهما، وأيضا الإشراف بين الطالب والأستاذ والإدارة (بوثلجة، 2022، 30)

وبهذه الطريقة يبقى الطالب يستجمع هذه المعارف بكيفية مشتتة تفتقد للتعمق الذي يوضحها، والانغماس الذي يجعله يستوعبها وينميها والتفكر فيها.

5. عوائق البحث العلمي في العلوم الإنسانية والاجتماعية

بشكل عام تتعدد معوقات البحث العلمي بتعدد المجالات المعرفية التي تستخدم وتطبق فيها مناهجه بغرض التحقيق فيها واكتشاف حقائقها. وعادة تقسم المجالات المعرفية التي تدرس في الجامعات وداخل الكليات إلى نوعين هي: العلوم التقنية والعلوم الإنسانية. والمعوقات بطبيعة الحال فيها ما هو مشترك بينها وفيها ما يتفرد به كل مجال على حدة. والتي منها على سبيل المثال لا الحصر:

- العوائق المادية
- عدم وجود استعداد من الجهات الوصية للتكفل بنتائج البحث العلمي، وإعطاء الاعتبار للتوصيات.
- عدم قدرة بعض المجتمعات التخلص مما علق في أذهانهم وترسخ في سلوكاتهم من عادات وممارسات شكل مقاومة للتغيير.

أما التي ما يعود منها إلى طبيعة العلوم الإنسانية والإجتماعية، فيتفق جل الباحثين على مجموعة من العوائق كتعقد ظواهرها وتعددها، وتداخل متغيراتها مما يصعب على الباحث التحكم فيها وضبطها. فهي ليست شبيهة بالظواهر الأخرى، إذ تتميز بأنها ذاتية وقصدية، وتوجهها جملة من القيم والقواعد، وأنها لا تثبت على حال.وتعرف بحوادثها والتي منها وأهمها الحادثة التاريخية الحادثة الاجتماعية والحادثة النفسية وما ينطبق على الكل ينطبق على الجزء. وتدخل البيئة في تحديد وتوجيه ميول الباحث. هذا من جهة، من

جهة أخرى"التركيز على البحوث في التخصصات العلمية هو أكثر من التركيز على البحوث في التخصصات الإنسانية تتناول مشكلات يعاني منها الانسان على مستوى العالم"(جلوب، علاء إسماعيل، 2023، 27/ 7). أفاق البحث العلمي/تم استرجاعها يوم 25/ 8 /.كما أن الأبحاث الكمية اثبتت وبشكل متزايد ولا سيما في مجال العلوم الاجتماعية عدم قدرتها على التعامل مع الظاهرة الاجتماعية المدروسة ولا تتمتع بالقدرة على " تأمين صورة شاملة عنها وأخذ وجهات نظر المشاركين ومواقفهم بعين الاعتبار" (صحراوي، 2016، 42) هذا بالإضافة إلى تسجيل بعض القصور في استخدام أدوات البحث العلمي في دراسة الظواهر الاجتماعية.ففي ضوء دراسة لحوصلة المعارف في العلوم الإنسانية والاجتماعية بعد 50 سنة في الجزائر " جاءت الاستمارة في الصف الأول من الوسائل المستعملة ولوحظ عدم بروز أو عدم توظيف فعلي لتقنية الملاحظة رغم أهميتها في البحث الاجتماعي كما لم تبرز من خلال الدراسات استعمال تقنية المقابلة على الرغم من أهميتها ومن تواجدها ضمن التقنيات المستعملة في الدراسة" (بن غبريط، حداب، 2008، 54). ولعل في غمرة البحث عن المال واعتلاء المناصب والحصول على الترقيات والإسراع في نشر الأعمال العلمية بأي طريقة كل هذا جعل التركيز على الورقة البحثية من حيث شكلها وليس مضمونها وهذا طبعا وبشكل عام ساهم في " تدني قيمة البحوث العلمية ومستواها في العالم العربي"(جلوب، علاء إسماعيل،2023، 27/ 7). آفاق البحث العلمي/تم استرجاعها 25/ 8 /. كما أن " القيمة المنهجية لإجراءات البحث الاجتماعي تبرز من خلال محاولة إعادة بناء الواقع الاجتماعي إنطلاقا من الشواهد الميدانية والأدوات المستخدمة في جمع المعطيات والأساليب العامة في تنظيمها وتفسيرها" (بن غبريط، حداب، 2008، ص.54) ويقول (بول فولكيه) واصفا الكيفية التي تتداخل فيها عناصر البحث الأساسية (الباحث والواقع الاجتماعي) " إن العالِم في مجال العلوم الإنسانية يصبح هو نفسه جزءا من مواد دراسته فهو يؤثر بصورة لا شعورية في دراسة موضوعه " (داود، 2021، ص.193).

وقد شكلت هذه المعوقات بسبب المنهج وبسبب طبيعة المعرفة الناتجة عن تفاعل الباحث مع الظواهر الإنسانية عموما ، جدلا ونقاشا واسعا من قبل الباحثين والعلماء،فمع الظواهر الاجتماعية مثلا كانت نوعية المشاكل المطروحة عليهم والتعاطي معها تعبر عن وضع " كان وقود الفكر ، ترتب عنه تراثا فكريا ونظريات اجتماعية مختلفة، راحت كل واحدة منها تفسر وتحلل الظواهر الاجتماعية من وجهة نظرها الخاصة بها ، وفي نفس الوقت تقدم نماذج للفهم و التفسير والتنظيم العملي لمنظمات العمل المختلفة بما يتناسب مع طبيعة المجتمع، وأسلوب حياته وتراكماته التاريخية والثقافية والسياسية" (مصباح، 2010، ص.12). ومن هنا برزت وجهات نظر لمفكرين آخرين عل غرار وجهة نظر الفيلسوف الفرنسي Michel Foucault، والتي ترى أن سبب تخلف العلوم الإنسانية ومنها التاريخ مقارنة بالعلوم الطبيعية، يعود إلى كونها تدرس موضوعا حيا منتجا من الان نفسه،أي يخضع لظروف وشروط الزمان والمكان. إذ

المعرفة المصاغة حوله قد تنطبق عليه في زمان ومكان معينين، في حين أنها ستصبح في مكان وزمان اخرين متناقضة معه.ويقول في كتابه الكلمات والأشياء: "إن ما يفسر عسر العلوم الإنسانية وهشاشتها وعدم يقينيتها كعلوم، وألفتها الخطرة مع الفلسفة واعتمادها الغامض على مجالات معرفية أخرى، إنما هو تعقد التشكيل الابستمولوجي الذي تجد العلوم الإنسانية نفسها ضمنه"(داود، 2021، ص. 193).

ثانيا. العلوم الإنسانية والاجتماعية في ضوء منهجية البحث الابستمولوجي

1. مدخل مفاهيمي

1.1. الفلسفة: الفلسفة في أحد تعريفاتها هي:"فن التعامل مع الأفكار، والفلسفة مختبرها العقل، وأدواتها صياغة المفاهيم، وعملها المحاكمة المنطقية للقضايا" (سلطان، 2022، ص.58). وهي تراث إنساني ومعرفة كغيرها من المعارف تشترك فيها الإنسانية، تعيش عليها ومصدر لإلهامها. وهي تأخذ شكل الحوار والجدال الدائر والذي لا ينتهي، وهي في مجملها عبارة عن استمرار لعديد المحاولات التي يلجأ إليها الإنسان باحثا عن حلول للقضايا التي تؤرقه، وفي ذات الوقت يدفعه الشغف وحب المعرفة والبحث عن الحقيقة، متخذا في ذلك أساليبا وطرقا للوصول اليها بهدف اشباع حاجاته المعرفية،وتحقيق السعادة التي ينشدها في كل زمان وفي كل مكان.ولذلك مهما حاولنا ضبط الفلسفة في تعريف معين لا يمكن ضبطه ولا تحديده لأنه يبقى دائما يخضع لشكل الجدل الدائر وطبيعة المعرفة الناتجة عنه.

2.1. الابستمولوجيا والمفاهيم المتعلقة بها

- **الابستمولوجيا:**إن الكلمة الإنجليزية epistemology تستعمل كثيرا (خلافا لاشتقاقها) للدلالة على ما نسميه "نظرية المعرفة" او "علم العرفان" وتدل هذه الكلمة على فلسفة العلوم لكن بمعنى أحق فهي ليست دراسة المناهج العلمية التي هي موضوع الطرائقية وتنتمي إلى المنطق كما انها ليست توليفا او إرهاصا ظنيا بالقوانين العلمية (لا لاند، 2002، ص.357)
- **نظرية المعرفة:**وتعرف حسب بالدوين "علم العرفان" Gnoseologie وهو "قسم من الفلسفة الذي يدرس ظاهرة المعرفة في ظروفها وفي نتائجها قبليا وبعديا" (لالاند، ص.468) ويعرف الفلاسفة نظرية المعرفة بأنها "فرع من الفلسفة يدرس أسئلة حول المعرفة والحقيقة، وبخاصة أسئلة تبرير حول التساؤل عما هو صحيح وما يمكننا معرفته وكيف نعرف ما إذا كنا حقا نعرفه"(كولينز، اوبراين، 2008، ص.221)
- **فلسفة العلوم:** تعنى بشكل واسع بمعالجة نوعين من الأسئلة أحدهما "هل من المبرر قبول النظريات العلمية أو الأساليب التي تستخدم في التفكير العلمي؟ "(كولينز، اوبراين، ص. 446)

وسواء الابستمولوجيا أو نظرية المعرفة أو فلسفة العلوم كلها تنتمي إلى الفلسفة وتشكل أحد المباحث الهامة فيها، فهي ذلك التفكير الفلسفي النقدي الذي يقيمه الفلاسفة والعلماء أنفسهم حول ظاهرة العلم، هذا

الأخير الذي عرف منذ العصر الحديث تفرعات كثيرة ومتنوعة أخذت اهتمام المفكرين واسترعت انتباههم ، ودخلوا في مناقشة مختلف المسائل العلمية، واستغرقوا في مناقشاتهم وانتقاداتهم مما افرز أنواعا عديدة من الابستمولوجيا (ابستمولوجيا التربية ، ابستمولوجيا العلوم الإنسانية، ابستمولوجيا الرياضيات ، ابستمولوجيا العلوم الفيزيائية...) ومن هنا تبرز وظيفتها الأساسية بأنها "تدرس المعرفة بالتفصيل وبشكل بعدي في مختلف العلوم والإغراض أكثر مما تدرسها على صعيد وحدة الفكر" (لا لاند، 2002، ص.357)،بمعنى أنها تدرسها بعدما تتشكل كمعرفة جاهزة ثم يبدأ الباحث في فك خيوط تلك الشبكة التي تتكون منها هذه المعرفة، وتبني بها عناصرها الأساسية من وجهة نظر ابستيمولوجيةمتمثلة في: تاريخها ومبادئها ومواضيعها وأساليب البحث عنها...وحسب المعجم الفلسفي أن علم العرفان(Gnoseologie) والذي يطلق على نظرية المعرفة (Theorie de la connaissance) ويرادفه الابستمولوجيا (Epstemologie) وهي فلسفة العلوم. لكن تبقى بعض الفروق التي تفصل بين هذه المصطلحات وتحدد دور كل منها، وعلاقته بمعرفة معينة وشكل البحث المتخذ نحوها. حيث تختص الابستمولوجيا بالبحث عن منشأ المعرفة وطبيعتها وقيمتها وحدودها بحثا نظريا محضا، في حين نجد فلسفة العلوم تختص بالبحث في موضوعات العلوم وطرقها وقوانينها ومبادئها، بحثا انتقاديا وتحليليا مبنيا على الواقع والتجربة دون التطرق لتاريخها او منشئها.أما نظرية المعرفة فهي تختص بدراسة الذات العارفة.

- **. تعريف البحث الابستمولوجي:** هو البحث في قضايا معرفية ومنهجية ترتبط بحقل التفكير العلمي، ومن خلال هذا النهج يتساءل الباحث عن موضوع العلم ومنهجه، ويبحث في مبادئه، ومفاهيمه، كما يحدث مقاربات تاريخية في شأنه والكشف عن آلياتها. حيث يقوم بدراسة المعرفة كمضمون لهذه العلوم والبحث عن القواسم المشتركة بينها، حتى يتمكن من ترتيبها وإعادة تصنيفها مما يضفي عليها دلالات وحقائق أخرى.

2. الابستمولوجيا والتفكير الفلسفي

إن المتتبع أو الدارس للفلسفة وتاريخها يجد نفسه أمام حقيقة مفادها أن هذا التاريخ " هو تاريخ دفاع عن العقل ودعوة لحفظه وإعماله" (بالعيدي، 2023، ص.175). وتشير كلمة دفاع إلى وجود ذلك المدى الذي تأرجحت فيه التوجهات والرؤى والتصورات، المؤيدة حينا والرافضة حينا آخر لأسلوب الفلاسفة أو ا التفكير الفلسفي على العموم في معالجته لقضايا الإنسان والحياة. واختلف العلماء والمفكرون والمثقفون عل أطيافهم ونخبهم في درجة تقبلهم والاعتراف بنتائجها وأهميتها وقيمتها بالنسبة للعقل وتأثيرها عليه. وهناك من رأى أن رسالة الفلسفة هي محاولة الرد على كثير الأسئلة فعلى حد تعبير برتراند راسل " إن الفلسفة تستحق أن تدرس ليس من أجل أن نجد فيها أجوبة دقيقة على الأسئلة التي تطرحها، بل بالأحرى

بسبب قيمة الأسئلة ذاتها. إن الأسئلة الفلسفية تعمل على توسيع تصورنا للممكن، وتثري خيالنا العقلي، وتقلل ثقتنا الدوغمائية التي تغلق الفكر وتسد عليه منافذ كل تأمل. لكن، وقبل كل شيء، يكتسي فكرنا العظمة والجلال، بفضل عظمة وجلال العالم الذي تتأمله الفلسفة." ومن رحم هذا التأمل العظيم خرجت الابستمولوجيا في بحثها عن إجابة لأسئلتها وعلى راسها: كيف يمكن للعلوم على تعدد مناهجا ومواضيعها أن تزيل ذلك الحاجز الذي بينها وبين عديد القضايا التي شغلت الانسان ولازالت تشغله؟ أو هل من سبيل لأن يسترد الانسان ثقته في العلوم ويشعر بالطمأنينة تُجاهها؟

https://m.facebook.com/story/php?

1.2. **ميلاد الابستمولوجيا:**العلم والفلسفة تاريخيا نشآ مع بعضهما وكأنهما وجهان لعملة واحدة لا حدود ولا انفصال بينهما، فلا العلم متميز عن الفلسفة ولا الفلسفة عن العلم. والواقع أن لقرون طويلة كانت علوم الطبيعة والرياضيات وعلم النفس كلها منضوية تحت لواء الفلسفة، وأعلنت الابستمولوجيا عن ميلادها الحقيقي يوم أن تم ذلك الانفصال للعلوم عن الفلسفة بصورة تدريجية."انفصل الفلك والرياضيات ثم تلاهما في عصر النهضة علوم الفيزياء والكيمياء والفيزيولوجيا. وكان آخرها ما يسمى بالعلوم الإنسانية منها علم التاريخ وعلم الاجتماع وعلم النفس "(بن عبد السلام واخرون،2012، ص.276). وتوالت سلسلة من الاقتراحات للنماذج المعرفية. فبعد أن سادت منظومة معرفية ارسطو طاليسية وهي منظومة مشبعة بالأفكار اللاهوتية،والتي أضفت عليها طابعا تقديسيا حيث كان يتم تناول الطبيعة تناولا عقليا تأمليا،تحول إلى علم الطبيعة الذي تأسس على المنهج العلمي عن طريق الاستنباط واستقراء الطبيعة، وهو ما ينضوي تحت ما يعرف بالعقل المطلق.وبعد الثورة العلمية غرق الفكر العلمي في نماذج آلية ميكانيكية "اقترحتها الفيزياء الكلاسيكية وتكريس الحتمية والموضوعية والتفسير السببي والبيانات الكمية واليقين، هو ما أنتج نموذج معرفي عرف بنموذج البساطة والاختزال" (سميث، 2016، 29). وظهرت عدة طرق في فهم الطبيعة كاعتماد الرياضيات وقوانين الفيزياء وتحول إهتمام العلماء من البحث في الكيفيات إلى البحث في الكميات ولأن الفكر في حالة من الاستنفار المستمر ظهرت مفاهيم جديدة يقول الفريد نورث وايتهيد (1953) " لا يوجد خطا أكبر في العلم من الاعتقاد بأن إجراء عملية رياضية ما سيجعل ظاهرة ما في الطبيعة مؤكدة" (سميث، ص. 29)

وظهرت "جملة من النظريات خارجة عن حقل الفيزياء أو مرتبطة به مثل: نظرية الماوس، نظرية التحكم الآلي،انهيار مبدأ الحتمية، ظهور نظرية الفوضى، نظرية المعلومات. أعادت للذات دورها المحوري في عملية المعرفة باعتبارها منتج للمعرفة ومفعولها التي ابعدت عنها بسبب الحقيقة الموضوعية"(سميث، ص. 29).

2.2. الابستمولوجيا والبحث في المعرفة:تبني الأبستمولوجيا علاقتها مع المعرفة بالتفكير فيها، وهذا يبرزها علاقة أزلية ضاربة وبعمق في أصولها بغض النظر عن مصادرها وأدواتها. فخيوطها الأولى ارتسمت يوم بدأت رحلة الانسان على هذه الأرض بتكوين معارفه عن حياته بيئته ومحيطه، مستهديا بالعقل مسترشدا به، متأملا ومتدبرا وفي حالة من الشك واليقين إلى أن أدركها العقل، وأعلن عن ميلادها. وتعمد أن يحدث قراءة نقدية للعلوم ولمبادئها، ونقل الجدل إلى داخلها كاشفا عن مدى ارتباطها بالقضايا العديدة التي ظهرت كإشكاليات تبحث عن حلول، بعدما عجزت أو فشلت مناهجها عن الإجابة عن التساؤلات الشائكة والمرتبطة بالإنسان والحياة بتعقيداتها. ومشكلة"انتقال موضوع النقاش حول القوانين الحاكمة لمسار المجتمعات من الفلسفة إلى حيز العلوم التجريبية، تحد كبير حاوله اساطين العلم من أمثال اوغست كونت ودوركايم وغيرهما وعارضه آخرون أمثال هرماسأو شكك في إمكانه غيرهم. لكن دراسة الظواهر وتحليلها إحصائيا واستخلاص الروابط والاتجاهات أصبح جزء من علم الاجتماع (سلطان، 2022، ص. 117). وطبعا لا نتيجة للتفكير سوى المعرفة الذي " لا ينشأ الا عندما تكون الأشياء غير محققة وفي موضع شك" (إسماعيل علي،1995، ص. 116).فهنا يحق لنا أن نتساءل كما تساءل غيرنا" فما القصد من المعرفة؟ هل هو قصد محدود بالعلم المادي الذي يعرف من أجل أن يمتلك ويسيطر عليه؟ أم أن قصد المعرفة هو تعظيم مقاصد أخرى كتعظيم الله في النسق المعرفي الاسلامي "(بلعقروز، 2017، ص. 45)

3.2. المعرفة من وجهة نظر ابستيمولوجية

لقد اختلف في تحديد مفهوم المعرفة وتبيان مدلولها وهذا طبعا بسبب مصادرها وطرق البحث عنها. والتعريف المعترف به لدى اليونسكو وسائر المؤسسات الثقافية" المعرفة كل معلوم خضع للحس والتجربة " (العلواني، 2003، ص.72). هذا بالنسبة للذي يرى أن مصدرها هو الوجود. لكن بالنسبة لمن يقترح مصدرا آخر فيرى أنها " كل معلوم دل عليه الوحي والحس والتجربة (العلواني، ص. 72). والمعرفة تطلق ويراد بها " ما تدركآثاره وإن لم تدرك ذاته " وهي في الأصل لا يتوصل بها إلى الادراك إلا بتفكر وتدبر " (بنهني،2018، ص. 538) كما تدل أيضا" على كل ما هو صحيح على نحو قاطع"(كولينز، اوبراين، 2008، ص.221). فهذا إشارة إلى العلم وهو ذلك النشاط البشري الذي" يهدف إلى دراسة الظواهر تصنيفها وتحليلها وتوضيح العلاقات بينها، والتنبؤ بالمستقبل وتقديم التوصيات وحل المشكلات بأسلوب علمي (صحراوي، 2016، ص.7). وهو أيضا "صفة ينكشف بها المطلوب انكشافا تاما "(بنهني،2018، ص. 538) أي مما لا يدعو إلى الشك. وكلما قيل عن العلم ومهما قيل عنه يبقى رهين مفهومين يحددان فعلا مصداقية هذا الكلام،أو هذا الوصف للعلم. المفهوم الأول أن العلم عند الغرب يشير إلى العلم الذي يدرس المواد الطبيعية، والمنهج الذي يستخدمه العلماء وهو المنهج العلمي وبصورة

أكثر تحديدا المنهج التجريبي. والثاني أن العلم وفق الرؤية الإسلامية يتعلق بتطور المدركات البشرية في سائر شؤون الحياة المادية، والاجتماعية،والنفسية، والروحية، ومرجعية هذه الرؤية هي الوحي الذي أورد فصولا من قصة البشرية في مراحل نشأتها الأولى، وتبين هذه الفصول أن الانسان خلق في البدء وهو مزود بما يلزمه من ملكات التدبر والتفكر والتجريب، ومن أدوات العلم والمعرفة ما يمكنه من بدء حياته على الأرض (حلمي،د.ت). وتكمن مصداقية التفكير المعرفي في ثلاثة قضايا:"الوحي والعقل والكون. ولكل موضوع منها نهجه ودروبه، لان دائرة التفكير لا تخرج عن عالم الشهادة. ولعالم الغيب التسليم وخلوص التوحيد للخالق سبحانه " (بنهني،2018، ص. 538)

3. أهمية البحث الابستمولوجي

1.3. **بالنسبة للعلوم الإنسانية والاجتماعية كمعرفة:** يمكن أن يكون للبحث الابستمولوجي أهمية بعد أن نتجاوز بعض الصعوبات، وأن نحقق بعض التقدم كما على سبيل المثال لا الحصر:

- أن نتفق على مفهوم للعلم ومفهوم للمعرفة ونزيل ذلك الالتباس والغموض الحاصل، وقد يبدو ذلك صعبا لكن مرونة المفاهيم وطبيعتها الهلامية وقدرتها على الانتقال عبر مجالات وميادين العلم والمعرفة قد يبسط لنا العملية، خاصة إذا طبقنا نهج المقاربات بشكل سليم عادل ومنصف.
- النظرة إلى العلوم الإنسانية والاجتماعية على أنها مادة معرفية واسعة، وحقل واسع يمس الثقافة والسياسة والاقتصاد، وعلم النفس والتاريخ، ويستعير من الفيزياء والكيمياء وعلم الاحياء في أحايين كثيرة بعض المصطلحات وبعض الأدوات، وهذه الاستعارة لا تشكل مبررا كافيا لحصره في منهج بحث واحد بل ينبغي أن يكون منفتحا على غيرها من المناهج.
- إن الكم الهائل من المعرفة التي يتلقاها الطالب الجامعي في كليات العلوم الإنسانية والاجتماعية، يمكن تصنيفها إلى ثلاثة أنواع من الفكر وهي:'الفكر التراثي والفكر والوافد والفكر الذاتي" انظر (محمد سنمر، 1409، ص.117) فهي معرفة تتضمن موروثا فكريا وهو عبارة عن تراكمات فكرية تراثية تشترك فيه الإنسانية جمعاء، ومعارف حديثة ومعاصرة تقاسمتها المذاهب الفكرية الغربية كالعقلانية والوضعية والطبيعية.... وهي أيضا نتاج من الفكر الذاتي وهو ذلك البناء العقلي الذي ينمو من مجموعة القيم والمبادئ الخاصة بالفرد وبيئته.

2.3. بالنسبة للجامعة كمنتجة للمعرفة: "إن الاتجاه العلمي يميل اليوم يميل إلى القول بأن كل إنتاج فكري سواء كان صحيحا أو مغلوطا لابد أن تكمن وراءه عوامل خارجية تمكنه من الظهور " (الوردي،2009، ص.128). والجامعة كعامل أساسي في نقل المعرفة يتفق فيه الجميع ولا أحد ينكر بأنها مهمتها الأولى ولكن بطريقة ينبغي فيها ان " تتحدى الطلاب على أن يقوموا بالتفكير بصورة أكثر وضوحا وأن يبدأوا في صياغة أفكارا متطورة لأنفسهم "(كول جونتان،2016، ص.119). وما تتطلبه هذه العملية الجليلة من

إعداد وتكوين، وعلى رأسها تكوين الشخصية العلمية بتوفير " الجو العلمي المشحون بالأرواح المتوثبة، والعقول المتفتحة والبحوث العلمية الجادة.إنه الجو الذي تسوده تقاليد بحثية وعلمية جادة تجعل كل من يعيش فيه يتنفس الجدية والدأب والنزاهة والطموح العالي (بكار، 2011، ص. 139). وعن (هاتشنز) خامس رئيس لجامعة شيكاغو كأشهر جامعة عالميا، يتحدث روبرت مينارد هوتشينس (1951) بأنه كان يؤمن بأن لمبدأ الموحد للجامعة هو السعي وراء الحقيقة من أجل الحقيقة،وأن المسوغ الوحيد الذي يجعل الجامعات تتميز عن غيرها هو أن تكون مراكز للانتقاد.بالإضافة إلى أنها تسعى لتحقيق الفائدة للجميع أين ينبغي " أن تكون هذه الجامعات مركزا مستقلا للفكر "(جونتان، ص.124).ويشير (لانغر يهر) أن الأبحاث في مختلف الحقول بما في ذلك الفلسفة وعلم النفس الادراكي، واللغويات والذكاء الاصطناعي والمسح الدماغي، تساهم في فهمنا للتفكير وتطوره " فالتفكير المتطور والرفيع المستوى لا يتطور بصورة تلقائية كنتاج ثانوي للأنشطة التعليمية الأخرى، فمجرد توجيه أسئلة عالية المستوى لا يضمن أن يكون عند الطلاب المعرفة أو قدرات التفكير اللازمة للإجابة عليها(لانغر يهر، 2002، ص.9). وأن "مجرد عقد مناظرات في غرفة الفصل لا يعلِّم الطلاب كيفية بناء حجة فعالة أو تبني موقفا.... وبالمثل فان إعطاء واجب كتابي أو واجب حل مشكلة،لا يفسر بحد ذاته الاستراتيجيات التي يستخدمها الكتاب الناجحون لمن يحلون المشاكل. ففي كل حالة من هذه الحالات يستخدم منهجا أكثر وضوحا نحو تطور التفكير (لانغر يهر، ص.9)،مما يساعد على المرونة والانفتاح العقلي والتأمل والرغبة في البحث عن وجهات نظر أخرى .... كما أن "عملية نقل المعرفة لا تتضمن مجرد تعريض الطلاب لمجموعة من الأعمال المستمدة من الماضي أو مجموعة من الحقائق أو شرح الطرائق والنماذج النظرية "(جونتان،2016، ص.119). والأمر يستدعي وجود " الطريقة التي يساعد بها الأساتذة الجامعيون طلابهم على اكتساب مهارة تحليلية إذ يتحقق ذلك من خلال أسلوب تبادل الآراء والمناقشات التي تجري في الفصول الدراسية والتي يستمر كثيرا منها في مساكن الطلاب وقاعات الطعام، ومن خلال إتمام الاطروحات والأبحاث الأصلية ،ومن خلال نوع من التعاون والتوجيه الذي يحدث في المعامل ومكاتب أساتذة الجامعة... وغيرها "(جونتان،ص.119)" إن عملية نقل المعرفة تستدعي " فاعلين مفكرين اخرين أي قادرين على المعرفة وهذا ببساطة يعني العلاقة المسماة بالتفكير وغير المنحصرة بين الفاعل والمفعول المعروف لأنها تمتد الى فاعلين اخرين" (فريري، 2004، ص.178).وبهذا الشكل يمكن للطلبة داخل كليات العلوم الإنسانية والاجتماعية ان يكونوا مواقفهم تُجاه المعرفة. وأهم شيء يمكن أن تقوم به الجامعة ضمان حرية التعبير والتفكير لهم "(جونتان،2016، ص.125)

3.3. بالنسبة للطالب الجامعي كمتفاعل مع المعرفة

إن التعليم والتعلم يترافقان ويتآزران في عملية واحدة تبدأ من البحث عن المعرفة وتنتهي عند البحث فيها، وبهذا تصبح للتعلم فلسفة مفادها أننا لا نتعلم لكي نرتاح، بل نتعلم لنزداد بحثا وحبا وشغفا للوصول إلى المعرفة. وميدان كميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية، حقل واسع يمس الثقافة والسياسة والاقتصاد وعلم النفس وعلم الاجتماع والدارس لهذا الحقل " يحتاج إلى مادة معرفية واسعة وإلى خيال واسع وفلسفي لعمليات الربط والاستنتاج (سلطان، 2022، ص.117). والطالب هنا مطالب بان يصل أداؤه " إلى مستوى التفكير العلمي أين يصبح بإمكانه ان يتجاوز " النتائج السابقة مركزا عن المسكوت عنه في دراسة الظواهر المختلفة، أو مبديا رأيا مختلفا فيها، ومتمكنا من صياغة أسئلة والشك في المسلمات والرغبة في حل إشكالات لم تجد إجابات مقنعة عن اسئلتها "(بلعلى، 2011، ص.30) وفي ضوء هذا المطلب ماذا يحقق التدريب أو التكوين على البحث الابستمولوجي للطالب الجامعي؟

- ✓ يحقق له فرصا للاطلاع على التراث المعرفي الإنساني، والتمكن منه في حدود ما يسمح له به المستوى والمحتوى المقرر له دراسته وحسب (John Dewey, 1939) " إن تراث الماضي يمدنا بوسيلة ناجحة حتى نستطيع فهم الحاضر (إسماعيل علي، 1995، ص.107).والتفتيش في الماضي واستيعابه من متطلبات فهم كل جيل لعصر هو يكون على وعي لما يحدث فيه، لأنه يجيب عن أكثر الأسئلة صعوبة وعددا،والتي تُطرح باستمرار حول حاضرنا وواقعنا وتبدو في كثير من الأحيان غامضة."فكما يجد المرء نفسه مجبرا على أن يفتش في ماضيه حتى يفهم ما هو فيه من ظروف، كذلك فإن ما تسفر عنه الحياة الاجتماعية الحاضرة ومشاكلها، وثيق الصلة بالماضي بصورة لا يمكن معها أن نعد الطلاب لفهم هذه المشاكل،أو توجيههم إلى أحسن الطرق لعلاجها إلا بالبحث عن جذورها في أرض الماضي(إسماعيل علي، ص.107).
- ✓ يحقق له فرص التعرف على الانتاجين المعرفي والعلمي.فالإنتاج المعرفي هو الذي "يتعلق بتوليد المعرفة والفهم الجديد في العلم والتكنولوجيا والفنون والادب والفلسفة ويشمل جميع النتائج التي تنتُج عن الفكر الإبداعي والإبداع في مختلف المجالات" (مصطفى، محمد نديم،2023، 22/ 7). متطلبات الإنتاج المعرفي في البحث العلمي /تم استرجاعها يوم 26/ 8/.والإنتاج العلمي والذي يشير بدوره إلى"النتائج والإنجازات التي تنشأ عن الأبحاث العلمية والدراسات التجريبية، وهو الإنتاج الذي يرتكز على المنهج العلمي والطرق العلمية المحددة لإجراء البحث والتجارب وجمع البيانات"(مصطفى، 2023)، وهذا طبعا في حدود ما يسمح له به المستوى الذي يدرس فيه والمحتوى المقرر له دراسته، مما يساعده على توسيع مداركه ويتمكن من تمييز هذه المعارف وتصنيفها.

- ✓ يحقق له فرص التعرف على عديد المناهج التي يحتاجها ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية، وأن التداخل والتكامل الحاصل بينها وحتى بين علوم تقنية وعلوم المادة الأخرى، لم يكن لولا تدخل واستخدام أنواع واسعة من المناهج وأنماط وأساليب من التفكير المتنوعة.
- ✓ يوفر له فرصا للربط بين هذه المعارف والعلوم قديمها وحديثها،مع إمكانية إحداث مقارنات فيما بينها مما يفتح له المجال لإعادة قراءة هذا التراث،ذلك ونجد دعما لهذه الفكرة في قول (باولو فريري):" إن تمكين الناس من قراءة العالم بشكل نقدي، لهو تحد كبير وممارسة غير مريحة لأولئك الذين يؤسسون قوتهم على براءة من يمكن استغلالهم. انني ممن يقومون بتلك القراءة، ومن ثم فان ممارساتي النظرية تزداد وضوحا (فريري، 2004، ص.167).وأسلوب القراءة المصحوب بالتأمل يمكِّن الطالب من إثارة المواضيع واقتراح إشكاليات للنقاش في ضوء المعارف التي يتلقاها، وفي ضوء وجهات نظر الأستاذ والزملاء.وهذا ما يملأ الفراغ الذي يتركه ذلك النقص في عملية القراءة لدى الكثير من الطلبة فالذي "نسمعه ونقرأه لا يصبح ملكا لنا إلا من خلال التفكير فيه. فبالتفكير وحده يمكن أن نصطفي مما قرأنا ما يدعم رؤيتنا المعرفية أو يعدلها أو يضيف إليها (بكار، 2011، ص.147).

- يوفر له فرص لاكتشاف تلك الفجوات المعرفية بين الحضارات والعصور التاريخية، خاصة المفتعلة منها أو المهملة بسبب عدم وجود بحث كافي عنها

وإذا كانت كل هذه الفرص يوفرها التدريب والتكوين على البحث الابستمولوجي للطالب الجامعي في كليات العلوم الإنسانية والاجتماعية، فمن المؤكد أن هناك فائدة تجنى منها يمكن ذكرها في النقاط التالية على سبيل المثال لا الحصر:

- بإمكانه أن يكوّن تصورا شاملا لمجموع المعارف في مجال دراسته وتخصصه"فالعقلية المتحررة هي التي تكون لديها الرغبة الحقيقية في الاستماع الى وجهات النظر، والالتفات إلى جميع الحقائق مهما كان مصدرها"(إسماعيل علي، 1995، ص.119).
- تتكون لديه الفكرة والتي نعبر عنها بالتساؤل الذي يدفعه نحو التفكير الجدي ويحركه ليستوعب هذه المعارف"إن عملية المعرفة التي تستلزم النفس الواعية بكاملها من الأحاسيس والمشاعر والذاكرة، تؤثر في معرفة العقل وحب استطلاعه حين يركز على الموضوع "(فريري، 2004، ص.178).
- يستوعب المعرفة بعدما يدرك أن البحث فيها من أكبر القضايا التي تضعه في تحدي، هذا يضعه أيضا أمام التزام نحوها ويعزز جانب الاستقلالية لديه.
- يعزز جانب الإخلاص وتحمل المسؤولية وبالتالي يتجاوز ويزيد على هذه المعارف من خلال نقدها وإعادة صياغتها. فالشخص منا" عندما يشعر بانجذاب إلى شيء ما واهتمام به ينصرف إلى التفكير فيه بكل جوارحه" (إسماعيل علي، 1995، ص.119).

- يصبح متحاورا متواصلا وعلى الخصوص في فضاءات الجامعة (المكتبة غرف الإقامة قاعات الطعام قاعة الأساتذة)
- يخلق المتعة والتنافس ويشجع على المواجهة والثقة في طرح وجهات نظر مختلفة "وإخراج الطالب من القوقعة والانحسار الذي تفرضه الدراسة المنتظمة والمناهج المقننة والتلقي المدرسي للمعارف" (بكار، 2011، ص.220).
- التأسيس لحوار مشترك بين طلبة لا يفكرون بالطريقة نفسها.
- التدريب على البحث الابستمولوجي يدخل الطالب في حالة من التعلم المستمر أو التعلم مدى الحياة،وهذا النمط من التعلم يبرزه ذلك التخلص ومن حين لآخر من تلك الصور النمطية والأفكار الخاطئة،التي سيطرت على تفكيره، والتي كانت تبدو له نهائية وحاسمة. إلا أنه بالتفكير والتأمل المستمر ين يستدرك ما فاته ويستوعب حاضره ويستشرف ما هو قادم.

خاتمة وتوصيات

إن المعرفة التي لا ننميها كل يوم تتضاءل يوما بعد يوم، وهذا ينعكس سلبا على المنتوج المعرفي من حيث خسارته وضياعه كتراث، ومن حيث العجز في تحيينه وتطويره كإنجاز يواكب الحاضر ويستشرف المستقبل، خاصة وأن ما يفرضه مجتمع العولمة والتكنولوجيا والانترنيت، وما يلح عليه هو وجود وعي عام لأفراد المجتمع.فالاعتماد على وجود نخبة تنوب عنه ويوكل إليها مهام كل شيء حتى التفكير في الواقع والمستقبل، أصبح من كلاسيكيات القرون الماضية، لذلك لابد من البحث عن طرق وأساليب للقيام بهذه التوعية وهذه الاستنارة الجماعية،يتمكن المجتمع من خلالها إدراك أهدافه وملاحقة مصالحه،فهو بحاجة لكل أبنائه ولكل طاقة من طاقاته، وعلى حد تعبير باولو فريري (2004) "لن تستطيع أمة أن تحقق ذاتها دون أن تغامر بمشاعرها من أجل التجديد المتواصل لذاتها". والإمكانيات المعرفية والمنهجية التي تحتكم عليها الجامعة، وصلاحيتها في توظيف هذه الإمكانات. تؤهلها لتحقيق هذه الاستنارة في ضوء ما تحققه من تقدم في التفكير المعمق، وخلق بيئة من الاستنفار المعرفي بشأن العلوم الإنسانية والاجتماعية، والنظر إليها من نافذة البحث الابستمولوجي كمرحلة قادمة. فما فشلت فيه مناهج علوم الطبيعة أن تقدمه للظاهرة الإنسانية،فإن منهج البحث الابستمولوجي وفي ضوء خطواته ومبادئه ومهاراته، كفيل بأن يسد هذا الفراغ في العلوم الإنسانية والاجتماعية، وبسبب تآزر المنهجين. قد يُعوَّض هذا العجز ويحدث تكاملا منهجيا ومعرفيا أيضا.

استنتاجات عامة

- إن لكل مجتمع فلسفته التي تفرض عليه مرجعية منهجية معينة، ويستطيع في ضوئها أن يختار وينتقي ما يخدم معتقداته وهويته.
- الابستمولوجيا بقدر ما تتدخل في خصوصية كل علم وما يرتبط به من معارف فهي في الوقت ذاته تحترم هذه الخصوصية، وبهذا هي نهج يساهم بشكل فعال في توفير الرعاية والاهتمام بالبحث العلمي الرصين.
- في ظل انتشار ظاهرة التخصص في المجال الواحد والتوسع الكبير في المعرفة الإنسانية، فالطالب الجامعي في العلوم الإنسانية والاجتماعية بحاجة لأدوات تمكنه من لم شتات هذه المعارف، بهدف انتظامها وتناسقها على الأقل بصيغة مخططات مفاهيمية تساعده في تصحيح تصوراته ومعتقداته وضبط اتجاهاته وقيمه.
- نحن بحاجة إلى معالجة إشكالات حقيقية تتجاوز ما هو محلي إلى ما هو إقليمي وعالمي، وتعاطي الطالب في كليات العلوم الإنسانية مع العلوم والمعارف بالشكل الحالي سوف يبقينا مجتمعات تغرد خارج السرب.

الموضوع بحاجة لمزيد من البحث الجدي وبشكل أوسع وتفصيل أكثر ولكي ننحو بالدراسة الحالية منحا عمليا توصي الباحثة:

1. بضرورة تبني فكرة إدراج مقرر دراسي تحت مسمى منهجية البحث الابستمولوجي، يكون تدريسه بالموازاة مع مقياس منهجية البحث العلمي المعمول به حاليا. يبدأ الطالب الجامعي في كليات العلوم الإنسانية والاجتماعية دراسته من السنة الأولى ليسانس وحتى الماستر ما يعادل (درجة الماجستير في دول أخرى غير الجزائر) وحتى التكوين فيما بعد التدرج الدكتوراه.

2 ـ عرض الفكرة على خبراء وأكاديميين من ذوي الخبرة والاختصاص، لبحث الموضوع والتفكير بجد في الطريقة المناسبة لتنظيم مقرر دراسي تحت مسمى منهجية البحث الابستمولوجي، بحيث توضع وتؤسس له خطوات ومجالات معرفية وأهداف ومهارات.

3- وفي ضوء التوصيتين السابقتين، ترى الباحثة ضرورة إعادة النظر في الاحتياجات التدريبية للأستاذ الجامعي. فإذا كان التوجه العام لكليات العلوم الإنسانية والاجتماعية خاصة بعد جائحة كورونا، هو إقامة دورات تكوينية للأستاذ الجامعي في مجال الرقمنة والتكنولوجيا بغرض تعزيز كفاءاته المهنية، فانه من المهم أيضا تنظيم دورات تكوينية في ضوء المدخل التدبري تمهيدا لإرساء

مقرر دراسي (منهجية البحث الابستمولوجي) وهذا من أجل خلق التنوع والتكامل في هذه الكفاءات المهنية.

المراجع

1. أندريه. لالاند (2002).*موسوعة لالاند الفلسفية*. مجلد 1. (ط2). لبنان. منشورات عويدات
2. الابراهيمي، الطاهر.(2002). رؤية واقع البحث التربوي في العالم العربي.*مجلة العلوم الإنسانية* (ع2). جامعة محمد خيضر بسكرة. الجزائر
3. عمار، حامد. (باولو فريري).(2004). *المعلمون بناة ثقافة رسائل إلى الذين يتجاسرون على اتخاذ التدريس مهنة*. (ترجمةح. عماروآخرون). مصر.الدار المصرية اللبنانية
4. بكار، عبد الكريم. (2011).*حول التربية والتعليم* (ط1). سوريا. دار القلم
5. بلعيدي، مصطفى. (2023).*حفظ العقل والحاجة الى الدرس الفلسفي*. كتاب بحوث المؤتمر العلمي الدولي مستجدات حفظ العقل في ضوء الدراسات البينية تم استرجاعها يوم 18/ 7/ 2023https://doi.org/10.36772L/minds.9
6. بلعقروز، عبد الرزاق. (2017).*مداخل مفهومية الى مباحث فلسفية وفكرية ـ الدين، رؤى العالم، الحقيقة القيم، الفعل*(ط1).لبنان.مركز نماء للبحوث والدراسات
7. بلعلى،آمنة. (2011).*أسئلة المنهجية العلمية في اللغة والادب*(ط1). الجزائر.دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع
8. بن عبد السلام، حسين.وآخرون. (2012). *إشكاليات فلسفية*.الجزائر. الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية
9. بن غبريط، نورية. وحداب، مصطفى رمعون. (2008).*الجزائر بعد 50 سنة حوصلة المعارف في العلوم الاجتماعية والإنسانية 1954 ـ 2004*.الجزائر. مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية
10. بن هني، قبلي.(2018). مقاصد البحث التربوي والمنهجية وأثرها في استصلاح وترشيد التفكير. *مجلة الدراسات الإسلامية*. (ع 10). ص 537 ــ 538
11. بوثلجة، غياث. (2022).رواد البحث النفسي التربوي في الجزائر من خلال عينة من الأساتذة.*مجلة روافد للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية*، مج 6(ع خاص). ص30
12. بوعلاق، محمد (بير تراند).(2001).*النظريات التربوية المعاصرة*. (ترجمة م. بوعلاق). المملكة المغربية، قصر الكتاب
13. جاد الحق علي، جاد الحق. (1989)، نظرة الأديان للطبيعة وعلاقتها بالأخلاقيات والحضارة.*مجلة التضامن الإسلامي* (*الحج سابقا*).إسلامية شهرية تصدرها وزارة الحج والاوقاف بمكة المكرمة. ص 33

14.جلوب، علاء إسماعيل. (2023). *عنوان المداخلة آفاق البحث العلمي*. فعاليات أسبوع اساسيات البحث العلمي، منصة اريد الدولية العلمية. تركيا اطلع عليه الساعة 9 مساء / 22/ 7/ 2023

https://portal.arid.my/ar- LY/Courses/Details/3699

15.جون، كولينز. ونانسي باتريسيا،اوبراين. (2008).*قاموس دار العلم ــ غرينوود للمصطلحات التربوية* (ط1). لبنان. دار العلم للملايين

16.الحجيلان،ناصر.(كول جونتان). (2016).*جامعات عظيمة قصة تفوق الجامعات الامريكية*. (ترجمة ن. الحجيلان).(ط1). مصر. الدار المصرية اللبنانية

17.حلمي. مصطفى. (د.ت).*مناهج البحث في العلوم الإنسانية بين علماء الإسلام وفلاسفة الغرب*. الأستاذ بكلية دار العلوم. جامعة القاهرة

18.الحوراني، منير. (جون،لانغر يهر). (2002).*تعليم مهارات التفكير، تدريبات عملية لأولياء الأمور والمعلمين والمتعلمين*.(ترجمة.م الحوراني)(ط1). العراق.دار الشرق

19.داود إبراهيم (2021)، الفلسفة مقالات ونصوص فلسفية، الجزائر، دار الهدى

20.سلطان،جاسم. (2022).*علم الاجتماع مذكرات شخصية* (ط1). تركيا،مكتبة الاسرة العربية

21.سنمر، محمد محمود. (1409). *دراسة في البناء الحضاري محنة المسلم مع حضارة عصره*(ط1). كتاب الامة سلسلة فصلية. دولة قطر. مركز البحوث والدراسات

22.سعيد، عبد الوارث. (الفاروقي إسماعيل راجي) (1984). *كتاب حول أسلمة المعرفة*.(ترجمةع. سعيد).(ط1). الكويت. دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع

23.صحراوي، عبد الله. (2016).*تصميمات البحوث الكميةتطبيقات وانشطة علمية*(ج2).الجزائر. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. جامعة سطيف 2.

24.صليبا، جميل. (1982). *المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية*(ج2). لبنان. دار الكتاب اللبناني

25.العلواني، طه جابر. (2003).*الازمة الفكرية ومناهج التغيير*. مركز دراسات فلسفة الدين وعلم الكلام الجديد.لبنان. دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع

26.علي، سعيد إسماعيل. (1995). *فلسفات تربوية معاصرة*. سلسلة كتب ثقافية شهرية. الكويت. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

27.القصراوي، عماد شوقي ملتقى. (2010). *البحث التربوي الاجرائي كأحد فروع البحث العلمي ـ رؤية عصرية من الناحيتين النظرية والتطبيقية*، مصر. عالم الكتب

28.طنطاوي، محمد سعد.(ليوناردو،سميث).(2016).*نظرية الفوضى*.(ترجمة م. س. طنطاوي). مصر. مؤسسة هنداوي. (نشرت النسخة الاصلية في 2007)

29.مصباح، عامر. (2010).*علم الاجتماع الرواد والنظريات*(ط1). لجزائر. شركة دار الهدى

30.مصطفى، محمد نديم. (2023). *عنوان الداخلة متطلبات الإنتاج المعرفي في البحث العلمي*. فعاليات أسبوع اساسيات البحث العلمي. منصة اريد الدولية العلمية. تركيا

https://portal.arid.my/ar- LY/Courses/Details/3699

31.نصار، سامي محمد.(2005).*قضايا تربوية في عصر العولمة وما بعد الحداثة*(ط1).مصر. الدار المصرية اللبنانية

32.الوردي، على.(2009).*منطق ابن خلدون*، العراق.شركة دار الرواق للنشر المحدودة

Issue - Sixteenth - Part One - September - 2023 - Third Year Refereed Quarterly Scientific Journal

American International Journal of Humanities and Social Sciences

ISSUED BY AMERICAN INTERNATIONAL ACADEMY FOR HIGHER EDUCATION AND TRAINING

QUARTERLY JOURNAL ON HUMANITARIAN AND SOCIAL AFFAIRS

ISSN - 2710 - 4834

Deposit number in the Iraqi National Library and Archires: 2460

Special Issue of Articles